جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأنبار-كلية الآدب

قسم التاريخ

إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند ٩٣٢- ١٠٦٧هـ/ ١٥٢٥-١٦٥٦م

أطروحة تقدمت بها الطالبة

إنعام حميد شرموط الجنابي

إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة الأنبار

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي

بأشراف

الأستاذ الدكتور

عبدالستار مطلك درويش

جامعة الأنبار-كلية الأداب

الأستاذ الدكتور

نوري عبد الحميد العاني

جامعة بغداد -كلية التربية ابن رشد

١٤٣٥ هـ

٢٠١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

« سورة النمل . آية ١٩ »

إقرار المشرِفَين

نشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة ((امبراطورية المغول الإسلامية في الهند ٩٣٢- ١٠٦٧هـ / ١٥٢٥- ١٦٥٦م)) المقدمة من قبل الطالبة إنعام حميد شرموط الجنابي , جرى تحت إشرافنا في كلية الآداب جامعة الأنبار, وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي .

الأستاذ الدكتور	الأستاذ الدكتور
عبد الستار مطلك الدرويش	نوري عبد الحميد العاني
(المشرف)	(المشرف)
٧ / ٩ / ٢٠١٤	٧/ ٩ / ٢٠١٤

بناءً على هذه التوصيات نرشح هذه الأطروحة للمناقشة

الأستاذ المساعد الدكتور

زياد عويد سويدان

(رئيس القسم)

٧/ ٩ / ٢٠١٤

الإهداء

إلى من كنت أتمنى وجوده معي الآن...

والدي الحبيب ((رحمه الله))

جمعني الله و إياه في الفردوس الأعلى ، ورزقني بره بعد وفاته

شكر وعرفان

أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة ؛ من أجل أن يبلغ موضوع الدراسة المستوى الذي هو عليه, وأخص بذلك أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد الستار مطلك الدرويش الذي كان له الفضل الكبير باختيار هذا الموضوع , زيادة على أنه كان نعم العون لي برأيه السديد وخبرته العلمية الكبيرة وملاحظاته القيمة, كما أشكر مشرفي الثاني الأستاذ الدكتور نوري عبد الحميد العاني الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الأطروحة متمنياً له الصحة والعافية. وأتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى رئاسة قسم التاريخ في كلية الآداب وأساتذتي وزملائي في السنة التحضيرية , وأساتذتي وزملائي في كلية التربية للبنات .

وأتقدم بوافر الشكر والعرفان إلى الدكتور ياسر جواد المشهداني- جامعة الموصل الذي تابع الأطروحة منذ بداية كتابتها, ولم يبخل عليَّ بالعديد من المصادر, وكان لي خير عون على تذليل الصعوبات , وكذلك الأستاذ الفاضل الدكتور أحمد عبد القادر الشاذلي من جمهورية مصر العربية الذي زودني بالعديد من المصادر, والدكتور عبد القادر خان الهندي مدير الملحقية الثقافية العراقية في الهند الذي أمدني بالعديد من المصادر الهندية , والدكتور عبد السلام توفيق الجبوري مدير أعمار الجامعات بوزارة التعليم والبحث العلمي سابقاً الذي قام بجلب الكتب من الهند والدكتور رضوان عطية وردي – جامعة الموصل .

والشكر موصول إلى جميع أفراد عائلتي وأخص منهم أخي أحمد لما قدموه لي من عون ومساعدة طوال مدة الدراسة حفظهم الله لي ورعاهم .

ولا يفوتني أن أشكر كلَّ من ساهم بمساعدتي من الصديقات اللاتي كن عوناً , لي وهن الدكتورة إيمان محمود العبيدي كلية الآداب – جامعة الانبار, وصديقات السنة التحضيرية هدى ونادية وزميلاتي في كلية التربية للبنات ، والأختين جنان وأسماء مجيد محمود.

فهرست المحتويات

المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله , وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

أهمية البحث : كانت الهند تعيش في عزلة تامة ولا تفتح نافذة ينظر منها العالم إلى تلك البلاد المطوية المغلقة إلا عن طريق بعض الفاتحين أو الباحثين , حتى دخلها المسلمون فحملوا إليها أجمل ما عندهم من عقيدة التوحيد , والمساواة الإنسانية وحقوق عامة لجميع الطبقات .

إن الدعوة الإسلامية وتطورها في الهند لم تكن إلا حلقة من حلقات سلسلة الدعوة الكريمة الممتدة عبر تاريخ الأمة الإسلامية , وإن التاريخ حافل بالجهود المتلاحقة التي بذلها الدعاة العاملون لهذا الدين في كل بقعة من بقاع الأرض , وما زالت طائفة من العلماء المخلصين تقوم بالدعوة إلى الله وتعمل بجد واجتهاد وإخلاص لإعلاء كلمته ونشر تعاليم كتابه وسنة رسولهﷺ , وبدأت تلك الجهود الفردية في الهند قبل الفتح الإسلامي الأول الذي قام به القائد محمد بن القاسم الثقفي سنة٩١هـ/٧١٠م , في شمال شبه القارة الهندية , ويرجع الفضل في انتشار الدعوة الإسلامية فيها إلى الملوك والأباطرة المسلمين الذين قاموا بفتوحات عسكرية في شبه القارة الهندية وشيدوا امبراطورياتهم فيها , بيد أنهم تركوا بعض الآثار الإسلامية القيمة من المساجد الفخمة والقلاع الضخمة وأسدوا خدمات لإحياء بعض الفنون والآداب , وأضافوا ابتكارات علمية وفنية في تاريخ الهند المجيد ؛ ويرجع فضل انتشار الدعوة الإسلامية في تلك البقعة الواسعة الأرجاء ,

إلى دعاةٍ من المسلمين العرب والهنود الذين تشبعوا بروح الإسلام السمح , وبذلوا جهوداً جبارة في سبيل نشر دين الله الحنيف في كل بقعة نزلوا فيها .

ولأهمية ما قام به المغول من نشر الإسلام والدور الفاعل في بناء الحضارة الإسلامية في الهند جاء اختيارنا لموضوع ((امبراطورية المغول الإسلامية في الهند ٩٣٢- ١٠٦٧هـ / ١٥٢٥- ١٦٥٦م)) ليكون أساساً لدراستنا .

لقد تعددت الدراسات التي تناولت إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند إلا أنها كانت دراسات منفردة سواء كانت بتواريخ محددة أو شخصيات أو جوانب حضارية معينة ولم تتخصص دراسة شاملة لإمبراطورية المغول الإسلامية في الهند بصورة شاملة وكاملة , ولم نجد دراسة بحثت في ذلك الموضوع بشكل مستقل وشامل. ولهذا جاءت دراستنا محاولة جادة لتسليط الضوء على تلك الامبراطورية العظيمة التي أسسها ظهير الدين محمد بابر في الهند , والتي وصلت بالحكم الإسلامي إلى أرقى صوره وأقوى نفوذ له.

وكان الدافع وراء تحديد مدة الدراسة بين عامي((٩٣٢- ١٠٦٧هـ / ١٥٢٥- ١٦٥٦م)) يعود إلى أن عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م هو بداية تأسيس إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند على يد السلطان بابر, أما توقف نطاق البحث بعام ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م؛ ذلك لأنه نهاية حكم السلطان شاهجهان وبداية حكم السلطان أورنجزيب الذي يُعَدّ آخر السلاطين العظماء لتلك الإمبراطورية, وهو لم يدخل ضمن نطاق دراستنا؛ وذلك لكثرة الدراسات التي تناولت تلك الشخصية , بعدها توالى على حكم الامبراطورية مجموعة أباطرة ضعفاء, فقد اختص نطاق بحثنا بالمدة الذهبية للامبراطورية .

وقد اقتضت الدراسة تقسيم الأطروحة على مقدمة و تمهيد وأربعة فصول وخاتمة , بحث التمهيد بصورة مختصرة انتشار الإسلام في الهند , وأبرز الإمارات والدويلات التي نشأت فيها والتي كان آخرها عهد السلطنة , أما الفصل الأول فقد تناول ((الحياة السياسية في الإمبراطورية المغولية)) وكان بخمسة مباحث , احتوت مباحثه التعريف بالسلاطين الذين حكموا في تلك المدة مسلطاً الضوء على أبرز إنجازاتهم السياسية والعسكرية , في حين تطرقنا في الفصل الثاني إلى ((المؤسسات الإدارية)) وجاء في أربعة مباحث , تضمنت مباحثه الوظائف الإدارية , والنظم القضائية والمالية والعسكرية ، فيما ركز الفصل الثالث على ((الحياة الثقافية وانجازاتهم الحضارية)) وهو مقسم على خمسة مباحث ، احتوت مباحثه على رعاية سلاطين الهند للعلم والعلماء, وعن ازدهار الحركة العلمية , وأشهر العلماء والأدباء , والعلوم العقلية والنقلية , والعمارة الإسلامية , أما الفصل الرابع فقد خُصص ((للحياة الاجتماعية)) وهو بدوره مُقسَم على أربعة مباحث , بينا فيه طبقات المجتمع الهندي , من حيث مكانة المرأة في عهد إمبراطورية المغول الإسلامية والزواج والاحتفالات والأعياد الدينية وأشهر الأطعمة الهندية إلى غير ذلك , زيادة على الجانب الديني في إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند, ودور الإمام السرهندي وحركته المضادة للدين الإلهي .

واعتمدت دراستنا على عدد من المصادر الأساسية والتي كان من أبرزها ((منتخب التواريخ)) للمؤلف عبد القادر البدايوني(ت:١٠٠٤هـ) وهو من الكتب الهندية المدونة باللغة الأوردية, ويعد من المصادر الأساسية التي يعتمد عليها الباحثون في تاريخ الهند؛ نظراً لمعلوماته المهمة التي تغطي مدة طويلة من تاريخ تلك الامبراطورية .

وكتاب((تاريخ فرشته)) للمؤلف محمد قاسم فرشته(١٠٣١هـ) وهو أيضاً من الكتب الهندية المدونة باللغة الأوردية ولا يقل أهمية عن الذي سبقه فهو يشمل تاريخ الهند كاملاً. أما كتاب مذكرات بابر المعروف بـ((تاريخ بابر شاه)) للسلطان بابر فكانت له أهمية كبيرة في إعطائنا صورة عن البدايات الأولى والتمهيدية لتأسيس الامبراطورية المغولية في الهند .

وكتاب الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام المعروف بـ((نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)) لعبد الحي الندوي , ويتميز ذلك الكتاب عن بقية الكتب بكونه يعد موسوعة شاملة لتراجم أمراء المسلمين في الهند وعلمائهم , وقد كان لي عونٌ كبيرٌ في التعريف بعدد هائل من العلماء و الشخصيات البارزة في الأطروحة .

ومن الكتب القيمة كذلك كتاب((المسلمون في الهند)) لنظام الدين احمد بخشي الهروي, وهو الترجمة الكاملة لكتاب طبقات أكبري ترجمه إلى العربية د.أحمد عبد القادر الشاذلي فقد زودنا بمعلومات قيمة عن السلطان أكبر وحاشيته.

ومن الكتب الهندية المترجمة للغة العربية كتاب((دولة المغول في الهند)) لمحمد يوسف كوكن وهو مؤلف هندي, إذ احتوى على معلومات قيمة عن أباطرة المغول وعن أزواجهم .

ولقد كان لكتب الجغرافية والبلدان أهمية كبرى في دراستي فلقد اعتمدت عليها في تحديد وتعيين مواقع المدن والأقاليم ، كما أنها أمدتني ببعض المعلومات التاريخية المفيدة , ويأتي في مقدمة تلك الكتب كتاب ((الهند في العهد الإسلامي)) للمؤرخ عبد الحي الندوي , وهو أول كتاب عربي في نطاق علمي كتبه مؤلف هندي , إذ تناول فيه الخطط الهندية وجغرافيتها ومواردها وإحصائيتها الدقيقة إلى جانب سرد

المعلومات القيمة عن النظم الإدارية والقضائية والمالية والعسكرية للدول الإسلامية القائمة في الهند عبر العصور , وللمؤلف نفسه كتاب آخر هو ((الثقافة الإسلامية في الهند)) وهو دليل شامل لأعمال علماء الهند في الحقول العلمية , كما زودنا بمعلومات كثيرة عن الحياة الثقافية في الهند في تلك المدة .

كما اعتمدت الدراسة على العديد من المراجع الحديثة التي رفدتنا بالكثير من المعلومات عن تاريخ وحضارة الهند والتي كان من أبرزها ((تاريخ الإسلام في الهند)) للدكتور عبد المنعم النمر , و((تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند)) للدكتور جمال الدين الشيال , و((تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم)) للدكتور أحمد محمود الساداتي و((تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند)) للدكتور محمد سهيل طقوش .

أما الكتب الإنجليزية المهمة التي زودتنا بمعلومات قيمة عن دراستنا فهي

Malleson ,Colonel , Rulers of India AKBAr and the rise of the Mughal Empire

إذ احتوى على معلومات قيمة عن السلطان أكبر وممن سبقه من السلاطين

وكتاب Sarkar ,Jadunath , Mughal Administration ساعدنا ذلك الكتاب على التعرف على الجوانب الإدارية لامبراطورية المغول الإسلامية .

فضلاً عن كتاب Misra, Rekha , Women in Mughal india وهو من الكتب التي سلطت الضوء على دور النساء في البلاط المغولي .

وكتاب Schimmel, Annemarie , The Empire of the Great Mughals الزاخر بالمعلومات القيمة عن إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند .

ولا تقل الرسائل والأطاريح الجامعية أهمية عما ذكرنا من مصادر، فقد كان لأطروحة الدكتورة خالدة أمجد الموسومة((النثر الفني في شبه القارة الهندية)) أهمية في دراستنا ، لتزويدنا بمعلومات قيمة عن العلوم الهندية , وكذلك أطروحة ((أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية)) للدكتور خادم حسين إلهي بخش , ومن رسائل الماجستير((الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر)) للدكتور أحمد عبد القادر الشاذلي وهي من الرسائل القيمة التي سلطت الضوء على الإنجازات الحضارية في عصر السلطان أكبر, وكذلك رسالة ((الأوضاع السياسية والحضارية لدولة المغول في الهند في عهد السلطان أورنجزيب)) للطالب الهندي صاحب عالم قمر الزمان , أسهمت تلك الرسالة في إغناء فصول الأطروحة بمعلومات قيمة جداً عن الجوانب الحضارية في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند .

وإن كان لابد من ذكر الصعوبات التي مرت بنا عند إعداد هذه الأطروحة فسنذكرها ولا نغالي فيها, وكان من أبرزها هي وفاة والدي (رحمه الله) بعد تسجيلي للموضوع مباشرة مما أتعبني نفسياً وكان سبباً في تأخري لعدة شهور حتى استأنفت البحث والكتابة مرة ثانية , وكذلك تدهور الأوضاع الأمنية في العراق عامةً والأنبار خاصةً , فلا يخفى على الجميع ما تمر به محافظتنا العزيزة من أحوال صعبة جداً مما اضطرنا إلى الهجرة من بيوتنا وتركنا جميع ممتلكاتنا بما فيها كتبنا التي لم نحصل عليها إلا بشق الأنفس , ومن الصعوبات التي واجهتنا أيضاً سعة الموضوع وكثرة تشعباته , إذ إن عنوان كل فصل من فصول الأطروحة

يستحق كتابة رسالة مستقلة , زيادة على إن أغلب تاريخ الهند مكتوب باللغتين الفارسية والأوردية وهو ما تفتقر إليه المكتبات في العراق إلا القليل من تلك المراجع والمصادر, مما دفعني إلى جلب قسم منها من الهند ومصر, وكذلك صعوبة في ترجمة الكتب الفارسية و الأوردية و انعدام وجود المترجمين لاسيما مترجمي اللغة الأوردية .

ختاماً أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى أساتذتي الأفاضل الذين تتلمذت على أيديهم في السنة التحضيرية للدكتوراه, والشكر والتقدير موصول سلفاً إلى السيدين الخبيرين العلمي واللغوي الفاضلين وإلى الأساتذة الأفاضل رئيس لجنة المناقشة وأعضائها المحترمين على الملاحظات العلمية القيمة والسديدة التي سيرفدون بها هذه الدراسة, فتساهم في إغناء موضوعاتها وتجاوز الخطأ والنسيان اللذين تخللاها, فالكمال لله تعالى وحده , هو الموفق لكل صواب فيها ومنه وحده استمد العون والسداد , وما كان فيها من صواب فمن الله وحده, وما كان فيها من خطأ فمني ومن الشيطان وأستغفر الله تعالى , داعياً الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطانا لما فيه الخير والصلاح وأن يغفر لنا إن أخطأنا وهو السميع المجيب .

ومن الله التوفيق والنجاح

الباحثة

التمهيد :

أولاً : دخول الإسلام في الهند وانتشاره فيها

تعود علاقة العرب بشبه القارة الهندية إلى عصور موغلة في القدم ، واتسمت هذه العلاقة بأنها تجارية بحتة . وقد كان للتجار دور كبير في إرساء الصلات الأولى بين العرب والشرق الأقصى , بعد ما ركبوا الطريق البحري لممارسة نشاطاتهم التجارية منطلقين من العراق والجزيرة العربية عبر الخليج العربي وبحر العرب ثم المحيط الهندي للوصول إلى أقصى بلاد الشرق. واتخذ هؤلاء التجار من الهند محطة للراحة والتبادل التجاري وللتزود بالمؤن ومن ثم الانطلاق إلى مدن الشرق القصية(١).

وللهند أهمية كبيرة بالنسبة للمسلمين؛ وذلك بفضل نشاطهم ومركزهم المالي والتجاري في البلاد فازدهر الإسلام وانتشر فيها على الرغم من أن حكامها لم يكونوا من المسلمين ، ومن الجدير بالذكر أن المسلمين في الهند كانوا يبنون المساجد ويقيمون الُجمع والأعياد ويطبقون فيما بينهم أحكام شريعتهم, وينظر الهندوس المحليون إليهم نظرة إكبار وتقدير, وإذا اعتنق هندوسي الإسلام ولو كان من الطبقة السفلى فإنه ينال الاحترام والتقدير نفسيهما مما كان سبباً لدخول كثير من الهندوس المضطهدين في الإسلام(٢).

والجدير بالذكر أن طرق انتشار الإسلام في الهند كان عن طريقين : في الحرب عن طريق الفتوحات ، وفي السلم عن طريق التجارة واتصالاتهم والدعوة الدينية السلمية عن طريق الفقهاء والوعاظ ودروسهم , والعلماء المتصوفة ورحلاتهم ومدارسهم التي من خلالها انتشر الإسلام بين الهنود(٣), إن أرض الهند قد أشرقت بنور الإسلام في فجر تاريخه فلم تزل منذ ذلك اليوم محط أنظار المسلمين من الفاتحين والعلماء والدعاة, فتزعزعت العقائد الوثنية المنتشرة في ربوع الهند أمام هذا التعليم الرباني واللطف الإلهي الذي أحاط بأرجائها والزحف المبارك الذي قاده الفاتحون المسلمون فلم تعد أوثانهم وأصنامهم تحفظ معابدهم ومراكزهم الدينية من الهدم والخراب(٤) . بدأت

---

(١) الآلوسي , عادل محي الدين , تاريخ الإسلام في جنوب شرقي آسيا والصين , (مطبعة التعليم العالي – بغداد – ١٩٧٨) , ص١٦٢, وللمزيد من المعلومات ينظر درويش , د.عبد الستار مطلك , العوامل الذاتية لانتشار الإسلام في الهند , بحث مقدم إلى مجلة الأستاذ ,(كلية التربية – ابن رشد – جامعة بغداد –٢٠٠١ م) .

(٢) النمر ، عبد المنعم ، تاريخ الإسلام في الهند ، المؤسسة الجامعية ،(القاهرة –١٩٨١) ص٦٥ .

(٣) الشيال , جمال الدين ، تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند ، منشأة المعارف (الإسكندرية – ١٩٦٨) ، ص١٧.

(٤) الأعظمي ،محمد ضياء الرحمن ، فصول عن أديان الهند ،دار البخاري للنشر والتوزيع (المدينة المنورة – ١٩٩٦) ص١٦٦.

الجيوش الإسلامية محاولاتها الأولى لفتح الهند منذ العصر الأموي ، فدخل الإسلام الهند عن **طريقين :**

طريق السند[١]، كان الفتح الأول على يد القائد محمد بن القاسم الثقفي ، حيث ظل القادة المسلمون يطرقون أبواب الهند ويحاولون فتحها ويصيبون من أطرافها حتى كان زمن الحجاج بن يوسف الثقفي عامل الخليفة الوليد بن عبد الملك على العراق , إذ بدأت الحملة القوية المنظمة تتجه إلى الهند وفتحها وضمها إلى رقعة الدولة العربية[٢] .

أختلف المؤرخون في ذكر السبب الذي حَدَا بالحجاج إلى تسيير حملة على الهند فيذكر البلاذري أنه كان في جزيرة الياقوت كما يسميها نسوة مسلمات ولدنَ في بلاده ومات آباؤهن فأراد ملك الجزيرة أن يجامل الحجاج ويرسل له هؤلاء النسوة أو بحسب ما ذكره البلاذري يهديهن إليه تقرباً منه فأركبهن سفينة إلى البلاد العربية فعرض للسفينة قوم من الديبل[٣] في بوارج فأخذوا السفينة بما فيها فنادت امرأة منهن وكانت من بني يربوع ياحجاج ، وبلغ الحجاج ذلك فقال: يالبيك فأرسل إلى داهر ملك السند يسأله تخلية النسوة فقال: إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم فحمل ذلك الحجاج على غزو السند مملكة داهر[٤] , ويذكر بعض المؤرخين أن سبب الحملة هو هجرة جماعة إلى السند من بني هاشم فراراً من ظُلم الحجاج إلى ملك السند يطلب منه تسليم الفارين ، ولكنه لم يظفر بما يريد ، فقرّر أن ينتقم لنفسه من ملك السند وقد وجه الحجاج أولاً بعض قواده إلى هذه البلاد ، ولكنه فشل في مهمته ، فرأى أن يوجه حملة أخرى جعل على رأسها ابن أخيه الشاب الشجاع محمد بن القاسم الثقفي ، وذلك سنة(٩٢هـ/٧١١م)، ولكنه عُرف بالصلابة والشجاعة وقد جهزه الحجاج بجيش قوي حشد له فيه كل ما يحتاج إليه[٥] وكان بالديبل بُدَ[٦]

---

(١) السند : وهي بلاد ما بين الهند وكرمان وسجستان , ياقوت الحموي , شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت: ٦٢٦هـ) , معجم البلدان , (دار صادر – بيروت –١٩٩٥م) , ج٣, ص٢٦٧ ؛ القزويني , زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ) , آثار البلاد وأخبار العباد , (دار صادر بيروت–١٩٦٠م) , ص٩٤؛ الحميري , أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت :٩٠٠هـ) , الروض المعطار في اخبار الأقطار , تح إحسان عباس , ط٢ (مؤسسة ناصر للثقافة – دار السراج –بيروت – ١٩٨٠م) , ص٣٢٧ .

(٢) النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، ص٧٣ .

(٣) الديبل : وهي من أبرز مدن السند , ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٣ , ص٢٦٧ .

(٤) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت :٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال (بيروت –١٩٨٨) ، ص ٤١٩ .

(٥) النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، ص٧٣–٧٤ .

(٦) البُدَ : منارة عظيمة للهندوس فيها أصنامهم (أيَ معبد) وكل شيّ عظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد والصنم بُد أيضاً , للمزيد من المعلومات ينظر : البلاذري, فتوح البلدان , ص٤٢١؛ ابن خلدون , =

عظيم وقد أمر القائد محمد بن القاسم أن يرمى البُدّ بالمنجنيق فكسره ومكث محمد يقاتل بها ثلاثة أيام وهرب داهر عنها وقتل سدنة بيت آلهتهم ، واختط محمد للمسلمين بها وبنى مسجداً وأنزلها أربعة آلاف رجل[١]واستمر محمد بن القاسم بالهند إلى أن مات الحجاج في سنة(٩٥هـ/٧١٤م) فأتاه الخبر وهو بالملتان [٢] فرجع إلى الرور [٣]. ولما مات الخليفة الوليد بن عبد الملك(ت:٩٦هـ/٧١٥م) وولّي الخليفة سليمان فعزل محمَد بن القاسم عن السند وولَى مكانه يزيد بن أبي كبشة فقبض على محمد وقيده وأرسله في حالة مهينة إلى العراق سجن وعُذّب إلى أن قتل[٤].

وهكذا فاضت روح البطل الشاب الذي استطاع في أقل من ثلاث سنوات أن يفتح إقليم السند ويبسط لأول مرة نفوذ الدولة العربية الإسلامية في بلاد الهند , وكان لموته وقع أليم في نفوس أهل السند , ولقد كانت للفتح العربي للهند أثاراً خطيرة جداً, فقد فتح أبواب شبه القارة الهندية للدين الإسلامي وللثقافة الإسلامية , ومَهّد لقيام علاقات تجارية وثقافية نشيطة بينها وبين العالم العربي , وأسرع سكان إقليم السند بعد الفتح إلى اعتناق الدين الإسلامي طواعية واختياراً , ولم يمضِ غير وقت قصير حتى أصبح هذا الإقليم يكون جزءاً مهماً من الدولة العربية الإسلامية , ففي السند وضعت الأسس الأولى لقيام حكومة إسلامية , ومنه انتشرت السيادة الإسلامية إلى سائر أنحاء شبه القارة الهندية[٥].

٢- الطريق الثاني : هو منطقة الحدود الشمالية الغربية وعبرها انحدرت جيوش السلطان محمود الغزنوي الذي اعتلى حكم الإمارة الغزنوية في مدينة غزنة[٦] بعد زوال الإمارة السامانية سنة (٣٨٩ هـ/ ٩٩٨م)[٧] وما إن استقرت له الأمور حتى فرض على نفسه أن يقوم في كل

=عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨ هـ) , العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر , تح خليل شحاذة , ط ٢, دار الفكر (بيروت – ١٩٨٨ م) ج٣ , ص ٧٦ .

(١) البلاذري , فتوح البلدان , ص٤٢١ ؛ ابن خلدون , العبر , ج٣ , ص ٧٦ .

(٢) الملتان : وهي من مدن السند , ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج١, ص٣٠ .

(٣) الرور: وهي ناحية بالسند تقرب من الملتان , ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٣ , ص٧٩ .

(٤) النويري , أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين (ت :٧٣٣ هـ) ,نهاية الأرب في فنون الأدب , دار الكتب والوثائق القومية , (القاهرة – ١٤٢٣هـ) ,ج٢١ , ص٣٠٧-٣٠٩ .

(٥) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الأسلامية في الهند , ص١٣ .

(٦) غزنة : وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان , الحموي , معجم البلدان , ج٤ , ص٢٠١

(٧) العتبي , أبو نصر عبد الجبار بن محمد (ت:٤٢٧هـ) , تاريخ اليميني على هامش الفتح الوهبي للشيخ احمد المنيني, جمعية المعارف (القاهرة – ١٢٨٦هـ) ج١ , ص٣١١ ؛ابن الوردي , زين الدين عمر=

عام بفتح جديد للهند ليقمع الوثنية وينشر دين الإسلام[١] فقد حكم السلطان محمود أربعة وثلاثين عاماً غزا خلالها بلاد الهند سبع عشرة غزوة استطاع في نهايتها أن يقيم للغزنويين ملكاً شاسعاً في معظم بلاد الهند [٢] وكانت غزوة سنة(٤١٦هـ/١٠٢٥م) أعظم غزوات السلطان محمود في بلاد الهند , ففي هذه السنة فتح عدة حصون ومدن وأخذ الصنم المعروف بسومنات[٣], وهذا الصنم كان أعظم أصنام الهند , وهم يحجّون إليه كل ليلة خسوف , فيجتمع عنده ما يزيد على مائة ألف إنسان [٤] ودخل السلطان محمود المعبد وأحرق صنمهم الأعظم سومنات وكسره وحمل قطعةً منه جعلها عتبة جامعة في غزنة[٥], وهكذا نرى أن السلطان محمود الغزنوي وضع بجهوده النادرة وجهاده المخلص أساس دولة إسلامية عظيمة في الهند ظلت أكثر من ثمانية قرون تقوى وتزدهر, وليس هذا هو المهم وحده , فإن الملايين ممن هداهم الله للإسلام , ومازال يهديهم بسبب ما خطه هذا السلطان في أرض الهند ؛ ليذكّر كل من أتى بعده بعظمته وبما قدم للإسلام من خدمات , وإن المسلمين الذين يعدّون في الهند بعشرات الملايين ,وما أضافوه للإسلام من قوة , وما خدموه به من فكر ورأي ليمثلون أمام الأجيال من بعده عظمة ما قام به هذا السلطان

=(ت:٧٤٩هـ) , تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي),تح أحمد رفعت البدراوي,(دارالمعرفة بيروت – لا. ت) , ج١ , ص٤٧٥ ؛ الدرويش , د. عبد الستار مطلك , السلطان محمود الغزنوي سيرته ودوره السياسي والعسكري في خراسان وشبه القارة الهندية ٣٦١-٤٢١هـ , (دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع –الأردن – عمان – ٢٠٠٩م) , ص١٣٢ .

(١) العتبى , تاريخ اليميني , ج١ , ص٣١٧-٣١٨ .

(٢) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص١٤ .

(٣) سومنات : مدينة ساحلية متسعة بها علماء الهنود وعُبّادهم وبها البّد الذي تعبده الهنود حيث يضعونه على كرسي من ذهب معطر بالمسك ومقلد بعقود الياقوت والجواهر ويكون أمامه أطباق من ذهب . للمزيد من المعلومات ينظر :شيخ الربوة ,شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت :٧٢٧هـ) , نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ,مطبعة الأكادمية الامبرطورية (بطرسبرغ- ١٨٦٥م) ,ص١٧٠ .

(٤)ابن الجوزي , جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:٥٩٧هـ) , المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , تح محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا , ط١(دار الكتب العلمية – بيروت-١٩٩٢م) , ج١٥, ص٢١٢ ؛ ابن الأثير , أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت :٦٣٠هـ) , الكامل في التاريخ , تح عمر عبد السلام تدمري , دار الكتاب العربي (بيروت – ١٩٩٧م) ,ج٧ ,ص٦٨٤-٦٨٥ .

(٥) القلقشندى , أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت:٨٢١هـ) , مآثر الانافة في معالم الخلافة , تح عبد الستار أحمد فراج , (مطبعة حكومة الكويت – الكويت – ١٩٨٥) , ج١ , ص٣٣١ .

المسلم , وبعد وفاته تابع خلفاؤه من السلاطين والملوك الغزنويين حكمهم وتوسعهم في ضم أراض جديدة منها إلى حكمهم[١].

الإمارة الغورية[٢]

بجانب الإمارة الغزنوية وفي جبال غور أو غورستان[٣],نشأت الإمارة الغورية , وقوي أمرها في الوقت الذي كانت الإمارة الغزنوية تسير في شيخوختها نحو الغروب , وعلى يد هذه الإمارة الناشئة كانت نهاية الإمارة الغزنوية في الهند[٤] ففي سنة(٥٨٢هـ / ١١٨٦م) بدأ حكم الغوريين للهند, وقد جعل الملك غياث الدين أخاه شهاب الدين نائباً عنه في حكم الهند , فأخذ هذا يعمل لكي يخضع الهند له ويوسع ملكه فيها , متخذاً من لاهور عاصمة له , ومن الجدير بالذكر أن السلطان شهاب الدين قام دوراً في الهند يشبه إلى حد كبير دور السلطان محمود الغزنوي فيها فقد كانت لكل منهما حروب وفتوحات عقد فيها لواء النصر, ومكّن لحكم الإسلام فيها[٥].

كانت الفتوحات الغورية في الهند قد سبقها طلب الدخول في الإسلام واعتناق مبادئه قبل أن يباشروهم الحرب , فكان قادة الحملات يعرضون على أعدائهم الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب , وقد احترم المسلمون أهل الذمة ولم يتدخلوا في شؤون عبادتهم وأديانهم , وتعد هذه الفتوحات تعزيزاً لمكانة الدين الإسلامي, إذ أمدت الجسور إلى تلك البقاع وأسهمت بشكل كبير في نشره ووجد فيها الدعاة المسلمون القوة التي هيأت لهم الأمان ومنحتهم الفرصة لنشر الإسلام عن طريق الدعوة الحسنة من خلال الاحتكاك المباشر بسكان هذه المنطقة , كما أسهمت الفتوحات في رفع مكانة الخلافة العباسية و تدعيم مركزها في مواجهة أعدائها الطامعين الذين باتوا يحسبون للغوريين الموالين للخلافة ألف حساب, كما أسهمت في توسيع رقعة الأقاليم الإسلامية [٦].

دولة المماليك

اقتصر حكم الدولة الغورية للهند على عهد غياث الدين وأخيه شهاب الدين الذي تولى فتح الهند , وبعد قتله أنشغل الغوريون بالخلافات والحروب بينهم بشأن المُلك , بينما كان قطب الدين أيبك

---

(١) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٩٦-٩٧ .

(٢) درويش , د.عبد الستار مطلك , الإمارة الغورية في المشرق (دراسة في أحوالها السياسية والحضارية ٥٤٣ – ٦١٢هـ) , دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع (عمان – ٢٠١١م) .

(٣) جبال غور: وهي الجبال التي تقع بين هراة وغزنة , وهي بلاد واسعة وباردة , الحموي , معجم البلدان , ج٤ , ص٢١٨.

(٤) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٩٨ .

(٥) القنوجي , صديق بن الحسن, أبجد العلوم (الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم) , (إحياء التراث العربي – سوريا – ١٩٨٩م) ,ج٣ , ص٢١٥ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٩٩ .

(٦) درويش , الإمارة الغورية في المشرق , ص١٦٤-١٦٥ .

قائماً في الهند بشأن الحكم فيها , مستقلاً بأمورها بعد أن وافق الملك الغوري الذي خلّف شهاب الدين على اضطلاعه بالحكم فيها , وبذلك أتيح لقطب الدين أن ينشئ دولة مستقلة في الهند يتولاها المماليك من أسرته [١] , وانصرف قطب الدين للقيام ببعض الإصلاحات , وبناء بعض المساجد كالمسجد الكبير الذي شيده في دلهي[٢] والذي اشتهر بمنارته المعروفة بـ« قطب منار » كما أسس مسجد قوة الإسلام تخليداً لذكرى استيلائه على دلهي وهو من أعظم المساجد في العالم [٣], وقام ببناء مدينة تعرف الآن بمدينة قطب وجعل منها قلعة حصينة , وأمر بهدم معابد الهندوس فهدم منها سبعة وعشرين معبداً[٤] وكانت دلهي بعد ذلك مسرحاً لظاهرة اجتماعية نبيلة تثبت ذكاء بعض حكام الهند المسلمين سبقهم في ميدان التقدم والتجديد, فقد خلّف قطب الدين ملكاً اسمه التمش لم يعجبه ضعف أبنائه وتخاذلهم , ولا يجدهم أهلاً لعبء السلطنة فأورث عرشه ابنته السلطانة رضية سنة(٦٣٤هـ/١٢٣٦م) فاستقلت بالمُلك أربع سنوات ، ومع أنها على هيئة امرأة لكنها رجل بالمعنى وفي الحقيقة هي أفضل من الأبناء , فكانت المرأة الوحيدة التي ارتقت العرش وحكمت الشعب منذ بدء تاريخ الهند , وكانت عادلة فاضلة حققت آمال أبيها وأثبتت بتصرفاتها الحكيمة قوة كبيرة, ونظراً بعيداً وسلامةً في المنطق والسياسة , قُتلت سنة(٦٣٨هـ/١٢٤٠م) فكانت رضية الدنيا والدين[٥] وتوالى بعدها ملوك نازع بعضهم بعضاً العرش فانتشرت الفوضى واختل الأمن حتى استقر الحكم في يد غياث الدين بلبن, وهو من المماليك توسم فيه التمش نجابة الأصل فقربه إليه, فأخذ يترقى ويتدرج في المناصب, لما أبداه من الكفاءة

---

(١) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١١٤ .

(٢) دلهي او(دهلي) : مدينة كبيرة المساحة كثيرة العمارة تعبر قاعدة بلاد الهند تأسست سنة (٣٠٧هـ/٩٨١م) , أبو الفدا عماد الدين اسماعيل نور الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب (ت : ٧٣٢هـ) , تقويم البلدان , اعتنى بتصحيحه رينود و البارون ماك كوكن ديسلان , (دار الطباعة السلطانية – باريس) , ص٣٥٩ ؛ ابن بطوطة , محمد بن عبد عبدا الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي أبو عبدا الله (ت :٧٧٩هـ) , رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النُظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار , (دار الشرق العربي), ج٢ ,ص ٣٢٥ ؛ الندوي , عبد الحي بن فخر الدين الحسني , الهند في العهد الإسلامي , (دار عرفات – الهند –٢٠٠١م) , ص٩٠-٩١ .

(٣) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٠٦.

(٤) السعيد , أمينة , مشاهدات في الهند , دار المعارف , (مصر – ١٩٤٦م) , ص١٠٠-١٠١ .

(٥) بخشي , نظام الدين أحمد الهروي , المسلمون في الهند , ترجمة كتاب طبقات اكبري , ترجمة د. أحمد عبد القادر الشاذلي , (الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٥) , ج١ ,ص ٧٣-٧٦ ؛ الندوي , عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني (ت :١٣٤١هـ) , الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام المسمى بـ(نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) , (دار ابن حزم بيروت – ١٩٩٩م) ج ١ , ص٩٩ ؛ السعيد , مشاهدات في الهند , ص ١٠٠-١٠١ .

والمقدرة ,ثم زوجه السلطان محمود الأخ الأصغر لالتمش بابنته , وكان له الفضل الكبير في إدارة الحكم وقمع الثورات وظل وزيراً نحو عشرين سنة , ولما مات السلطان قام بالملك بعده[١] ويقول ابن بطوطة إنه بنى دار الأمن , فمن دخلها من أهل الديون قضى دينه , ومن دخلها خائفاً أمن , ومن دخلها وقد قتل أحداً أرضى عنه أولياء المقتول , وقد دفن بتلك الدار[٢] توفي آخر سنة(٥٨٥هـ/١١٨٩م) بعد حياة حافلة وبعد أن أوصى بولاية العهد إلى حفيده كي خسرو , ومع ذلك فإن كي خسرو لم يتولّ العرش بعد وفاة جده ؛ لأن نائب السلطان كان يكره والده فعمل على ألا يمكّن ابنه من العرش[٣] .

قيام الإمارة الخلجية في دلهي

تتضارب الآراء حول أصل الخلجيين فهناك رواية تقول إنهم من أصل تركي , ورواية ثانية تذكر أنهم من أصل أفغاني , إلا أنه ورد في أحد التواريخ أن طائفة الخلج من نسل قالج خان أحد أصهار جنكيز خان.واستطاع جلال الدين فيروزشاه الخلجي(ت:٦٨٩هـ/١٢٩٠م) أن يستخلص المُلك لنفسه من أنياب الأتراك المؤيدين لأسرة غياث الدين بلبن , وقد أشتهر جلال الدين فيروز شاه بالحلم الذي لم يُعرف عنه أحد من الملوك , وقد حدثت في أيامه بعض الثورات لكنه قمعها ,كما رد بعض غارات المغول , وكان له ابن أخ يسمى علاء الدين , وكان طموحاً وثاباً , وكانت هناك شبه جفوة بينه وبين عمه على الرغم من أنه تزوج ابنته , فأضمر الغدر بعمه , فدبر حيلة لقتله حين اللقاء به فقتله وزحف بجيشه إلى دلهي واستولى على العرش سنة(٦٩٦هـ/١٢٩٦م) ونكّل بأسرة عمه , وسمل أعين ولديه ,كُتب النصر لعلاء الدين في كل الحروب التي خاضها جيشه حتى لُقّب بالاسكندر الثاني فاتسعت حدود مملكته لدرجة لم تتفق لملك من قبله , وكان لعلاء الدين من الأولاد خضر خان , وشادي خان , وأبو بكر خان , ومبارك خان الذي لُقّب بقطب الدين , وشهاب الدين , وشاء الله أن لا يبارك في هذه الذرية . فكان نصيبهم القتل جميعاً[٤] .

لقد جلس الملك قطب الدين مبارك على عرش دلهي سنة(٧١٧هـ/١٣١٧م) بعد أن خلع أخاه الصغير شهاب الدين وسمل عينيه هو الآخر وسجنه مع أخويه , ولم يسر قطب الدين سيرة أبيه , فانفرط عقد الإمارة ,كما انصرف هو إلى اللهو والشراب , وقد سلط الله عليه من يقتص منه للقتلى الذين قتلهم وكان أحب الناس وأقربهم عنده , وأكثرهم تسلطاً عليه وهو خسرو خان أحد

---

(١) بخشي , المسلمون في الهند , ج١ ,ص٨٢- ٩٩ ؛ النمر تاريخ الإسلام في الهند , ص١١٢-١١٣
(٢) الرحلة , ج٢ ,ص ٣٣٣ .
(٣) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص ١١٣-١١٥ .
(٤) م , ن , ص١١٦-١٢٥ .

قواده المحببين لديه حيث دبر مؤامرة لقتله, وتم له ذلك ورمى بجثته من سطح القصر إلى صحنه في سنة(٧٢١هـ/١٣٢١م)[١] أرسل خسرو إلى الكبراء والأمراء فبايعوه باسم ناصر الدين خسرو وأغدق عليهم العطايا , ولكن سيرته فيما بعد كانت شاذة لم تشهد البلاد مثلها , لذلك استغاث أشراف دلهي وأعيانها بحاكم لاهور[٢] غازي ملك أو الملك الغازي تغلق الذي لم يقر تصرفات خسرو وغضب لخيانته سيده وقتله أباه , فوجد الفرصة سانحة للزحف إلى دلهي ,وتخليص البلاد من شر هذا السلطان فتم له وللشعب ما أرادوا , وتخلصوا منه بعد حكم لم يدم أكثر من خمسة أشهر وبذلك انتقلت سلطنة دلهي إلى أسرة آل تغلق[٣] .

الإمارة التغلقية

ينسب آل تغلق إلى عنصر تركي , كان يقيم في الهند منذ زمن طويل , وأول من حكم سلطنة دلهي من هذه الأسرة غياث الدين تغلق شاه وبعد أن هزم تغلق جيش السلطان خسرو خان دخل جند تغلق دلهي ودخل تغلق القصر الملكي , وجلس على سرير الملك , وقدم الناس لمبايعته وبذلك انتقل حكم سلطنة دلهي من الخلجيين إلى آل تغلق , لم يقدر لسلطنة دلهي الإسلامية الهدوء والاستقرار في عهد آل تغلق , وإنما كثرت القلاقل و الاضطرابات في الإمارة , ولما مات السلطان تغلق استولى ابنه محمد على الملك , و كان هذا الملك محباً للخير معطاءً , فقد أجزل عطاياه على الرعية , وقد وصفه ابن بطوطة بقوله " كان هذا الملك أحب الناس في أسداد العطايا وإراقة الدماء فلا يخلو بابه من فقير يغُنى أو حي يقتل" [٤], أما صاحب كتاب الإعلام (نزهة الخواطر) فقال عنه " إنه السلطان الجائر المشهور بالعادل" [٥] لم يقف هذا السلطان عند إعدام الأشخاص والقضاء عليهم بل تعداه إلى الحكم على العاصمة دلهي بالإعدام والتخريب , وذلك عندما أمر أهلها بالهجرة منها وتركها؛ وسبب ذلك أن أهلها كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبه , لم يترك محمد تغلق وارثاً للعرش من ذريته , وكان فيروز وفياً ومخلصاً له لازمه في أيام مرضه يخدمه , فأثر ذلك في نفسه فتكلم وهو مريض , وأشار أن يكون فيروز وليّ عهده , ولكن

---

(١) ابن بطوطة , رحلة ابن بطوطة , ج٢ ص٣٣٨- ٣٤٠ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٢٤-١٢٥ .

(٢) لاهور : مدينة عظيمة مشهورة في بلاد الهند عرفت بعدة أسماء متقاربة مثل لهاور , لولور , ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٥ , ص٢٦ ؛ أبو الفدا , تقويم البلدان , ص٣٥٩ ؛ ابن عبد الحق البغدادي , صفي الدين عبد المؤمن (ت :٧٣٩هـ) , مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع , ط١ (دار الجيل – بيروت –١٤١٢هـ) , ج٣ , ص١٢١٢ .

(٣) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٢٦ .

(٤) الرحلة , ج٢ , ص٣٤٢-٣٤٥ .

(٥) الندوي , ج٢ ص١٩٦ .

لم يعلن رسمياً ولما مات حدث بعض الهرج فاجتمع كبار رجال الدولة والأمراء والأولياء وقرروا تعيين فيروز سلطاناً ولما أبلغوه لم يوافق ولكنهم أصروا عليه أن يتولى السلطنة فقبل, وكان همه الوحيد هو إصلاح الأخطاء التي ارتكبها سلفه والعمل على إزالة المظالم وإقامة المشاريع العمرانية. وبعد وفاته أصبح حفيده تغلق هو السلطان وسميّ باسم غياث الدين تغلق الثاني ولم يكن كفئاً للمنصب توفي سنة(٧٩١هـ/١٣٨٩م) , ثم تولىّ محمد بن تغلق الملك باسم ناصر الدين محمد بن فيروز شاه, واستمر بالحكم حتى توفي بمرض السل وجاء بعده ابنه اسكندر مات بعد شهر ونصف, ثم نادوا بمحمود بن محمد بن فيروز سلطاناً على دلهي(٧٩٥-٨١٥هـ/١٣٩٤-١٤١٢م) وكان صغير السن مما أضعف الحكم وشجع تيمور على هجوم الهند فاستولى على دلهي وفر السلطان محمود [١].

غزو تيمور[٢] للهند

تعرضت سلطنة دلهي للغزو التيموري , الذي أهلك الحرث والنسل ,أقام الخانات الذين خلفوا آل تغلق دولتهم في دلهي في ظل هذا الدمار وكان خضر خان أول أفراد هذه الأسرة من أمراء فيروز شاه التغلقي[٣], وشهدت الهند قبل ذلك عدة غارات من المغول ,كان سلاطين المماليك يتولون ردها ودفع أخطارها عن البلاد , فلم يتمكنوا من إقامة حكم فيها[٤], وكانت كُتب التاريخ العربية كثيراً ما تذكرهم باسم« التتار »[٥]ولكن كتب التاريخ في الهند تذكرهم باسم«المغول» وهو أقرب ما يكون إلى الحقيقة[٦] ،وكانت عبادة المغول في السابق على الأغلب تتمثل بعبادة الظواهر الطبيعية ولاسيما الشمس[٧]حيث يسجدون لها عند طلوعها[٨] فلما أختلطوا بالمسلمين في

---

(١) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٣٣-١٤١.

(٢) تيمور أو تيمورلنك قائد مغولي يُنسب إلى جنكيزخان قام بغزو العديد من البلدان . للمزيد ينظر:ابن عربشاه ابو محمد أحمد بن محمد (ت : ٨٥٤هـ) , عجائب المقدور في أخبار تيمور , (كلكتا – ١٨١٧م) ,ص١٣٩ .

(٣) الفقي , بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ الإسلام حتى الغزو التيموري , ص١٠١ .

(٤) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٤٢ .

(٥) ابن الأثير , الكامل , ج٨ , ص٤٥, النسوي , محمد بن أحمد (ت:٦٤٧هـ) , سيرة جلال منكبرتي , تح حافظ أحمد حمدي , دار الفكر العربي مطبعة الاعتماد (مصر – ١٩٣٥م) , ص٣٨ .

(٦) النمر, تاريخ الإسلام في الهند , ص١٤٢ , للمزيد ينظر : الجنابي , إنعام حميد , النظام الإداري والسياسي والعسكري للمغول (٥٩٩-٦٥٨هـ) , رسالة ماجستير غير منشورة (كلية التربية للبنات – جامعة الانبار -٢٠٠٦م) ,ص٨-١١ .

(٧) أرنولد , سير توماس .و. , الدعوة إلى الإسلام , ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون , ط٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة – ١٩٧٠م) , ص٢٥١.

(٨) السيوطي , جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت :٩١١هـ) , تاريخ الخلفاء, تح محمد أحمد=

في البلاد المفتوحة بدأوا يعرفون الإسلام ويعتنقونه ويتحمسون له , وكان تيمور وهو حفيد هولاكو[١] من هؤلاء المغول المسلمين , إذ تطلع إلى بسط نفوذه على بلاد الهند لما لها من موارد اقتصادية , لقد استطاع تيمور أن يستولي على البلاد الإسلامية ويفتتحها ثم أغوته الهند كما أغوت سابقيه , وشجعه على ذلك اضطراب الحكم فيها , وقيام الفتن والثورات وضعف السلاطين المسلمين , على أنه مع ذلك قد صبغ هجومه عليها صبغة دينية إسلامية , تقدم تيمور إلى دلهي واستولى عليها , وفرّ السلطان محمود بن محمد بن فيروزشاه و وزيره , وقد مكث تيمور في دلهي خمسة عشر يوماً , وكانت في الواقع أقسى أيام عرفتها , ثم تركها بعد هذه الأيام تعاني آلام القتل والتدمير وخرج من الهند دون أن يحكمها متجهاً إلى البلاد الإسلامية في الغرب وأخيراً توفيّ سنة (٨٠٧ هـ/١٤٠٤م) ودفن في سمرقند[٢], ثم رجع السلطان محمود ووزيره إلى عرش السلطنة ، إلا أنها سلطنة اسمية ليس لها نفوذ حقيقي , فقد ضاعت هيبتها . مكث محمود فيها نحو اثنتي عشرة سنة, إذ توفيّ سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م) ، بعد أن ظلّ على العرش ما يقرب من عشرين سنة , مُلِئت كلها بالفتن والأحداث, وبموته انتهت أسرة تغلق الحاكمة, حاول دولت خان لودي أن يحكم خلالها ولكن خضر خان كان حاكم لاهور زحف إلى دلهي(٨١٦هـ/١٤١٣م) , واستولى عليها , وقبض على دولت خان وسجنه حتى مات في سجنه , بعد أن حكم سنة وثلاثة شهور , واستولى خضر خان على الحكم وبه بدأ حكم السادات في دلهي , وبذلك انتهى حكم آل تغلق الذي دام أكثر من تسعين عاماً[٣]

حكم أسرة السادات

أسس خضر خان أسرة جلست على عرش دلهي نحو سبعة وثلاثين عاماً, كانت كلها مليئة بالفتن والثورات , وتقلص فيها نفوذ دلهي إلى حد كبير , واستقلت الأطراف ولم يعد لملوك دلهي شيء من السلطان , حتى على دلهي نفسها بعد أن فقدوا هيبتهم , وضاعت منهم كل أملاكهم , وقد ادعى خضر خان حين جلس على العرش أنه نائب عن تيمور , تعاقب على دلهي في هذه المدة خضر خان , ثم ابنه مبارك شاه ثم ابنه علاء الدين وكان مشهوراً بلقب « شاه عالم» ولم يمتد نفوذه إلى أكثر من أطراف دلهي , وقد انتهى ملك السادات في زمنه , حيث

=عيسى , (دار الغد الجديد – القاهرة –٢٠٠٧م) , ص٤٢٠ .

(١) هولاكو : وهو من أشهر قادة المغول في التاريخ أسقطت الخلافة العباسية على يده . للمزيد من المعلومات ينظر : حيدر , عبد الرحمن فرطوس , الإيلخان هولاكو ودوره في نشأة وقيام الدولة الإيلخانية , أطروحة دكتوراه غير منشورة , (كلية الآداب – جامعة بغداد – ٢٠٠٣م) .

(٢) سمرقند : وبلد مشهور من بلاد ما وراء النهر , الحموي , معجم البلدان , ج٣ , ص٢٤٣ .

(٣) السعيد , مشاهدات في الهند , ص١٠٣–١٠٥ ؛ الفقي , بلاد الهند , ص١٦٢ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٤٢–١٤٧ .

استولى على العرش بهلول لودي , وهو من أسرة أفغانية كانت تحكم لاهور , وبه بدأ حكم اللوديين في دلهي[١].

حكم أسرة اللودي

في عام(٨٥٥هـ/١٤٥١م) استلمت الحكم أسرة لودي, وهي أسرة تركية وأول من حكمها بهلول لودي , لقد شهدت الحقبة اللودية نوعاً من الإحياء أو الصحوة في الهند[٢], هذه هي الأسرة الثانية التي بدأ حكمها وسطوع نجمها في لاهور أيضاً , ثم زحفت منها إلى دلهي حيث استولت عليها , وحكمت منها , فقد كان خضر خان رأس الأسرة السابقة حاكماً في لاهور , وفي عهد « شاه عالم» كان بهلول حاكماً على لاهور كذلك , زحف إلى دلهي واستولى عليها وبايعه جميع الأفغان سنة(٨٥٥هـ/١٤٥١م) , وفرّ عالم شاه , وكان بهلول رجلاً عادياً في أول أمره , ثم سعى الحظ في ركابه , حتى صار حاكم لاهور ومنها قفز إلى دلهي , ويذكر في التاريخ بالتقدير من ناحية أخلاقه وسيرته ومعاملته للناس , ولاسيما العلماء , وتواضعه مع رعيته حتى كان كأنه واحد منهم , وقد مكث في الحكم نحو سبعة وثلاثين عاماً. إذ أعاد الروح إلى عرش دلهي , توفيّ بهلول سنة(٨٩٤هـ/١٤٨٩م) وخلفه ابنه السلطان عادل نظام الدين المشهور باسم اسكندر شاه اللودي وكان من خيرة السلاطين, تقياً عالماً محسناً متواضعاً , يحب العلماء ويكرمهم , مجتهداً في تطبيق العدالة بين رعاياه , توفيّ سنة(٩٢٣هـ/١٥١٧م), وقام بعده ابنه السلطان إبراهيم اللودي , فلم يحسن تدبير ملكه فقامت ثورات في كل مكان حيث دبر إبراهيم مؤامرة للكثير من رجاله الذين أساء الظن بهم وقتلهم حتى حاكم لاهور دولت خان اللودي أحد أفراد أسرته الذي ثار عليه , وزحف بجيشه على دلهي ألا إن إبراهيم اللودي هزمه واضطر دولت خان للفرار من دلهي , والاستنجاد بالحاكم التيموري بابر الذي كان يسيطر على كابل[٣] وما حولها غربي الهند فانتهز بابر هذه الفرصة , وسار بجيش قليل , ولكنه منظم مزود بالأسلحة الحديثة , فتم له النصر على إبراهيم اللودي[٤].

---

(١) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٤٧-١٤٨ .

(٢) طقوش , د. محمد سهيل , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع , (بيروت -٢٠٠٧) , ص١٤٢ .

(٣) كابل :مدينة تقع بين الهند وغزنة مشهورة بمروجها الكبيرة ,الحموي , معجم البلدان , ج٤ , ص٤٢٦ .

(٤) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٤٨-١٥١.

مغول القبيلة الذهبية[١] بداية التحول الديني إلى الإسلام فيها

تحوّلت بلاد القبجاق أو القفجاق, بتعيين بركة خان خاناً على القبيلة الذهبية سنة(٦٤٥هـ/١٢٥٦م) , تدريجياً إلى الإسلام , وذلك بفضل تأثيره وهو الذي اعتنق هذا الدين منذ طفولته , وحفظ القرآن في شبابه على يد أحد الفقهاء , ومعنى ذلك أنه أسلم قبل أن يتولى عرش قبيلة المغول , وهو أول من اعتنق الإسلام من أسرة جنكيزخان[٢] , أما عن كيفية إسلام بركة خان فتذكر لنا المصادر أنه عندما عاد من حفلة تتويج أبن عمه منكو على عرش الإمبراطورية إلى مدينة بخارى[٣] اجتمع بأحد شيوخ الإسلام ويدعى شمس الدين الباخرزي وهو من العلماء البارزين في الفقه والأصول والعربية وكان يدرس بدار السلطنة[٤] وأسلم على يديه [٥] كان من نتيجة إسلام بركة واعتلائه عرش خانية مغول القبيلة الذهبية أن بدأت هذه الخانية تأخذ شكلها ووضعها كدولة إسلامية , ولاسيما بعد أن بنى لها عاصمة جديدة سميّت باسم سراي بركة والتي كانت مجاورة لسراي القديمة التي بناها أخوه , والواقع أن بركة بذل جهوداً كبيرة في الدفاع عن الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية بين قومه من المغول والترك حيث استدعى العلماء من الأطراف , والمشايخ من الآفاق , ليوقفوا الناس على معالم دينهم وعظم شعائر الله وشرائع الأنبياء[٦]

---

(١) القبيلة الذهبية , أختلاط احفاد جوجي الابن الاكبر لجنكيزخان مع القبجاق الاتراك ولعبت صلات القربى دوراً هاماً في ذوبان المغول في هؤلاء الاتراك وأطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى خيم معسكراتها ذات اللون الأحمر الذهبي وأغلب أهلها من الأتراك للمزيد من المعلومات ينظر : الجويني , علاء الدين عطا ملك , تاريخ جهانكشاي , تح محمد عبد الوهاب القزويني , مطبعة يريل (ليدن –١٩٣٧م) ,ج١ ,ص١٤٣؛ تركماني , أسامة أحمد , جولة سريعة في تاريخ الاتراك والتركمان ما قبل الاسلام وبعده ,(دار الارشاد والنشر – سوريا –٢٠٠٧) , ص١٨٩

(٢) الهمذاني , رشيد الدين فضل الله (ت:٧١٨هـ) , جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان) ,ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد , دار النهضة العربية للطباعة والنشر (بيروت –١٩٨٣م) ,ص١٢٤ ؛ ابن عربشاه , عجائب المقدور في أخبار تيمور , ص١٠٨–١١٠ ؛ ابن تغري بردي , جمال الدين أبي المحاسن يوسف(ت:٨٧٤هـ) ,النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , , دار الكتب (مصر) ج٧ ,ص٢٢٢.

(٣) بخارى : وهي من أعظم مدن بلاد ما وراء النهر , الحموي , معجم البلدان , ج١, ص٣٥٣ .

(٤) الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٢ , ص١٦٣ .

(٥) القلقشندى , مآثر الأنافة في معالم الخلافة , ج٢ , ص٩٩ .

(٦) ابن , عربشاه , عجائب المقدور في أخبار تيمور , ص١١٦ .

ومن أكبر حسنات بركة خان كسره لهولاكو وتفريق جنده[١]؛ لأنه كان يغزو البلاد الإسلامية وكان قد أسلم الكثير من جنده وبنى المساجد وأقيمت الجمعة ببلاده[٢] .

إن ما سبق جعل العديد من المؤرخين يصفونه بأنه كان من «أعظم ملوك التتار.»[٣]وقد ترتّب على اعتناق بركة خان الدين الإسلامي , وانتشار هذا الدين في المجتمع المغولي نتيجتان **الأولى**:ازدياد التقارب بين مغول القبيلة الذهبية والقوى الإسلامية في المشرق , ولاسيما دولة المماليك في بلاد الشام ومصر , و**الثانية** : ازدياد العداء بين مغول القبيلة الذهبية وبقية طوائف المغول الوثنيين[٤],توفيّ بركة خان في سنة(٦٦٥هـ/١٢٦٧م)[٥] ,ومن الشخصيات المغولية الأخرى التي كان لها بصمة واضحة في انتشار الإسلام بين أفراد القبيلة الذهبية أوزبك خان سليل جنكيزخان الذي اعتنق الإسلام بعد توليه العرش بحوالي تسع سنوات أي في عام(٧٢٠هـ/١٣٢٠م)[٦] , فقد وصلت الحركة الإسلامية في عهده إلى القمة وأتت بذلك إلى مرحلتها التامة والنهائية , إذ كان قد تحول إلى الإسلام بعض الخانات ومعظم أفراد الجيش المغولي وكثير من الأمراء والقواد وهذا ساعد أوزبك خان على أن يقضي على كل من يناوئ الإسلام ويجعل منه دين الدولة الرسمي[٧] وقد أراد **أوزبك** من البداية أن يجعل من نفسه ومن أسرته مثالاً يحتذى به كافة المغول في حبهم للإسلام والإخلاص له وتطبيق تعاليمه, فقد تمسك هذا الخان بالشريعة الإسلامية وحافظ على الصلاة ودوام الصيام[٨]وبذلك أصبح جميع الخانات مسلمين ابتداءً من ولاية الخان أوزبك فصاعداً [٩]

---

(١) ابن كثير , أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي (ت :٧٧٤هـ) ,البداية والنهاية , تح علي شيري, (دار إحياء التراث العربي –١٩٨٨م) ج١٣ , ص٢٨٩ .

(٢) ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٧ , ص٢٢٢ .

(٣) أبو الفدا , عماد الدين إسماعيل بن علي , المختصر في أخبار البشر , المطبعة الحسينية المصرية , ج٤, ص٤ .

(٤) طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٣٩ .

(٥) أبو الفدا , المختصر في أخبار البشر ,ج٤, ص٤ ؛ ابن كثير , البداية والنهاية , ج١٣ , ص٢٨٩ .

(٦) بارتولد , فازيلي فلاديميروفتش , تاريخ الترك في آسيا الوسطى , ترجمة أحمد السعيد سلمان , (مطبعة الأنجلو المصرية – القاهرة –١٩٥٨م) , ص١٩٧ .

(٧) عبد الحليم , د. رجب محمد , انتشار الإسلام بين المغول , دار النهضة العربية, (مصر –١٩٨٦م) , ص١٢٢–١٢٣ .

(٨) القلقشندى , مآثر الإنافة , ج٢ , ص١٥٢ , عبد الحليم , انتشار الإسلام بين المغول , ص١٢٥.

(٩) بوزورث , كليفورد.أ , الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي (دراسة في التاريخ والأنساب) , ترجمة حسين علي اللبودي , ط٢ , مؤسسة الشراع العربي (الكويت –١٩٩٥) , ص٢١٤.

ومن أبرز مظاهر الحضارة الإسلامية عند مغول القبجاق الابتعاد عن تسمية أولادهم بالأسماء التركية والمغولية المألوفة؛ لما تتميز به من طابع وثني واتخذوا لهم أسماء عربية إسلامية , فضلا عن اتخاذ الخانات لأنفسهم ألقاباً إسلامية , وكانوا يحرصون على أداء الصلوات في أوقاتها ويحرصون على أداء صلاة الجمعة في المساجد الجامعة ، وقد اتخذ كل خان أو أمير لنفسه إماماً ومؤذناً خاصاً به , وحرصوا على وضع الشريعة الإسلامية موضع تطبيق فقد كانوا لا يتخذون أكثر من أربع زوجات , كما أنهم لم يقربوا الخمور أو لحم الخنزير , ولا يتقاضون إلا على المذاهب الفقهية المعروفة [١] وبذلك حلّت الشريعة الإسلامية محل قوانين الياسا «اليساق» [٢] .

ومن المظاهر الحضارية أيضا هو احتفال خانات المغول في بلاد القبجاق بالأعياد الإسلامية وبشهر رمضان , وقد حضر ابن بطوطة صلاة عيد الفطر ووصف لنا موكب السلطان والخانات والأمراء أثناء خروجهم لأداء صلاة العيد[٣], ولقد كان الخانات يحرصون على على أن يولوا وظائف الدولة للمسلمين وذلك في محاولة منهم لصبغ الدولة كلها بالصبغة الإسلامية , وقد عمل مغول القبجاق على التمكين للثقافة الإسلامية في بلادهم لا باستقدام العلماء فحسب , بل بإيفاد أبنائهم وعلمائهم إلى البلاد الإسلامية , كما قاموا بإنشاء الزوايا والمساجد والمدارس, كما حفلت تلك المناطق بالعديد من المراكز الإسلامية, ومن المظاهر الحضارية الأخرى الدالة على عمق العقيدة الإسلامية عند مغول القبجاق قيامهم بواجب الجهاد سواء بالدفاع عن بلادهم أو في مهاجمة البلاد التي كانت تتربص بهم سواءً من الصليبيين أو من المغول الوثنيين في فارس. مما سبق يتبين لنا أن مغول القبجاق قد أسلموا وحَسُن إسلامهم وأنهم أصبحوا شديدي التمسك بالتقاليد الإسلامية سواءً في الحرص على أداء الشعائر الدينية

---

(١) عبد الحليم , انتشار الإسلام بين المغول , ص١٤٦- ١٤٩.

(٢) الياسا (اليساق) : كلمة مغولية تعني السياسة , عبارة عن آداب وتقاليد جمعها جنكيز خان وأضاف عليها بعض الأحكام والقواعد والتقاليد يرجع إليها المغول في أحكامهم . للمزيد من المعلومات ينظر : ابن شاكر الكتبي , محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون(ت٧٦٤هـ) , فوات الوفيات والذيل عليها , تح إحسان عباس , دار صادر, (بيروت -١٩٧٣م) , مج٢, ص٣٠٢ ؛ ابن الفرات , ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم(ت: ٨٠٧هـ), تاريخ ابن الفرات , تح د. حسن الشماع , دار الطباعة الحديثة (البصرة -١٩٧٠م) , مج٥ , ج١ , ص١١ ؛ القلقشندي , أبو العباس أحمد بن علي(ت: ٨٢١هـ), صبح الأعشى في صناعة الإنشى , تح محمد حسين شمس الدين , دار الكتب العلمية (بيروت -١٩٨٧م) ,ج٤ , ص٣١٤ .

(٣) ابن بطوطة , الرحلة , ج١ , ص٢٦٣ .

والعبادات الإسلامية أو في جلب الثقافة الإسلامية والعمل على توطينها وتدعيمها بإنشاء المساجد والمدارس والزوايا وتشجيع العلماء واستقدامهم وصرف العطاءات لهم[١] .

وهكذا تشرفت الهند بنور الإسلام وقد دخل الهند حكام مسلمون عظام قاموا بأعمال جليلة وفتوحات واسعة وشيدوا الحصون القوية والمباني الشاهقة[٢], وكانت (دولة المغول الإسلامية) آخر دول الإسلام في الهند وأهمها و أوسعها ملكاً, وأطولها عمراً ,وأرقاها حضارةً, وهذه الدولة هي موضوع دراستنا في الفصول اللاحقة .

---

(١) عبد الحليم , انتشار الإسلام بين المغول , ص١٥٠-١٧٤ .

(٢) الخالدي , إسماعيل عبد العزيز , العالم الإسلامي والغزو المغولي , إشراف أحمد محمد العسّال و عبد الستار فتح الله سعيد , مطابع دار القبس (الكويت -١٩٨٤م) , ص٢٤٤-٢٤٦ .

الحياة السياسية في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند

المبحث الأول

ظهير الدين محمد بابر ، مؤسس الامبراطورية المغولية في الهند(٩٣٢ -٩٣٧هـ/ ١٥٢٥-١٥٣٠م)[(١)]

يعد السلطان ظهير الدين محمد بابر شاه من كبار رجال التاريخ الإسلامي عموماً وتاريخ الهند بشكل خاص ، فهو من أبرز الشخصيات المغولية على المستويين السياسي والأدبي ، وهو مؤسس دولة المغول في الهند التي استمرت في الحكم من مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي[(٢)]

ولد السلطان بابر في السادس عشر من شهر محرم سنة(٨٨٨هـ/ ١٤فبراير ١٤٨٣م) وقد أطلق عليه الزاهد الوالي ، منير مرغيناني ، اسم ظهير الدين محمد. ولصعوبة التلفظ بهذا الاسم أطلق عليه أبناء عشيرته من الأتراك والمغول الجغتائيين من عندهم لقب« بابر»[(٣)]ومعنى كلمة بابر في اللغة الهندية« النمر»[(٤)], واسمه الكامل الملك المؤيد بابر بن عمر بن أبي سعيد بن ميران شاه بن تيمور التيموري« السلطان ظهير الدين محمد بابر شاه»[(٥)] وامتزجت في عروق السلطان بابر دماء الأتراك بدماء المغول , فأبوه عمر شيخ ميرزا , حفيد تيمورلنك التركي , وأمه هي ابنة يونس خان مغولستان وحفيد جغتاي ثاني أبناء جنكيزخان[(٦)], ففي عروقه تجري دماء قائدين كبيرين اجتاحا العالم وفي شخصه اجتمعت نسب متساوية من شجاعة تتري بدوي ومن ثقافة فارسي متحضر ولم يكن السلطان بابر مع هذا مغولياً, بل كان يتحدث عن المغول في مذكراته باحتقار,

---

(١) لمعرفة أصله ينظر: ملحق رقم١.

(٢) بابر , ظهير الدين محمد بابر شاه , تاريخ بابرشاه المعروف بـ(بابر نامه وقائع فرغانة) , ترجمة د.ماجدة مخلوف , ط١ (دار الافاق العربية – القاهرة ٢٠٠٢م) , ص١٨.

(٣) الساداتي , احمد محمود , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم , دار نهضة الشرق , جامعة القاهرة – ٢٠٠١ م ، ص ٢.

(٤) فرشته , محمد قاسم هندوستان أستر آبادي(ت: ١٠٣١هـ) , تاريخ فرشته , المطبعة العثمانية – حيدرآباد- الدكن – ١٩٢٦م) , مج٢ , ص ١٧١ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص ١٧٥ .

(٥) بدايوني , ملا عبد القادر ملكشاه , منتخب التواريخ , ترجمه للفارسية محمود أحمد فاروقي , (سلسلة مطبوعات نمير – الهند -١٩٦٢م) مج١, ص٢٢٧ ؛ الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٤ , ٣١٤ ؛ . Richards, John F. , The Mughal Empire (Cumbridge university Press- 1995) ,6-9

(٦) Ikram ,S.M. , Muslhm Civilization in India , (Columbia University- New York – London -1964) ,136 ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين , ص٢ .

ويفتخر بأنه تركيٌ ولهذا يبدو عجيباً أن تسمى الدولة التي أنشأها بالدولة المغولية غير أنّ تفسير هذا يرجع إلى أن أهالي الهند اعتادوا أن يسموا كل من دخل أراضيهم غازياً باستثناء الأفغان مغولياً , ومن هنا سميت أسرة بابر بالأسرة المغولية(١) , والمعروف عن السلطان بابر قوته الجسمية والبدنية ومقدرته العالية على حمل الأثقال(٢) وكان يعاني من فيض نشاط جسده وعقله , يقاتل ويخرج للصيد وللرحلة من دون أن يروي بذلك غليله , وكان باستطاعته قتل عدة أفراد بوقت محدود, وعرف عنه قطع المسافات الطويلة في رحلاته , وهو الذي قال عن نفسه في أواخر حياته إنه منذ عامه الحادي عشر لم يَصُم رمضان مرتين في مكان واحد(٣) وقد يكون في هذا الأمر مبالغة بعض الشيء لاسيما إذا ما علمنا أنه كان مدمن خمر وهذا بدوره يضعف الجسم ,نشأ السلطان بابر في مهد السلطنة وتلقى الفنون الحربية , وكان ذكياً , فطناً , حاد الذهن , سريع الإدراك, قوي الحفظ فتبحر في كثير من الفنون لاسيما الشعر والإنشاء والعروض والألغاز والحفظ(٤) تولى العرش في الخامس من رمضان سنة(٨٩٩هـ/١٤٩٣م) في بلاد ما وراء النهر وكان له من العمر اثنتا عشرة سنة تعرض خلالها إلى العديد من المحن ولكنه استطاع التغلب عليها , وقهر الأعداء وسخر البلاد حتى ملك كابل وزحف على بلاد الهند وكانت سلطة الهند حينئذ في غاية الوهن والاختلال(٥). فقد خرج السلطان بابر من كابل سنة(٩٣٢هـ / ١٥٢٥م) على رأس جيش يقدر باثني عشر ألف مقاتل , في غزوة الفتح والاستقرار وهي آخر غزواته إلى الهند وأعظمها فعبر السند فاصطدم بقوات دولت خان وهزمها وتوفي دولت خان في السجن , أمنت هذه الضربة خطوط السلطان بابر في البنجاب(٦) فتابع تقدمه باتجاه دلهي , فأرسل كشافته ليستطلعوا له أخبار إبراهيم لودي, ويبدو أن أنباء دخول السلطان بابر الهند وانتصاره على دولت خان وصلت إلى مسامعه فقرر التصدي له وخرج على رأس مائة ألف مقاتل ما عدا الفيلة وعسكر

---

(١) **بابرشاه , تاريخ بابر شاه , ص٢٠ ؛ المشهداني , د. ياسر عبد الجواد , تاريخ الدول الإسلامية في آسيا ط١ (دار الفكر –الأردن–٢٠١٠م) ,ص١٩٦ .**

(٢) **النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٧٩–١٨٠ .**

(٣) **طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص١٧٦ .**

(٤) **الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) ,ج٤ , ص٣١٤ .**

(٥) **بدايوني , منتخب التواريخ , مج١ , ص٢٢٧ ؛ فرشته , تاريخ فرشته , , مج٢ , ص١٧٢ ؛ الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) ,ج٤ , ص٣١٤.**

(٦) **البنجاب : وهي مقاطعة في شمال شبه جزيرة الهند وهي أول أرض وطئها المسلمون بعد أرض السند , الندوي , معين الدين , معجم الأمكنة التي لها ذكر في كتاب نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر , (مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية – حيدرآباد – الدكن – ١٣٥٣هـ) , ص١٦–١٧.**

في سهل بانيبات Banibat[١], وأرسل قوة عسكرية كطليعة ما لبثت أن تعرضت للهزيمة, فأرسل قوة ثانية لاقت المصير نفسه , قرر السلطان بابر الدخول في معركة فاصلة مع عدوه فزحف إلى بانيبات حيث عسكر إبراهيم لودي وعندما وصل عسكري في مواجهته وعبأ قواته على وفق تشكيلات العثمانيين القتالية, فأقام سياجاً من العربات المتصلة معززة بالأسوار والخنادق[٢], والتحم الطرفان بعد ثمانية أيام في رحى معركة ضارية في سنة(٩٣٢هـ / ١٥٢٥م) تُقرّر بنتيجتها مصير الهند وأسفرت عن انتصار السلطان بابر وقتل إبراهيم لودي في المعركة وطاردت قواته فلول القوات الأفغانية المنهزمة حتى أبواب دلهي , أرسل السلطان بابر بعد انتصاره عدداً من رجاله إلى دلهي فدخلوا المدينة وسط ترحيب الأعيان والسكان ودعوا له على منابرها , في حين وجه ابنه همايون مع نفر آخر من قادته إلى أكرا مقر اللوديين فدخلوها واستولوا على كنوزهم وذخائرهم[٣].

وهكذا وضعت معركة بانيبات الأولى حداً لحكم الأفغان في الهند , وكان إيذاناً ببدء الحكم المغولي , فأصبح السلطان بابر حاكماً على دلهي , وهي جزء من الهند[٤] فمن الخطأ القول إن معركة بانيبات أسفرت فوراً عن تأسيس الدولة المغولية في الهند وإن السلطان بابر أضحى حاكماً على هذا البلد, لأنه بعد النصر مباشرةً كان عليه أن يذلل بعض الصعوبات التي كانت تنتظره والتي لم تسمح له بتأسيس هذه الدولة[٥].

الصعوبات التي واجهت السلطان بابر

لم تكن أهداف السلطان بابر من فتح الهند مماثلة لأهداف جده الأكبر تيمورلنك, إذ إنه لم يأت إلى الهند لكي يفتحها ويلحقها بملكه الأصلي , بل أراد أن تكون الهند قاعدة لملكه لكن هذا الأمر لم يَلقَ استحسان اتباعه إذ إن حرارة الجو والرطوبة العالية جعلتهم يفكرون في العودة إلى أوطانهم وعند تلمس السلطان بابر هذا الأمر جمع جنده وألقى فيهم خطاباً حماسياً مثيراً لرفع روحهم المعنوية وتحريضهم على البقاء , والذي جاء فيه:(إن ملكاً كهذا كلفه هذا العناء كله لا يمكن أن يفرط فيه أو يتنازل عنه إلا بالموت) وأعلن لهم أنه قد عزم عزماً أكيداً على البقاء في الهند , وأنه يعطي الإذن لكل من يرغب بالرحيل , ولقي خطابه هذا قبولاً حسناً من أغلب أتباعه

---

(١) بانيبات (باني بت) : وهي قرية صغيرة تقع بالقرب من دلهي , وقعت فيها اعظم معارك الهند الحاسمة, وهي ثلاث الأولى بين السلطان بابر وإبراهيم لودهي , والثانية بين السلطان أكبر وهيمو , والثالثة بين شاه أحمد والمرهتا , للمزيد : ينظر : الندوي , الهند في العهد الاسلامي , ص٩٤.

(٢) Abdul-Ghani ,Muhammd , A-History of Persion Languaga Litereture at the Mughal Court , (Allah-Abad-India-1929) ,60

(٣) بخشي , المسلمون في الهند , ج١, ص٢٧٧-٢٨١ ؛ طقوش , تاريخ مغول .... , ص١٦٦-١٦٧ .

(٤) الشيال , تاريخ أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٢٤.

(٥) بخشي , المسلمون في الهند , ج١ , ص٢٨٦- ٢٨٧ ؛ طقوش تاريخ مغول .... , ص١٦٧ .

الأمر الذي جعل الأفغان يقررون البقاء مع السلطان في الهند فأسرعوا بالانضمام إليه , ووضعوا أنفسهم تحت خدمته[١].

حروبه مع الراجبوت[٢]

أدرك الراجبوت خطورة بقاء السلطان بابر في الهند وعمدوا على إفشال التجهيز لحربه , ولكن قواد السلطان بابر المخلصين تصدوا إلى المشروع الراجبوت وأفشلوه. ولعل من أبرز معاركهم الآتي[٣]

- **معركة خانواه**

انتهز الأمراء الراجبوتيون فرصة الضعف الذي أصاب الدولة أيام السلطان إبراهيم اللودهي , فعقدوا بينهم حلفاً لمناهضة الحكم الإسلامي في الهند تزعمه رانا سنكرام سنك المعروف بـ(رانا سنـگا) وعظم شأن هذا الأمير أواخر أيام الدولة اللودهية حتى اتسعت رقعة أراضيه , وأنتهز رانا سنـگا فرصة انشغال السلطان بابر بالقضاء على الفتن في المناطق الشرقية, فاستولى على بعض المناطق وبدأ يعد العدة للزحف على العاصمة أكرا[٤], ولم يكن السلطان بابر ليسكت عن هذا الخطر الداهم الذي قد ينتهي بالقضاء على ما جنى من فتوح , فخرج من مدينة دلهي في سنة (٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م) حتى بلغ سكري[٥] فأقام بها معسكره , وأخذ يحصن مواقعه , فهُيئت عربات الحرب والمدفعية وحُفرت الخنادق وأُقيمت المتاريس , وفي هذا المكان أذاع السلطان بابر شاه في قومه وكافة أنحاء بلاده منشوراً أعلن فيه عزمه على الجهاد في سبيل الله بمحاربة الهندوس[٦] , ورفعه ضريبة التمغة عن كامل رعاياه ومن بيع وشرب الخمور, والتقى الجمعان قبيل ضحى يوم(السبت ١٣جمادي الآخر ٩٣٣هـ / ١٦مارس ١٥٢٦م) ليخوضوا غمار حرب تعدّ من أهم الوقائع

---

(١) الشيال , تاريخ أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٢٦.

(٢) الراجبوت : تعبير محرف عن الكلمة السنسكريتية , وتعني ابناء الملوك والامراء , لأنه وعبر تاريخهم الطويل كان منهم ملوك وأمراء الاقاليم المركزية والشمالية من الهند قبل القرن السابع الميلادي ويرجعون في أصولهم إلى الأتراك , تركماني , جولة سريعة , ص٢٨٠

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٢٦ .

(٤) أكرا : تقع جنوب شرق دلهي وتعد من أهم المدن الهندية لوجود تاج محل فيها , الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٩٠ .

(٥) سكري : وهي قرية صغيرة في الهند بالقرب من فتحبور التي أنشأها السلطان أكبر , الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٨٤ .

(٦) بدايوني , منتخب التواريخ , مج١ , ص٢٢٨-٢٢٩؛ Ikram ,Muslhm Civilization in India. , 137, ؛ الساداتي , تاريخ المسلمون في شبه القارة الهندية وحضاراتهم ,ج١ , ص٣٠.

الحاسمة في تاريخ الهند كلها[١] واستبسل الفريقان في معركة حامية الوطيس ثم انتهت عند غروب الشمس بهزيمة الهندوس وفرّ رانا سنكا من أرض المعركة وأُسر عدد من أتباعه وتشتت جيشه وقُتل عدد كبير من قادته وكانت هذه المعركة تمثل خسارة كبيرة للراجبوت[٢] وبهذا الانتصار الكبير تخلص السلطان بابر من خطر الراجبوت.

- معركة تشاندري

أن النصر الذي أحرزه السلطان بابر في معركة خانواه حطم مقاومة الراجبوت , ولكنه لم يقضِ عليهم قضاءً مبرماً , فقد تجمعت فلولهم تحت قيادة قائد من تشاندري اسمه مادينى راو وبدأوا يعملون لاستعادة سلطانهم على هندستان , وقد حاول السلطان بابر في أول الأمر أن يجذب مادينى إليه بالطرق السلمية , فعرض أن يمنحه إقطاعا آخر بدلاً من مقاطعة تشاندري , ولكنه رفض هذا العرض , فخرج السلطان بابر لقتاله بنفسه[٣] في سنة(٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م) فاقتحم جنوده الحصن على الرغم من مناعته , وجرى قتال عنيف استولى على أثره عليه وقتل مادينى راو , ونتيجة لهذه الهزيمة تم انهيار حلف الراجبوت الأخير[٤].

- معركة ككرا

لم تضع هزيمة الأفغان حداً لشغبهم ونضالهم , فقد عملوا بعد ذلك على مقاومة السلطان بابر كونه مغتصباً للملك , وكان الأمل يداعبهم أن ينجحوا في إحياء سلطانهم القديم , فبدأوا بإثارة الشغب سنة(٩٣٥هـ / ١٥٢٨م) في عدة مدن وتأييدهم مطالب أخي إبراهيم(محمود لودي), فأسرع بابر بإرسال ابنه« عسكري» إلى الأقاليم الشرقية , ثم لم يلبث أن لحق به بعد قليل , ولم يكد يقترب من هذه الأقاليم حتى فرّ العدو هارباً , ثم تلقى بابر أنباء تفيد أن قواد الأفغان قد أذعنوا وخضعوا خضوعاً تاماً , فعقد السلطان بابر معاهدة مع نصرة شاه حاكم البنغال تنص على أن لا يحاول أحد منهما الإغارة على مُلك الآخر , ولكن نصرة شاه لم يلتزم المحافظة على هذه المعاهدة , مما اضطر السلطان بابر إلى مهاجمة البنغال؛ كونها مركزاً للأفغان الثائرين واحتلالها[٥].

---

(١) الساداتي , تاريخ المسلمون في شبه القارة الهندية وحضاراتهم ,ج١ , ص٣٠ .

(٢) بخشي , المسلمون في الهند ج١, ص١٩١-١٩٢ ؛ الشيال , تاريخ أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٢٨-٢٩.

(٣) الشيال , تاريخ أباطرة المغول , ص٢٩.

(٤) فرشتة , تاريخ فرشته , ج٢ , ص٣٧-٣٨ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية , ص١٧١ .

(٥) كوكن , محمد يوسف , دولة المغول في الهند (١٥٢٥-١٨٥٧) , (دار حافظة للطباعة والنشر-مدارس-

وهكذا انتهت معركة ككرا إلى القضاء على الثوار الأفغان وإعلان صاحب البنغال ولاءه للسلطان بابر شاه , وبهذه الواقعة التي تعد ثالث معركة حاسمة خاضها السلطان بابر في الهند بعد معركتي بانيبات و خانواه[١].

-وفاة السلطان بابر

بعد أن عاد السلطان بابر من حملته في ككرا ضد البنغال سنة(٩٣٥هـ / ١٥٢٨م) مكث في أكرا بعض الوقت ثم خرج منها لصد بعض الأخطار التي تهدد البلاد. ولعل خوفه من قيام القلاقل بالهند في غيبته , وبداية انهيار صحته نتيجة للجهود المضنية المتواصلة التي بذلها في حروبه قد منعاه حتى من مواصلة الذهاب إلى كابل[٢],وقدم عليه وهو في لاهور ابنه همايون الذي ألمّ به مرض بفعل شدة القيظ , فصحبه إلى أكرا , وتمنى على الله أن يجعله فداءه , فلم يبرأ همايون من مرضه حتى أصبح السلطان بابر طريح الفراش[٣], وحين شعر السلطان بابر بدنو أجله دعا إليه رجال دولته , فأخذ منهم البيعة لولده همايون بعد أن أوصاه بهم وبأهل بيته وإخوته ونصحه بالالتزام بالحلم والتذرع بالحزم في حكمه , وحاول بعض رجال الدولة , أن يعدلوا عن وصية أميرهم فيعهدوا بالملك إلى صهر السلطان بابر مهدي خواجة , لتكشف لهم الاقدار عما كان ينويه لهم مرشحهم هذا من أذى وشرّ فيعودوا إلى سيرتهم الأولى[٤].

توفي السلطان بابر في (٦جمادي الأولى ٩٣٧هـ / ٢٦كانون الأول ١٥٣٠م) وهو في الخمسين من عمره , بعد حكم دام سبعة وثلاثين عاماً مدة السلطنة منها خمس سنوات في الهند, ودفن في أكرا ثم نقل جثمانه من بعد ذلك إلى كابل فدفن بربوة تطل على هذه المدينة التي كانت أحب بقاع الدنيا إلى قلبه[٥].

=١٩٨٧م) , ص٨-٩ ؛ الشيال , تاريخ أباطرة المغول , ص٣٠ .

(١) الساداتي , تاريخ المسلمين .. , ج١ , ص٤٨ ؛ للمزيد عن الجوانب السياسية والعسكرية في عهد السلطان بابر ينظر : ميرخواندا , غياث الدين همام الدين , حبيب السير في أخبار أفراد البشر (از انتشارات : كتابخانة ، خيابان ناصر خسرو ، تهران ، ١٣٣٣هـ) .

(٢) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ,ج٢ , ص٤٩-٥٠ .

(٣) Abdul-Ghani , A-History of Persion Languaga Litereture ... 152

(٤) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ,ج٢ , ص٤٩-٥٠ .

(٥) فرشته , تاريخ فرشته , مج٢, ص٢٢٦؛ بخشي , المسلمون في الهند , ج١, ص٢٩٢؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول ,ص٣٢ , الساداتي , تاريخ المسلمين, ج٢ , ص٥٠ ؛ طقوش , تاريخ مغول .. , ص١٧٢-١٧٣؛ 15, ... Abdul-Ghani , A-History of Persion Languaga

وكان من الممكن أن يعمل السلطان بابر على اتساع هذه الامبراطورية لو امتد به العمر, ولكنه توفي في وقت مبكر قبل أن يحقق ما كان يحلم به هذا المؤسس في الهند[١], فلم تتح له الفرصة لوضع نظام وقوانين جديدة تسير عليها الهند , ولكنه ترك وصية لابنه همايون تبين وضوح سياسته في الحكم. وسنجد أن السياسة التي سنّها السلطان بابر طُبقت في عهود لاحقة وآتت أُكلها بنجاح, وكانت تلك السياسة تدعو إلى التسامح الديني والاحترام , ومن ثم أصبحت سر نجاح الحكم المغولي في الهند لمدة طويلة[٢].

---

[١] Malleson ,Colonel . G. B , c.s.i , Rulers of India AKBAr and the rise of the Mughal Empire ,(Oxford at the Clarendon press : 1896) , 9-10

لمعرفة حدود امبراطورية المغول في عهد السلطانين بابر وهمايون ، ينظر: الملحق رقم ٢ .

[٢] المشهداني , تاريخ الدول الإسلامية في آسيا , ص١٩٨.

المبحث الثاني

ناصر الدين محمد همايون

وهو الملك الفاضل همايون بن بابر بن عمر التيموري السلطان نصير الدين همايون شاه , ولد في(٤ ذي الحجة سنة٩١٣هـ /٦آذار ١٥٠٧م) بقلعة كابل , ونشأ في مهد السلطة وأخذ من الفنون الحربية والسياسية ما يليق بأبناء الملوك(١),كان السلطان همايون في حياته الخاصة مرحاً مبتهجاً ,وفي معسكره كان رفيقاً ,طيباً لجنده وموظفي دولته , ذا قدرة كبيرة على العمل والنشاط , وقد أفسد عليه حياته تراخيه وتهاونه وكرمه, وكثيراً ما كانت هذه الصفات تحرمه ثمار انتصاراته(٢)

ارتقى السلطان همايون العرش خلفاً لوالده في(٩جمادي الأولى سنة٩٣٧هـ/ ٢٩ كانون الأول ١٥٣٠م) , وأقيمت الأفراح في كل مكان احتفالاً بتوليته , ولُقّب منذ ذلك اليوم بناصر الدين محمد همايون , وورث عن والده مُلكاً قام على الفتح , ولم يتمكن خلال مدة حكمه القصيرة من تدعيم هذا الملك , فترك لهمايون دولة مفككة الأوصال لا تُدعم إلا بالقوة , ولم يكن السلطان همايون من القوة والذكاء بحيث يستطيع أن ينجز ما لم يستطع أبوه إنجازه , بل إنه على العكس أضاف متاعب جديدة بفعل لينه وتصرفاته المتناقضة , كما ترك له أبوه خزانة خاوية استنفدت هباته وعطاياه من أموالها أكثر مما استنفدته حروبه وغزواته (٣).

وكان لبابر أربعة أولاد, همايون أكبرهم وأقربهم إلى قلبه ولذا عهد إليه بالملك في الهند , على أن يكون أخوه كمران والياً على كابل وقندهار(٤) , ثم أضاف إليه همايون ولاية شمال البنجاب أيضاً , على أن يكون تابعاً أسميا لدلهي , وأما أخواه الصغيران هندال ميرزا , وعسكري ميرزا ، فقد أعطاهما ولايات في الهند. لقد حرص همايون على تنفيذ وصية والده بشأن تعيين إخوته حكّاماً على الأقاليم المختلفة , فقد كان همايون شديد العطف عليهم , لكنهم لم يكونوا معه كذلك بل ظاهروه بالعداوة, وتفرق شملهم حتى طمع فيهم أعداؤهم , وأصبحت حياته سلسلة من المصاعب(٥)

إن هذا التقسيم الذي أوصى به السلطان بابر ونفذه همايون ظناً منهم أنه يصّب في مصلحة الإمبراطورية المغولية؛ كان السبب الأكبر في ظهور الدسائس و المؤامرات التي قام بها هؤلاء

---

(١) الندوي ,الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٤ , ٤٤٢ ,6-9 Richards , The Mughal Empire ؛ المشهداني , تاريخ الدول الإسلامية في أسيا , ص١٩٩.

(٢) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص٦٠ .

(٣) الساداتي , تاريخ ا لمسلمين .. , ج٢ , ص٧٢ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص١٨٠.

(٤) قندهار : من بلاد السند أو الهند المشهورة في الفتوح , الحموي , معجم البلدان , ج٤, ص٤٠٢-٤٠٣ .

(٥) فرشته , تاريخ فرشته , مج٢, ص٢٣١ ؛ بخشي , المسلمون في الهند , ج١ , ص١٩٤؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٨٢.

الإخوة فيما بعد , والتي أدت إلى إضعاف الامبراطورية في الهند , وتعد فكرة التقسيم هذه من أخطائه الكبرى؛ لأنها أدت إلى ازدياد تفكك الدولة ونشوب الحروب الأهلية , فقد كان من أبرز عيوب السلطان همايون اللين لاسيما مع إخوته الذين عُرِفوا بقوتهم لهذا تطلعوا لعرش أبيهم , هذا زيادة على إن السلطان بابر كان قد عيّن عدداً كبيراً من أقربائه كأمراء في بلاطه , ومنحهم الاقطاعات الواسعة , فملكوا بذلك عصب الحرب وأسلحتها , واستخدموها في حروبهم الداخلية ضد بعضهم البعض وضد السلطان همايون نفسه, واستمرت مؤامراتهم ضده لإشباع رغباتهم وطموحاتهم في السيطرة والنفوذ وتطلع بعضهم إلى اعتلاء العرش بعد وفاة السلطان بابر , لكنهم لم ينجحوا في ذلك , فكان إخوة السلطان همايون في طليعة من تآمروا عليه مع أولئك الأمراء[١].

ونتيجة لضعف السلطان همايون فقد طمع أخوه كمران في توسيع أراضيه , فاستخلف أخاه عسكري على إقطاعه وخرج على رأس جيش كبير لحرب أخيه السلطان همايون مدعياً أنه إنما خرج لتهنئته بمناسبة توليته العرش. غير أن السلطان همايون لم يكن بهذه السذاجة بحيث تخدعه هذه الحيلة , غير إنه آثر السلامة فمنحه لمغان[٢] وبيشاور[٣] ليضمهما إلى إقطاعه إلا أن كمران لم يقتنع بهذه الترضية , فعبر السند واستولى على إقليم البنجاب , واستسلم السلطان همايون للأمر الواقع وتجنب الدخول في حرب مع أخيه , مبرهناً عن قصر نظر في الحقل السياسي وهذه من الأخطاء الفادحة التي وقع بها السلطان همايون؛ لما له من أثر سلبي على سلامة الإمبراطورية المغولية , هذا فضلاً عن ضعف الجيش الذي خلفه السلطان بابر للسلطان همايون , فلم يكن الجيش وطنياً بل تألف من جنسيات مختلفة من الجغتائيين والأوزبك والمغول والفرس , وإن جيشاً خليطاً كهذا لا يكون متجانساً وفعالاً إلا في ظل قيادة قوية وحازمة مثل قيادة السلطان بابر ويتحول إلى عصابات في ظل حاكم ضعيف كهمايون[٤].

---

[١] **بخشي , المسلمون في الهند , ج١ , ص٢٩٤-٢٩٥ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٤٤-٤٥ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية في الهند , ص١٨٠-١٨١ .**

[٢] **لمغان : وهي من أشهر القلاع الهندية , الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج١ , ص٦٠ .**

[٣] **بيشاور : وهي من مدن الهند المشهورة بالعلم والعلماء ؛ الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٥, ص٤٨٧.**

[٤] **بدايوني , منتخب التواريخ , مج١ , ص٣٠٠-٣٠١ ؛ الطريحي , محمد سعيد , الشيعة في العصر المغولي , دائرة المعارف الهندية (هولندا – ٢٠٠٦م) , ص٣٥-٣٦ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص١٨٠ .**

نهض السلطان همايون بعد بضعة أشهر من توليه الحكم , لمواجهة أعدائه الأفغان وإخضاعهم , وحرصاً منه على تنفيذ وصية والده قام بمحاصرة قلعة كالنجر[١] فتم له فتحها[٢] علم السلطان همايون باعتداء محمود لودي بمعاونة الأفغان في جونبور[٣] على ملكه , فخرج إليهم في سنة (٩٣٧هـ/١٥٣٠م) لتأديبهم فاصطدم بهم وهزمهم , وفَرّ محمود لودي من أرض المعركة , ومن المآخذ التي سجلها التاريخ على السلطان همايون هو اكتفاؤه بهذا الانتصار من دون أن يكلف نفسه عناء مطاردة أعدائه , وكان ذلك في متناول يده[٤] وبعد ذلك سار السلطان همايون إلى الكجرات[٥] حيث كان بهادرشاه ملكها يحمي الفارين من وجه السلطان , ويعاونهم على الهجوم على ملكه فأراد السلطان معاقبته على السماح بإيواء أعدائه , وتم للسلطان همايون إخضاع كجرات[٦] ومالوا [٧] وفرّ بهادرشاه إلى أحد الحصون التابعة للبرتغاليين , وكالمعتاد أهمل السلطان السلطان همايون اتخاذ وسائل الحيطة والحذر, والإجراءات الضرورية للإقامة الآمنة والدائمة في الأقاليم المفتوحة , وانصرف إلى إقامة الأفراح والاحتفالات, وظنّ أن الأمور قد استقرت له في الكجرات , فعين أخاه عسكرياً نائباً له , أثبت عسكري , أثناء غياب أخيه عن قصر نظره في الحقل السياسي فأهمل تصريف شؤون الحكم , وانغمس في اللهو وتدبير المؤامرات[٨], وكان بهادرشاه يترقب هذه الفرصة , فاستغلها وسرعان ما استعاد ملكه المفقود شيئاً فشيئاً, وخسر همايون كامل الكجرات, فضلاً عن مدينة مالوا , ولم يهنأ بهادرشاه بفتوحه إذ سقط في البحر غدراً

---

[١] قلعة كالنجر: وهي حصن حصين على جبل شاهق فيها أبنية عالية ,الندوي,الهند في العهد الإسلامي,ص٩٩

[٢] الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٤ ,ص٤٤٤ ؛ بخشي , المسلمون في الهند , ج١ ,ص١٩٥.

[٣] جونبور : وهي مدينة عظيمة من مدن الهند الشرقية وفيها عدد كبير من العلماء , الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر, ج٣ , ص٢٣٣.

[٤] بخشي , المسلمون في الهند ,ج١ ص٢٩٥ ؛ الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٤ , ص٤٤٤.

[٥] الكجرات : بضم الكاف وإسكان الجيم تقع الكجرات في شمال ولاية بومباي من ولايات الهند ولها اسماء عديدة وأشهر مدنها (أحمد اباد) التي تعد عاصمة البلاد الكجراتية , الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٨٥-٨٦ .

[٦] فرشته , تاريخ فرشته , مج٢, ص٢٣٣-٢٣٦ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٤٦-٤٧ , النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٨٢.

[٧] مالوا : وهي من مدن الهند الكبيرة تقع في الجنوب , كثيرة الوارد والصادر اشتهرت نساؤها بالجمال , الإدريسي , محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس (ت : ٥٦٠هـ) , نزهة المشتاق في اختراق الآفاق , ط١ (عالم الكتب – بيروت – ١٩٨٨م) ,ج١ , ص١٩٤ ؛الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٨٥.

[٨] الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢, ص٧٨ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص١٨٤ .

بتدبير من البرتغاليين وهو في طريقه للتفاوض معهم ، وكان ذلك بحدود سنة (٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)[١].

صراع همايون مع شيرشاه

في الوقت الذي كان السلطان همايون منهمكاً بقتال بهادر شاه , كان شيرشاه وهو أحد القادة الأفغان الأقوياء, يعزز مركزه في جنوبي بيهار[٢], ونتيجة لنشاط شيرشاه العسكري, أدرك همايون وحده من بين الحكام الآخرين وجوب وقفه عن حده , فزحف في (٩٤٤هـ/١٥٣٧م) نحو بيهار , والتقى الجيشان لكنه انهزم وأصبح شيرشاه أكبر منافس له يهدده بضياع مُلكه , ومع ذلك استمر إخوته في العناد والكيد له , غير مبالين بالموقف الخطر الذي يهدد عرش المغول ظانين أنهم يستطيعون أن يجلسوا عليه بدلاً من السلطان همايون , وفي وسط هذه المتاعب ,لم يفقد السلطان همايون الأمل في التغلب على خصمه العنيد, فاستمر نحو سنة يعد جيشاً لمنازلته مرة ثانية, وخرج إليه, والتقى الجيشان قريباً من مدينة قنوج[٣], ولكنه أصيب أيضاً بهزيمة منكرة في محرم سنة(٩٤٧هـ/١٥٤٠م), وفرّ جيشه ولاذ هو بالفرار, وتعقبه شيرشاه إلى أكرا ثم إلى لاهور ولم يجد الملك الفار من يعاونه , حتى إخوته خذلوه وشمتوا فيه , دخل السلطان همايون السند وهو في حالة لا يحسد عليها , هائم على وجهه لا يجد من يؤويه , ولا يملك إلا بعيراً يركبه هو وزوجه وهي حامل حتى وصل إلى قرية« عمر كوت» بالسند , وهناك ولدت له ابنه السلطان جلال الدين أكبر[٤], ولما ولما وصل إلى قندهار في أفغانستان سمع أن أخاه خرج إليه ليأسره , ففرّ بنفسه تاركاً ابنه مع أمه في قندهار والتجأ إلى امبراطور إيران طهماسب شاه الصفوي الذي أكرم وأحسن ضيافته [٥]

عودة الأفغان إلى الحكم(شيرشاه السوري ٩٤٧هـ-٩٥٢هـ/١٥٤٠-١٥٤٥م)

تولت الحكم في المدة الانتقالية بين عزل السلطان همايون عن عرش الامبراطورية المغولية في الهند وعودته إليها أسرة سور وهي قبيلة من الأفغان ينتسبون إلى الملوك الغورية , ومؤسس هذه

---

(١) بخشي , المسلمون في الهند , ج١, ص٢٩٤-٢٩٧ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٤٨ , طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند ,ص١٨٤-١٨٥ .

(٢) بيهار أو بهار: بلدة صغيرة في الهند من توابع عظيم أباد مشهورة بالعلم خَرّج منها الكثير من العلماء والفضلاء , الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص١٠٤ ؛ الندوي , معجم الأمكنة , ص١٢-١٣.

(٣) قنوج : وهي مدينة كبيرة وعاصمة بلاد الهند قديماً فتحها السلطان محمود الغزنوي , الندوي , معجم الأمكنة , ص٤١ .

(٤) بدايوني , منتخب التواريخ , مج١, ص٢٤٤-٢٤٧ ,٢٩٥ .

(٥) Malleson, c.s.i , Rulers of India AKBAr ..., 59؛
الجوارنة , أحمد محمد , المعارك الإسلامية في الهند , جامعة اليرموك – الأردن , ص ١٢٤- ١٢٥ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٨٣-١٨٤

الأسرة هو شيرشاه, واسمه الأصلي فريد الدين بن الحسن ولد في سنة(٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) , لم تكن طفولة فريد سعيدة مما دفعه إلى ترك منزل أبيه والالتجاء إلى إقطاع والده في جونبور, وكانت هذه المدينة منتدى الصفوة من رجال العلم والأدب, فانكب على دراسة اللغتين العربية والفارسية فضلاً عن باقي العلوم[١] وذاع ذكر فريد الدين في الآفاق الأمر الذي دفع والده للذهاب إلى جونبور لإعادة ابنه إلى البيت بعد أن سمع بنفسه حديث الناس عن ذكائه ونشاطه وعاد فريد الدين إلى بلده فعهد إليه أبوه إدارة إقطاعاته , فاكتسب معرفة دقيقة بجميع التفصيلات الخاصة بإدارة الأملاك , ولعل هذا كان أبرز أسباب نجاحه في الهند , ثم اضطر تحت تأثير العداوة التي تضمرها زوجة أبيه إلى مغادرة وطنه , فلجأ إلى بيهار ودخل في خدمة حاكمها بهار خان , قضى فريد نحو أربع سنوات في خدمته فقدر له جهوده التي بذلها في إدارة الشؤون المدنية والمالية , وفي إحدى رحلات سيده للصيد تمكن فريد من قتل أحد النمور , فأعجب بهار خان بشجاعته ومنحه لقب شيرخان , تقديراً لبطولته , وجعله مربياً لولده[٢]. لكن الخلاف ما لبث أن دبّ بينهما فاعتزل خدمته , ودخل في خدمة السلطان بابر الذي عينه اعترافاً بمواهبه الفذة حاكماً على جملة إقطاعات بما فيها إقطاع أبيه, فمكث في خدمته مدة توجس خلالها خيفة منه , ويبدو أن السلطان بابر وقف على طموحاته وذكائه , فراح يراقبه , الأمر الذي دفعه إلى مغادرة السلطان بابر وعاد إلى محمد خان والي بيهار الذي عفا عنه وأعاده إلى عمله معه , ولما توفي هذا خلفه ابنه القاصر جلال خان , فتولى شيرشاه كفالته فاستحوذ بذلك على النفوذ والسلطان وأضحى الحاكم الفعلي للبلاد, ولكن جلال خان عندما بلغ أشده رفض أن يكون ألعوبة في أيدي شيرخان, فأرسل يستعين بحاكم البنغال خيزر خان , غير أن الحليفين هُزِما وأصبح شيرخان حاكماً على بيهار[٣].

نجح شيرشاه في تأسيس دولة إسلامية جديدة في الهند بعدما طرد المغول منها , وبدأ سلسلة من المعارك والحروب أفضت نهاية المطاف إلى بسط سيطرة أفغانية. قوية على الهند , فقاد العديد من الحملات كان من أبرزها حملته على إقليم البنغال سنة(٩٤٨هـ/١٥٤١م) فتم له إخضاعها, وفي سنة(٩٤٩هـ/١٥٤٢م) قاد حملة نحو إقليم ماندو الذي استسلم له من غير قتال , وكذلك نجح في السيطرة على بيهار والسند والملتان وذلك سنة(٩٥٠هـ/١٥٤٣م) , وبعدها وجه اهتمامه نحو إخضاع الراجبوت الذين لازالوا خارج السيطرة الأفغانية ففي سنة(٩٥٢هـ/١٥٤٥م) , قاد الزعيم

---

(١) **فرشته , تاريخ فرشته , مج٢, ص٢٥٠ ؛ الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) ,ج٤ , ص٣٥٣ ؛ , Ikram. Muslhm Civilization in India ,138 ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٦١-٦٢ .**

(٢) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٦٢ .**

(٣) **شير تعني (الأسد) ينظر : الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٤, ص٣٥٣ .**

الأفغاني شيرشاه حملة عسكرية كبيرة ضد قبائل الراجبوت [١].

- خلفاء شيرشاه

سليم شاه :ترك شيرشاه ولدين, هما:عادل خان الكبير, وكان ولي عهده , وجلال خان الصغير, وكان معروفاً باسم إسلام خان , وحينما توفيّ شيرشاه لم يكن واحداً منهما موجوداً معه , وكان جلال خان , أقرب إلى العاصمة من عادل خان , لذلك رأى أمراء شيرشاه أن يجعلوه هو الملك , واتفقوا على توليته العرش , وجاء جلال وجلس على العرش , وأرسل إلى أخيه عادل يستدعيه للحضور , ولكن عادل لم يحضر إلا بعد أن أخذ الأمان لنفسه , وعند وصوله إلى أكرا مثل الأخوان دوراً طيباً , فقد ترك جلال العرش وقال لأخيه : كنت أحافظ عليه حتى تحضر , فلم يقبل عادل وأصر على أن يبقى أخوه الصغير ملكاً على أن يتولى هو أمر بعض الإقطاعيات, وهكذا تم الأمر بسلام وجلس جلال على العرش باسم سليم شاه وانصرف عادل إلى ولايته. لكن هذا السلام لم يدم طويلاً , فقد دبّ فيما بينهم الخلاف , وبدأ سليم شاه بالعدوان على أخيه , وقامت الحرب بينهما وكانت النتيجة لصالح سليم شاه , حيث نجح في القضاء على الثورات التي واجهته خلال حياته السياسية , وكسر شوكة الأمراء الذين هددوا حكمه , وعيّن أمراء موالين له يثق بهم في الوظائف الكبرى [٢].

اتبع سليم شاه سياسة العنف أثناء حكمه ليفرض سلطانه على مختلف نواحي المملكة , وجَهّز جيشاً وأحسن تنظميه وتدريبه, وعمل سليم شاه على كبح جماح الأمراء بأن جمع كل ما كان لديهم من أدوات القتال, وأنشأ نظاماً دقيقاً للجاسوسية كان يطلعه على كل صغيرة وكبيرة تحدث في مملكته [٣].

توفي سليم شاه في سنة(٩٦١هـ /١٥٥٣ م) وخلفه ابنه الصبي فيروز شاه البالغ من العمر اثني عشر عاماً , وكان صغيراً فطمع خاله مبارز خان بالحكم , فقتله بعد ثلاثة أيام واعتلى العرش في أكرا تحت اسم محمد عدلي شاه , اتصف هذا السلطان بالجهل , فكان الناس يتندرون بجهله , وبالإسراف ببذل الأموال من دون حساب حتى فرغت الخزينة , فلجأ إلى أخذ مال كبار الأمراء والأغنياء , فسخط هؤلاء الأمراء ولم يرضوا عليه , واستوزر هندوسي يدعى هيمو , وفوض إليه

---

[١] **بدايوني , منتخب التواريخ , مج١ , ص٢٤٦-٢٥٥ ؛ الجوارنة , المعارك الإسلامية في الهند , ص١٢٥.**

[٢] **فرشته , تاريخ فرشته , مج٢ , ص٢٧٣ ؛ بخشي , المسلمون في الهند ,ج١, ص٣٥١-٣٥٢, النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٩٤ .**

[٣] **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٧٧ .**

الأمور كلها[١] , فأدار دفة الحكم بحزم وحكمة وانصرف هو إلى ملاهيه فزاد ذلك في عدد أعدائه والناقمين عليه , ونشبت الثورات في كل ناحية ولم يستطع وزيره قمعها فهرب هو وعدلي خان[٢], وقد رأى السلطان همايون في هذه الاضطرابات الفرصة المواتية لاسترداد بلاده , فاقتحم لاهور في ربيع الأول من سنة(٩٦٢هـ/١٥٥٤م) دون مقاومة تذكر, ويرجع الفضل في انتصارات السلطان هذه كلها إلى قائده بيرم خان الذي رفض التخلي عنه في محنته , وقد كافأه هذا بأن ولاه البنجاب مع ابنه اكبر [٣] .

لم يهنأ السلطان همايون بانتصاراته مدة طويلة , ولم يجنِ ثمار جهاده الطويل , فعند صلاة المغرب وحين كان السلطان همايون قد صعد أعلى سلّم المكتبة ومكث مدة من الزمن , وحين نزل كان المؤذن قد بدأ يؤذن للصلاة ونزل السلطان على الدرجة الثانية مكبراً , وحين نقل قدمه ألتوت وانفلتت عن السلّم وهوى على الأرض واضطرب أهل المجلس , وأدخلوا السلطان الذي كان فاقداً الوعي إلى داخل القصر , وبعد لحظة آفاق , وسعى الأطباء في معالجته كثيراً , لكن المنية أدركته بعد حكم دام خمسة وعشرين سنة وهو في الحادية والخمسين من عمره[٤] سنة(٩٦٢هـ/١٥٥٤م) [٥], وفي رواية أخرى سنة(٩٦٣هـ/١٥٥٥م) [٦] ودفن في المقبرة المعروفة باسمه[٧].

---

(١) بدايوني , منتخب التواريخ , مج١, ص٢٧٠-٢٨٠ .

(٢) فرشته , تاريخ فرشته , مج٢, ص٢٨٠-٢٨٨ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ٢٠٤-٢٠٥

(٣) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢, ص٩٢ .

(٤) Malleson, c.s.i , Rulers of India AKBAr and the rise of the Mughal Empire 64, ؛ بخشي , المسلمون في الهند ,ج١ ,ص٣٣٥ .

(٥) العيدروس , محي عبد القادر بن شيخ عبد الله (ت : ١٠٣٨هـ) , النور السافر عن أخبار القرن العاشر, ط١(دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٥هـ) , ج١٠ , ص٢٢٩ ؛ ابن عماد الحنبلي , عبد الحي بن أحمد بن محمد أبو الفلاح (ت : ١٠٨٩هـ) , شذرات الذهب في اخبار من ذهب , تح محمد الأرناؤوط , ط١ (دار ابن كثير (دمشق- بيروت- ١٩٨٦) , ج١ , ص٤٨٣ .

(٦) بدايوني , منتخب التواريخ , مج١ , ص٣٠٨ .

(٧) فرشته , تاريخ فرشته , مج٢, ص ٢٩٠-٣٠٠ ؛ طقوش , تاريخ مغول ..., ص٢٠٩.

المبحث الثالث

جلال الدين محمد أكبر

وهو السلطان المؤيد المظفر أبو الفتح جلال الدين محمد اكبر بن همايون بن بابر التيموري, ولدته حميدة بانو في ربيع الأول سنة(٩٤٩هـ /١٥٤٢م) في قلعة «عمر كوت» في أرض السند[١], عندما توفي السلطان همايون كان أكبر في طريق عودته من البنجاب, حيث كان ذهب إليها في صحبة صديق والده الحميم بيرم خان لإصلاح ما أفسده حاكمها , تلقى نبأ وفاة والده , وبعد أن أقام شعائر الحزن على والده , احتفل بتتويجه سلطاناً على عرش أبيه سنة(٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م) وكان عمره في ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة وتسعة شهور, ولذا قام بيرم خان وصياً عليه ونائباً عنه في أمور السلطنة , وقبض على ناصية الحكم وأدار دفته , وكان بيرم خان قائداً قوياً بصيراً بأمور الملك , اعتمد عليه همايون في استرداد ملكه[٢] .

يعد البعض من المؤرخين السلطان اكبر المؤسس الحقيقي لدولة المغول في الهند؛ وذلك لطول مدة حكمه البالغة خمسين عاماً ,أسهم خلالها بجهوده الكبيرة في نهضة البلاد , وجعل الدولة المغولية في الهند من أفضل الدول في العالم آنذاك[٣].

وتُقسم مدة حكم أكبر التي امتدت من سنة(٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م) حتى سنة(١٠١٣هـ/١٦٠٤م) إلى مُددٍ ثلاث : فالمدة الأولى وهي التي كان زمام الحكم الفعلي فيها بأيدي الوزير بيرم خان[٤] الذي كان خير معين للسلطان همايون في منفاه , وأما المدة الثانية والتي حاول فيها بعض نساء القصر إملاء رغباتهن على السلطان الشاب و وذلك بعد أن أفلحن بالدس والوقيعة والخداع , في إبعاد بيرم خان من منصبه؛ بسبب تشيعه وتقويض ما كان له من نفوذ بالغ , وكانت المدة الثالثة ,

---

(١) بدايوني , منتخب التواريخ , مج١, ص٢٩٥ ؛ الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) ,ج٥ , ص٤٩٦

(٢) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ ,ص٣٢٧ -٣٢٨ ؛ فرشته , تاريخ فرشته , مج٢ , ص٣١٢- ٣١٣ ؛ النمر , تاريخ السلام في الهند ,ص٢٠٠.

(٣) Ikram , Muslhm Civilization in India, 146. ؛ غنيم , د.عادل حسن و د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم , تاريخ الهند الحديث , ط١ (مكتبة الخانجي -مصر - ١٩٨٠م) , ص١٠٤ ؛ المشهداني, تاريخ الدول الإسلامية في آسيا , ص٢٠٠ ؛ للمزيد من المعلومات عن حدود إمبراطورية المغول الإسلامية في عهد السلطان جلال الدين أكبر ينظر : الملحق رقم ٣ .

(٤) بيرم خان : وهو بيرم بن سيف علي بن يار علي بن شير علي التركماني البلخي , كان من قبيلة قراقوئيلو ولد بغزنة وكان والده والياً بها من قبل بابر شاه , وبعد وفاة والده دخل في خدمة همايون أيام ولاية عهده وعندما تولى المملكة تقرب إلى همايون حتى صار معتمداً عليه في مهمات الأمور, للمزيد من المعلومات ينظر : الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج ٤, ص٣٢١ .

وهي التي انفرد فيها السلطان أكبر بالأمر كله , أطول هذه المدد جميعاً إذ امتدت من سنة (٩٦٩-١٠١٣هـ /١٥٦٢ -١٦٠٥م) , وتعد هذه المدة الثالثة من أزهى عصور الهند التاريخية , ومن أجلها عُدّ السلطان اكبر أعظم عاهل عرفته الهند[١] كانت الفوضى لا تزال تسود المملكة؛ وذلك لأن السلطان همايون لم يعش طويلاً بعد أن استعاد الحكم , حيث كانت المجاعات والطواعين تنتشر في أنحائها , فقد كانت الأجزاء الشمالية من الهند بما فيها دلهي وأكرا قد أصيبت بالطاعون الذي أودى بحياة عدد كبير من أفراد الشعب , أما من الناحية السياسية فإن عرش دلهي قد أصبح كالكرة تتداولها أيدي الأفغان والمغول , ولم تعد السلطنة إلا تعبيراً جغرافياً أو مجموعة من الولايات, وكان أعداؤه الأفغان لا يزالون يسيطرون على معظم أنحاء البلاد , وتعرض حكم السلطان أكبر لتهديد أخيه حكيم الذي استقل بحكم كابل, وكانت ولايات السند والملتان وكشمير[٢] قد انفصلت بدورها عن دلهي لسنين مضت , في حين أفاق الأمراء الراجبوت في البنغال من الصدمة التي أصابتهم أثناء حكم السلطان بابر, واستعادوا سيطرتهم على قلاعهم ,كما أقام البرتغاليون في حصونهم القوية , على شاطئ الهند الغربي , بعد أن خاضوا غمار معارك عنيفة ضد سلاطين الكجرات المسلمين, ونتج عن انتصارهم اشتداد خطرهم وبسط سيطرتهم[٣].

السلطان أكبر ومشاكله الداخلية :

- صراعه مع هيمو ومعركة بانيبات الثانية:

عندما ارتقى السلطان أكبر العرش وهو صغير, وجد إلى جانبه بيرم خان الذي بذل كل جهده لمساعدة سيده وتدعيم ملكه إلى أن بلغ رشده, واكتملت رجولته[٤] , وجد بيرم خان الخطر الأكبر متمثلاً في هيمو وزير عادل خان الذي كان يقود جيشاً يهدد به الامبراطورية المغولية, لذلك كان معظم قواد الجيش المغولي نصحوا السلطان بأن يتراجع إلى كابل , ولكن بيرم خان رفض هذه النصيحة؛ لأنه اعتقد أن في تنفيذها قضاء على آمال الأسرة المغولية , ثم تقدم بيرم خان بنفسه لمقاومة هيمو في سهول بانيبات على الرغم من جيش هيمو الضخم المؤلف من مائة ألف فارس وخمسمائة فيل , ولم يكن مع بيرم خان إلا عشرون ألفاً وكان ذلك سنة(٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م) وتدخل

---

(١) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢, ص٩٤-٩٥ .

(٢) كشمير : مدينة كبيرة في الهند , يسميها العرب(قشمير) اشتهرت بحسن نسائها , مجاورة للترك , القزويني , آثار البلاد وأخبار العباد , ص١٠٤ ؛ الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٧٨-٧٩ .

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٨٠ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢١٧-٢١٨ .

(٤) للمزيد عن طفولة السلطان أكبر، ينظر : Qureshi ,Ishtiaq Husain , Akbar(The Architect of the Mughul Empire) (Maaref-1978) 32.

القدر في هذه المعركة , فكانت نهايتها على غير ما تُوقِّع إذ سقط هيمو من فوق جواده , ووقع الذعر في جيشه بعد ما لاحت له بوادر النصر فلاذ بالفرار , إلا انه فيما بعد قُبِضَ على هيمو بطل الهندوس , وحُمّلَ إلى السلطان ونصح بيرم خان السلطان الصغير أن يقتل هذا العدو اللدود , لكن السلطان أكبر أبى أن يحقق هذه الرغبة وقال له :(إنه ليس من الفروسية في شئ أن أقتل عدواً منهزماً) , وعند ذلك استل بيرم خان سيفه وتولى هو قتل هيمو , وقد ترتب على الهزيمة , تتابع سقوط بقية الأماكن الهندية على يد المغول,فقد أزال هذا النصر أقوى معارض للسلطان أكبر , وارتفعت مكانة الجيش المغولي منذ ذلك الحين , ورُحّب بأكبر كسلطان على هندستان , وانتهى حكم الأفغان في الهند وبدأ المغول يحكمون الهند ثانية , وتلك أهم نتائج معركة بانيبات الثانية[١] وفي العام نفسه نجح في فتح دلهي وأكرا , ثم أعقب هذا الفتح , توجيه حملتين عسكريتين من دلهي إلى مدينة ميوات في حين لاحقت الحملة الثانية فلول جيش المغول بقيادة اسكندر سوري[٢].

– السلطان أكبر وعلاقته ببيرم خان

عرف بيرم خان بولائه المطلق للسلطان همايون كما كان مخلصاً أيضاً لولده السلطان أكبر فقد كانت علاقته به قوية جداً؛ فهو يعد نفسه في مكان الوالد من السلطان اكبر , ولذلك كان يلقّبه بـ« بابا خان » أي والد الخان فقد كان بيرم خان أستاذه وقائده ونائبه قد حمل عبء الملك عنه منذ أن اعتلى عرش أبيه , واستطاع أن يوطد دعائمه , ويطارد أعداءه , ويقضي عليهم واحداً بعد الآخر, وكان بيرم متعصباً لمذهبه , هذا زيادة على المصاهرة التي حدثت بينهما, إذ تزوج بيرم خان من ابنة عم السلطان أكبر سليمة بيكم[٣] وبعض المصادر ذكرت أنها ابنة أخت السلطان همايون أي ابنة عمته[٤] لقد أدى بيرم خان دوراً كبيراً جداً في حياة السلطان أكبر فهو الذي أمر بإخفاء نبأ موت السلطان همايون لمدة سبعة عشر يوماً إلى أن يرتب الأمور للسلطان أكبر وإجلاسه على العرش من دون أية مشاكل[٥], ولعلنا نقف هنا قليلاً لمعرفة الأسباب الحقيقية التي كانت وراء تصرف بيرم خان هذا وإصراره على تولي السلطان أكبر العرش؛ , أعتقد أن السبب

---

(١) **بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٣٣٠–٣٣٢ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٨٢ , الجوارنة , المعارك الإسلامية في الهند , ص١٣١.**

(٢) **Ikram , Muslhm Civilization in India , 143. ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٨٢ , الجوارنة , المعارك الإسلامية في الهند , ص١٣١.**

(٣) **Qureshi, Akbar(The Architect of the Mughul Empire , 50- 57 الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٩٢ .**

(٤) **بخشي , المسلمون في الهند , ج٢, ص١٥ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول, ص٨٥.**

(٥) **Malleson, c.s.i , Rulers of India (AKBAR),64.**

الحقيقي وراء ذلك هو أن جلوس السلطان أكبر شاه على سرير الملك وهو صغير السن يحقق لبيرم خان أهدافه بالسيطرة الفاعلة على زمام الأمور. في حين لا يبقى للسلطان أكبر سوى الحكم اسمياً لاسيما بعد أن ذكرنا العلاقة الحميمة بينهما , وفعلا فقد أناب عن السلطان أكبر في كل شيء وصار الحل والعقد بيده وقد استطاع بفضل مقدرته وسنه وتجربته أن يبسط نفوذه على الإمبراطورية المغولية , فقد كان في الحقيقة سياسياً محنكاً وإدارياً حازماً , في حين لو قدر الله وتولى غير السلطان أكبر عرش السلطنة لفقد بيرم خان مكانته وعندما بلغ السلطان أكبر سن الرشد في سنة(٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م) أصبحت العلاقة بينه وبين وزيره يسودها الفتور؛ وذلك لأن بيرم خان أصبح يرتكب هفوات كثيرة سببت فجوة بينه وبين السلطان من جهة وبين حاشية القصر من جهة ثانية[١]. فقد أخذ بيرم خان يرفع من شأن أقاربه, وخصّهم بالمناصب الرفيعة في الدولة , وأمعن في اضطهاد العديد من أتباع السلطان وأصدقاءه, وكان يغار منهم وما كان يسمح للسلطان أكبر أن يقدم لأحد منهم شيئا من رعاية أو فضل إلا بإذنه وبعد استشارته , وهذا الأمر قاد إلى إثارة النعرات المذهبية واكتسب عداء الكثير من رجال البلاط ونسائه لتعاليه وكبريائه. وكان في مقدمة الناقمين عليه الملكة الوالدة حميدة بيكم ومرضعة السلطان أكبر مهام انغاه وأخوه في الرضاعة أدهم خان ,كانوا جميعا يكرهون بيرم خان ولكن لأسباب مختلفة[٢] , فقد استغلت مرضعة السلطان أكبر وجوده عند والدته ليطمئن عليها فأفرغت كل ما كانت تختزنه من أحقاد ضد بيرم خان, وعلى الرغم من جميع تصرفات بيرم واستبداده بالحكم الذي وصل إلى حد قتل رجل من رجال حاشية السلطان , كان السلطان أكبر يقدر ما قدم بيرم خان من خدمات جليلة للامبراطورية , إلا إن السلطان أكبر غضب الغضبة الكبرى , عندما علم أن بيرم خان يدبر الأمر لإجلاس أبي القاسم ابن كمران «ابن عم أكبر» على العرش , لذلك رأى السلطان أكبر حين بلغ رشده أن ينحيه عن العمل معه في كياسة ولطف, فأصدر أمراً جاء فيه ((شاءت إرادتنا أن نتولى نحن حكم شعبنا , وقد اقتضى الأمر أن يستقيل رائدنا من الوظائف التي يتولاها , وأن يرحل إلى مكة ليقضي بقية حياته في الصلوات والعبادة بعيداً عن متاعب الحياة العامة))[٣], عند ذلك أدرك بيرم خان خطورة الموقف وأنه في الواقع قد تجاوز حده , فأسرع بيرم خان بإرسال اثنين من قواده الذين يثق بهم إلى القصر يرفعان ولاءه ويؤكدان خضوعه ويجددان إخلاصه للعرش, إلا أن السلطان أكبر قبض على الرسولين وسجنهما , وأرسل رسولاً من قبله إلى بيرم خان يؤكد عرضه السابق بضرورة الإسراع

---

(١) الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) ج٤ , ص٣٢١ .

(٢) **Malleson, c.s.i , Rulers of India AKBAr and the rise of the Mughal Empire ,88-90.**

(٣) **بخشي , المسلمون في الهند ,ج٢ , ص٢٣-٢٦ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ٨٥-٨٦ .**

بالرحيل إلى مكة , إن هذا الإجراء قد حطم كبرياء بيرم خان , واشتد به الغضب , فأعلن ثورته على السلطان ولكنه هُزِم وأُسّر وحُمل إلى السلطان , على الرغم من هذا كله عفا عنه السلطان لما قدمه من خدمات جليلة ثم خلع عليه وعرض عليه أن يختار أحد الأمور الثلاث : إما أن يبقى في القصر ويعامل بكل إكرام وإعزاز كونه صاحب فضل على الدولة وإذا أراد أن يبقى في الخدمة فسيعُيّن والياً على إقليم من الإقاليم السلطانية , و أذا أراد أن يحيا حياة دينية فستقدم له كل المنح والمساعدات التي تمكنه من الحج إلى مكة , فأجاب بيرم خان بأنه ما دام قد فقد ثقة السلطان فإنه لا يستطيع الاستمرار في خدمة الدولة , واختار الحل الثالث , ولكنه لم يقدر له أن يتم رحلته إلى مكة , فقد قتله أحد أعدائه الخاصين أثناء الطريق وكان ذلك سنة(٩٦٨هـ/١٥٦٠م)[١] وتزوج السلطان أكبر أرملة بيرم وضم إليه ابنه عبد الرحيم , وكان في الرابعة من عمره , فما زال يرعاه حتى عينه في مناصب الدولة الكبرى[٢] , وهنا لنا وقفة صغيرة لموقف السلطان أكبر من بيرم خان فالمعروف أن أية خيانة تبدر عن أي شخص لاسيما إذا كانت من شخص ذي مكانة رفيعة وله سلطة نافذة مثل الوزير بيرم خان فإن خطورتها تكون كبيرة على أمن وسلامة دولة المغول, ومن ثم فمن المفترض أن تكون العقوبة رادعة وقاسية. إلا أن السلطان أكبر المعروف بتسامحه عفا عنه مقدّراً ما قام به بيرم خان من خدمات تجاه امبراطورية المغول سواء في عهد والده السلطان همايون أو في عهده. فقد أرسى قواعد الدولة بحنكته السياسية , وهناك من المؤرخين من ينفي عن بيرم أية بادرة خيانة أو محاولة الاستبداد بالحكم, مشيراً بذلك إلى أنه لم يخرج عن حقوق الوصاية التي عهدت إليه بعد اعتلاء السلطان أكبر العرش , وأن بفضله قامت دولة المغول في الهند فبعد القضاء على الخارجين على السلطان , التفت إلى تنظيم إدارة الحكم , ثم قام باسترداد ما فقدته الدولة من أراضٍ[٣] , هكذا انتهت علاقة السلطان أكبر بوزيره بيرم خان وتحرر من وصايته[٤].

- موقف السلطان أكبر من مرضعته مهام أنغا

كان لمرضعة السلطان أكبر مهام أنغا دور كبير في التدخل بشؤون الحكم؛ لما لها من منزلة كبيرة في نفس السلطان أكبر, فقد كانت موضع ثقته, وكان يستشيرها بأمور حياته الخاصة والعامة

---

(١) **بخشي , المسلمون في الهند ,ج٢ , ص٢٣-٢٦ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ٨٥-٨٦؛ Misra, Rekha , Women in Mughal india(1526- 1748) , Munshiram Manoharlal-1967 ,25-29.**

(٢) **الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٠٥ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند, ص٢٢٤ ؛ ,Ikram , Muslhm Civilization in India,144,.**

(٣) **الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٩٢ .**

(٤) **للمزيد عن علاقة السلطان أكبر ببيرم خان ينظر : بدايوني , منتخب التواريخ ,مج٢ ص٣٤٣-٣٥١ .**

, وكان يحكم من خلالها إلى حد كبير , وقد مهد زوال بيرم خان الطريق أمامها واستفرادها بالسلطان أكبر لتملي عليه بقراراتها , وقد كان لها دور في إيغار صدر السلطان ضد وزيره بيرم خان؛ وذلك لتنافسهما على السلطة فكل منهما يسعى ليكون الشخص الأقرب إلى قلب السلطان أكبر, وكانت أقرب إلى السلطان أكبر من أمه الحقيقية حميدة بيكم فأخذت هذه السيدة تُنصّب أتباعها في مرافق الدولة على وفق هواها , ورفعت من مقام ابنها أدهم خان[١] فما لبث أن كشف السلطان أكبر مدى خطورتها عليه , فأخذ يراقب سلوكها وتصرفاتها بعين اليقظة والحذر, وقد يكون المؤرخون قد بالغوا كل المبالغة بخصوص مدى تأثير مهام انغا في حياة السلطان أكبر واتخاذ القرارات بالنيابة عنه , ودليل كلامنا هذا هو عفو السلطان أكبر عن بيرم خان وإكرامه له على الرغم من معارضة مهام أنغا وإصرارها على ضرورة عقابه[٢], والدليل الآخر ما فعله السلطان أكبر بأدهم خان أخيه في الرضاع وابن مهام أنغا فقد أمر السلطان أكبر بأن يلقى من برج القلعة إلى الأرض مرتين حتى قتل وتناثر مخه؛ لأنه تجرأ وقتل رجلاً من رجال السلطان بسبب حقده عليه[٣]فضلاً عن أن السلطان أكبر بدأ يتوجس من تصرفات أدهم خيفة, لاسيما بعد استحواذ أدهم على معظم غنائم الحرب التي غنمها بعد أن أرسله السلطان أكبر لإخضاع بعض المناطق, ولم يرسل منها سوى القليل إلى أكرا , وقيامه بتوزيع الأموال على أتباعه بسخاء ليزيد من عددهم وحبهم له , واحتفاظه بالرايات السلطانية وشعار الملك[٤] والنصيب الأكبر من الأموال , فارتاب السلطان أكبر من نواياه فقرر تأديبه وعزله عن الحكم وأمر بملازمته للقصر, إلى أن قام بقتل وكيل السلطان , عندها أمر السلطان أكبر بقتله , على الرغم من كونه يُعد أخاه في الرضاعة , غير آبه بمشاعر مرضعته مهام أنغا وهذا من الأدلة الداحضة على الدعوى التي تقول أن مهام أنغا هي التي كانت تسيّر السلطان أكبر, فكان الاولى لها أن تمنع قتل ابنها أدهم خان , وما لبثت أمه أن لحقت به كمداً بعد مدة قليلة [٥].

- **السلطان أكبر وعلاقته مع الهندوس :**

منذ اللحظة الأولى أدرك السلطان أكبر أن سياسة أسلافه في الحكم كان يشوبها خطأ ما , وأن

---

[١] **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص٨٧-٨٨.**

[٢] **الساداتي , تاريخ المسلمين, ج٢ , ص١٠٥-١٠٦, السعيد , مشاهدات في الهند , ص١٠٦ .**

[٣] **بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٣٥٢ .**

Srivastava, Ashirbadi Lal , Political history(1542-1605) , Shiva Lal Agawala - 1962), 69-71.

[٤] **ينظر : علم المغول ملحق رقم ٤ .**

[٥] **Misra , Women in Mughal india ,25-29. ؛ بخشي , المسلمون في الهند ج٢, ص٣٠-٣١.**

امبراطوريته يجب أن ترتكز على أساس قوي من حب رعاياه ورضائهم بصرف النظر عن عقائدهم ومذاهبهم , ولهذا بدأ يعمل على كسب حب الهندوس بوجه عام و الراجبوت بوجه خاص , فقد اختط السلطان أكبر لنفسه سياسة جديدة في حكم الهند تختلف عن غيره من الملوك المسلمين الذين حكموها على أساس قومي لا تفريق فيه بين جنس وجنس , وأهل دين ودين , وسار في سياسته القومية هذه إلى آخرها مضحياً في سبيلها بكل شئ حتى ببعض أوامر الدين هادفاً بهذه السياسة إلى كسب ود الشعب على اختلاف نزعاته, لذلك أخلص له الهندوس والراجبوات , فقد كان الراجبوت يكوّنون الطبقة الحربية في المجتمع الهندي , وكانوا سلالة القواد العسكريين في الهند , ولم يكن في استطاعة الأسرة الحاكمة الجديدة أن تستغني عن تأييدهم , ولهذا بدأ السلطان أكبر يعمل على كسب رضاء الراجبوت وتأييدهم للحكم المغولي , ولكي يحقق هذا الهدف اتبع عدة وسائل , أبرزها الأحلاف التي تعتمد على المصاهرات السياسية و صلات النسب والإصلاحات الاجتماعية وهذا ما سوف نتطرق إليه لاحقاً في الفصول القادمة , كما أنه قام بتعيينهم في مناصب كبرى سواء كانت مدنية أو حربية, فتولى عدد من الراجات مناصب القيادة في جيشه وكان نصف الجيش تقريباً من الهندوس وكذلك كان عدد كبير من قواد الجيش , كما إن سياسة التسامح التي اتبعها السلطان أكبر مع الراجبوت أتاح من خلالها لجميع رعاياه حرية العقيدة والرأي , فلم يكتفِ بالمساواة بين المسلمين والهندوس بل إنه أكثر محاباة للهندوس[1], كان هدف السلطان أكبر الأساسي هو توحيد سكان الهند جميعاً مسلمين وهندوس تحت رايته, وتحويل الهندوس وأمرائهم من أعداء للدولة إلى خدّام لها وحُماة لأرضها , فعمل على تحقيق هذا الهدف بكل الوسائل والطرق[2] لدرجة جعلته ينحرف عن مساره الذي سار عليه في بداية عهده من كونه مسلم يعتز بدينه إلى شخص يحارب ويضطهد بني جلدته. إن هذا التحول الديني الخارج عن الإسلام ومبادئه كان من أعظم الأخطاء والزلل التي وقع بها السلطان أكبر, ويبدو مما سبق أن ما قام به السلطان أكبر كان بسبب جرأته النادرة والغريبة, وسوف نناقش ذلك عندما نتناول الجانب الديني في الفصول اللاحقة , وقد فشلت جميع الوسائل التي استعملها السلطان أكبر من أجل تحقيق أهدافه .

- علاقة السلطان أكبر بالبرتغاليين :

عاصر السلطان اكبر ظهور قوتين أوربيتين , القوة البرتغالية والقوة الانجليزية , وكانت علاقته مع الانجليز محدودة؛ لأن البرتغاليين كانوا آنذاك القوة الوحيدة التي أسست مراكز تجارية على شواطئ الهند وسيطرت على التجارة الشرقية وأزاحت التجار المسلمين , ومن الجدير بالذكر

---

(1) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص٨٩-٩٠؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢١٢.**

(2) **السادات , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ ,ص١٠٧-١٠٨ .**

أن العلاقات بين الهند والبرتغاليين تنقسم على نوعين علاقات تجارية , وأخرى دينية[١], فالعلاقات التجارية بين الهند والبرتغاليين علاقة قديمة؛ وذلك للموقع الجغرافي للهند أولاً وللخيرات التي تتمتع بها الهند ثانياً فقد وصفت الهند بأنها بلاد العجائب والخيرات فقد حباها الله بأنواع مختلفة من الموارد الطبيعية [٢] .

اتصل السلطان أكبر بالبرتغاليين أثناء الحملة على الكجرات سنة(٩٨١هـ/١٥٧٣م) واستقبل بعض التجار البرتغاليين , وكان السلطان أكبر يحتاج إلى تراخيص البرتغاليين لنقل الحجاج إلى مكة مقابل رسوم يدفعها لهم , أما التجار المسلمون, فقد ألفوا الحصول على تراخيص لمتابعة نشاطهم التجاري[٣] أما العلاقات الدينية بين الهند والبرتغاليين فتبدأ عندما قام السلطان أكبر بإرسال دعوة إلى السلطات البرتغالية يطلب منهم أن يرسلوا إلى بلاطه بعض العلماء المثقفين في الديانة المسيحية ليعرفوه الأسس الفلسفية لديانتهم , وفرح البرتغاليون بهذه الدعوة محاولة منهم لحمل السلطان أكبر على اعتناق المسيحية , ففي سنة(٩٨٨هـ/١٥٨٠م) أُرسلت أولى الإرساليات التبشيرية إلى الهند وقابل السلطان أكبر المرسلين بكل ترحاب وعاملهم بكل احترام , وسمح لهم أن يبنوا كنيسة في مدينة أكرا , وأظهر إعجابه الشديد بصورة المسيح والعذراء, بل لقد وضع ابنه سليم تحت رعايتهم ليجرب أثر التعاليم المسيحية في عقلية طفل صغير غير متعصب , ولكن التجربة فشلت , ولم يستطع أي شئ أن يؤثر في إيمان الابن بدينه , فشعر المسيحيون بخيبة أمل كبيرة؛ لأن السلطان أكبر لم يكن فريسة سهلة , وبعد أن قامت هذه البعثة ثلاث سنوات في بلاط السلطان أكبر, عادت دون أن تحقق أهدافها في تنصير السلطان أكبر[٤]وأرسلت إرسالية ثانية وصلت إلى القصر المغولي في سنة(٩٩٨هـ/١٥٨٩م) ولكنها لم تكن أكثر نجاحاً من سابقتها , فقد فشلت هي أيضا في تنصير السلطان اكبر, وبدأ المسيحيون يدركون أن عقل السلطان أكبر عقلٌ شديد العصيان على الرغم مما كان يوليهم من رعاية , وترحيب بوجودهم في بلاده ولبثت هذه البعثة في بلاط السلطان أكبر ثلاث سنوات وفشلت ايضاً, ويبدو مما سبق أن مرونة السلطان اكبر وتسامحه اطمع المقابل فيه وظّنوا أنه إنسان سهل ممكن تنصيره , ولم ييأس المسيحيون فقاموا ببعث إرسالية ثالثة إلى لاهور, حيث كان يقيم السلطان هناك في ذلك الوقت , وكالعادة قوبلت بجفاوة عظيمة ,

---

(١) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٤٤ ؛ طقوش , تاريخ القبيلة الذهبية والهند, ص٢٣١.**

(٢) **المشهداني , د. ياسر عبد الجواد , النفوذ البرتغالي وأثره على الهند الإسلامية , بحث منشور في مجلة كلية التربية الأساسية – الموصل –٢٠٠٦م , ص٢ .**

(٣) **طقوش, تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٣١ .**

(٤) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص٩١-٩٢ .**

وأحرزت نجاحاً لم تحرزه البعثتان السابقتان , فقد سمح لها أن تبني كنائس في لاهور وأكرا[١], وأن تقوم بالتبشير إن استطاعت , كما حصلت على بعض الامتيازات التجارية , وبذلك أصبحت إلى حد ما مؤسسة دائمة في الامبراطورية المغولية[٢], وهنا سؤال يطرحه كل من يقرأ عن علاقة السلطان أكبر بالبرتغاليين , ما هو هدف السلطان أكبر من تشجيع البعثات البرتغالية إلى بلاطه ؟ وما هي الغاية الحقيقية وراء ذلك , للدرجة التي يسمح بها بالتبشير في بلاده وهو يعتنق الإسلام ,وهل نجحت هذه البعثات التبشيرية ؟, والجواب : يكمن في أن السلطان أكبر أراد استمالتهم وتوثيق العلاقة معهم من خلال استدعائه للبعثات , وأن الاحترام العميق الذي أضفاه على نبيهم هو لتحقيق أهداف سياسية أكثر منها دينية , فقد رغب في صداقة البرتغاليين؛ لأنهم كانوا يملكون مدفعية ضخمة , وكان هو يطمع في مساعدتهم له ضد الخارجين عليه أمثال ابنه سليم الذي كان قد خرج عليه , والحقيقة أن السلطان أكبر كان دائماً رجل سياسة ورجل دولة أكثر منه رجل دين , ووراء أعماله تكمن دائماً بعض الدوافع السياسية , لذلك نجد جميع البعثات التبشيرية فشلت ولم تحقق أهدافها الدينية [٣].

– أبرز فتوحات السلطان أكبر

أدرك السلطان أكبر أن السبيل الوحيد لإقرار السلام هو إيجاد حكومة مركزية قوية تدير أجزاء الهند القصية , أو بمعنىً آخر هو العمل على توحيد الهند , وبتوحيد الهند كان يعني فتح كل أجزاء الهند التي لم تكن قد خضعت بعد لحكم المغول , فبعد أن انتصر في معركة بانيبات الثانية, وضم إليه بعض المدن تخلص من سطوة بيرم خان وزيره ومهام أنغا مرضعته أصبح هو صاحب السلطة الفعلية , ثم بدأ يعد العدة لكي يصبح حاكماً على هندوستان , ولذلك بدأ سلسلة من الفتوحات والتي انقسمت على قسمين : القسم الأول في الشمال والوسط , والآخر في الجنوب.

–فتوحاته في الشمال والوسط

سار السلطان أكبر في مواصلة فتوحاته على نهج أجداده , فاندفع في حروب وغزوات تكاد حلقاتها تتصل حتى سنة(١٠٠٩هـ/١٦٠٠م) لينتهي بذلك إلى تدعيم ملكه من جهة وتوسيع رقعة دولته من جهة أخرى[٤].

---

[١] **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ٩٢-٩٤.**

[٢] **للمزيد عن العلاقات السلطان أكبر بالبرتغاليين ينظر : Du- Jarric, Pierre , Akbar and the Jesuits : An Account of the jesuit Missions to the court of akbar,(Harper Brothers – 1926).**

[٣] **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ٩٢-٩٤.**

[٤] **الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٢٤-١٢٥.**

– **فتح غوندوان**[١] : أرسل السلطان أكبر جيشاً في سنة(٩٧٢هـ/١٥٦٤م) بقيادة آصاف خان لمهاجمة ولاية غوندوانا إحدى ولايات الراجبوت في الإقليم الأوسط من الهند , وكانت تحكم هذه الإمارة السيدة درجفاتي نيابة عن ابنها الطفل الصغير, وكانت امرأة شجاعة دافعت عن ممتلكاتها وقاومت الجيش المغولي مقاومة باسلة , وعندما وجدت أخيراً أن المقاومة غير مجدية طعنت نفسها وخرت قتيلة في ميدان القتال, وبذلك تم إخضاع غوندوانا وضمها , واستولى المحاربون على خزينتها وعلى كميات هائلة من الغنائم[٢].

– **فتح موار Mewar**[٣] : التفت السلطان أكبر بعد ذلك إلى فتح موار لأهميتها السياسية والاقتصادية سنة (٩٧٥هـ/١٥٦٧م) , وقد شنّ السلطان أكبر على مدن موار المختلفة غارات وحروباً كثيرة , قاد هو بنفسه بعضها أحياناً , وقاد ابنه سليم بعضها أحياناً أخرى وقد قاوم أمراء موار غارات أكبر مقاومة عنيفة , ودافعوا عن مدنهم دفاع الأبطال , ثم استسلم بعضهم ولجأ البعض الآخر إلى المناطق الجبلية يقاومون دولة المغول , وانتهت المعارك باستيلاء السلطان أكبر على قلاع جيتور[٤] وفتح كالنجر[٥]التي تعد من كبريات القلاع الهندية سنة(٩٧٧هـ/ ١٥٦٩)[٦] واجمير , وبذلك أصبحت راجبوتانا[٧] إمارة من الأمارات الإمبراطورية المغولية.

– **فتح الكجرات**

بعد أن انتهى السلطان أكبر من جيتور وضمها إلى مملكته أصبحت حدودها إلى مملكة الكجرات الإسلامية , وكان كثير من أعدائه الفارين قد لجأوا إليها واستقروا فيها , فتوجه السلطان أكبر لفتحها وإخضاعها , وسبق أن فتحها فتحاً مؤقتاً , ولهذا بدأ يعمل لاستعادة هذه الولاية المفقودة وضمها ثانية إلى الامبراطورية المغولية , لاسيما وأن الكجرات كانت تشهد صراعاً مابين مظفر شاه الثالث وكان ملكاً اسمياً والحكام الذين كان السلطان همايون قد أقامهم هناك إبان حكمه

---

(١) غوندوان : إمارة في وسط الهند تتألف من سلسلة من الهضاب وهي من مقرات الهندوس المهمة , لوبون , حضارات الهند , ٧٢.

(٢) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٣٦٥ , ٣٧٠ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٠٩.

(٣) موار: وهي أحد أقسام كورة راجبوتانه فيها ثلاث قلاع لا نظير لها في الحصانة , الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٨٠ .

(٤) جيتور : وهي من أشهر مدن كورة راجبوتانه , الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٨٠ .

(٥) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٣٧٨-٣٨٠ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص٩٦.

(٦) بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص٧٤ ؛ الجوارنة , المعارك الإسلامية في الهند ,ص١٣٧.

(٧) راجبوتانا : كورة كبيرة من الهند فيها رمال كثيرة ومعادن عديدة , الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٨٠.

, أما السلطة الفعلية فكانت بيد وزيره اعتماد خان, وكان قد دخل جديداً في الإسلام, إذ أرسل إلى السلطان أكبر يستنجد به ويطلب إليه القدوم لإنقاذ الولاية من الفوضى التي تسودها , رحب السلطان أكبر بالدعوة فخرج بجيش وفتحها دون مقاومة من مظفر شاه , بل رحب به وسَلَّم له أمر الكجرات سنة(٩٨٠هـ/١٥٧٢م) , ثم أخذ السلطان أكبر يتعقب أعداءه الذين فروا إليها[١].

-فتح البنغال

كان سليمان كاراراني قد أسس مملكة مستقلة في البنغال في سنة(٩٧١هـ/ ١٥٦٣م), وكان حكيماً فآثر السلامة , واعترف للسلطان أكبر بحق السيادة على مملكته , لكن هذا الأمر لم يستمر فبعد وفاته خلفه ابنه داود وكان عنيداً صلب الرأي , فقد أعلن استقلاله التام عن الامبراطورية المغولية , فقاد ا السلطان أكبر الجيش بنفسه لمقاتلته واستطاع أن يهزمه في أكثر من موقعة إلى أن اضطر داود أن يعلن خضوعه للسلطان , فعين عليها منعم خان إلا أنه توفي, مما دفع داود على استعادة ملكه المفقود , لكن السلطان أكبر أرسل إليه جيشاً فهزم للمرة الثانية سنة(٩٨٤هـ/١٥٧٦م)[٢].

-ثورة ميرزا محمد حكيم وفتح كابل

هاجم ميرزا محمد حكيم الهند سنة(٩٨٩هـ/ ١٥٨١م) على رأس جيش , ولاسيما في الأقاليم الشرقية , هدفهم خلع السلطان وتولية أخيه الأصغر ميرزا محمد , فأقدم ميرزا محمد على إرسال حملتين متتاليتين لمهاجمة البنجاب, الأولى كانت في عامي(٩٧٣و٩٧٤هـ/١٥٦٦و١٥٦٧م) في حين كانت الحملة الأخرى سنة(٩٨٩هـ/١٥٨١م) , ولكن نصيبهما كان الفشل , ثم خرج بنفسه على رأس جيش كبير, إلا أن السلطان أكبر استطاع أن يهزمه , ثم تتبّعه إلى مملكته واضطره إلى التسليم , ولكنه كان كعادته كريماً مع أخيه فسمح له توليّ حكم كابل كإمارة تابعة للامبراطورية المغولية[٣]

– **فتح كشمير:** لقد أخضع السلطان أكبر كشمير في سنة(٩٩٤هـ/١٥٨٥م) دون أية صعوبة أو مقاومة جدية , فقد نُقل إلى السلطان أن حكام كشمير من المسلمين قد ارتكبوا بعض الفظائع في معاملتهم لرعاياهم الذين كان معظمهم من الهندوس, واستغل السلطان اكبر هذه الفرصة السانحة للتدخل في شؤون هذه الإمارة المستقلة , فأرسل قائديه ميرزا شاه رخ وراجا بهجوان داس لمقاتلة يوسف شاه(حاكم كشمير) وسرعان ما عقد الصلح بين الفريقين على ان يرسل يوسف شاه ولديه ليكونا رهينة عند السلطان أكبر , غير أن السلطان لم يقبل هذه الشروط , وأرسل جيشاً آخر يقوده

---

[١] بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ ,ص٣٩٩ , ٤١٢ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٠٣-٢٠٤.

[٢] الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ ,ص١١٩.

[٣] الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص٩٩.

قاسم خان , واشتد ضغط الجيش المغولي على كشمير حتى اضطر يوسف شاه أن يعلن خضوعه , ولكن ابنه يعقوب فرّ من المعركة واستأنف المقاومة الى أن هُزم, واضطر هو كذلك إلى الاستسلام ,وأكرم السلطان أكبر الحاكم وابنه, وعُدّت كشمير منذ ذلك الوقت إقليماً من أقاليم إمارة كابل[١].

-فتح السند وبلوخستان وقندهار:

كانت الملتان خاضعة لحكم المغول منذ سنة(٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م) , وعهد السلطان أكبر إلى حكمها عبد الرحيم خاني خانان وأمره باتخاذ الإجراءات اللازمة لفتح السند وبلوخستان , وكانا لا يزالان غير خاضعين لنفوذ الإمبراطورية المغولية , وقد هزم ميرزا جاني بك حاكم السند في موقعتين , واضطر أن يسلّم قلعة سهوان وولاية تاثا وبفضل مساعي حاكم الملتان سمح لميرزا جاني بك أن يستعيد ولاية تاثا , إذ أثبت على ولائه وإخلاصه, أما إمارة بلوخستان, فقد ضُمت إلى الامبراطورية المغولية في سنة(١٠٠٣هـ/١٥٩٤م) بعد معارك بسيطة , وقد مهد الاستيلاء على السند وبلوخستان الطريق لفتح قندهار وضمها , وكان السلطان أكبر سعيد الطالع , فقد أرسل ميرزا مظفر حسين حاكم قندهار يستنجد به بعد أن اشتد عليه ضغط الأتراك والاوزبك , وفي العام نفسه استولى جنود السلطان أكبر على قندهار دون قتال[٢] .

الفتوحات في الجنوب

بعد أن سيطر السلطان على الشمال والوسط , حيث تم إخضاع كل أجزاء الهند الشمالية وأصبحت تكوّن دولة قوية مترابطة متحدة , أتى دور الجنوب , فقد كان السلطان أكبر يطمع دائماً إلى ضم إمارات الدكن إلى امبراطورية وقد مكنته الأحوال المضطربة التي تسود هذه السلطات من استغلالها لصالح تحقيق أهدافه , لاسيما بعد أن علم حالة العداء المستمر والنزاع الدائم مع بعضهم البعض , وهذا يصنع أجواء مناسبة للتدخل الخارجي , ومن الجدير بالذكر أن السلطان أكبر حاول في أول الأمر أن يتبع الطرق الدبلوماسية , فأرسل السفراء إلى أولئك السلاطين يطلب منهم الاعتراف بسيادته , وأن يدفعوا له أتاوة سنوية , فرفضت هذه الإمارات عرض السلطان أكبر باستثناء ملك خانديش , مما دفع السلطان إلى إعلان الحرب عليها[٣] وكانت إمارة أحمد نكر[٤], بحكم موقعها الجغرافي أولى الإمارات التي اصطدم بها أكبر فأرسل جيشاً في(١٠٠٣هـ/١٥٩٤م)

---

(١) **بخشي , المسلمون في الهند ,ج٢ ,ص١٨٩-١٩٠ ؛ الجوارنة , المعارك الإسلامية في الهند , ص١٤١ .**

(٢) **فرشته , تاريخ فرشته , مج٢ , ص٣٧١-٣٧٢ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول ,ص ١٠١-١٠٢ .**

(٣) **بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص١٩٧-١٩٨ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند ,ص٢٠٧.**

(٤) **أحمد نكر : وهي مدينة تابعة لولاية أورنج آباد تقع شمال بيجابور أنشأها الملك أحمد بن الحسن البحري , الندوي , الهند في العهد الاسلامي , ص٢٦٤-٢٦٥ .**

بقيادة ابنه مراد والقائد عبد الرحيم خان خانان وقد حاصرا المدينة , ودافعت المدينة دفاعاً مجيداً , قامت معارك خطيرة بين الفريقين , وكانت الحرب سجالاً بينهما ومن أشهر هذه المعارك معركة سوبا التي وقعت سنة(١٠٠٦هـ/١٥٩٧م), حيث التقى الجمعان في موقعة سوبا الواقعة جنوب الهند[١], وساد الاضطراب في معسكر المغول حتى اضطر السلطان أن يرسل إلى الميدان صديقه ومستشاره المخلص أبا الفضل بن المبارك , ووصل إلى المعسكر بعد أن كان مراد قد توفي , مما اضطر السلطان أكبر إلى الخروج بنفسه لقيادة العمليات العسكرية , بعد أن عهد أمر الحكومة إلى ابنه سليم , وحدث أن انقلبت إمارة خانديش على حكمه وانضمت إلى جماعة الثائرين , واستولى في الحال على برهانبور, وبعد الحصار الذي فرض عليها خضعت أحمد نكر وضمّت إلى الإمبراطورية المغولية , وبسقوط هذه الإمارات تم للسلطان أكبر السيطرة على الدكن التي استمرت حروبه بها خمس سنوات [٢].

- **أكبر وأيامه الأخيرة**

سادت في الأيام الأخيرة من حياة السلطان أكبر اضطرابات عديدة , إذ كان أبناؤه مصدر قلق كبير له, فقد توفي ولداه مراد في سنة(١٠٠٧هـ/١٥٩٨م) ودانيال في سنة(١٠١٣هـ/١٦٠٤م) على التعاقب متأثرين بإدمانهما على المسكرات, وقد أصبح ولده سليم السلطان جهانجير مثار قلق شديد لأبيه في شيخوخته, وفي سنة(١٠٠٩هـ/١٦٠٠م) وبينما كان السلطان أكبر مشغولاً بمعاركه في الدكن ثار ابنه سليم ضده , وأقام لنفسه مملكة مستقلة في الله أباد , وفي سنة(١٠١١ هـ/ ١٦٠٢م) أصيب السلطان أكبر بصدمة قوية عندما علم أن ابنه سليم اتفق مع واحد من قطاع الطرق لقتل صديقه أبي الفضل بن مبارك[٣], ومع هذا فإن العلاقات قد تحسنت بين السلطان أكبر قبيل موته وبين ابنه فأعلنه قبيل موته ولياً للعهد , واحتفل بهذا الإعلان احتفالاً مناسباً , غير أن الأمير سليم لم يكن محبوباً من الشعب , ولهذا فقد حاول جماعة من الراجبوت الموجودين في البلاط الإمبراطوري أن يجعلوا ولاية العهد للأمير خسرو إلا أن هذه المؤامرة فشلت , وأصيب السلطان أكبر بـ«إسهال حاد» عجز الأطباء عن علاجه , وكان هذا المرض السبب في وفاته[٤] وذلك في سنة(١٠١٣هـ/١٦٠٥م)[٥]وكانت مدة سلطنته خمسين سنة[١], فدفن في ضريحه الذي

---

[١] **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٠٢-١٠٤.**

[٢] **فرشته , تاريخ فرشته , مج٢ , ص٣٨١-٣٨٣ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢, ص١٢٦-١٢٧ , الجوارنة , المعارك الإسلامية في الهند , ص١٤١ .**

[٣] **فرشته , تاريخ فرشته , مج٢ , ص٣٧٨-٣٨٣ ؛ Ikram , Muslim Civilization, 146.**

[٤] **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٠٧-١٠٨.**

[٥] **العيدروس , النور السافر , ص٣١٣ ؛ ابن عماد الحنبلي , شذرات الذهب , ج١٠ , ص٥٧٣ .**

كان قد بدأ بناءه في مدينة سكندرا والذي أتمه فيما بعد ابنه السلطان جهانجير , وفي عهد السلطان عالمكير «أورنجزيب» دُمّرَ هذا الضريح ونبشوه , وأخرجوا عظام السلطان أكبر وأحرقوها وذروها في الهواء[2] .

المبحث الرابع

السلطان جهانجير وأعتلاءه العرش

وهو السلطان نور الدين محمد جهانجير بن أكبر بن همايون بن بابر الكوركاني أحد سلاطين الهند ولد (يوم الأربعاء ١٣ربيع الأول سنة٩٧٧هـ/٣٠آب ١٥٦٩م) بمدينة أكبرآباد من أم هندوسية

---

[1] لوبون , غوستاف , حضارات الهند ترجمة عادل زعيتر , مطبعة (دار إحياء الكتب العربية – سوريا) , ص٢٢٣.

[2] الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٠٨.

وهي ابنة راجا جيبور بيهار مال , تولى المملكة بعد والده (يوم الخميس ١٤جمادي الآخرة سنة١٠١٤هـ/ ١٧تشرين الاول ١٦٠٥م) , وكان اسمه سليم سمّاه به والده على اسم الشيخ سليم بن بهاء الدين السيكروي؛ لأن الشيخ بشّر به والده قبل ولادته ودعا له , فلما استقل بالملك لقّب نفسه نور الدين محمد جهانجير[١] وجهانجير تعني « فاتح العالم » أي آخذ الدنيا ومالكها[٢]. حاول السلطان أكبر في أيامه الأخيرة استبعاد ابنه سليم« جهانجبر» عن ولاية العرش لصالح حفيده خسرو بن جهانجير؛ وذلك لعدة أسباب كان من أبرزها الجفوة بين الاثنين مما دفع الأمير جهانجير إلى الثورة على والده مستغلاً انشغاله في حملته على الدكن , والسبب الثاني قيام الأمير جهانجير بقتل وزير أبيه وصديقه الحميم أبي الفضل بن المبارك , مما أغضب السلطان أكبر, أما السبب الثالث فهو التفاف عدد من الأمراء حول السلطان أكبر في آخر أيامه لإقناعه بتنحية جهانجير عن ولاية العهد , والعهد بها إلى حفيده خسرو , وحال دون تحقيق هذا الأمر, هو حُسن تدبير الأمير جهانجير حين قدم إلى أبيه معتذراً عما بدر منه من عصيان وعقوق في السابق[٣] ويبدو لي إن السلطان أكبر كان مضطراً للصفح عن الأمير جهانجير على الرغم مما قام به من أعمال؛ وذلك لأنه أضحى الوريث الوحيد للعرش بعد وفاة أخويه المبكرة مراد ودانيال وهذا ما أكده السلطان جهانجير بنفسه حين ذكر في يومياته التي كتبها بخطه و المسماة «توزك جهانجيري» , حين قال : (جلست على عرش الملك وأنا في الثامنة والثلاثين من عمري , وكان لا يبقى لوالدي أحد من الأولاد)[٤] كانت شخصية السلطان جهانجير متناقضة بعض الشئ فهو قاسٍ في تعاملاته إلى حد

كبير وفي الوقت نفسه موهوبٌ بحس جمالي رائع وحب حقيقي للطبيعة[٥],كان على درجة كبيرة من الثقافة , شغوفاً بالمعرفة التي أنشأه أبوه عليها, متشبثاً بالتسامح المطلق الذي دأب أبوه على غرسه في نفسه[٦],وكان قوي البنية مليح الوجه متناسق الأعضاء ,وقد تثقف بالثقافتين

---

(١) Jahangir , The Jahangirnama(memoirs of Jahangir, Emperor of india) , (Gallery Smithsonian institution –1999) , 30 ؛ الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٥١٦-٥١٧ . Richards , The Mughal Empire ,94.

(٢) Ikram , Muslhm Civilization in India,145. ول وايرل , ديورانت , قصة حضارة الهند وجيرانها , ترجمة زكي نجيب محمود , دار الجيل للنشر والطبع –بيروت , مج١, ج٣ , ص١٤٦ .

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص٩٤ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ,ج٢ ,ص١٦٤ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية و الهند , ص٢٦١.

(٤) الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٥, ص٥١٧ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٢٨, ٢٣٠ .

(٥) المشهداني , تاريخ الدول الإسلامية في آسيا , ص٢٠٦.

(٦) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ,ج٢ , ص١٦٥.

الفارسية والتركية,كما نهل كثيراً من المعارف الهندية , واشتهر بالشجاعة والجرأة[١].

أصدر السلطان جهانجير فور اعتلائه العرش دستوراً أسماه «دستور أمل» , حدد فيه سياسته الداخلية, من خلال اثنتي عشرة وصية وجهها إلى عماله, ليسيروا على هديها في علاقاتهم برعاياهم وتدبيرهم لشؤون الدولة , وقد نظّم هذا الدستور وظائف الدولة ومناصبها المدنية والعسكرية والدينية على السواء , وفسّر شؤون الميراث وقوانين الضرائب , ودفع عن كاهل الأهالي ما كانوا يلزمون بدفعه للولاة والعمال من الضرائب ليفيدوا منها لأنفسهم , كما حظر تطبيق العقوبات التي تؤدي إلى جدع الأنف أو قطع الأذن أو بتر أيّ عضو من أعضاء البدن مهما بلغ عظم ذنب المذنب , وحرّم على الولاة والعمال استعمال أقاربهم في مناصب الولايات , وحثهم على إضفاء الأمن والطمأنينة على الناس فلا تُغتصب أملاكهم أو أموالهم , كذلك نظّم هذا الدستور مسكوكات الدولة من الذهب والفضة والنحاس وجعل لكل صنف منها علماً مرسوماً , ونهج السلطان جهانجير نهج أبيه السلطان أكبر في التشبث بالتسامح المطلق إزاء رعاياه من الهندوس على الخصوص فقربهم إليه وفتح لهم باب المناصب الرفيعة في الدولة , والثابت أن هذه السياسة قد ساعدت في كثير من الأحوال على إقرار السلام في أراضي الدولة المغولية المترامية الأطراف أكثر مما عاونت عليه قواتها العسكرية وآلاتها الحربية[٢], شارك السلطان جهانجير في الأحداث السياسية في سن مبكرة , فقد عُينّ في منصب قائد لعشرة آلاف وهو في التاسعة من عمره , وعندما بلغ السادسة عشرة رُقيّ إلى منصب قائد لاثني عشر ألفا , فاكتسب بذلك خبرة كبيرة[٣].

أبرز المشاكل التي واجهت السلطان جهانجير

- **ثورة ابنه خسرو**

كان الأمير خسرو الابن الأكبر للسلطان جهانجير ينافس أباه في الملك فقد التف حوله في آخر أيام أكبر عدد من الأمراء ورشحوه لتولي عرش المغول بعد جده , ولكنهم لم يوفقوا في مسعاهم , ومع هذا فقد أتى خسرو إلى القصر بعد تولي السلطان جهانجير العرش , فأكرمه أبوه , ولكنه لم ينس له مسعاه السابق , فأمره أن يقيم في قلعة أكرا تحت المراقبة , وبعد مدة قصيرة تمكن خسرو من الفرار في (٢٨ ذي العقدة ١٠١٤ هـ/ ٦نيسان ١٦٠٦م) , وقصد البنجاب واستطاع بمساعدة بعض الحكام أن يُكّون جيشاً ويتقدم لحصار مدينة لاهور , وبالمقابل أرسل السلطان جهانجير جيشاً لمقاتلة وتأديب ابنه , وكانت النتيجة هي هزيمة خسرو محاولاً الهرب , ولكنه قُبِض

---

(١) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول ,ص١٣٤ .**

(٢) **طقوش, تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٦٢ .**

(٣) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٣٤.**

عليه وحُمل إلى الأسر , وبقي فيه إلى أن مرض ومات في سنة(١٠٣١هـ/ ١٦٢١م) [١].

– **حروب السلطان جهانجير:**

لم يزد السلطان جهانجير من مساحة الهند الإسلامية كثيراً ولكنه تمكن من الاحتفاظ بأملاك أبيه فأضاف إليها بعض الولايات[٢], فقد ترك السلطان أكبر دولة واسعة مترامية الأطراف , ولم يبق إلا القليل من الأقاليم الهندية لم تطالها يد السيادة المغولية , وبذلك خفف عناء المعارك والحروب إمام ولده جهانجير, ومع أن السلطان جهانجير حكم قرابة ثلاثة وعشرين عاماً إلا أنه لم يحدث في عصره إلا بعض المعارك البسيطة والتي لم يكن لها أثرٌ عميقٌ على تاريخ الهند وثقافتها[٣]

– **اضطرابات البنغال :** أدى اضطراب الأحوال في البنغال لكثرة توالي الحكام عليها وقصر إقامة كل واحد منهم به إلى أن جمع الأفغان هناك شملهم من جديد , فبدأوا بزعامة من يدعي عثمان أفغان يثيرون القلاقل والفتن , حتى قدم إليهم القائد مهابت خان فقضى على عصيانهم وأقرّ الأمور في هذه البلاد من جديد سنة(١٠٢١هـ/١٦١٢م) , وكان لحسن صنيع السلطان جهانجير مع زعماء الثوار في البنغال , حين عفا عنهم وقلّد بعضهم مناصب في الدولة , أكبر الأثر في ركونهم إلى طاعته وتفانيهم في خدمته[٤] .

– **الاضطرابات في موار:** عندما اعتلى السلطان جهانجير عرش المغول , قرّر أن يتابع ما بدأه والده بالسيطرة على إقليم موار, والمعروف أن السلطان أكبر لم يحقق نجاحاً كبيراً في موار , وكان حاكمها آنذاك رانا أمار سينغ الذي واصل تحديه للسلطان , فأرسل جهانجير إليه جيشاً إلا أنه لم يحقق نجاحاً يذكر, ثم قام بإرسال حملة أخرى في(١٠١٧هـ/١٦٠٨م) بقيادة مهابت خان واستطاع هذا أن يطارد العدو ويدفعه إلى الالتجاء إلى التلال والمرتفعات , ولكنه لم يحرز نصراً حاسماً , فاضطر جهانجير أن يرسل الأمير خرم « شاهجهان» لإتمام القتال , فاستطاع بمهارته أن يحرز أكثر من نصروأن يتبع الراجبوت في فرارهم , واضطر الرانا نفسه أخيرا أن يطلب إيقاف القتال , وأن يعلن خضوعه لنفوذ المغول , ولكنه اشترط أن يعفى من المثول بين يدي الامبراطور , فأجيب إلى طلبه , كما وافق على أن يقدم للدولة ألف حصان , وقد وافق جهانجير على ذلك[٥].

–**الاضطرابات في الدكن :**

---

(١) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٢٨.**

(٢) **مؤنس , د.حسين , أطلس تاريخ الإسلام ,ط١ الزهراء للأعلام العربي – القاهرة –١٩٨٧م , ص٢٥٨ .**

(٣) **الجوارنة , المعارك الإسلامية في الهند , ص ١٤٤.**

(٤) **الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ ,ص١٦٩–١٧٠.**

(٥) **الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ ,ص ١٦٩– ١٧٠ .**

تابع السلطان جهانجير منذ توليه العرش سياسة أبيه التوسعية في الدكن, وقد استمرت حروبه المتتابعة ضد إمارة أحمدنكر طول عهده, وعين الأمير خرم قائداً لجيوش الدكن فاستولى على برهانبور سنة(١٠٢٦هـ/١٦١٧م) وأجبرهم على قبول الشروط التي أملاها الإمبراطور, فسُلّمَت مفاتيحها إلى الأمير خرم, وقد أجزل الإمبراطور مكافأة ابنه ورقاه إلى رتبة قائد لثلاثين ألفاً وأضفى عليه لقب شاهجهان أي ملك العالم وهو اللقب الذي عرف به بعد ذلك في التاريخ , وبعد أن غادر خرم« شاهجهان» بلاد الدكن سنة(١٠٢٩هـ/١٦٢٠م) , حتى عاد الملك عنبر إلى تمرده ونقض المعاهدة , وأرسل شاهجهان إلى الدكن للمرة الثانية , فأسرع الملك عنبر إعلان خضوعه وعقد شاهجهان الصلح بالشروط السابقة نفسها , إلا أن الملك انتهز فرصة المتاعب التي أصابت الدولة بضياع قندهار ورفض شاهجهان التقدم لاستعادتها , وأعلن الثورة , حيث عقد حلفاً مع الملك عنبر , ولكن لم يكد يصل القائد المغولي مهابت خان من الشمال حتى رفع الحصار , وعقد الصلح مع السلطان سنة(١٠٣٠هـ/١٦٢١م) , من هذا يتضح أن سياسة السلطان جهانجير التوسعية في الدكن لم تصب نجاحاً يُذكر , وكانت عبقرية الملك عنبر وسياسته الفذة هي السبب في المتاعب التي أصابت المغول في عهد السلطان جهانجير[١].

-زواج السلطان جهانجير من نور جهان وأثره على الحياة السياسية

للمرأة تأثير كبير في أعمال الرجل , مهما يكن نوعها وفي أي عصر كان وأية أمة كانت , وأن اختلف مقدار ذلك التأثير بأختلاف عادات الامم وآدابها[٢], لم يكن يعني المؤرخين أمر زواج السلطان جهانجير من نورجهان لولا ما أحدثه من تحولٍ كبيرٍ في الجانب السياسي في الامبراطورية المغولية , وما أعقبه من تطورات[٣]. ونورجهان [٤] كانت نادرة الجمال ففتتن بها السلطان جهانجير فلما علموا ذلك زوجوها بشخص غيره يدعى علي قلي الأصفهاني, وهو قائد عسكري ,كان الأمير

---

[١] الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول ,ص ١٧٠-١٧٢.

[٢] زيدان , جرجي , تاريخ التمدن الإسلامي , (دار الهلال – مصر-١٩٧٣),ج٤, ص١٨٥ .

[٣] النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٢٢ .

[٤] اسمها(مهر النساء) وهي بنت اعتماد الدولة غياث الدين محمد شريف الطهراني , انتقل والدها من طهران إلى الهند بعد وفاة والده في(٩٨٤هـ/١٥٧٦م) فلما وصل قندهار , ولدت مهر النساء وجاءت مع والديها إلى فتحبور في أيام أكبر ونشأت هناك وتعلمت الخط والحساب وعلوم أخرى , للمزيد عنها ودورها ينظر: الندوي , الإعلام ,(نزهة الخواطر) ج٥ , ص٦٦٠-٦٦١ .

Shirazi, Kami, Fath Nama-I Nur Jahan Begam,(Rampur Raza Library-2003) Firishtah ,Muhammd Qasim, Hindu Shah Asrabadi . From the Death of Akbar ,(Dahinam Pubishers – 2003) , 13.

سليم« جهانجير» قد كافأه على شجاعته عندما قتل أحد النمور بأن منحه لقب شير أفغان[١] هذه الرواية تؤكد أن السلطان جهانجير أحبها قبل أن تتزوج , وما كان أمر زواجها إلا لإبعادها عن طريق السلطان جهانجير , لكن هناك من المؤرخين من يقول إن زوجها كان يعتزم الخروج عن السلطان والقيام بثورة فعلم به فأرسل بطلبه فرفض الإذعان وحاول قتل أحد الحرس فبادر الحرس بقتله وأُرسلت نورجهان وابنتها إلى البلاط حيث عينت وصيفة للملكة الام ثم قدّر للسلطان جهانجير أن يراها في السوق , فأحبها وتزوجها[٢], وهذه الرواية تؤكد أن السلطان جهانجير شاهدها وأحبها بعد مقتل زوجها , وثمة رواية ثالثة تقول بأن السلطان جهانجير شاهد نورجهان« مهر النساء » فأحبها وافتتن بها وأراد أن يتزوجها , فأرسل قطب الدين ليقنع زوجها شير أفغان بتطليق زوجته ليتزوجها السلطان , فرفض وثار, وحاول قتل قطب الدين[٣], وتبدو هذه الرواية أقرب إلى الحقيقة والواقع والتصديق؛ نظراً للاحوال التي صاحبتها ومهما يكن من أمر فقد أبدى السلطان رغبته في الزواج من مهر النساء ولكنها رفضت في بداية الأمر,ثم قبلت وتزوجها بعد أربع سنوات من مقتل زوجها , وسماها نورجهان أي نور الدنيا أو نور العالم [٤] تمتعت نورجهان بمكانة ونفوذ كبير لم يسبق لامبراطورة من المغول أن حظيت بمثلها فقد أغدق عليها السلطان جهانجير من الألقاب والأوسمة ونالت ثقة كاملة من السلطان من خلال احتفاظها بأسرار الامبراطورية المغولية[٥] وهكذا دخل بلاط السلطان عاملاً جديداً , أو عنصراً جديداً كان له أثر كبير في توجيه سياسة الدولة , وما وقع فيها من الفتن والأحداث الكثيرة , وصارت لنورجهان سطوة على السلطان حيث تدخلت في كثير من الأمور السياسية والإدارية , فكانت تصدر الأوامر بتوقيعها مع توقيع الملك , وبلغ من حبه واعتزازه بها أن أمر بضرب اسمها على السكة إلى جانب اسمه , وهي حالة فريدة لا نجد لها مثيلاً في تاريخ العملة الإسلامية , وجلست في شرفة قصرها تستقبل الأمراء والأعيان والأشراف كما يفعل الملك, وأصبح لأهلها والمتصلين بها النفوذ الأكبر في المملكة, فصار أبوها رئيساً للوزارة بلقب اعتماد الدولة[٦], وأخوها آصف خان[٧] رئيساً لتشريفات الامبراطور, فانتقلت السلطة الحقيقية

---

(١) **الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٦٦٠-٦٦١؛ الشيال, تاريخ دولة أباطرة, المغول , ص١٣٢.**

(٢) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة, المغول , ص ١٣٢.**

(٣) **الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٧٧.**

(٤) **النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٣٣؛ ول وايرل , قصة حضارة الهند وجيرانها , مج١ , ج٣ , ص١٤٦ .**

(٥) **Pant ,Chandra, Nur Jahan Her Family, Dandewal Publishing House -1978 ,110.**

(٦) **النمر , تاريخ الإسلام في الهند ,٢٣٢.**

(٧) **للمزيد من المعلومات عن آصف خان ينظر: Shirazi, Fath Nama-I Nur Jahan Begam,24**

الحقيقية إلى نورجهان وأهلها والمقربين إليها , بينما كان السلطان جهانجير منغمساً في ملذاته , فأتيح لها بذلك أن تتدخل في ولاية العهد , وأن تعمل على تفضيل أحد أبناء السلطان جهانجير على إخوته الآخرين , فترتب على ذلك فساد وحرب بين الإخوة [١] على الرغم من ذلك فقد كانت نورجهان تمتاز بطيب القلب , فعملت دائما على مساعدة الفقراء , ويقال إنها تبرعت بصداق مئات من البنات عند زواجهن , وكان خير ما يميزها قدرتها النادرة على فهم المعضلات والعمل على حلها , وطموحها الذي لا حد له, وإرادتها االقوية , ولهذا سرعان ما استولت على النفوذ في يديها , وأصبحت القوة الفاعلة وراء العرش,ولتوكيد صلتها بالبيت المالك , عملت على زواج الأمير خرم « شاهحهان » من ابنة أخيها آصف , وكان لها بنت من زوجها الأول الذي قتل , فزوجتها لابن السلطان جهانجير الأصغر شهريار ثم بدأت تعمل على أن يكون زوج ابنتها ولياً للعهد , وراحت تقنع السلطان بتعيينه بدلاً من أخيه شاهجهان , وقد رأت فيه الشخصية الضعيفة التي لا تصلح لأن تكون أداة طيعة في يدها في الوقت الذي خشيت على مستقبلها السياسي من قوة شخصية الأمير شاهجهان , الأمر الذي أدى إلى حرب بين الأخوين[٢].

- **ثورة شاهجهان**

يبدو أن من الأسباب الرئيسة التي كانت وراء ثورة شاهجهان سنة(١٠٣٢هـ/١٦٢٣م) هي محاولة إقصائه عن ولاية العهد لصالح أخيه الأصغر شهريار بتأثير السلطانة نورجهان , كما أشرنا سابقاً , ومن الجدير بالذكر إن هذا السبب لم يكن الوحيد , فهناك حادثة أخرى أثرت سلباً على العلاقة بين الأب والابن وزادت التباعد بينهما , فقد سبق وأن طلب شاهحهان من أبيه منحه إقطاع دهلبور وتوقّع أن يلبي طلبه , لذلك أرسل قواته إليها , لكن نورجهان تدخلت بالقضية وأقنعت السلطان بمنحها لابنه شهريار بدلاً منه , وهذا ما أثار شاهجهان وقرّر الخروج على حكم ابيه, ومن العوامل التي شجعت شاهجهان على أن يشق عصا الطاعة ويعلن الثورة علناً هو حالة السلطان جهانجير من انغماسه بالملذات , وغياب دوره السياسي , وعندما علم السلطان بذلك طلب من ابنه شاهجهان أن يرسل قواته إلى العاصمة وهو يريد تجريده منها حتى يُضعف موقفه , فرفض شاهجهان ذلك وراح يستعد للقتال سياسياً وعسكرياً , فعلى الصعيد السياسي , حاول شاهجهان التقرب من الشاه عباس الصفوي , فأرسل إليه رسولاً من قبله هو زاهد بك[٣] .

---

(١) **النمر , تاريخ الإسلام في الهند ,٢٣٢.**

(٢) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٣٢-١٣٣؛ Pant , Nur Jahon Her Family,62-63 ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٦٨-٢٦٩ .**

(٣) **Pant , Nur Jahon Her Family , 61-65.**

أما على الصعيد العسكري , فقد بدأ استعداداته العسكرية من خلال جمعه المؤن من ولايات الجنوب وخزنها , ويجمع العساكر لتهيئتها للمواجهة وفي المقابل أرسل جهانجير الأمير برويز والقائد مهابت خان لقمع الثورة , فجرى اشتباك بين الطرفين أسفر عن خسارة شاهجهان وطاردوه , فانفض عنه ضباطه وانضموا إلى الجيش السلطاني , فشعر عندئذ بعجزه عن الاستمرار في الثورة والمقاومة , فطلب من والده الصفح عنه معتذراً عما بدر منه , فكتب السلطان رسالة بخط يده في سنة(١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م) وافق بموجبها على العفو عنه شرط أن يرسل ولديه داراشكوه وأورنجزيب وكانا صغيرين, رهائن ويسلم جميع ما استولى عليه أتباعه , هكذا فشلت ثورة شاهجهان التي شغلت الدولة على مدى ثلاثة أعوام فهزت أركانها وزعزعتها ,ويظهر من خلال ما سبق أن ابرز أسباب فشلها هي حسابات شاهجهان الخاطئة في اعتقاده بمساندة عمه آصف خان والد زوجته ضده أبيه السلطان الذي كان بعيداً عن ممارسة الحكم ومشغولاً بملذاته وكذلك مساندة الأمراء الذين تضايقهم تصرفات السلطانة, وأنه سوف يقدر هؤلاء الأمراء التضحيات التي قام شاهجهان تجاه الدولة, كما ظن أن السلطان ليس باستطاعته أن يجّند قوات تضارع أو تنافس قواته[١]

-ثورة مهابت خان ووفاة السلطان جهانجير

مهابت خان وهو الأمير الكبير زمانه بيك الكابلي خان خانان القائد الكبير,كان من الرجال المعروفين بأرض الهند , تقرب في صغر سنه إلى الأمير سليم« جهانجير» ونال منزلة رفيعة عنده فلقبه مهابت خان, ولما جلس على سرير الملك أعطاه العديد من المناصب الرفيعة , و ولاه على كابل فاستقل بها زماناً صالحاً , و ولاه على بنغالة في آخر أيامه[٢] .

وكان مهابت خان قائداً محبوباً من الجيش ومقرباً من الأمير برويز ابن الملك بشكل خاص؛ فساء ذلك نورجهان لأنها تحب شهريار زوج ابنتها , ونسبت إليه خيانات في عمله ببنغال , فاستدعاه السلطان جهانجير وكان في طريقه إلى كابل لإخضاعها فحضر مع بضعة آلاف من جنوده الشجعان , وهناك في كشمير كانوا يعدون للجيش جسراً يعبر عليه , ومرّ عليه أكثر جنود السلطان , وبقي منهم القليل , فانتهز مهابت خان الفرصة وهجم على السلطان وأسره سنة(١٠٣٦ هـ/ ١٦٢٦م) وصار واقعاً تحت سلطانه , وإن كان قد أدى له ما يجب من التوقير والاحترام , وظل شهوراً على ذلك حتى استطاعت نورجهان بسياستها وبما أنضم للسلطان من جنود أن تخلصه من سيطرة مهابت خان , ففّر إلى الجبال وطلب العفو, فرأت نورجهان أن تعفو عنه لتستعمله ضد

---

[١] **طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ٢٧١-٢٧٢ Pant , Nur Jahon Her Family,61-65.**

[٢] **الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٥٣١ ؛ Shirazi, Fath Nama-I Nur Jahan Begam , 8-9.**

خرم« شاهجهان» الذي كان يريد الفرار إلى فارس, ثم رجع إلى الدكن حيث مزارعه وإقطاعه , فذهب إليه مهابت خان وبدلاً من تعقبه انضم إليه , وأصبح من أنصاره وفي هذه الأثناء توفي برويز, وقام بعد عنبر الحبشي في الدكن ياقوت الحبشي فأعلن الحرب على المغول , وأرسل له السلطان جهانجير جيشاً وذهب هو إلى كشمير ليقضي فيها بعض الوقت كما هي عادة السلاطين , وهناك عاوده مرض ضيق التنفس وكان شديداً , فعادوا به ولكنه اشتدت به العلة وتوفي في الطريق في سنة(١٠٣٧هـ / ١٦٢٧م) , ودفن في لاهور[١] وكان ابنه شهريار مقيماً في لاهور, فبادرت السلطانة نورجهان أم زوجته بمساعدته حتى استولى على خزانة الدولة ثم أعلن نفسه امبراطوراً , أما الابن الأكبر ولي العهد شاهجهان , فكان يقيم في الدكن , أخبره آصف خان بنبأ وفاة والده فتقدم بالحال بجيشه نحو لاهور واستطاع أن يهزم شهريار وأن يقبض عليه , ويسجنه , بعد أن سمل عينيه , أما السلطانة نورجهان فقد انسحبت في صمت وعاشت في عزلة , وكان السلطان شاهجهان باراً بها فأكرمها وعاملها باحترام وأجرى لها راتباً سنوياً حتى أدركها الموت[٢] .

المبحث الخامس

السلطان شاهجهان (١٠٣٧-١٠٦٨هـ/ ١٦٢٧-١٦٥٨م)

وهو السلطان شهاب الدين محمد شاهجهان بن جهانجير بن أكبر شاه , ولد في ربيع الأول

---

[١] النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٣٥.

[٢] Shujauddin ,Mohammad Shujauddin and Razia,The Life and Times of Noor Jahan , Caravan Book Hose ,1967 ,136 ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٣٥-١٣٦.

سنة(١٠٠٠هـ/١٥٩١م) بمدينة لاهور من أم هندوسية , قام بالملك بعد والده , وكان اسمه خرم والذي يعني « مسروراً » سماه بهذا الاسم جده أكبر ولقبه والده شاهجهان, ولما قام بالملك تلقب شهاب الدين محمد[١] اتصف السلطان شاهجهان برجاحة العقل والذكاء وقوة العزيمة حتى كان جده السلطان أكبر شديد الاعتزاز به , وقد عرف بصلاحه [٢], وكان طيب النفس , معظّماً للشريعة الإسلامية , ملتزماً بالفرائض الشرعية شغوفاً ببناء المساجد[٣] تولى العرش في (٢٨جمادي الأولى ١٠٣٧هـ / ٤شباط ١٦٣٨م) , فخطب باسمه على منابر المساجد في جميع أنحاء الهند , وضرب اسمه على السكة الجديدة , وسُحبت من الأسواق العملة التي كانت تحمل اسم نورجهان[٤],كان أول عمل اتخذه السلطان شاهجهان أنه عيّن آصف خان وزيراً , ولقبه بيمين الدولة , وأطلق يده في تسيير الشؤون العامة , وقام بالعديد من الإصلاحات في مختلف المجالات مركزا على الجوانب الدينية والإدارية[٥], فكان عصره عصر رخاء ورفاهية لم تشهد له الهند من قبل مثيلاً, وساعد على ما تجمع ما في خزانته من الثروات الضخمة التي خلفها أبوه وأجداده[٦] .

المشاكل التي واجهت السلطان شاهجهان

-ثورات الدكن

تعرض السلطان شاهجهان في بداية حكمه لبعض الثورات في الدكن ,كان منها ثورة راجا ججهار سنغ سنة(١٠٣٨هـ/١٦٢٩م) في بندلخند , وقد ورث هذا الأمير الهندوسي عن أبيه أموالاً طائلة فجال بخاطره أن يناهض الدولة في قوات أبيه السابقة , وكانت بدورها وفيرة العدد , حتى اضطر السلطان أن يسير إليه قائده مهابت خان فأرغمه على الاستسلام له , ليعاود عصيانه في العام الثاني من جديد , وينطلق ينهب أراضي جيرانه من الهندوس , ولكن خروجه هذا أدى إلى مقتله , وفرغ السلطان شاهجهان من هذه الفتنة لتنطلق قواته في العام الثاني من حكمه في أثر قائد أبيه السابق خان جهان حين أشعل بالدكن نيران ثورة ثانية , فقد عمد هذا القائد الأفغاني , عقب وفاة السلطان جهانجير وقبل بلوغ السلطان شاهجهان العاصمة إلى الزحف إلى ماندو والاستيلاء على مقاليد الحكم فيها , و أطمعه عفو السلطان عنه من بعد ذلك حين ولاه بعض الدكن , فانطلق

---

(١) الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٥ , ٥٣٦ ؛ Richards , The Mughal Empire ,119

(٢) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٨٦.

(٣) الندوي ,أبو الحسن علي الحسني , رجال الفكر والدعوة في الإسلام (الإمام السرهندي والإمام الدهلوي) ط٤ دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (سوريا -٢٠٠٩م) , مج٣ ج٤ ص٣٢٧.

(٤) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٣٧.

(٥) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢, ص١٨٧-٢١٢ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٧٩.

(٦) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٤٧.

يعنف الناس ويرتكب المظالم والجور, فسيّر جيشاً مازال يطارده حتى ظفر به في سنة(١٠٣٩هـ/١٦٣٠م) فتم قتله[١] .

- **القحط والمجاعة**

فضلاً عن الثورات والمتاعب السياسية التي تعرضت لها الهند في عهد السلطان شاهجهان , تعرضت الهند ابتداءً من السنة الرابعة لحكمه وعلى مدى عامين (١٠٣٩-١٠٤١هـ/١٦٣٠-١٦٣٢م) لموجة من الجفاف؛ بسبب انحباس الامطار الموسمية , نتج عنها قحط ومجاعة خطيرة لكن مظاهرها كانت أكثر قساوة في الكجرات والدكن , واستفحلت بانتشار الأوبئة الفتاكة بين السكان , وراح ضحيتها عدد كبير من الهنود , وعلى الرغم مما بذله السلطان من جهود كبيرة لإغاثة الناس وتخفيف عنهم وطأة الجوع , مثل إمدادهم بالكثير من المؤن والأرزاق والأموال , وإقامة المطاعم المجانية لهم وإعفائهم من الكثير من الضرائب المفروضة عليهم , لكن صعوبة المواصلات, وازدحام الطرقات بالنازحين , قد عوّق كثيراً عمليات الإغاثة , حتى باع الناس أولادهم وأكلوا الجيف , وكثيرا ما سُدّت الطرقات بآلاف الجثث , وأقفرت قرىً بأكملها من سكانها[٢]

- **علاقة السلطان شاهجهان بالبرتغاليين**

لم يَسِر السلطان شاهجهان على خطا أبيه وجده في طبيعة علاقته مع البرتغاليين فقد شملوهم برعايتهما , وفي رحاب هذه الرعاية استقروا في هوكلي , وعملوا على تنمية ثرواتهم , فبنوا عدداً من المحلات , وأقاموا حولها الحصون لحمايتها والدفاع عنها , ولكن السلطان شاهجهان بدأ يدرك مدى خطورة هذا العنصر الأوربي , وظل يرقب الفرصة السانحة لتأديبهم وإيقافهم عند حدهم , وقد سنحت هذه الفرصة في سنة(١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) , فقد لاحظ السلطان شاهجهان أن البرتغاليين بعد استيلائهم على بعض القرى فبدأوا بسياسة استبدادية, حيث يستغلون الامتيازات التي منحهم إياها الأباطرة السابقون استغلالاً سيئاً , ففرضوا على الأهالي ضرائب خاصة كانوا يجمعونها ويستعملونها في مصالحهم الخاصة , وكان لهذا آثار سيئة في إيرادات الدولة , كما كان البرتغاليون يمارسون تجارة الرقيق , ويستعملون في تجارتهم هذه مختلف أساليب العنف والقسوة , وكثيراً ما كانوا يخطفون الأطفال الأيتام من الهنود والمسلمين على السواء ويصدرونهم إلى الخارج , وكان القسيسون ورجال الدين من البرتغاليين يثيرون الكره في نفوس الهنود بتعصبهم الشديد المقيت فقد كانوا يبذلون الجهود لتنصير الهنود بالعنف والقوة , ومع هذا لم يلاقوا إلا نجاحاً ضئيلاً[٣]كما كانوا يتدخلون في شؤون الدولة التي يعيشون في كنفها ويتآمرون عليها مع التجار الهولنديين

---

(١) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢, ص١٩٠.

(٢) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٣٨ ؛ طقوش , تاريخ القبيلة الذهبية والهند , ص٢٨١-٢٨٢.

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٤٠.

وغيرهم من الأوربيين الذين كانوا يفدون إلى هذه البلاد لاستغلال مواردها , ويشجعون بعض الخارجين على سلطان الدولة من أبنائها على العصيان , وقد أثار البرتغاليون غضب السلطانة ممتاز محل باعتقالهم فتاتين من جواريها حين نزل على مقربة من محلتهم , هذه التصرفات الوقحة أثارت سخط السلطان شاهجهان على البرتغاليين , ولتأديبهم والحد من نفوذهم , أصدر أمراً بتعيين قاسم خان على البنغال سنة(١٠٤٠هـ/١٦٣١م) وعهد إليه بتدمير مستعمرة البرتغاليين واقتحام مراكزهم وتشتيتهم وعلى الرغم من امتناع هؤلاء الدخلاء في حصون قوية,كانوا قد عمروها بالمدافع وشحنوها بالبنادق والرجال , حاصر الجيش المغولي البرتغاليين , استمر ثلاثة أشهر ودارت معركة هوكلي انتصر فيها المغول وأسفرت هذه المواجهة عن قتل حوالي عشرة الآف من البرتغاليين , في حين قُتل من المسلمين حوالي ألف مقاتل[١]. وهكذا انتهت المعركة بالقضاء على البرتغاليين ونفوذهم وبتحرير عشرة آلاف هندي كانوا في أسرهم .

–ضم الدكن

لم يكن الصراع بين المغول وإمارات الجنوب في الدكن مجرد صراع سياسي, بل هو صراع مذهبي أكثر مما هو سياسي , فمن الناحية السياسية أراد السلطان شاهجهان مواصلة الفتوح التي بدأها جده وأبوه من قبل في الدكن لتوحيد شبه القارة الهندية تحت سيطرة المغول , أما من الناحية المذهبية فقد كان إمراء الدكن يتعاونون مع الصفويين في بلاد فارس, ويحاولون نشر بعض المذاهب لاسيما في شمالي الهند ووسطها , والمعروف أن حكام المغول كانوا متمسكين بمذاهبهم, ويحرصون على منع انتشار المذاهب الأخرى في المناطق التي يسيطرون عليها ؛ وهو السبب الرئيس الذي جعل السلطان أكبر يركز جهوده العسكرية لغزو إقليم الدكن , وفي عهد السلطان جهانجير استغلوا أحوال الدولة المغولية ليخلعا الولاء للسلطان المغولي ويعلنا استقلالهما ويوسعا أراضيهما[٢]. ولهذا لم يحقق أي نجاح في الدكن , اندفع السلطان شاهجهان لإتمام سياسة أبيه وجده التقليدية في حماس شديد , فقد كانت العوامل السياسية وحدها هي التي تحرك السلطان أكبر والسلطان وجهانجير, أما السلطان شاهجهان فقد كانت تدفعه حماسته الدينية على التشدد على إمارات الدكن فخرج من عاصمته سنة(١٠٤٦هـ/١٦٣٦م) متوجهاً إليها , إلى جانب العوامل السياسية , وقد أصاب السلطان شاهجهان نجاحاً لم يصبهُ أبوه وجده وذلك لعدة أسباب أبرزها أنه كان خبيراً بأحوال الدكن صغيرها وكبيرها ,كما حدثت مجاعة خطيرة في الإقليم يسّرت له سبل

---

(١) الساداتي , تاريخ المسلمين في الهند ,ج٢ , ص١٩٢–١٩٣ ؛ الجوارنة , المعارك الإسلامية في الهند , ١٤٩.

(٢) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢, ص١٩٥؛ طقوش , تاريخ القبيلة الذهبية والهند, ص ٢٨٢–٢٨٣.

النجاح , هذا فضلاً عن وفاة عنبر عدوه الأكبر في الدكن وبذلك لم تقم بعده معارضة أو دفاع يذكر, وبذلك خضع الدكن لملك المغول, وعين السلطان شاهجهان ابنه الثالث أورنجزيب ولم يكن قد جاوز الثامنة عشرة من عمره حاكماً عليه وعاد السلطان الى أكرا سنة (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م)[١].

سياسة السلطان شاهجهان في أواسط آسيا

أراد السلطان شاهجهان أن يستعيد مُلك المغول القديم في أواسط آسيا , ولاسيما بلخ وبدخشان , لكنه بدأ بمهاجمة قندهار لأهميتها التجارية والحربية , ونجحت جيوشه أول الأمر في الاستيلاء عليها , ولكن حاكمها علي مردان نائب الشاه الصفوي لم يلبث أن استردها بعد نضال طويل أثبت تفوق الجيوش الفارسية على جيوش المغول في فن الحرب[٢]. ففي سنة(١٠٥٦هـ/ ١٦٤٦م) أرسل السلطان شاهجهان جيشاً جراراً بقيادة الأمير مراد , دخل بلخ من دون مقاومة تُذكر, ولأنه اعتاد على حياة اللهو والبذخ لم يرغب بالبقاء في هذه البلاد فاستأذن شاهجهان في العودة إلى الهند فرفض السلطان منحه الإذن, وعلى الرغم من ذلك فقد عصى أمر السلطان وعاد إلى الهند مما أغضب شاهجهان فحرمه من وظيفته ورفض استقباله في بلاطه , وفي العام الثاني جهّز السلطان شاهجهان جيشاً بقيادة ابنه أورنجزيب وأرسله إلى بلخ للاستيلاء عليها , نجح أورنجزيب في دخول بلخ , وبعد انتصاره رأى أورنجزيب أن يسدد ضربة عسكرية للأوزبك وجرت عدة معارك بين الطرفين أظهر خلالها أورنجزيب قدراً من الشجاعة والانتصار, ما دفع صاحب بخارى إلى طلب الصلح , إلا أن المفاوضات لم تسفر عن نتائج ايجابية , فاستؤنف القتال , ورأى السلطان شاهجهان أن يُسلّم بخارى إلى نظر محمد خان شرط أن يعترف بسلطته ويحكم باسم المغول[٣].

–صراع الأمراء على السلطة

حين اشتد المرض بالسلطان شاهجهان سنة(١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) عهد بالملك من بعده إلى داراشكواه أكبر أبنائه الأربعة من ممتاز محل وهم : داراشكوه وشجاع وأورنجزيب ومراد بخش , ولم يكن لهذا الأمير بطبيعته كفاية حربية أو حنكة سياسية إلا أنه كان واسع الاطلاع , شغوفاً بدراسة الأديان على نحو خاص , حتى أنه قام بنقل أحد كتب الهندوس المقدسة إلى الفارسية بمساعدة بعض علماء البراهمة , فقد كان كثير الاختلاط بالهندوس واقتباسه الكثير من علومهم وميله إلى صُنع دين جديد يمزج قواعد الاسلام بعقائد الهندوس , مما أسخط علماء السنة عليه وقد استفاد أورنجزيب من هذا الشقاق فيما بعد حتى بلغ إلى تأليب المسلمين في الهند عليه إبان نزاعه معه

---

(١) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٤٤.**

(٢) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٤٦.**

(٣) **طقوش , تاريخ القبيلة الذهبية والهند , ص٢٨٥–٢٨٧ ؛ الجوارنة , المعارك الاسلامية, ص١٥٦.**

على العرش , أما شجاع وهو ثاني الأبناء فكان في مقامه بالبنغال منصرفاً في الغالب إلى ملاذه وقد ساعدت الأحوال المناخية في هذا الإقليم وإدمانه للشراب على إضعاف عزيمته والحدّ من كيانه وكان يميل الى بعض المذاهب , لذلك كان مكروهاً في الأوساط الدينية مما أثر سلباً على وضعه السياسي إلا أنه عين نفسه سلطاناً وسك النقود باسمه , وكذلك كان الأخ الأصغر مراد في الكجرات وكان في الثالثة والثلاثين من عمره , في حين كان أورنجزيب في التاسعة والثلاثين من عمره وهو أقدر إخوته من دون منازع , فقد أثبت كفاءة عسكرية و إدارية فذة أثناء حكم والده , يملك من الصفات الحميدة ما تجعله فاضلاً , وكان حاكماً على الدكن يدير شؤونه بهمة ونشاط[١], وأثار نبأ البيعة لداراشكواه ثائرة إخوته الآخرين , إذ كان كل واحد منهم يرى نفسه أحق بالملك من أخيه , لذلك قام أورنجزيب بإقناع أخيه مراد بالتعاون فيما بينهم والتحالف ضد أخيهم , على أن يقتسما أرض الهند , وأعلنا أنهما يريدان تخليص البلاد من هذا الأمير المرتد داراشكواه , في حين اتجه الأمير شجاع , بدوره على رأس جيش كبير إلى دلهي بعد أن نادى بنفسه سلطانا على البنغال , لكنها باءت بالفشل , ثم أرسل جيشاً ضخماً آخر للتصدي لجيش أخويه اورنجزيب مراد جرت بينهما مواجهات انتهت بانتصار جيش أورنجزيب , وقوى من عزيمة أورنجزيب ما انضم إلى جبهته من قوات عديدة , وما وقع بأيديهم من أسلاب وذخائر حربية ومؤن[٢] .

بعد هذا الانتصار الذي حققه أورنجزيب كتب إلى أبيه يعتذر إليه عن هذه الحرب التي أكرهته أعداءه على خوض غمارها , مبرراً ما قام به , ويلتمس الصفح من والده, فتقبل السلطان شاهجهان ذلك واشترك في تكريم ابنه المنتصر , فبعث إليه سيفاً مرصعاً بالجواهر, وقد نقش عليه اللقب الذي منحه إياه يدعى السيف« عالمكير» ومعناه آخذ العالم وسيده هدية منه , ثم دعاه للقدوم إليه , غير أن رجال أورنجزيب حذروه مما قد يكون أعده أبوه من فخ للإيقاع به وأشاروا عليه بأسر السلطان على الفور حرصاً على سلامته وتأميناً لمركزه , فقبض عليه وسجنه في جناح الحريم بالقلعة, ولم يسمح لأحد الاتصال به سوى ابنته جهان آرا التي ظلت ترعاه حتى آخر حياته , وقعت بيد أورنجزيب رسالة من أبيه بعث بها داراشكواه يحذره فيها من القدوم إليه فانكشف له سوء نوايا أبيه نحوه , وصحّ لديه ما حذره رجاله في السابق , فحرّم الكتابة على السلطان شاهجهان داخل المعتقل , ثم أحس أورنجزيب بنفور أخيه مراد منه ومحاولته للتآمر عليه , فدبر بدوره أمر اعتقاله غدراً من خلال دعوته إلى حفل في القصر بمناسبة النصرأ وشجعه على الإفراط في الشراب حتى فقد وعيه فحمله إلى الكجرات ليعتقله في قلعتها حتى سنة(١٠٧٢هـ/١٦٦١م) حيث اعدم بعد إدانته بقتل

---

(١) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٤٨ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية في الهند ,ص٢٨٨-٢٨٩.**

(٢) **الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ ,ص٢٠٥.**

أحد رجاله[١]. تفرغ أورنجزيب بعدها للقضاء على أخيه شجاع الذي حاول أن يؤلف جيشاً للاستيلاء على العرش وتلقى مساعدات من السادات , حكام الله آباد وبنارس فأرسل إليه اورنجزيب جيشاً استطاع أن يهزمه وفرّ إلى الجبال , وهناك اختفت آثاره واستراح أورنجزيب منه , لكن ما زال أمر داراشكواه لم ينتهِ بعد حيث أخذ يعد العدة لمهاجمة اورنجزيب , فخرج إليه اورنجزيب وهزمه ففرّ إلا انه قبض عليه , وانتهى الأمر بقتله بعد أن اخذ فتوى من العلماء بخروجه على الدين ومحاربته الحاكم[٢] .

لقد حمّل المؤرخون السلطان شاهجهان القسط الأكبر من مسؤوليته عن الصراع الدامي بين الأخوة؛ وذلك لأن مساندته لداراشكواه أثارت إخوته , ولم يكن له أي دور في محاولة لحسم الخلاف بينهم , فقد كان حرياً به أن يبرز إلى الميدان ويعمل على احتواء الموقف , ودعوة مجلس الحرب كفيلاً بدوره القضاء على الفتنة في مهدها , فقيل هو السبب في قتل أبنائه , لبث السلطان شاهجهان في سجنه ثمانية أعوام, حاول عبثاً العمل على استرداد ملكه حتى مات سنـة(١٠٧٧هـ/١٦٦٦م) وهو في الرابعة والسبعين من عمره[٣].

---

[١] الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص٢٠٥-٢٠٧

[٢] النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٦٦؛ الجوارنة , المعارك الإسلامية في الهند ,ص١٥٨-١٥٩

[٣] الساداتي , تاريخ المسلمين , ج٢ , ص٢٠٧, ديورانت , قصة الحضارة , ص١٤٨ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية , ص٢٩١-٢٩٢

المؤسسات الإدارية في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند

تعد المؤسسات الإدارية العصب الرئيس لأي نظام سياسي , إذ تقع عليها مسؤولية إدارة الدولة, وأن رقي المؤسسات وحسن تنظيمها يدلل على مكانتها السياسية ورقيها, والمؤسسات الإدارية تمثل جانباً من الجوانب الحضارية المتميزة للامبراطورية المغولية الإسلامية في الهند, إذ شملت النواحي الإدارية في نظم الحكم والوزارة والقضاء وغيرها من النظم الأخرى , والنظم الإدارية تطورت كثيراً بتطور الإمبراطورية وكان لها دور في تثبيت دعائم هذه الإمبراطورية , فلم يكن لدى السلطان بابر الوقت ولا الفرصة الكافية لإقامة حكومة مدنية في البلاد, كما أن السلطان همايون لم تُتَح له الفرصة , في حين تهيئة الفرصة للسلطان أكبر في إقامة حكومة أهلية اعتمد فيها على عناصر هندية , وكان السلطان على رأس الحكومة وقائد الجيش وبيده جميع السلطات ,كلمته قانون, وإرادته لا حدود لها , سلك السلطان أكبر مسلك السلطان شيرشاه في إدارة البلاد وإقامة حكومة مدنية , واستعمل رجالاً من الهنود والمسلمين في إدارة البلاد , وكانت الحكومة الأهلية هي نفسها الحكومة العسكرية بيدها جميع السلطات و قد كثر عدد الوزراء في عهد السلطان أكبر[١].

المبحث الأول

الوظائف الإدارية

- السلطنة

السلطنة وهي أبرز مؤسسة إدارية في إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند , إذ إنها تمثل رأس الهرم الإداري , وسلطته غير محددة , وعليه تقع مسؤولية تعيين الوزراء والولاة والقضاة والقادة العسكريين وعزلهم , وهو المسؤول عن السياسة العامة وإعلان الحرب وقيادة الجيش وفرض الضرائب وإزالتها , تلقب حكام الامبراطورية المغولية الإسلامية في الهند بلقب السلطان الذي يعد صاحب السلطة المطلقة والفعلية [٢] .

وعلى الرغم من ذلك إلا أننا نجد أن السلاطين في بعض الأحيان تورد أسماؤهم مسبوقة بكلمة امبراطور, واسم الدولة أيضاً تسمى بالامبراطورية وعلى ما يبدو أن كلمة امبراطور مرادفة إلى السلطان والدليل غلى ذلك استعمال كلمة امبراطور أو أباطرة بدل سلطان أو السلاطين[٣], كما

---

(١) الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر, (رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب – جامعة القاهرة – ١٩٨٢م) ص١٣٩ .

(٢) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص٣٠٥ ؛ لوبون , حضارات الهند , ص٤٢٥

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٤.

ذكر الجوارنة أن أباطرة المغول كانوا يجدون في قراءة الخطبة بأسمائهم فوق منابر المساجد المنتشرة في عموم الهند أكبر مظهر من مظاهر الهيمنة والسيادة والنفوذ إلى جانب سك العملات والنقود الذهبية وتوشيح كافة المراسيم والفرمانات الصادرة عن البلاط الملكي بتوقيعاتهم وأختامهم الرسمية(١) وللسلطان أربعة معاونين أساسيين : رئيس الوزراء ويسمى فقيراً و وزير المالية ويسمى وزيراً وأحياناً يسمى ديوناً ورئيس للقضاة يسمى بخشياً ورئيس للديانة الإسلامية يسمى صدراً(٢).

أما نظام الاستخلاف الوراثي , فلم يكن عند سلاطين المغول وأمرائهم إلا مسرحاً للصراع واثبات القوة والهيمنة , ومع أن السلطان كان صاحب الحق المطلق في اتخاذ قرار تعيين من سيخلفه على العرش , إلا أنهم أبَوا أن يمارسوا ذلك واقعياً , فتركوا وراثة العرش وخلافته للأقوى والأجدر من الأبناء , ولم يميزوا بذلك بين صغير أو كبير, في الوقت الذي لم يعرف عن المغول أنهم دوّنوا نصوصاً أو دستوراً تتعامل مع مسألة الاستخلاف على العرش , ولم يحددوا الأطر التي ينبغي أن يخضع لمعاييرها ورثة العرش وهو ما أدى إلى شيوع حالة الصراع والخلافات التي وصلت إلى المواجهات العسكرية, لتتفشى الثورات داخل الامبراطورية , لا من قبل الأعداء المناوئين للعرش المغولي , بل من قبل أبناء أباطرة المغول أنفسهم؛ لأن أحداً من خارج الأسرة المغولية لا يجرؤ على إظهار التمرد أو الثورة , وهي ميزة العصر المغولي في الهند عن بقية العصور الإسلامية الأخرى في تعاملها مع مسألة الوراثة على العرش , ثمة حالة واحدة وردت حول تعيين خليفة لعهد أبيه في الهند , وهي ما أقدم عليه السلطان بابر حينما قام بتسمية ولده همايون وريثاً للعرش وهو الابن الأكبر للسلطان بابر(٣), فقد سبق وأن ذكرنا كيف حاول بعض رجال الدولة عندما كان السلطان بابر يعاني سكرات الموت, أن يعدلوا عن وصية أميرهم فيعهدوا

---

(١) د. أحمد محمد , الهند في ظل السيادة الإسلامية(دراسات تاريخية) , مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع , ص٣٣ .

(٢) ديورانت , قصة حضارة الهند وجيرانها , مج١ , ج٣ ص١٣٤- ١٣٥.

(٣) الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص٣٣ , نقلاً عن Elliot and Dowson , History of India as told by its own Historians,vii vols.London ,1872-1877,Lahore,Pakistan1976.

,

بالملك إلى صهر السلطان بابر« زوج أخته مهدي خواجة» بدلاً من السلطان همايون كوريث للحكم[١]

وكذلك عندما تولى السطان أكبر العرش كاد أن يضيع لولا جهود وزيره بيرم خان[٢], هذا فضلاً عن محاولة السلطان أكبر لاستبعاد الأمير جهانجير عن ولاية العرش و المؤامرة التي قام بها الراجبوت لجعل ولاية العهد للأمير خسرو بدلاً من الأمير جهانجير إلا أنها فشلت[٣], كما حدثت محاولة إقصاء الأمير شاهجهان عن ولاية العهد لصالح أخيه الأصغر بتأثير السلطانة نور جهان[٤].

- **نواب السلطنة**

اعتاد سلاطين المغول على إسناد مهمة أمور السلطنة في حالة غيابهم أو في مقاطعاتهم البعيدة إلى نواب من بعض الثقاة والمقربين ولاسيما من أفراد الأسرة الحاكمة, وكان النائب يقوم بمهمات السلطان في عامة الأمور, أو فيما يعهد له به من اختصاصات , وأطلق هذا اللقب على من ينوب عن السلطان سواء كان بحضرته أو كان خارجاً عنها, لاسيما إذا ما علمنا إن الامبراطورية كانت في حالة حروب وفتوحات مستمرة مما يضطر سلاطينها للخروج عنها في أغلب الأوقات فعندما تولى السلطان بابر عرش السلطنة قام بتقسيم المملكة إلى إقطاعيات وعيّن على كل إقطاع نائبين اثنين يختص أحدهما بقيادة الجند ويراقب جمع الضرائب ويرعى مصالح الناس, ويتولى الآخر الإشراف على الواردات والمصروفات ويوازن بينهما ويدفع أجور الجند والعمال , وحضّ نوابه في المقاطعات كافة بعدم الاشتطاط في جمع الضرائب والمكوس , وعدم إلحاق الأذى بالناس , وأمرهم بتحقيق العدالة من دون تفرقة بين مسلم وهندوسي[٥] .

في حين قام السلطان همايون بتقسيم مملكته وتعيين إخوته نواباً له على الأقاليم المختلفة , وولى ابن عمه على أحد الأقاليم أيضا وهذه من أكبر الأخطاء التي وقع بها السلطان همايون؛ لأنه تمرد عليه وحاول الانفصال, وكان السبب في حدوث العديد من المشاكل[٦], أما السلطان

---

(١) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢, ص٤٩-٥٠ ؛ الامبراطورية المغولية , منتديات شبكة التاريخ العام .

(٢) Malleson, c.s.i , Rulers of India (AKBAR and the rise of the Mughal Empire6, 63-64.

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص٩٤ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٦١ .

(٤) النمر , تاريخ الإسلام في الهند ,٢٣٢ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية , ص٢٧١-٢٧٢ .

(٥) الساداتي , تاريخ المسلمون في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص٥٦؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص١٧٣.

(٦) بخشي , المسلمين في الهند , ج١ , ص١٩٤ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٨٢.

أكبر فلصغر سنه كان كثيراً ما يعتمد في تصريف الأمور على طائفة من كبار الرجال في الدولة وعلى رأسهم نائب السلطنة« وكيل السلطنة» , وقد تولاها بيرم خان في أول عهد السلطنة , وقسم السلطان أكبر أراضي الدولة إلى ولايات, وكانت هذه الولايات في البداية اثنتي عشرة ثم أضحت خمس عشرة , يرأس الولاية حاكم عام, وهناك نائب عسكري للسلطان يسمى سبهسالار والذي لم يكن له من الصلاحيات أن يدخل في حرب أو يبرم التحالف والصلح من دون إذن السلطان , ويشرف على شؤون القوات العسكرية والقضاء في ولايته , ولم يكن له أن يتدخل في الأمور الشرعية , أو يصدر الحكم بالإعدام من دون إذن السلطان , لكن من صلاحياته أن يعين صغار العمال ويقيلهم[١], وغالباً ما يكون نائب السلطان ممن حنكتهم التجارب يتسم بالحزم والحكمة وسعة الأفق ميالاً إلى السلام , يعامل الناس جميعاً على قدم المساواة متمرساً بواجباته , أميناً على أسرار بلاده يرى أن واجبه قضاء حقوق الناس ويطلق على نائب السلطان أحياناً كبير الوزراء[٢]. ومن أبرز من تولى منصب سبهسالار منعم خان«خان خانان»[٣]

- **الوزارة :**

تعد الوزارة من أهم المؤسسات السياسية والإدارية في الامبراطورية المغولية بعد السلطنة , ويشترط فيمن يتولى هذا المنصب أن يكون من أرباب السيف والقلم,[٤]وقد وردت كلمة وزير في القران الكريم في قوله تعالى﴿ **واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركهُ في أمري .**﴾[٥]وهي كلمة أصولها عربية خلافاً لما أثير حول هذه اللفظة ودليلنا الأكبر هو القرآن القرآن الكريم وقد وردت في العديد من المصادر العربية[٦] .

والوزارة من الوظائف الكبيرة في الامبراطورية المغولية في الهند, وتأتي من حيث الأهمية بعد السلطنة ويكون تحت إمرته مجموعة من الإداريين يساعدونه في تسيير أمور الامبراطورية , وكان عليه أن يتحمل أعباء تنظيم الدولة وترتيب أحوالها , ومراجعة تنفذ القوانين والإشراف العام

---

(١) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢, ص١٤٤ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية في الهند , ص٢٥٦-٢٥٧.

(٢) الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص١٤٦.

(٣) بدايوني , منتخب التواريخ , مج١ , ص٣٤٧ ؛ بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص٢٠٧ .

(٤) ابن بطوطة , الرحلة , ٣ , ص١٧٣.

(٥) سورة طه , الآية ٢٩.

(٦) الماوردي , أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت:٤٥٠هـ) , الأحكام السلطانية , (دار الحديث – القاهرة) , ص٥٠-٦٢ ؛ ابن منظور, أبو الفضل جمال بن محمد بن كرم بن علي المصري (٧١١هـ) , لسان العرب , ط٣ , (دار صادر– بيروت –١٤١٤هـ) ,ج٥ , ص٢٨٣ ؛ الباشا , حسن , الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار , (دار الفنية للنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٨٩م) , ص٥٤٠ .

على الإدارة الحكومية , وتعيين الولاة وعزلهم وهذا ما أضفى على صاحب هذا المنصب الرهبة والوقار, ونال الاحترام من الإداريين والعسكريين , وقد ظل الوزير يتمتع بتلك المكانة الرفيعة(١) ويسمى الوزير أيضا بـ« ديوان كل» أو« ديوان أعلى» وهو القيّم على شؤون المال , ويشغل مركزاً كبيراً في الجيش(٢) ويُعَدُّ الوزير من كبار رجال الإمبراطورية يختص بكافة شؤونها الداخلية والخارجية, إذ كان صانعاً للقرار ومنظماً لمرافق الامبراطورية الإدارية والعسكرية والثقافية والاقتصادية(٣),وكان ديوان الوزارة يضم مجموعة من الموظفين والإداريين البارزين, فلابد أن يكون مع الوزير مشرفون ومستوفون يضبطون الامبراطورية ويساندون الوزير في تدبير الأمور السياسية والإدارية سواء كانت هذه المشاركة بالرأي أو بالعمل, وكانوا يسمون الوزير في عرفهم خواجة جهان(٤).ومن الوزراء الذين قاموا بدورٍ كبيرٍ في امبراطورية المغول الإسلامية وقد سبقت سبقت الإشارة إليه بيرم خان فقد دخل في خدمة السلطان بابر وبعد وفاته تقرب إلى السلطان همايون وصار معتمداً عليه في مهمات الأمور, ثم نال الوزارة في عهد السلطان أكبر(٥),وممن تولى الوزارة أيضا الوزير الكبير مظفر علي التربتي وهو أحد رجال بيرم خان وبعد وفاة بيرم تقرب وتدرج في الإمارة حتى نال الوزارة سنة(٩٨١هـ/١٥٧٣) له يد بيضاء في السياسة والتدبير(٦) ومن وزراء السلطان أكبر الوزير الكبير أمين الدين محمود الهروي تقرب إلى السلطان همايون وترقى في الدرجات حتى تولى الوزارة في عهد السلطان أكبر سنة (٩٨٢هـ/١٥٧٤م) , ومن وزراء السلطان أكبر ميرزا قليج محمد الاندجاني ولاه السلطان أكبر الوزارة سنة(٩٨٧هـ/١٥٧٩م)

وكذلك خواجة شمس الدين الخوافي(ت: ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م) وهو أحد الرجال المعروفين بالسياسة والتدبير قدم إلى الهند وتقرب إلى السلطان أكبر وترقى في الوظائف إلى أن نال الوزارة اشتغل بتعمير البلاد و إرضاء النفوس, ومن الوزراء البارزين الذين تولوا هذا المنصب هو أبو

---

(١) متز , آدم , الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري , ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة , ط٣ (لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٥٧م) ج١ , ص١٥٧.

(٢) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتها , ج٢ , ص١٤٧ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٥٦ .

(٣) Jadunath , Mughal Administration,35 ؛ الفقي, بلاد الهند في العصر الإسلامي , ص١٧٥.

(٤) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٨٠ ؛ فوزي , فاروق عمر , الجذور التاريخية للوزارة العباسية , بغداد –١٩٨٦ , ص١٨ .

(٥) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٤ , ص٣٢١–٣٢٢ .

(٦) الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) ,ج٤ , ص٤٢٩, ٤٣٥ .

الفضل المبارك الناكوري (ت: ١٠١١هـ/ ١٦٠٢)[١] وهو أشهر وزراء امبراطورية المغول الإسلامية في الهند , اشتغل بالعلوم والمعارف وهو في سن الخامسة عشرة من عمره ثم أقبل على العلوم إقبالاً كلياً , دعاه السلطان أكبر إلى مدينة أكرا مع والده, فقام بإهداء السلطان أكبر مجموعة من الكتب فأعجب السلطان بأفكاره وقربه إلى نفسه , حتى نال الوزارة الجليلة وعُرِف عنه الإلحاد والزندقة ودسّ في قلب السلطان العديد من الأشياء المنكرة وكان من أبرز الأشخاص الذين ساعدوا السلطان اكبر على الانحراف وهذا ما سوف نتطرق له في الجانب الديني[٢], وبعد وفاة السلطان أكبر استمر في الوزارة في عهد السلطان جهانجير[٣], ومن وزراء السلطان شاهجهان الأمير عبد السلام المشهدي, نال الوزارة حوالي سنة (١٠٤٢هـ/١٦٣٢م) ومولانا شكر الله الشيرازي (ت: ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م) وهو أحد فحول العلماء لم يكن له نظير في عصره ومن الوزراء المشهورين بالهند سعد الله اللاهوري الذي حفظ القرآن واشتغل بالعلم, وكان له ذكاء مفرط وسمع السلطان شاهجهان بفضله ومكارمه فطلبه فحضر فخلع عليه وتدرج بالمناصب إلى أن ولاه الوزارة العظمى سنة(١٠٥٥هـ/١٦٤٥م) , وكان السلطان يحبه كثيرًا فقد جمع الله فيه خصالاً لم يجمعها في غيره من الوزراء , وعندما توفي تأسف السلطان تأسفاً شديداً.[٤]

- **الحجابة**

الحاجب : لغةً : اسم فاعل من حجب أي ستر[٥], واصطلاحاً : اسم يقال للذي يحفظ باب الملك أو نحوه , لكي يمنع الدخول عليه إلا بإذن , وعرف العرب الحجابة بوصفها خطة منذ الجاهلية[٦] والحجابة مفردها حاجب , ويقصد به الشخص الواقف بباب الخليفة ليحجب الناس عنه ويمنع الدخول إليه إلا بإذن خاص , فهو إذن همزة وصل بين الخليفة والناس يقدم السفراء ويأذن لمن يشاء الدخول على الخليفة أو يمنعه , تفادياً لازدحام الناس في حضرة الخليفة , والحاجب منصب كبير يشبه رئيس التشريفات في الوقت الحالي[٧].

---

(١) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ ص٤٣٣-٤٣٤ .

(٢) الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٤٧١ .

(٣) الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) ج٥ , ص٥٣٨ , ٦٠٤ .

(٤) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر), ج٥ ,ص٥٣٢, ٥٦٤, ٥٣٨ .

(٥) ابن منظور , لسان العرب , ج١ , ص٢٩٨ .

(٦) الزبيدي , أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني (ت : ١٢٠٥هـ) , تاج العروس من جواهر القاموس , دار الهداية ؛ ج٢ , ص٢٣٩ ؛ مجموعة مؤلفين , مفاهيم إسلامية , (موقع وزارة الأوقاف المصرية) , ص١٢٠.

(٧) الهاشمي , الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم , ص٢٣ .

ولم تعرف هذه الخطة أيام الخلفاء الراشدين؛ لأنهم كانوا لا يحجبون أحداً عن أبوابهم , فلما انقلبت الخلافة إلى الأمويين اتخذ خلفاؤهم من يقوم بحفظ أبوابهم وسَمّوا القائم بذلك الحاجب وكان أول من اتخذ حاجباً عبد الملك بن مروان , واستمرت هذه الخطة في خلافة العباسيين بالدلالة نفسها , وكانت دون مرتبة الوزير[١] , في حين كانت وظيفة الحاجب من الوظائف المهمة في البلاط المغولي , وهي على مراتب كثيرة , منها كبير الحجاب ونائبه ويتلوه خاص الحاجب ونائبه ,ثم وكيل الدار ونائبه وشرف الحجاب وسيد الحجاب , وكانت كل جماعة تحت أيديهم جماعة[٢], وأمير حاجب هو كبير أمناء القصر , ويباشر المراسيم السلطانية , ويعد الترتيبات للحفلات الملكية الخاصة وحفلات الاستقبال لضيوف السلطان , وتوديعهم , ومراسم تنصيب الوزراء وكبار رجال الدولة , ويقوم بدور الوسيط بين السلطان من جهة وموظفيه من جهة أخرى , ويساعده في عمله نائبه وعدد من الحُجّاب[٣] .

ومن أبرز من تولى منصب الحجابة في عهد السلطان جهانجير عبد العزيز الكجراتي إذ تقرب إلى عبد الرحيم بن بيرم خان فولّاه الصدارة في أقطاعه , ثم الحجابة[٤].

- الدواوين

نشأت الدواوين الإسلامية في عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ﵁ سنة(٢٠هـ/٦٤٠م) ونتيجة لتوسع الدولة الإسلامية أعلن الحاجة إلى ظهور الدواوين لتلبية مطالبها الإدارية [٥]والديوان يعني السجل أو الدفتر , ثم أطلقت على المكان الذي تحفظ فيه السجلات الخاصة بالدولة , فقد تطورت نظم الدواوين في عصور الخلافة العباسية , وقام الخلفاء العباسيون بإنشاء فروع للدواوين , ومن الدواوين المعروفة آنذاك ديوان الجيش , وديوان النفقات , وديوان بيت المال , وديوان التواقيع وديوان البريد , وديوان الخاتم وغيرها , وعند دخول الفاتحين المسلمين إلى الهند انتشرت نظم الدواوين العباسية لاسيما في عهد سلطنة دلهي , والدول الإسلامية في الهند استفادت أيضاً من بعض النظم والإدارة الهندوسية على امتداد عصورها , ولم تكتفِ بذلك بل قامت بتطويرها بحيث تتفق مع فكر الحضارة الإسلامية وتمدنها, وتم إلغاء

---

(١) ابن خلدون , المقدمة , ص٢٩٩-٣٠٠ .

(٢) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٨١ ؛ علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية والإسلامية في الهند , ص٢٧٠ .

(٣) ابن بطوطة , الرحلة , ج٢ , ص٣٤٦ , ٣٦٦ , ٣٩٥ ؛ الفقي , بلاد الهند في العصر الإسلامي , ص١٧٤ .

(٤) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) ,ج٥ , ٥٦٦ .

(٥) النبراوي , فتحية , تاريخ النظم والحضارة الإسلامية , ط٣ (الدار السعودية – جدة – ١٩٨٥م), ص٨٨.

العديد من الدواوين الهندوسية التي تنافي الأخلاق والقيم الإسلامية[١], ومن الملاحظ في عهد المغول عدم تغيير نظام الدواوين عما كان سائداً عنهم قبل , وقام السلطان أكبر ببعض التغيرات الجذرية , حيث جعل منصب الوزارة والديوان منصباً واحداً , فكان يطلق على الديوان الديوان أو الوزير ؛ لأنه كان يشرف كلياً على الديوان ثم تطور هذا المنصب في عهد السلطان جهانجير, إذ أصبح مستقلاً عن الوزارة ولكن تم التغيير مرة أخرى في عهد السلطان شاهجهان حيث كان يطلق على الوزير الديوان الكل وعلى مساعديه الديوان[٢] .

–ديوان الرسائل

وهو من الدواوين ذات الأهمية البالغة يسمى ديوان الرسائل أو كما يطلق عليه أحياناً ديوان الإنشاء في سلطنة دلهي , وكان يطلق على القائم عليه لقب مير منشي أو مير الإنشاء وقد تبنت الدول المملوكية في الهند هذا المصطلح[٣] ,أصل هذا الديوان وظيفة الكاتب الذي كان يحرر الرسائل والفرمانات للولاة المحليين , وهناك آداب وقواعد لإرسال الرسائل والفرمانات الملكية ولتسليمها , بحيث كانت الرسائل والفرمانات والأحكام التي تصدر للأمراء والولاة المعنيين , يتم استقبال الرسالة على مسافة فرسخين أو ثلاثة , وبعد تسليم الرسالة أو الفرمان كان على المرسل أن يأخذ إليه الرسالة بمنتهى الاحترام ويقبلها ويضعها فوق رأسه , احتراماً وإجلالاً, ثم يقرأها سراً أو جهراً على حسب متن الرسالة وعلى حسب الأوامر السلطانية وكان يتطلب ممن يتولى هذا أن يكون مخلصاً وموثوقاً به ومتقدماً في السن , ومتمرساً , وعادة ما يكون رجلاً قد نال حظاً وافراً من الآداب والإنشاء واللغة والقواعد ويعرف اللغات العديدة السائدة والدبلوماسية ويتصف بالبراعة , أما الواجب الرئيس بين الواجبات الأخرى لصاحب ديوان الرسائل أو ديوان تن فهو كتابة خطابات السلطان إلى الأمراء والملوك الأجانب والحكام المحليين , وكبار رجالات الدولة , وفي معظم الأحيان كان السلاطين أنفسهم يكتبون رسائلهم ورقعاتهم المهمة بأستثناء السلطان أكبر الذي لا يعرف القراءة والكتابة ؛ ويتمتع صاحب الديوان بالبراعة والإجادة التامة للغات والإنشاء والترسل , وأحياناً يقوم بإملاء الرسائل المهمة , وأحياناً كان يضيف بعض الكلمات والتعبيرات لاسيما على الفرمانات من عنده ذلك لإظهار تأييده الخاص , أما في الأحوال العادية فكان يكتفي بتوجيه التعليمات إلى صاحب الديوان المذكور الذي بدوره ينقلها إلى

---

(١) **ديورانت , قصة الحضارة , ج٣ ص٩٧ .**

(٢) **قمر الزمان , صاحب عالم , الأوضاع السياسية والحضارية لدولة المغول في الهند في عهد السلطان أورنجزيب (١٠٦٩–١١١٨هـ/١٦٥٩–١٧٠٧م) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – جامعة القاهرة – ٢٠١٠م , ص١٥٤.**

(٣) **ابن بطوطة , الرحلة , ج٢, ص٣٩٩ .**

الموظفين المعنيين , وكان صاحب ديوان الرسائل يقوم أيضاً بفض التقارير والرسائل الواردة عن الحكام والقادة والمشرفين وصاحب البريد ثم يسلمها للسلطان[١] .

- **ديوان البريد**

فسّر الرازي معنى البريد فقال : البريد المرتب ويقال :حُمل فلان على البريد, والبريد اثنا عشر ميلاً[٢], والبريد كلمة عربية الأصل مشتقة من بردت الحديد إذا أرسلت ما يخرج منه , وبرد بريداً أي أرسله , والبريد الرسول وأبرده أرسله[٣] ثم أطلق على حامل الرسائل وعلى أكياس البريد , ثم استعمل في الإسلام وأقيم له عامل مخصوص يسمى عامل البريد ينقل أخبار الولاة والبلاد لدار الخلافة وبالعكس[٤]وعرف المسلمون نظام البريد قديماً , وأول ما استعمل العرب لنقل البريد الإبل , ثم استبدلوها بالبغال, ثم بالخيل لسرعتها , وكان لكل سفر بريد يتولى قيادة المسافرين[٥], والبريد في الأصل البغل وهي كلمة فارسية أصلها بريده دم أي محذوف الذنب؛ لأن بغال البريد محذوفة الأذناب فعربت الكلمة وخففت ثم سميّ الرسول الذي يركبه بريداً[٦]. وقيل إن الملك الفارسي دارا هو أول من ابتكر نظام البريد وأقام له دواباً[٧], عرف الفرس والروم البريد من القدم لهذا قيل إن لفظ البريد مأخوذة من كلمة لاتينية تعني الدابة التي يركبها العامل في نقل مكاتبة من مكان لآخر, ثم نقلت مجازاً إلى المسافة المقطوعة وهي اثنا عشر ميلاً وعلى ذلك فإن كلمة بريد تعني مسافة معلومة بين مركزي بريد[٨]وعلى الرغم من أن أول من وضع نظام البريد في

---

(١) بخشي , المسلمون في الهند , ج١ , ص٢٨٥ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص١٥٩.

(٢) الرازي , زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت: ٦٦٦هـ) , مختار الصحاح , تح يوسف الشيخ محمد , ط٥ (الدار النموذجية – بيروت ١٩٩٩م) , ص٣٢ .

(٣) الهاشمي , د.رحيم كاظم محمد , عواطف محمد العربي شنقارو , الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم , (الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – ٢٠٠٢م) , ص٥٥ .

(٤) الزمخشري , أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت : ٥٣٨هـ) , الفائق في غريب الحديث والأثر , تح علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم , ط٢ دار المعرفة – لبنان , ج١ , ص٩٢ .

(٥) الكتاني , محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد (ت : ١٣٨٢هـ) , التراتيب الإدارية , تح , عبدالله الخالدي الحسني الإدريسي , ط٢ دار الأرقم – بيروت) , ج١ ص ١٧٩ .

(٦) الزمخشري , الفائق في غريب الحديث والأثر , ج١ , ص٩٢ .

(٧) المقريزي , أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ) , المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة (بالخطط المقريزية) , دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٨هـ) , ج١ , ص٤١٨ .

(٨) الحموي , ابو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت:٧٧٠هـ) , المصباح المنير في غريب الشرح الكبير , (المكتبة العلمية – بيروت) , ج١ , ص٤٢ ؛ الخلف , سالم بن عبدالله , نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس , ط١(البحث العلمي بالجامعة الإسلامية –المدينة المنورة –٢٠٠٣م) , ج١=

الإسلام الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه(٣٠ق.هـ-٦٠هـ/٦٠٣-٦٨٠م)[١] إلا أن الخليفة أبا جعفر المنصور(٩٥-١٥٨هـ/٧١٤-٧٧٥م) هو الذي أحدث التطوير الهائل في نظام البريد وجعله ديواناً مهماً من دواوين الدولة[٢], وتحدث ابن بطوطة عن نظام البريد الإسلامي , والبريد ببلاد الهند صنفان , أما بريد الخيل فيسمونه« الولاق » , وهو خيل تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال , وأما بريد الرجالة , فيكون في مسافة الميل الواحد منه ثلاث رتب , ويسمونها الدواة , وله محطات في قرى معمورة كاستراحات للقادمين بالبريد , وفي خارج القرى تقام القباب التي فيها رجال على أتم الاستعداد قد شدوا أوساطهم , وفي يد كل منهم مقرعة طولها ذراعان في أعلاها أجراس من نحاس , فإذا خرج حامل البريد من القرية , خرج رافعاً يده إلى أعلى ما يستطيع بالكتاب وفي يده الأخرى يحمل المقرعة ذات الأجراس ثم يخرج يشتد في العدو بغاية ما يستطيع من العدو , فإذا سمع الرجال المقيمون في القباب في المرحلة التالية صوت الأجراس من بعيد , تأهبوا لمقابلة حامل البريد , فإذا انتهى إليهم أخذ أحدهم الكتاب من يده , وعدا بأقصى سرعة وهو يحرك مقرعته حتى يصل إلى القرية التالية , وبريد الرجالة الذي يدعى بريد الدواة أسرع من بريد الخيل[٣] وقد أولى سلاطين امبراطورية المغول الإسلامية في الهند اهتماماً كبيراً بالبريد للاطلاع السريع على كل ما يجري في مختلف أنحاء بلادهم الواسعة , وعملوا على تنظيم شؤون البريد تنظيماً محكماً , وتمهيد الطرق والإكثار منها وتزويدها بعلامات يهتدي بها السعاة و المسافرون, وأقاموا على هذه الطرق منازل كثيرة لنزول الناس والدواب , وأباحوها جميعاً للمسلمين و الهندوس, وأدى قيام هذه المحطات إلى تجمع صغار التجار عندها و رواج أحوالهم [٤], وبالتالي حرص هؤلاء السلاطين على تنظيم البريد تنظيماً دقيقاً ليضمنوا وصول الرسائل بسرعة , وكان هناك وقت محدد لكل مسافة بريدية , وفي حال تأخر وصوله عن المدة المحددة يغرمون بالمال ويؤخذ عن المتعهدين ربع رواتبهم الشهرية [٥] وقد أبدى أحد الرحالة الرحالة الفرنسيين ويدعى تافرنيه إعجابه بطرق الهند بعد أن ساح فيها , وصرح بأنها كانت خيراً من طرق فرنسا وإيطاليا وأكثر أمناً , حيث كانت تنصب على جوانب الطرق حجارة بيضاء ترى ليلاً حفاظاً للسعاة من الضلال , وفي شمال الهند كانت الطرق والمواصلات أكثر سهولة من

=ص٣٥٠-٣٥١ .

(١) القلقشندي , صبح الأعشى , ج١٤ , ص٤١٣ .

(٢) المقريزي , مواعظ الاعتبار المعروفة (بالخطط المقريزية) , ج١ , ص٤١٨ .

(٣) الرحلة , ج٢ , ص٣٠٩ -٣١٠ ؛ الندوي , الهند في العهد الاسلامي , ص٣٣٦ .

(٤) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص٣٠٧ .

(٥) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٣٦ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٣٢٤ .

مدينة الدكن البعيدة عن مقر الدولة[1]وقد اعتنى السلطان شيرشاه بتنظيم البريد وحسّن الطرق التي يسلكها صاحب البريد , وقيل إنه بنى ألفاً وسبعمائة محطة استراحة للمسافرين ,كما أدخل التحسينات على طرق عديدة وأقام على جانبيها الأشجار وبنى في كل محطة دوراً ومساكن للهندوس وللمسلمين كل على حدة , وقام بتوفير الطعام والشراب للمسافرين , وكان في كل محطة مسجد فيه إمام و مؤذن على نفقة السلطان, وجماعة من الشحنة[2], وكان يرابط في المحطات التي بناها على الطرقات التي تربط أنحاء البلاد لراحة المسافرين حصانين في كل محطة مخصّصين لنقل البريد , يركب صاحب البريد الفرس إلى الرباط الآخر حيث يتسلم فارس آخر من راكبها الرسائل ويجري بها ويسلمها لمن يليه , وهكذا حتى يصل البريد بسرعة إلى أقصى البلاد , ولهذا الديوان مهمتان : الأولى : نقل الرسائل من دار السلطنة وإليها والأخرى : أن موظفي هذا الديوان كانوا عيوناً للسلطان , يراقبون الولاة والعمال في أعمالهم ومسلكهم ويرفعون إليه تقارير بكل ما يصل إلى عملهم من ذلك حتى يكون السلطان على علم بأوضاع الولايات وما يحدث فيها وبذلك أتيح له أن يقف على أخبار البلاد أولاً بأول[3]. ومن الوظائف التابعة للبريد أيضا وظيفة دبير وهو الذي يقدم إلى السلطان كل ما ترسم عليه العلامة السلطانية من المناشير والتوقيعات والكتب , وكان يخرج من عند السلطان بمرسوم لما يكتب من الرسائل , ثم يكتبها بعد ذلك , أما درواغة ذاك جوكي فمهمته تقديم البريد الذي يأتيه من جميع أنحاء الممالك إلى السلطان , فيقرأها بنفسه[4].

- **ديوان العرض« الجند »**

يعد ديوان العرض« الجند» من أكثر المؤسسات الإدارية أهمية , إذ تقع عليه مسؤولية الإشراف على ديوان الجيش وتنظيم سجلات الجند وصرف مرتباتهم وتهيئة الجيوش وتسليحها وتموينها ويترأس هذا الديوان شخص يعرف بالعارض[5] قد حظي برعاية واهتمام كافة السلاطين والملوك الذين تعاقبوا على حكم الهند, إذ وظفوا كافة مقومات الدولة المالية والبشرية والإدارية والسياسية , لتكون في خدمة ومصلحة الجيش , وهي المؤسسة التي حققت للمسلمين سيطرة

---

(1) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٣٢٦ ؛ لوبون , حضارات الهند , ص٤٢٨ .

(2) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٣٤ ؛ غنيم , تاريخ الهند الحديث , ص٨٩ .

(3) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٧٠-٧١ .

(4) الندوي , الهند, ص٢٨٤-٢٨٥ ؛ علي , د.أحمد رجب محمد , قلاع وحصون وأسور وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ط١ (الدار المصرية اللبنانية – القاهرة -٢٠٠٩م), ص٢٧٠-٢٧٥.

(5) العتبي , تاريخ اليميني , ج٢ , ص١١٦ , ١٦٦ ؛ الجاجرمي , أبو المعالي المؤيد بن محمد , نكت الوزراء , تح , نبيلة عبد المنعم (مطبوع على الآلة الكاتبة – مركز إحياء التراث – بغداد – ١٩٨٤م) , ص١٢٤؛ درويش , الإمارة الغورية في المشرق , ص٢٤٩ .

كاملة على جنوب آسيا لسنين طويلة , وطبيعة الحكم عند كافة الدول والأسر التي حكمت الهند , لا يتعدى عن كونه ممارسة صارمة للسلوك العسكري المحض, والذي طغى على جوانب الحياة بأكملها السياسية منها والاقتصادية والإدارية , وهي في حقيقة الأمر لا تختلف عن بقية الدول الإسلامية الأخرى , فالقوه العسكرية هي التي دفعت بهم إلى السلطة والنفوذ , ولا نشك بأن الحصول على تلك القوة كانت هدفاً تسعى إليه كافة الدول ومنها الإسلامية(١).

ونظراً لأهمية ديوان العرض في صناعة الجيش وتدريبه وتنظيمه , فإن السلاطين المسلمين في الهند كانوا يتولون الإشراف على عرض الجند واستعراض الجيوش وتعيين القادة, وللتأكد من سلامة الجيش الحربية والقتالية واستعداداته فأنهم يتولون قيادة الجيوش في أرض المعركة بأنفسهم في معظم المعارك والغزوات التي خاضتها الجيوش الإسلامية في الهند (٢) على أن معظم أولئك الحكام كانوا يطمحون في جعل ديوان العرض هدفاً سامياً لتحقيق طموحاتهم وأحلامهم التوسعية في عموم الأراضي الهندية الشمالية والوسطى والجنوبية , وهي المؤسسة التي أسهمت في نشأة غالبية الدول الإسلامية في المنطقة , على حساب ضعف ممالك الهند وإماراتها المنقسمة , أما علاقة السلاطين بديوان العرض فهي علاقة وثيقة ومتينة إلى الحد الذي جعل منهم قادة عامين على الجيش , ليؤول إلى قراراتهم المباشرة , حريصين أشد الحرص على متابعة الديوان ومراقبة أحواله , وفي الوقت الذي يكون صاحب الديوان من أكثر الشخصيات حظوة لدى البلاط السلطاني , ولأنهم عرفوا أهمية ديوان العرض وخطورته , فإنهم وضعوا شروطاً صارمة ومواصفات فريدة فيمن سيتولى هذا المنصب ,كالعلم والمعرفة والكفاءة والقدرة التنظيمية والشجاعة والإقدام يضاف إليها الولاء المطلق للأسرة الحاكمة , وتزداد أهمية صاحب ديوان العرض حينما نطالع المهمات الموكلة إليه تنفيذها والتي من أبرزها المشاركة في خوض المعارك الحاسمة وقيادة المعارك بنفسه في حال غياب السلطان , والتدخل في حسم بؤر التوتر والصراعات التي تمس استقرار وأمن الدولة والاضطلاع بمهمات ترشيح الأمراء لولاية العهد, وأيضا المشورة في تعيين حجاب الدولة وحجاب السلاطين , واعتبار العارض المرجع الأول في كل شأن يتعلق بشؤون الدولة , واستقبال الوفود الأجنبية بصحبة السلاطين والمشاركة في الاحتفالات والمآتم التي تقام للأعيان وكبار رجالات الدولة(٣) .

---

(١) الجورانة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص٨٥-٨٦ .

(٢) Pandey, Early Medival India,(Allahabad,1969) ,pp27-28 نقلاً عن الجورانة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص٨٥-٨٦ .

(٣) البيهقي , محمد بن حسن (ت: ٤٧٠هـ) تاريخ بيهقي , ترجمة, يحيى الخشاب وآخرون , (بيروت – ١٩٨٢م) , ص٤٩,١٥٩, ١٦١ , نقلاً عن الجورانة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص٨٥-٨٦

وأبرز ممن تولى هذا المنصب ميرزا صدر الدين الشيرازي(١٠٦١هـ/١٦٥٠م) وهو أحد الأطباء الذين استكرهوا المعالجة لاحتمال المضرة تورعاً , ولاه السلطان شاهجهان على العرض[١] وحاذق بن همام ألآكبر آبادي(ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) في أيام السلطان جهانجير[٢]

- **ديوان البيوتات[٣] أو ديوان المصادرة**

كان الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٤٨هـ/٧٥٣-٧٦٥م) قد أحدث هذا الديوان ليتولى تسجيل الأموال بأنواعها المختلفة وأسماء من صودرت منهم أموالهم وإدارة ما يتعلق بتلك الأموال[٤] ,ووصل هذا النظام الإداري ضمن النظم العباسية الأخرى إلى الهند , وتم استعماله في العصر المغولي , ولكن لغرض آخر , إذ كان يقوم هذا الديوان في عهد سلاطين المغول بمصادرة أملاك الأمراء الخاصة إثر وفاتهم إلى أن يتم تصفية حساباتهم مع الإدارة المغولية , ولأنه لم تكن هناك وسيلة أخرى لاسترداد الديون إلا بالمصادرة , وكان ديوان البيوت يأخذ المستحقات من أملاك المتوفى لتسديد الديون[٥], وأبرز من تولى هذا المنصب محمد مقيم الهروي والد أحمد نظام الهروي صاحب كتاب طبقات أكبري في عهد السلطان بابر[٦] .

- **خان سامان و مير سامان« مراقب نفقات البلاط »**

خان سامان وهو المسؤول عن مصاريف المطبخ السلطاني والسقاية ونحوهما , و مير سامان مهمته معرفة ما يحتاج إليه السلطان من الملابس والأقمشة , والجواهر والسلاح , وما بها من استعمالات[٧] ويكون المسؤول عن متاع السلطان الخاصة ويجب أن يتحلى بسمعة حسنة , ويتمتع بالأمانة والاستقامة , وكان من واجباته الإشراف التام على نفقات السلطان اليومية أي الإشراف على الإسطبل الملكي وكل ما هو ملحق بخدمة بلاط السلطان , وكان يرافق السلطان في سفره وفي مقامه , وكان يشرف على أعمال الخدم الملكي ,كما كان يشرف على خزينة السلطان الخاصة وحرسه الشخصي , ويدير الأملاك الخاصة بالسلطان وللقصر الملكي بما فيها

---

(١) **الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٥٤٣ .**

(٢) **الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٥١٩ .**

(٣) **وهو غير ناظر بيوتات الذي يشرف على المحلات التجارية , وهذه الكلمة مكونة من كلمة عربية ناظر وبيوتات هنا تعني دكاكين , للمزيد من المعلومات ينظر : الشاذلي , د.أحمد القادر , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر, ص١٤١ .**

(٤) **الدوري , عبد العزيز , النظم الإسلامية , (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت -٢٠٠٨م) ص٩-١٣**

(٥) **قمر الزمان , أورنجزيب , ص١٦٣.**

(٦) **بخشي , المسلمون في الهند , ج١ ص٢٩٣ .**

(٧) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٨٤ ؛علي , قلاع وحصون وأسور وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص ٢٧٤ .**

كارخانات أي الشركات والمصانع الملكية , ويجب الإشارة إلى أنه لم يكن هناك نظام استهلاكي آنذاك وإنما كانت الحكومة تنشئ المصانع إلى جانب دور ضرب النقود والمصانع لصناعة أثاث القصر الملكي والمواد الغذائية , بما فيها الإسراج , و الخيم , والسجاد و الملابس والأقمشة الفاخرة والخلعات وغيرها , وتدار هذه الكارخانات تحت أشرف خان سامان , وكانت هناك كارخانات عديدة في المدن والولايات , وكانت كلها تابعة لديوان خان سامان , فكان معه مساعدوه يقومون بكافة المسؤوليات الخاصة بهذه الكارخانات بما فيها اختيار الكوادر المؤهلة لإنجاز الأعمال بصورة جيدة (١) .

(١) قمر الزمان , أورنجزيب , ص١٥٧.

المبحث الثاني
النظم القضائية

القضاء لغةً : يعني الحكم الشرعي , واصطلاحاً : هو الفصل بين الخصومات[١], وقد عرف ابن خلدون القضاء قائلاً : القضاء منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع[٢] والقضاء هو الحكم بين الناس بما أنزل الله تبارك وتعالى[٣] وقيل هو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام[٤],ثم دفع للقاضي بعد ذلك أمور أخرى على التدريج بحسب اشتغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكبرى , واستقر منصب القضاء آخر الأمر على أنه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين , مثل النظر في الوصايا والأوقاف, وصارت كل هذه وأمثالها من متعلقات وظيفته[٥], ويعد القضاء من أكبر وأهم الوظائف الإدارية في الإسلام والتي نالت رعاية كبرى منذ بداية الدعوة النبوية في مكة والمدينة ومن ثم يعتبر النبيﷺ أول قاضٍ في الإسلام وكان لا يحابي أحداً من المتخاصمين فقد أوصى الإمام علي بن أبي طالبرضي الله عنه عندما بعثه قاضياً على اليمن« إذا أتاك الخصمان فسمعت من أحدهما فلا تقضين حتى تسمع من الآخر فإنه أثبت لك »[٦] بعدها أصبحت من اختصاص الخليفة , وقد أرسى الإسلام القواعد والأسس التي نظمت التعامل والعلاقات بين أفراد الأمة الإسلامية, كما وضع لها التشريعات والقوانين لحسم المنازعات والخلافات معتمداً على النظريات المتعلقة بالقوانين الاجتماعية والتشريعية المستمدة من القرآن الكريم الذي يعد على الإطلاق المصدر الأصلي للحصول على القواعد والأصول , ولقد مر القضاء الإسلامي في مراحل

---

(١) الماوردي , الاحكام السلطانية , ص١١٠ ؛ الهاشمي , الحضارة العربية الإسلامية..., ص٥٥.

(٢) المقدمة , ص٢٧٥.

(٣) الكاساني , أبو بكر مسعود (ت : ٥٨٧هـ) , بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع , (دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٦م) ج٧ , ص ٢ .

(٤) ابن فرحون , إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري (ت : ٧٩٩هـ) , تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام , (مكتبة كليات الأزهرية – القاهرة – ١٩٨٦م) , ج١ , ص١١ .

(٥) عبد القادر ,علي , الفقه الإسلامي القضاء والحسبة , (المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ١٩٨٦م) , ص٥٧ .

(٦) البيهقي , أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت: ٤٥٨هـ) , السنن الكبرى , تح , محمد عبد القادر عطا , (دار الكتب العلمية– بيروت –٢٠٠٣م) , ج١٠ , ١٤٨ .

متعددة اكتملت فيها معالمه ووضحت تفصيلاته ولاسيما بعد تأسيس أربع مدارس فقهية في عهد الخلافة العباسية[١] وكان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلون القضاء في شي إلى سواهم , ثم اضطروا إلى استخلاف أمر القضاء في الواقعات بين الناس إلى سواهم , تخفيفاً لأنفسهم , فقلدوا القضاء لغيرهم وإن كان مما يتعلق بهم على طريق الاستنابة , والقاضي بحسب النظرية الإسلامية , هو الذي يفصل في كل الأمور , دينية أو دنيوية , وفي الجنايات والعقوبات وغيرها , ولكن هذا كان أمراً نظرياً فحسب , والواقع فعلاً هو أنه كان يوجد في الإسلام من قديم هيئة للقضاء مزدوجة , إحداهما دينية والأخرى دنيوية , فهذه المسائل المتعلقة بالدين تعلقاً شديداً مثل الأحوال الشخصية والميراث والوقف وغيرها كان يُحكم فيها حسب الشريعة أمام القاضي الشرعي , أما غيرها من المسائل الأخرى فكانت من اختصاص الوالي والسلطة الحاكمة , يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الأحكام الشرعية وهكذا كان يقوم بجانب القضاء النظر في المظالم , وكانت المسألة المهمة دائماً هي أيهما أقوى : سلطة القضاء الذي يمثله القاضي أم سلطة السلطان الدنيوية؟ على أنه لم يكن اختصاص كل من هذين محدداً تحديداً دقيقاً , وإنما كان يحكم الوالي , فيما كان يعجز عنه القاضي , ويظهر أن قضاء القضاة كان قديماً مقصوراً على الخصومات والواقعات , أما القصاص والحدود , فكانت ترجع إلى الخلفاء وولاة الأمصار, فلم نعرف قاضياً ليس أميراً قضى بعقوبة من قصاص أو الجلد , وكانت العقوبات التأديبية كالحبس , لا يأمر بها إلا الخليفة أو عامله , فكانت دائرة القاضي على العموم ضيقة , وأحياناً كان ينظر القاضي في أمور ليست داخلة في عمله[٢] .

ولقد شهدت العصور الإسلامية في الهند منذ بداية الغزنويين إلى تأسيس الدولة المغولية الإسلامية انتشار العدل والإنصاف بين أهالي الهند , فقد أدى ديوان القضاء في عهد سلطنة دلهي دوراً حيوياً, وقد ورثت سلطنة دلهي نظمها القضائية عن الغزنويين والذين ورثوها بدورهم عن الخلفاء العباسين في بغداد[٣]. وكانت هناك العناية التامة بإدارة القضاء التي أولاها الحكام المسلمون في الهند كل اهتمامهم في اختيارهم للقضاة الذين راعوا فيهم العلم والفقه بأمور الدين , وقد ارتفعت منزلة هؤلاء القضاة فشاركوا في الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية

---

(١) **ابن ألازرق , محمد بن علي بن محمد الأصبحي (ت: ٨٩٦هـ), بدائع السلك في طبائع الملك , تح د.= =علي سامي النشار ,ط١ (وزارة الاعلام – العراق) النبراوي , تاريخ النظم والحضارة الإسلامية , ص١١٤.**

(٢) **عبد القادر , الفقه الإسلامي في القضاء والحسبة , ص ٥٨ .**

(٣) **للمزيد من المعلومات عن القضاء في عهد السلطنة ينظر : الجبوري , رضوان عطية وردي , الهند في عصر السلطنة الإسلامية (٦٠٢-٨١٥هـ/ ١٢٠٥-١٤١٣م) , أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي مقدمة الى مجلس كلية التربية في جامعة الموصل – ٢٠١٢م , ص١١٣-١١٩ .**

بجانب السلاطين, وأحياناً قاموا بالعديد من الثورات التي شارك فيها أهل البلاد بجانبهم ضد سلاطين دلهي[١].أما سلاطين المغول فقد ورثوا النظم القضائية ذات الدعائم القوية لدولة المماليك أي دولة سلطنة دلهي, في الهند وبعد تأسيس الدولة المغولية لم يقم سلاطين المغول بأي تغير جذري إلى أن جاء السلطان أكبر فوضع دينه الجديد الذي ترك تأثيراً سلبياً للغاية في العقيدة والشريعة الإسلامية ولكن لم تتأثر روح العدل والإنصاف كثيراً بغياب القضاء الإسلامي ولم يستطع الدين الجديد إجهاض محاولة العلماء والقضاة بإعادة الروح الدينية الحقيقية , فنجحت هذه المحاولات في عهد السلطان جهانجير بعد موت السلطان أكبر , وتلاشى ثم اندثر ذلك الدين الباطل وعادت الروح الحقيقية إلى القضاء الإسلامي مرة ثانية[٢] فالقاضي وظيفته تنفيذ الأحكام الشرعية على الناس , وفصل خصوماتهم بالعدل والشرع , وكانوا يبعثون في كل ولاية قاضياً , أكبرهم قاضي القضاة الذي يلازم الحضرة ويسمونه صدر جهان[٣].

حرص السلاطين جميعاً في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند على ضمان العدل في دولتهم وبين رعاياهم وانتشار الأمن في ربوع بلادهم من خلال دقة اختيارهم للقضاة أو الجلوس للقضاء بأنفسهم وألزموا التجار والصيارفة بمراعاة الأمانة , وراقبوا سلوك عمالهم مراقبة دقيقة في الغالب, فلم يترددوا في أن ينزلوا بهم أشد العقاب حين كانوا يتحققون من ظلمهم للرعايا أو اعتدائهم على أملاكهم أو أموالهم , وكان صدر الصدور «المفتي» وقاضي القضاة ومساعدوهم يعاونون السلاطين في ذلك كله على وفق قواعد الشرع الشريف , مع مراعاة رسوم الهندوس وشرائعهم فيما يعرض لهم من مشاكل ويقوم بينهم من خصومات[٤], فالسلطان بابر كان يحض موظفيه على إجراء العدل بين السكان جميعاً لا يفرقون في ذلك بين مسلم وهندوسي , أما السلطان همايون فقد كان حرصه أكبر على تطبيق العدالة في كافة أنحاء بلاده , فأوجد ما يسمى بـ« طبل العدالة» , ووضع له نظاماً يقضي بأن يدق صاحب الشكوى هذا الطبل مرة واحدة إذا كان يشكو من عداوة عدو , ومرتين إذا كان قد أخطأه الإنصاف , وثلاث دقات إذا كان قد سُرق منه شئ , وأربع إذا كانت الحادثة حادثة قتل , والملاحظ أن هذا الطبل لم يكن يستعمل كثيراً , ولكن فكرة إنشائه تدل على شعور السلطان بالعدل وعنايته بنشره واستتبابه[٥]. وبلغ حرص السلطان أكبر على ضمان العدل في دولته أنه كان ينظر بنفسه في القضايا الكبرى

---

(١) ابن بطوطة , الرحلة , ج٢ , ص٣٤٩- ٣٧٠ .

(٢) Sarkar , Mughal Administration , 35. ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص١٧٧

(٣) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٨١.

(٤) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٤٥-١٤٦, ٣٠٧ .

(٥) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص٥٤-٥٥ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢١٢ .

التي كان على عماله بولايات الدولة أن يبعثوا بها إليه ,كما كان يفتح أبواب قصره للناس يوماً معلوماً وهو يوم الخميس في كل أسبوع ليتلقى منهم مشاكلهم بنفسه أو يتلقاها من ينيب عنه من ثقاته حين كان يتغيب عن مقره[١]. ولم يكتفِ السلطان أكبر بقاضٍ واحد بل أصدر أوامره لتعيين القضاة والمفتين في كل جزء من أجزاء مملكته ليحكموا بين الناس بالعدل تبعاً لأصول الشريعة الإسلامية وكان ذلك في المدة التي سبقت انحرافه أما بعد انحرافه استبد بكافة الأمور حتى القضاء حيث سلبهم كل حقوقهم في إصدار الأحكام والفتاوى من دون الرجوع إليه[٢] إذ أصدر ما يعرف بـ«مرسوم العصمة» الذي يمنح السلطان صلاحيات مطلقة وبلا حدود في مجال الاجتهاد بكل المسائل الدينية دون الرجوع إلى العلماء ومن سواهم , وهو بذلك يتنصل عن تقليد الآباء والأجداد في هذا الأمر[٣]. وهذا ما سنتطرق إليه لاحقاً في الجانب الديني .

وهنا يمكننا أن نستنتج بأن القضاء في عهد السلطان أكبر مر بمرحلتين ,المرحلة الأولى: مرحلة ازدهار وانضباط في تنفيذ الأحكام الشرعية نتيجة لتولي القضاء من قبل قضاة ثقاة لا يخافون في الله لومة لائم ولا يتوانون في إنزال العقاب بالمقصر مهما كانت منزلته , والمرحلة الثانية : بعد انحرافه , التف حوله العديد من علماء السوء وقضاتهم وكان من آبرز هؤلاء القضاة الحاج إبراهيم السرهندي(ت:٩٩٤هـ/١٥٨٦م) صدر مقاطعة كجرات, أخذ بالارتشاء وعُزل عن وظيفته , وكذلك القاضي جلال الدين الملتاني(ت:٩٩٩هـ/١٥٩١م) الذي يشغل منصب قاضي القضاة, فهو ومجموعة أخرى من علماء السوء أثبتوا توقيعاتهم على محضر انحرافات السلطان أكبر الدينية مؤيدين لها لذلك انشرح صدر السلطان وفتح أبواب الاجتهاد أمام هؤلاء المنحرفين لبث سموم أفكارهم, وقد زور جلال الدين الملتاني مرسوماً ملكياً ليكتسب به نصف مليون[٤] « تنكه»[٥] وذكر لوبون بأن العدل لم يطبق في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند أيام السلطان أكبر, فقد كان يُغوي القضاة بالهدايا والأموال , ثم يضيف ويقول : صحيح أن السلطان أكبر علق في قصره أجراساً يمكن كل إنسان أن يقرعها ليشكو ظلماً أصابه , غير أن القوم كانوا يعلمون أن من يحاول قرع هذه الأجراس يكون عرضة لانتقام الظالمين الفظيع, فكانت تلك

---

(١) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٤٥ .

(٢) الشيال , تاريخ أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص١١٠-١١١.

(٣) الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص٣٥ .

(٤) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٣ ص٦٠٤-٦٠٥ ؛ الندوي, الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٤٩٦-٤٩٧ ؛ الندوي , تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند , ص٦٦.

(٥) تنكة : وهي عملة من الذهب والفضة كليهما , كانت رائجة بهذا الاسم في عصر ملوك الهند و أول من أجراها محمود الغزنوي , ثم تغير اسمها في عصر أكبر وسميّ (مهر) , بخشي , المسلمون في الهند , ج١ , ص٨ , ١١.

الوسيلة غير صالحة لدرء المظالم[١], ومما لا مجال فيه للشك أن كل ما وقع من المداهنة والتخاذل في الأحكام الشرعية في هذا الزمان وما ظهر من الفساد والوهن في نشر الدعوة الإلهية و إبقاء مآثرها في هذا العصر , إنما يرجع سببه إلى علماء السوء.[٢] أما السلطان جهانجير فقد دفعه حرصه البالغ على ضمان العدل المطلق في دولته , الوقوف على شكاوى رعاياه والنظر في تحقيقها بنفسه , إلى أن أمر بمد سلسلة العدالة وهي تقريباً على غرار طبل العدالة الذي أوجده جده السلطان همايون , وقد ذاع صيت هذه السلاسل حيث قال عنها السلطان جهانجير نفسه((أول ما أمرت به بعد جلوسي على العرش هو مدّ سلسلة العدالة؛ لأطلع بنفسي على شكاوى المظلومين من إهمال رجال ديوان العدالة والقضاة لأمرهم))[٣]

وكانت هذه السلسلة من الذهب الخالص بطول ثلاثين ذراعاً , وتتدلى منها أجراس سبعة , وتمتد من شرفة البرج السلطاني الخاص , والغالب أن سطوة الحكام ونفوذ العمال كان أقوى من إرادة السلطان , فلم تُحرّك هذه السلسلة وتهز أجراسها إلا مرات قليلة , هذا كما كان في أسفاره ورحلاته الكثيرة لا يتوانى عن تفقده أحوال الناس والجلوس إليهم وتحقيق مظالمهم بنفسه , وعزز أعماله هذه بإصدار دستور أمل, وهو اثنتا عشرة وصية لضمان تحقيق العدالة بين رعاياه والذي سوف نتحدث عنه لاحقاً[٤] .

ويقول جهانجير :((عملت من أول يوم نزلت فيه مدينة أحمد آباد على الجلوس كل يوم مع شدة الحر بعد الفراغ من صلاة الظهر في شرفة على جانب البحر ساعتين أو ثلاثة , لا يحول بيني وبين الناس باب و لاجدار ولا حارس, وما تخلفت يوماً حتى أيام ابتلائي بالوجع الشديد عن حضور الشرفة ولو كان في ذلك حرمان لنفسي من الراحة و الهناء)).[٥]

ولم يكن السلطان شاهجهان أقل حرصاً من أسلافه في أمور القضاء والعدل فقد تميز بالحزم الشديد مع رجاله وعمّاله , والسهر على مصالح رعيته , حتى كان لا يتردد في إنزال العقاب بالمقصرين في تحقيق العدالة والمتسببين بالإهمال الذي من شأنه أن يلحق الضرر بالغير.[٦] وكان من القضاة البارزين في زمن السلطان همايون الشيخ العالم الفقيه القاضي عبد

---

(١) **حضارات الهند , ص٤٢٩.**

(٢) **الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص٦٧.**

(٣) **النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٣٧ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ,ج٢ , ص١٦٥ .**

(٤) **الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٦٥؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص١٦٦.**

(٥) **النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٣٧ .**

(٦) **طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٩٢ .**

الشكور بن إسماعيل بن عطاء الله السهسواني ولي القضاء بسهسوان , قتل سنة(٩٤٢هـ/١٥٣٥)[١], ومن القضاة المشهورين في زمن السلطان أكبر الشيخ العالم العلامة القاضي عبد السميع الحنفي الاندجاني أحد العلماء المشهورين في العلوم الحكيمة , قدم الهند في أيام السلطان أكبر فولاه القضاء الأكبر وكان ممن يضرب به المثل في التدريس[٢] ويعد القاضي نور الله بن شريف الدين التستري من القضاة المنحرفين رحل إلى الهند فولاه السلطان اكبر منصب قاضي القضاة بلاهور فاستقل إلى أيام السلطان جهانجير , وكان يخفي مذهبه عن الناس تُقية , اشترط عليه ألّا يخرج في أحكامه عن المذاهب الأربعة فاستمر إلى أن أظهر غير ذلك حيث اكتشف أنه يقضي على مذهبه ويعمل على الدس في الدين , فقتل تحت السياط في مدينة أكبر آباد[٣].

والقاضي الشيخ الفقيه يعقوب المانكبوري من العلماء البارزين في الفقه والأصول , تقرب إلى السلطان أكبر شاه فولاه قضاء العسكر فصار قاضي قضاة الهند واستقل به زماناً ثم عزل وولي القضاء الأكبر, إلا أنه أيد بعض الخارجين على السلطان أكبر فعزله عن القضاء وأمر بحبسه في أحد القلاع لكنه مات قبل وصوله إليها , ويقال إن السلطان أكبر أمر بقتله فقتلوه [٤] ومن أبرز القضاة زمن السلطان جهانجير القاضي محمد أسلم الهروي وهو من العلماء البارزين في المنطق والحكمة , دخل أكرا في أيام السلطان جهانجير فَوَلّي القضاء بكابل فاستقل به مدة , ثم وُلّي قضاء العسكر في أيام السلطان جهانجير , ولما قام بالملك السلطان شاهجهان جعله إماماً له في صلواته الخمس والجُمع والأعياد , وطلب منه السلطان أن يسافر مع ناظر الحرم السلطاني للحج فلم يجبه القاضي واعتذر بأعذار واهية , فاستكره السلطان فعله وعزله عن القضاء , وممن تولى القضاء في عهد السلطان شاهجهان القاضي يوسف البلكرامي وهو أحد الفقهاء الحنفية , اشتغل بالعلم وَولي القضاء في بلدته بعد والده[٥]

ومن الوظائف الأخرى المساندة للقاضي وظيفة « داروغة عدالت » وإليه ترفع القضايا العرفية , وكان يجلس كل يوم من أول النهار إلى ثلثه أي الظهيرة , ليصل إليه المظلومون ممن لا يستطيعون أن يصلوا إلى السلطان , فينظر في قضاياهم , ويحكم بالشرع أو العرف , وإن لم

---

(١) بدايوني , منتخب التواريخ , مج١ , ص٦٢٠ ؛ الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر), ج٤ , ٣٦٤ .

(٢) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٤ , ٣٦٤ .

(٣) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) ,ج٥ , ص٦٥٨ ؛ الزركلي , خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن الفارسي (١٣٩٦هـ) , الأعلام , ط١٥ دار العلم للملايين – ٢٠٠٢م , ج٨ , ص٥٢ .

(٤) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٣ ص٦٠٥ ؛ الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر), ج٤ , ص٤٤٦.

(٥) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) ,ج ٥ , ص٤٩٧ , ٦٢٧ , ٦٦٦ .

يستطع ذلك فيقدمها إلى حضرة السلطان يوم الأربعاء حيث يقوم بإعداد سجلات خاصة بكل القضايا التي حدثت خلال هذا الأسبوع(١) .

– الصدر:

وهو صاحب الشريعة في الإقليم كله, وجرت العادة أن يعين من العلماء ممن يتصف بالمهابة ويأتمر القضاة بأمره(٢), وصدر كل شيّ أوله, وقد استعمل كلقب من ألقاب الكناية المكانية , وكان يقصد به صدر المجلس, وكنى به الملقب إشارة إلى مهابته ومكانته بين القوم , وقد استعمل هذا اللقب في العصر الإسلامي في النقوش منذ أوائل القرن السادس الهجري , وكان يغلب إطلاقه على رجال الدين , وصار هذا اللقب في عصر المماليك من الألقاب الأصول التي تستعمل في المكاتبات الرسمية , وكان يلي في الرتبة لقب مجلس الصدر الذي كان أعلى منه درجة , وكان لقب الصدر في هذا العصر يطلق على التجار الكبار وأرباب الصناعات الرئيسة :كرياسة الطب « الكحّالين » , ورياسة الجراحة ونحو ذلك , وأفراد حاشية السلطان , وقد استعمل اللفظ في تكوين بعض الألقاب المركبة مثل« صدر الإسلام , وصدر الصدور »(٣)ووظيفة صدر الصدور هي تحقيق استحقاق العلماء , والمشايخ , والأئمة , والعجزة , والأرامل , والأيتام , وغيرهم , للوظائف والرواتب والشهريات واليوميات , والأرض الخراجية لتمنح لهم من بيت المال , وكذلك وظيفته نقد أعمال القضاة , واستحقاقهم لتلك الخدمة الجليلة , ويكون من أمراء الألوف(٤).

ومِن أبرز مَن تولى وظيفة صدر الصدور الشيخ عبد النبي وهو من كبار العلماء والمحدثين في عصر أكبر , وبلغ من تكريم الملك إياه أنه كان يقوم له تجلة وإكراماً كلما دخل عليه ويقدم له نعليه أذا إراد الانصراف(٥) , وهو من الذين وقعوا على مرسوم العصمة الذي أباح للسلطان أكبر إصدار كل ما هو منكر ومعارض للإسلام من دون أن يحق لأحد من العلماء

---

(١) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٨٤ ؛ علي , قلاع وحصون و أسوار و بوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٧٤.

(٢) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٤٨ .

(٣) الباشا , الألقاب الإسلامية في التاريخ و الوثائق والآثار , ص٣٧٨ .

(٤) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٨٣ ؛ علي , القلاع والحصون والأسوار والبوابات الأثرية في الهند , ص٢٧٢.

(٥) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٣ ص٦٠٥–٦٠٨ ؛ الندوي , تاريخ الدعوة الاسلامية , ص٦٣ .

الاعتراض[١]. وممن تولى هذا المنصب أيضا في عهد السلطان أكبر أمير صدر جهان وهو من سادات قنوج[٢].

-**المفتي :**

وهو شخص هندوسي يمتاز بالحكمة والمعرفة , عُيّن من قبل السلطان في الدولة المغولية؛ لكي يكون مستشاراً للقاضي المسلم حيث يستشيره القاضي عند حكمه على بعض الأشخاص الهندوس فيما إذا وقع أي خلاف بينهم , ويتم تعيينه بالسند الملكي , ومن اختصاصاته تقديم المساعدة الشرعية للقاضي حول القضايا المعقدة وكان بمثابة المحامي يصاحبه لتبسيط وشرح القانون ولكن ليس من اختصاصاته الحكم على القضايا ولكن كانت لآرائه أهمية كبرى عند القاضي حول الحكم بمقتضى الشريعة الإسلامية[٣], أما البندت أي المفتي الهندوسي فيتم تعيينه من قبل الهيئة الدينية الهندوسية ورجال الدين الهندوس , ومن اختصاصاته تقديم المساعدة الشرعية الهندوسية للقاضي حول القضايا الدينية الهندوسية والأحوال الشخصية الهندوسية[٤], ومن أبرز من تولى هذا المنصب الشيخ بهاء الدين والقاضي ابو الفتح وكلاهما كانا مفتياً لمدينة أكرا و ملا إسماعيل مفتي مدينة لاهور[٥]

- **مير عدل :**

كانت لمنصب مير عدل أو أمير العدل أهمية كبيرة في ظل الإمبراطورية المغولية , مركزية كانت أو محلية وكان يصاحبه داروغة عدالت ومن اختصاصات مير عدل تقديم المساعدة للقاضي في الفصل بين القضايا , وكان له دار مستقلة يطلق عليها ديوان عدالت فكان يجلس في هذه الدار من الصباح إلى الظهيرة , وكان من أهم واجباته إعداد السجلات الخاصة بكل القضايا التي حدثت مثلاً في المدينة خلال أسبوع ثم إرسالها إلى صدر الصدور في العاصمة للعرض على السلطان , ومن واجبات مير عدل أن يخبر السلطان بشكاوى الرعية , وتقديم التقارير السرية حول اعتداءات الولاة على الرعية[٦] ومن أبرز من تولى هذا المنصب في عهد السلطان أكبر هو قرابهادر وهو من فحول علماء الهند , وكذلك خواجة عبد الحي[٧] .

---

(١) **الندوي الإعلام(نزهة الخواطر) ج٥, ص٤٩٦ .**

(٢) **بدايوني , منتخب التواريخ , مج٣ ص٦٣٨-٦٣٩ ؛ بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ ص ٢٢٨ .**

(٣) **Sarkar , The Mughal Administration ,P.18. نقلا عن قمر الزمان , أورنجزيب , ص١٨٢**

(٤) **قمر الزمان , أورنجزيب , ص١٨٢ .**

(٥) **بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص٢٣٣ ,٢٣٧ .**

(٦) **قمر الزمان , أورنجزيب , ص١٨٢-١٨٣ .**

(٧) **بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ ,ص٢١٧, ٢٢٧ .**

- **الشرطة :**

وهي من الوظائف الإسلامية القديمة , وكانت تساند القاضي والمحتسب في تنفيذ الحكم الذي يصدره ضد المدنيين[١]ويبدأ تاريخ الشرطة بعهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذي كان يتفقد أحوال الناس بنفسه في الليل ويطارد المنحرفين بحسب النظام الذي يطلق عليه العسس[٢], أما في الهند فكان يطلق على صاحب الشرطة منذ عهد الغزنويين إلى الدولة المغولية لقب الكوتوال أو الكُتول وهي بمثابة وظيفة رئيس الشرطة[٣], والكوتوال كلمة تركية وتعني حارس القلعة أو قائدها[٤], والشرطة عند ابن خلدون هي ((وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الأحيان))[٥] وتعد الشرطة عنصراً أساسياً من مكونات امبراطورية المغول الإسلامية في الهند, إذ حرص أباطرة المغول على دعم جهاز الشرطة وإخضاعه لإشرافه المباشر منذ تأسيس الامبراطورية ومن أبرز واجبات صاحب الشرطة هي حراسة السلطان وتأمين مقر إقامته وتنظيم مواكبه وملازمته عند خروجه ليظل في خدمته ورهن إشارته وكان يوكل إليه حراسة المدينة في الليل والبحث عن اللصوص وقطاع الطرق ومراقبة السكان ورقابة الأسواق وحفظ الاموال والدور والزروع والقرى[٦], ويختص صاحب الشرطة بحفظ الأمن وتنفيذ الأحكام التي يصدرها رجال السلطتين التنفيذية والقضائية[٧] اهتم السلطان شيرشاه بالأمن حيث أجرى تعديلات في نظام الشرطة , والتي أصبح بموجبها رؤساء القرى مسؤولين عن حفظ الأمن وضبط المجرمين في قراهم , كما أصبح اللصوص والأشرار مسؤولين عن الأمن في مناطقهم وحملهم مسؤولية ما يرتكب في مناطقهم من تجاوزات , ولم يكن يتردد في معاقبة أي مسؤول مهما كان مركزه إذا تجرأ على الاعتداء على مصالح الشعب أو خرج في مسلكه على قواعد النظام والعدالة, مما ألزم رجال الأمن والشرطة بالسهر على راحة الناس وأشاعة الطمأنينة والأمن في نفوس المواطنين[٨] .

---

(١) **الأصيبعي , د.محمد إبراهيم , الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية (دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون) , (مطبعة الانتصار لطباعة الاوفست) , ص٥٢-٥٣ .**

(٢) **السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص١٤٤ .**

(٣) **الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٤٩ ؛ طقوش, تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٥٦.**

(٤) **درويش , السلطان محمود الغزنوي , ص١٣٢ .**

(٥) **المقدمة , ص٣١١ .**

(٦) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٨١ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ,ج٢ , ص١٤٥ .**

(٧) **الأصيبعي , الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية , ص٧٥-٧٧ .**

(٨) **غنيم , تاريخ الهند الحديث , ص٨٨-٨٩ .**

وكان من أبرز وصايا وأوامر السلطان أكبر التي أرسلها إلى الحكام والعمال في مملكته هي قوله لهم : ((إن لم توجد في بلدتك شرطة فقم أنت بأعمال الشرطة ولا تستحي من هذه الخدمة وأحسبها عبادة لله تعالى؛ لأنها خدمة لعباده , ويجب على صاحب الشرطة في كل بلدة وقرية إحصاء الحارات والبيوت والنفوس , وأن يكتب أسماؤهم في سجل عنده ويضمن كل واحد من السكان للآخر سلامة نفسه وماله وصيانة عرضه , واشترط السلطان أكبر في انعقاد النكاح أن يحضر الزوجان أمام صاحب الشرطة))[١]

- **جهاز الحسبة :**

وهم جماعة تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتكليف من الحاكم المسلم , وتعد الحسبة واحدة من النظم الإسلامية التي أوجدتها الشريعة الإسلامية وانفردت بتطبيقها الأمة الإسلامية ويعود هذا النظام إلى عصر النبوة إذ تولاها النبيﷺ بنفسه واتبعه خلفاؤه من بعده إلى أن أصبحت من النظم الأساسية في حكومة المسلمين[٢] .

والحسبة نوع من أنواع القضاء استحدثت لتطبيق العدالة في المجتمع , عرفها الفقهاء بأنها "أمر بالمعروف إذا ظهر تركه , ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله ", وهي من أوائل النظم الإسلامية ظهوراً[٣], ويدعى الذي يتولى هذه الوظيفة بالمحتسب وهو الذي يراقب سلوك الناس ويمنع ممارسة البدع وارتكاب ما ينافي الشرع والآداب[٤] فوظيفة المحتسب إذن هي الأمر والنهي وتغيير المنكر في المشاكل اليومية الواضحة التي لا نزاع فيها , والتي لا تحتاج إلى حلف أو يمين أو سماع شهود أو إقامة حدود, فهذه كلها من اختصاص القاضي ولا دخل للمحتسب فيها وعقوبته التوبيخ والتشهير , فهو يراقب الأسواق والتجار وأرباب الحرف ويمنعه من الغش وغيرها , ويشترط في المحتسب أن يكون مسلماً حراً بالغاً تقياً عاقلاً عادلاً قادراً ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين عارفاً بأحكام الشريعة بعيداً عن الرياء حتى تكون له في قلوب الناس مهابة وجلالة , متورعاً عن قبول الهدايا ولا يخالف قوله فعله , ويراقب المحتسب الأمور الظاهرة ولا يتجسس ,ولا يقتحم على أصحاب الدور دورهم ليحاسبهم على ما يصنعونه سراً لأن للدور حرمه مصانة , وكان المحتسب يأخذ أجر القضاء , وتقع عليه بعض الآداب منها أن يظهر للناس بهيئة حسنة

---

(١) **الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٥٦, ٥٨ .**

(٢) **ابن تيمية , تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله (ت: ٧٢٨هـ) , الحسبة في الإسلام , ط١, دار الكتب العلمية ,ص٥-١٧ ؛ النبراوي , تاريخ النظم والحضارة الإسلامية , ص١١٧-١١٨ .**

(٣) **الهاشمي , الحضارة العربية الإسلامية دراسة في النظم الإدارية , ص٦٦ .**

(٤) **طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٥٦ .**

وثياب نظيفة ويتعطر بالمسك[١] ومن ابرز واجباته النهي عن ارتكاب المنهيات والمحرمات كشرب الخمر وسائر المسكرات[٢]مراقبة الأسواق والإشراف على الموازين والمكاييل وتعيين الأسعار, ومراقبة الآداب العامة في الطرقات و مراقبة العبادات , وأرباب الحرف وأصحاب المهن المختلفة, ومراقبة الأبنية والطرق[٣].ولقد تم تنفيذ هذا النظام الإسلامي في شبه القارة الهندية بعد تأسيس الدولة الإسلامية , فبدأ المحتسب يمارس واجباته بحسب الشرع والقانون الإسلامي لاسيما في عهد سلطنة دلهي , حيث الاهتمام البالغ من جانب السلاطين المملوكين بتنفيذ النظم الإسلامية , ولكن هذا الجهاز فقد مهماته في ظل حكومة السلطان أكبر, إلا أنه عاود نشاطه في عهد السلطان أورنجزيب بل اهتم به اهتماماً كبيراً لذلك أصدر أمراً لديوان صدر الصدور بتوظيف المحتسبين في المدن والقرى كبيرة كانت أو صغيرة, ويتقاضون على منصبهم على الأغلب مائة وخمسين روبية لأنفسهم وعشراً للخيل[٤]

وكان هذا الجهاز يعمل تحت إشراف القاضي أو صدر الصدور بالتنسيق مع صاحب الشرطة, لكن بسبب كثرة الأسواق في عهد السلطان أورنجزيب عينوا أكثر من محتسب ولهؤلاء شخص ينظم عملهم يسمى المحتسب الأعلى؛ وذلك نظراً لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلا بقوة وإمارة , ومن هنا كانت الإمارة أو ولاية أمر الناس من واجبات الدين[٥].

---

(١) الهاشمي , الحضارة العربية الإسلامية دراسة في النظم الإدارية , ص٦٦-٦٧.

(٢) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٨١.

(٣) Sarkar , Mughal Administrati ,39 ؛ الهاشمي , الحضارة العربية الإسلامية , ص٦٩-٧١ .

(٤) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٨١ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص١٨٨.

(٥) قمر الزمان , أورنجزيب , ص١٨٨ .

المبحث الثالث

النظم المالية

يمارس النظام المالي عبر مؤسساته العديدة وأسواقه دوراً بالغ الأهمية في اقتصاديات الدول , وتتركز تلك الأهمية من خلال الوظائف التي يقوم بها , فقد عنى سلاطين المغول في الهند بالأنظمة المالية لأهميتها في إدارة دفة الحكم لاسيما في بداية نشوئها لازدياد نفقاتها؛ بسبب حروبها الكثيرة وحاجتها إلى تكوين جيش قوي وتجهيزها بالأسلحة والمعدات الكافية , وضم المزيد من البلدان إلى سلطة دلهي , والمعروف أن مصادر دخل الدولة تكمن في الضرائب مثل ضريبة التجارة , ضريبة الملح , وضريبة الأملاك , والخراج , خمس المحاصيل خلال أوقات الحرب , هدايا من الحكام والأمراء والتجار, واثنين ونصف في المائة من دخل المزارعين لبناء المخازن, وهي ضريبة غير دائمة , وكانت هذه الواردات تصرف على تجهيز الجيش والحملات العسكرية ودفع رواتب الموظفين , ومصروف القصور السلطانية(١).

إن أموال سلاطين الهند لا تكاد تنضبط؛ وذلك لاختلاف الأحوال والأزمان والنقود وأصناف المالية والتي من أبرزها العشر والخراج والجزية , فضلاً عن هدايا الأمراء من الجواهر الثمينة , والأفيال , والأفراس , والأقمشة, والسلاح , والذهب والمسكوك , وغير ذلك عند قدومهم من البلاد , وفي الأعياد وأيام الفرح والسرور وغيرها , وأيضاً مصادرة أموال الأمراء بعد وفاتهم , وكان السلاطين بعضهم يأخذ قدر النصف , ومنهم يأخذ قدر الثلث , ومنهم يأخذ العشر , ومنهم من يكتفي بما يتيسر له من الخراج والجزية وأصناف المكوس, إلا أن السلطان أكبر والسلطان جهانجير اكتفى بواردات محاصيل الأرض فقط , أما في عهد السلطان شاهجهان فقد زادت أمواله بشكل كبير ؛ بسبب ازدياد كمية المحاصيل وفتح دولة آباد وبعض البلاد الأخرى(٢).

-موارد بيت المال

- الضرائب

منذ أن وجد الإنسان على شكل مجتمعات وجدت معه الضريبة , وأختلف دورها من مدة لأخرى , وأصل الضرائب عبادة دينية أو حق شرعي واجب للفقراء على الأغنياء يقصد به التقرب إلى الله تعالى بمال أوجبه الشرع وكلف به المسلمين لا يزيد ولا ينقص تحديداً للتحكم وإيقافها عند حدها , لذلك أولى السلطان بابر اهتماماً كبيراً بالضرائب فقد عين على كل إقطاع نائبين أحدهما مهمته الأساسية يقود الجند ومراقبة جمع الضرائب, ويتولى الآخر الإشراف على الإيرادات والمصروفات ويوازن بينهما , ويدفع للجند والعمال أجورهم , وحض نوابه في

---

(١) الندوي , الهند في العهد الاسلامي , ص٣٢٧- ٣٣٠ ؛ طقوش , تاريخ مغول ... , ص١٩٦.

(٢) الندوي , الهند في العهد الاسلامي , ص٣٣٠-٣٣١ .

المقاطعات كافة بعدم الاشتطاط في جمع الضرائب والمكوس , وعرف عن السلطان بابر البذخ والعطاء اللامحدود , فعندما رفع ضريبة التمغة عن الناس قبيل حرب رانا سنكا , أدى إلى خلل في الموازنة , الأمر الذي دفعه إلى زيادة الضرائب , وأمر بمسح الأراضي(١), لذلك لم يكن للسلطان همايون أية إصلاحات مالية تذكر ؛ لأن والده السلطان بابر ترك له خزائن خاوية(٢) .

أما في عهد السلطان شيرشاه فإنه اعتقد أن الأمور في الدولة لا تتحقق إلا إذا توافرت الرفاهية للفلاحين, وأدرك أن الأسلوب المتبع لتوريث وظائف الخراج كانت تُضيّع على الدولة جزءاً كبيراً من الضرائب المستحقة, فقد كانت سياسة الدولة من قبله تقوم على أن الملك هو مالك الأرض كلها يقطعها لمن يشاء , وعلى الفلاحين أن يزرعوها و يؤدوا نحو تسعة أعشار المحصول لأسيادهم أصحاب الإقطاع , فجاء السلطان شيرشاه ومسح الأرض , وحدد مقدار ما يؤخذ من الزارعين للحكومة بنحو ربع الحاصلات , ولهم الخيار في أدائه نقداً أو عيناً , على أن يتمتعوا بثلاثة أرباع محصولاتهم , ثم شدّد مراقبته على المحصلين حتى لا يظلموا الشعب , وجعل للفلاح الحق في تخطي العامل , ودفع ما يريد مباشرة لخزينة الدولة , وبجوار ذلك حدّد الضريبة التي تؤخذ من التجار دون إرهاق , مع توفير الأمن لهم في تنقلاتهم (٣) ,كما ألغى السلطان شيرشاه كثيراً من المكوس الجائرة واكتفى بجمع الضرائب الشرعية غير الباهظة , ولهذا فقد ألغى المكوس الداخلية , وأمر بجمع ضرائب الإنتاج عند الحدود وفي محل البيع داخل أراضي الدولة, فانتعشت التجارة وخفت الأعباء المالية عن كاهل السكان , فشعروا بشيء كبير من الرضا و الطمأنينة(٤), في حين تعد إصلاحات السلطان أكبر للنظام الضريبي من أهم الإصلاحات التي قام بها , ولضبط الضرائب كان لابد من عدد كبير من المحاسبين والكتبة , ومثل هذا العدد أو أكثر لجباية الرسوم , ومثلهم لتولي شؤون المال و التحصيلات , وغيرهم من المحاسبين والمفتشين لضبط القيود والإشراف على عمليات الجرد , وكان آلاف من الكتبة يسجلون يومياً مجموع واردات الدولة ومداخيل الضرائب , وامتدت إصلاحات السلطان أكبر إلى نظام الخراج , الذي يُعدّ أهم واردات الخزينة بعد رفع ضريبة الجزية عن الهندوس , فحاول أن يزيد واردات الدولة المالية بإجراء بعض التحسينات على الوضع الاقتصادي , فعهد إلى وزير ماليته تدرمال بوضع نظام ثابت لخراج الأرض يؤمن للدولة حقوقها المالية من جهة ولا يرهق كاهل السكان من

(١) **الساداتي , تاريخ المسلمين, ج٢ ص٥٦-٥٧ ؛ طقوش تاريخ مغول القبيلة الذهبية , ص١٧٣ .**

(٢) **علي , أحمد رجب محمد , تاريخ وعمارة الدور والقصور والاستراحات والحمامات الأثرية في الهند , (الدار المصرية اللبنانية – القاهرة-٢٠٠٦ م) , ص١٣.**

(٣) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٢٩-٣٣٠ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٨٩ .**

(٤) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول, ص٦٩ , ص٧٤ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية, ص ١٩٦ .**

جهة أخرى , فعمد هذا إلى مسح الأراضي الأميرية وتحديد ما يزرع فصلياً وسنوياً وما ينبت كل بضعة أعوام , وما يعتمد من الأراضي على السقاية المطرية وما يسقى منها من الأنهار والآبار, وما هو في حكم البور, وما يقع منها في السهل أو يقوم على سفوح الجبال أو تغطية الأحراش, ثم ربط الضريبة بمتوسط الإنتاج في عشرة أعوام على أن يكون للدولة ثلث المحصول نقداً , وأبقى سدس الغلة لإدخال تحسينات على نظام حياة الفلاح كضمان له , إذا أصاب الزرع آفة أو انقطع الماء عن الأرض فتجدب[١] وفي سنة (٩٨٨هـ /١٥٨٠م) أصدر السلطان أكبر حكماً بإلغاء رسم التمغة والزكاة من كل الممالك[٢], أما ابرز انجازات السلطان جهانجير في مجال الضريبة فقد كان من ضمن وصاياه الاثنتى العشرة في دستور أمل قوانين لتشريع الضرائب , والتي تحرّم الضرائب التي كان السكان ملزمين بدفعها إلى الولاة والعمال لمنافعهم الخاصة , لذلك أبطل الكثير من المكوس التي كانت تثقل كاهل الشعب[٣], حيث نهى عن أخذ الجباية على الشوارع والأنهار باسم تمغا ومير بحري؛ نظراً إلى ضعف الناس وعجزهم, وخشية من أن يدخل بعض الجنود دور الأهالي قهراً ويؤذوهم[٤]في حين يعد عصر شاهجهان العصر الذهبي فقد تجمعت في خزائن الدولة من الثروات الهائلة , بفعل ازدهار الزراعة والصناعة والتجارة على الرغم من كثرة الحروب الخارجية التي استنزفت الكثير من موارد الدولة , والمجاعة التي اجتاحت مناطق واسعة من البلاد , وقد فرض ضرائب جديدة على التجار , وأعاد فرض الرسوم التي كان الهندوس يُلزمون بها عند زيارة أماكنهم المقدسة وكان له دور كبير في تخفيف الضائقة الاقتصادية عنهم في أوقات الشدة[٥],ويقال إن ميزانية الدولة في عهده بلغت مبلغاً لم تبلغه من قبله ولا من بعده , حتى في أيام حكم الانجليز الذين حكموا ملكاً أوسع من ملكه, فقد كان يحصل على هذه المبالغ الطائلة من ضريبة الأرض , وكان يأتيه هذا المال دون ضغط أو ظلم , وهذا المبلغ لم يحصله الانجليز مع كثرة تعسفهم مع الناس[٦], لقد بلغت الثروة ذروتها , فقد ضربت الأمثال في أرجاء العالم كله بثروة الهند , وكانت خزينة السلطان شاهجهان مملوءة بالذهب والفضة, فقد حفر تحت الأرض غرفتين كبيرتين لحفظ الثروات بها[٧].

---

(١) **الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٥٠-١٥١.**

(٢) **بخشي , المسلمون في الهند ,ج٢ , ص١٥١-١٥٢ .**

(٣) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص١٢٤ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين, ج٢ ١٦٥-١٦٦ .**

(٤) **النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٣٧ .**

(٥) **طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٩٢-٢٩٣ .**

(٦) **النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٦٠ .**

(٧) **ديورانت , قصة الحضارة , مج١ ج٣ , ص١٥٩-١٦٠ .**

- **الجزية :**

وهي ضريبة الرأس تفرض على أهل الذمة , وقد اهتمت الدولة بهذه الضريبة وكانت تؤخذ من منهم على أن توفر لهم الدولة الحماية والأمان وتسمح لهم بممارسة طقوسهم الدينية(١), وبما أن مجتمع الهند مجتمع متعدد الديانات لذلك فعلت هذه الضريبة وقد قامت الحكومات الإسلامية في الهند بجباية الضرائب مثل محمد بن القاسم الثقفي ومروراً بالسلطان محمود الغزنوي ثم سلاطين دلهي إلى السلطان همايون في العصر المغولي أخذوا الجزية من غير المسلمين(٢) وذلك لأن الجزية تعد من أهم موارد الدخل في الهند وذلك لكثرة عدد غير المسلمين , وعلى الرغم من إن دخولهم في الإسلام يؤثر على ميزانية الدولة من ضريبة الجزية إلا أن سلاطين المغول حرصوا على تشجيعهم على اعتناق الإسلام , فقد قام السلطان شيرشاه , بإعفاء رعاياه الهندوس من الجزية والضرائب الأخرى المفروضة على أهل الذمة(٣) وقد حذا حذوه السلطان أكبر الذي رفع عن الهندوس ضريبة الجزية, وضريبة الحج(زيارة أماكنهم المقدسة)(٤).

إلا أن السلطان شاهجهان أعاد فرضها عليهم(٥),وكانت الجزية تؤخذ في الدولة الإسلامية من الذميين نظير إعفائهم من الأعمال الحربية لصالح الدولة , ولكن هذه الأحوال قد تغيرت في الهند , حيث كان الراجاوات والقوات الهندوسية يؤدون الخدمة العسكرية ويساهمون في الدفاع عن الوطن , كما كانوا يشتركون في الوظائف الإدارية, ومن ثم اجتهد العلماء فأفتوا بعدم أخذ الجزية من المشتغلين في الوظائف الحكومية أو المحاربين في صفوف القوات المغولية(٦)

- **المقاييس والنقود المغولية**

المقاييس :

لقد كان في الهند العديد من المقاييس لتحديد المساحات والمسافات قبل العصر المغولي , وكانت الحبة هي أصغر وحدة قياس وفيها نستطيع أن نصل إلى أبعد المساحات, فكل ثماني حبات تساوي أنكل بالهندية , أي إصبع بالعربية , وأربع أصابع تساوي رام بالهندية وهي القبضة بالعربية وأربعة وعشرون إصبعاً تساوي هات أو دست بالهندية أي الذراع بالعربية , وأربعة أذرع

---

(١) القرطبي , أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري(٦٧١هـ) , الجامع لأحكام القرآن , تح هشام سمير البخاري , (دار عالم الكتب – الرياض – ٢٠٠٣م) , ج٨ , ص١١٤–١١٥ .

(٢) درويش , السلطان محمود الغزنوي , ١٥٣؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٠٧ .

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٦٩ , ص٧٤ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند ,ص١٩٦ .

(٤) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ ص١٥٠–١٥١ .

(٥) طقوش , مغول القبيلة الذهبية والهند , ٢٩٢–٢٩٣.

(٦) قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣١١ .

تساوي دهناً بالهندية أي القوس بالعربية , و أربعون قوساً تساوي كروشاً , وأربعة آلاف ذراع تساوي كروه وهي تساوي ميلاً[١]. وقد ظهر في الهند العديد من المقاييس لتحديد المساحات والمسافات وفي وقت متأخر,أي في عهد سلطنة دلهي حيث تم استعمال مقياس أطلق عليه كز أي الياردة, وذلك لتحديد أطوال الأقمشة دون مساحة الأرض وهو أقصر من متر بنحو تسعة سنتمتر[٢] , ومن المقاييس التي استعملت في تحديد مساحات الأرض الزراعية الجريب ويبلغ ما بين ٥٠ إلى ٥٥ ذراعاً ويصنع الجريب من أنبوبات القصب , وأدخل فيها سلسلة من الحديد لكيلا يزيد وينقص ثم قامت الإدارة المغولية في عهد السلطان شاهجهان بوضع كز جديد أطلق عليه درع , وكان في السابق السلطان أكبر يرغب في أن يظل مقياس كز إلهي معياراً واحداً لتحديد المساحات كافة وبالفعل تخلى كز إلهي عن وحدات المقياس كافة لتحديد مساحات الأراضي , والمباني , والأملاك , والأقمشة , واستمرت هذه الوحدات إلى عهد السلطان شاهجهان الذي جعل مقياساً جديداً لتحديد مساحات الأراضي وسماه درع شاهجهاني[٣]

- **المكاييل والموازين**

كانت المكاييل والموازين بأرض الهند متشتتة لا يحصرها البيان , إذ استعمل الهنود القدماء وحدات كيل مختلفة, حيث يقول أحد المؤرخين عن تاريخ الهند: يزنون بالميزان الذهب ..ويستعملون فيه مقداراً يسمونه **سورن** ويسمى ثلاثة أرباعه **توله** ويكثر استعمالهم توله على قياس استعمالنا للمثقال , وكانت للدولة مقاييس خاصة للكيل وأصغر وحدة هي **الحبة** التي كانت الوحدة الأساسية للكيل التي عُدَّتْ المقاييس بحسبها , وأطلق عليها **رتي** قبل العصر المغولي , إنما أطلق عليها في العصر الأخير **سرخ**, وتعد **توله** من أشهر مكاييل الهند لميزان الذهب والفضة[٤], واستمر استعمال **الحبات** الهندية في تحديد المكاييل والموازين وهذه كانت هي تقاسيم وحدات الكيل الأساسية لبعض المواد الخفيفة , مثل الجواهر والأقمشة والطب وغيرها , أما ما يتعلق بالمواد الثقيلة مثل المواد الغذائية وغيرها ,فكان المكيال التقليدي **الموند** في عهد السلطان أكبر و**المن** في عهد من جاء من بعده و**المن** هو المعيار الوحيد الذي تم استعماله في ربوع الدولة المغولية ,وأصغر وحدة في **المن** أو **الموند** هي **دام** ثم **السير** ثم **المن** وكان **السير** في عهد سلطنة دلهي يساوي ١٨أو٢٢**داماً** , وفي بداية عهد السلطان أكبر كان يساوي ٢٨**داماً** ثم بلغ لدى تدوين ائين أكبري إلى ٣٠ **داماً** وكان **المن** يساوي ٤٠ **سيراً** , ولما جاء السلطان جهانجير, جعل

---

(١) البيروني , أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي(ت : ٤٤٠هـ) , تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة , ط٢ (عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٣هـ) , ص١١٦.

(٢) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٢٣ .

(٣) قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣١٤–٣١٥ .

(٤) البيروني , تحقيق ما للهند , ص١١٢ .

في سنة(١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م) **السير** الجديد الذي كان يساوي ٣٦**داماً** , وأما السلطان شاهجهان فوضع **سيراً** جديداً كان يساوي ٤٠ **داماً** وكان ذلك في سنة(١٠٤٣هـ/١٦٣٣م)[١]

-الأوزان والنقود

كان للدولة المغولية نقودها الخاصة وأوزانها , فالنقود التي كانت جارية في العصور الماضية بأرض الهند ,كانت مختلفة باختلاف العهود والأزمان , فلم نقف على أكثرها , ففي السابق كانت على ثلاثة أقسام : **القسم الأول : الذهبية** ويسمونها تنكة وزنها تولة واحدة , **والقسم الثاني : الفضية** ويسمونها أيضاً تنكة ووزنها تولة واحدة , **القسم الثالث: النحاسية** ويسمونها جيتل وزنها تولة واحدة , والتنكة الفضية الواحدة منها تعدل خمسين جيتلاً , أما النقود في أرض الدكن فأغلبها هن وهي سكة ذهبية توازن ثلاث ماشات , في حين كانت النقود في عهد امبراطورية المغول الإسلامية في الهند على أربعة أصناف :

الأول : الأشرفي وهي سكة ذهبية وكانت مختلفة , بعضها أغلى من بعض , فأغلاها توازن مائة تولة , **الثاني : الربية** وهي سكة فضية وهي أيضاً مختلفة , أشهرها كانت توازن إحدى عشرة ماشة , **الثالث: بيسه** وهي سكة نحاسية توازن تولة واحدة وثماني ماشات , **الرابع : دام** وهي أيضاً سكة نحاسية توزن تولة واحدة وثماني ماشات[٢] , وكانت قطع النقود في الهند في عهد السلطان اكبر وجهانجير أرقى من مثيلاتها في أية دولة أوربية حديثة من حيث تصميم شكلها من الوجهة الفنية, وصفاء معدنها[٣].

- **سك العملات**

شهدت الهند قبل قيام الدولة المغولية تطوراً واسعاً في مجال سك العملات الذهبية والفضية والنحاسية وقد تعددت دور الضرب في العاصمة والمدن الرئيسة لضرب العملات طوال العهد الإسلامي من الغزنويين وحتى المماليك[٤]. وفي العصر المغولي شُرعّت قوانين وقواعد لاستعمال النقود وحددت قيمة كل عملة, وكانت العملة الذهبية هي الدينار, والفضية هي الدرهم وباقي العملات نحاسية وقد وضع السلطان أكبر عدة قواعد لصناعة العملة وقواعد لاستعمال الجواهر والأحجار الكريمة والتعامل بها وصناعتها ولم يترك مجالاً للغش والتزوير في صناعة أو تداول العملة[٥], وتم إيجاد نظام مالي للمبادلات بالعملات المعدنية في ربوع الدولة المغولية من أهم الإنجازات التي قامت بها الإدارة المغولية آنذاك , فكانت تسك عملات الذهب والفضة والنحاس ,

---

(١) **قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣١٧ .**

(٢) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٢٢-٣٢٤ .**

(٣) **ديورانت , قصة حضارة الهند وجيرانها , ص١٥٧ , ينظر الملحق رقم ٥ .**

(٤) **القلقشندي , صبح الاعشى , ج٥ , ص٨٥-٨٩ .**

(٥) **الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر, ص١٥٣ .**

وكانت نسبة الذهب فيها في سك العملات الذهبية مائة في المائة , أما العملات الفضية فلقد تراوحت نسبة الفضة فيها مابين ٩٧% و١٠٠% وعلاوة على ذلك كان هناك نظام فريد وحر حول سك العملات , أي كان كل واحد يتمتع بالحرية حول الإتيان بالسبائك من الذهب والفضة إلى دار الضرب وتحويلها إلى العملة المعدنية وهو الأمر الذي أدى إلى تداول العملات في الأسواق على أساس ثمن ووزن المعدن , وكانت نسبة المبادلة بين العملات تحددها السوق والأحوال التجارية دون تدخل الإدارة المغولية , وكانت الروبية الفضية هي وحدة أساسية ونقدية للتبادل والتعامل النقدي العام , وأطلق عليها روبي ثم ظهرت في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي «آنة فضية» وهي تساوي ستة عشر جزءاً من الروبية الفضية(١), أما عملة طلائ مهر أي أشرفي , أي الدينار الذهبي , فلم يكن يستعمل في المعاملات التجارية العامة إنما كان الأمراء والأثرياء يدخرون ثرواتهم في هذه العملة الذهبية , ويعد **دام** من العملات الهندية النحاسية الشهيرة , وقد أخذت هذه العملة مكان تنكه النحاسية التي كانت مستعملة أكثر في العهد الأكبري , وهي تساوي نصف ثمن تنكه النحاسية وكان يطلق على دام بيسه وعلى نصف دام«ادهيلا» , وبقي وزن الروبية الفضية ووزن أشرفي الذهبية بقيا على حالهما طوال عصر السلطان جهانجير وشاهجهان , أما بالنسبة لعملية النقش على العملات فقد اعتاد السلاطين في الهند نقش عبارات التوحيد بهدف إثبات إسلامية الدولة والثقافة الإسلامية , ومنها عبارة ﴿الحمد لله﴾ وعلى الوجه الآخر ﴿ محمد رسول الله ﴾ ومع التطور تم استغلال المساحة اليسيرة للعملة في النقش عبارات أكثر طولاً منها ﴿ الله أحد , والذين لا يذكرون الله , القوي المتين , هم الخاسرون ﴾ وقد استعملت تلك العملات في مناطق مختلفة , وقد استمرت هذه العادة إلى عهد السلطان شاهجهان, وقد حرص السلاطين المغول على تداول العملات المغولية في ربوع الدولة , وهو العمل الذي صار له عظيم الأهمية في عملية التجارة الداخلية والخارجية , وعند فتح المدن والقصبات وضمها إلى حوزة الدولة المغولية كان الأباطرة يأمرون بإلغاء العملات المحلية والتعامل بالعملات المغولية , ومع ذلك كانت هناك بعض العملات استمر استعمالها والتعامل بها , حتى بعد دخولها في حوزة الدولة المغولية الإسلامية , ويرجع تقدم عملية سك العملات إلى وفرة المعادن الرئيسة من ذهب وفضة ونحاس , مع وجود الخبرة عند الهنود في هذا المجال(٢)

---

(١) قمر الزمان , أورنجزيب , ص ٣٢٠ .

(٢) الندوي , السيد سليمان , مقالات سليمان (النقوش على عملات سلاطين الهند) , أكاديمية شبلي أعظم كره – الهند – ٢٠٠٦م , ج ١ , ص١٣٣– ١٤٥ نقلاً عن قمر الزمان , أورنجزيب , ٣٢١.

المبحث الرابع

النظم العسكرية

أدى الجيش المغولي الإسلامي دوراً كبيراً في الهند حتى كوّن إمبراطورية مغولية إسلامية واسعة الأرجاء , وقد ساهمت الفتوحات والمعارك الإسلامية بشكل جذري في صُنع سيادة إسلامية على عموم شبه القارة الهندية ,إذ حظي الجيش باهتمام كافة السلاطين المسلمين في الهند منذ بدء الفاتحين العرب[١]وحينما نطالع مسيرة الفتح الإسلامي للهند نلاحظ أن معظم الدول الإسلامية التي حكمت في الهند كان سبب وجودها هناك قوة جيوشها , وكان السلاطين يشرفون بأنفسهم على استعراض الجيوش ويقومون بتعيين قادتها بل أكثرهم كانوا يتولون قيادة تلك الجيوش بأنفسهم في أرض المعركة[٢].

الوظائف العسكرية :

إن دراسة الدولة المغولية دراسة عسكرية تحتم علينا معرفة قيادات الجيش والوظائف التي تشرف على إدارة شؤونه , ولابد أن هذا الجيش كان يخضع لقيادة منظمة وصارمة استطاعت أن تعده وتهيئه لأحوال المعارك, لقد كانت القيادة العليا للجيش على الأغلب بيد السلطان وهو الذي يقوم برسم الخطط العسكرية مع المستشارين للاقتحام ويشارك في ميدان القتال , وقد رتبوا عساكرهم على نظام يشبه نظام جنكيزخان وهو أمراء الألوف , وأمراء المئات , وأمراء العشرات , وسموهم أمراء هزاره وأمراء صده وغيرها من الأسماء فالأمير هزاره من يكون في عسكره ألف , والأمير صده من يكون فيما تحته مائة فارس , ولهم رجالة غير الفرسان يسمونها بائك , هذا فضلاً عن أبناء السلاطين المغول الذين غالباً ما كانوا يشاركون في هذه الحملات , وهذا ما نجده عند كل من السلطان أكبر وجهانجير وشاهجهان وأورنجزيب الذي اهتم كثيراً بتربية أولاده على الأمور العسكرية ,ومن أبرز الوظائف العسكرية هي :-

- **ميربخشي (صاحب ديوان الجند) مير بخشي** أو **بخشي** : وهو الأمير الكبير الذي يرجع إليه أمر العساكر السلطانية المعينة في تلك الولاية وكانت سابقاً في عهد الغزنويين وسلطنة دلهي يطلق عليها العارض[٣], وهي وظيفة إدارية وتنظيمية وعسكرية , كان متوليها يشرف على ديوان الجيش وتنظيم سجلات الجند وتقديمها إلى السلطان , وصرف مرتبات الجند وتهيئة الجيوش

---

(١) البلاذري , فتوح البلدان , ص٤٢٠ .

(٢) الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص٨٧ .

(٣) العتبي, تاريخ اليميني ,ج٢ , ص ١٦٦ ؛ الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٨٦ ؛ درويش , السلطان محمود الغزنوي , ص١٢٥.

وتسليحها وتموينها.[١]وقيل إن منصب بخشي هو الأمير الكبير الذي يرجع إليه أمر العساكر السلطانية المعينة في تلك الولاية , وأمر الداغ أي وسم الخيل, وغير ذلك من المهمات العسكرية[٢].

ومن أبرز من تولى هذا المنصب منعم بن بيرم التركماني وهو من الأمراء المشهورين في الهند خدم السلطان همايون شاه ثم ولده السلطان أكبر مدة طويلة حتى وليّ إمرة الإمارة سنة(٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م) ولقبه السلطان أكبر« خانخانان » ومن أبرز مآثره بناؤه لجسر عُدّ من عجائب العصر ونوادر الهند[٣], ويعد ميرزا عبد الرحيم بن بيرم خان أشهر من نهض بالهند من خلال توليه هذا المنصب فقد تربى بمهد السلطنة , وخصه السلطان أكبر بالعناية الفائقة , تبحر في مختلف العلوم , جعله السلطان أكبر مؤدباً لولده جهانجير سنة(٩٧٢هـ/١٥٦٤م) وفتحت العديد من المدن على يديه لذلك لقبه السلطان أكبر بـ«خانخانان» أي أمير الأمراء[٤] .

ومن الشخصيات التي تولت هذا المنصب أبو الحسن آصف جاه الدهلوي, حيث قدر لهذا الأمير الكبير أن يقوم بدورٍ كبيرٍ في تاريخ الهند , قدم الهند مع والده في أيام السلطان أكبر, تزوج السلطان جهانجير من اخته نورجهان , وتزوج شاهجهان من ابنته ممتاز محل وكان له الفضل في تولي السلطان شاهجهان العرش بعد محاولة نورجهان سلبه إياه,لذلك كان يخاطبه بالعم توفي سنة(٩٥١هـ/١٥٤٤م)[٥], وكانت هناك وظيفة أخرى هي وظيفة **بخشي الأول والثاني** وهكذا , إذ ينوب كل واحد عن الأول في القيام ببعض الأعمال الموكلة إليه وفي بعض الأحيان كان يقوم بصرف رواتب الجند نيابة عن العارض أي مير بخشي[٦], وثمة مناصب عسكرية أخرى مثل **صوبة دار** وهو القائد الكبير للجنود السلطانية المعينة في ولاية كبيرة من أرض الهند , ونائب السلطان في تلك الولاية , ومدار مهمات الأمور بها , ويكون منصبه من ثلاثة آلاف إلى سبعة آلاف , ويلزم عليه حفظ الجنود , ويمنح أموالاً طائلة[٧],ومن الوظائف أيضاً **أخته**

---

(١) Sarkar , Mughal Administration , 31-35 ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٤٤-١٤٥, الندوي , رجال الفكر والدعوة , ج٣ , ص٣٠١ ؛ المشهداني , تاريخ الدول الإسلامية في آسيا , ص٢٠٢ .

(٢) Sarkar , Studies in Mughal India , 12.

علي , قلاع وحصون وأسور وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص ٢٧٦ .

(٣) بدايوني منتخب التواريخ , ج ٢, ص٣٤٧ ,٣٥٣ ؛ الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر), ج٤ , ص٤٣٦ .

(٤) بدايوني منتخب التواريخ , ج٢, ص٣٤٧,٣٥٣؛ الندوي, الإعلام(نزهة الخواطر), ج٥ , ص٥٦٠-٥٦١

(٥) بدايوني منتخب التواريخ , ج٢ , ص٣٦٥ ؛ الندوي , الأعلام(نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٤٦٧-٤٦٨

(٦) قمر الزمان , أورنجزيب , ص١٩٤

(٧) علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٧٥.

بيكي أو آخور بيكي والتي تعني أمير الخيل وواجباته إدارة الإسطبل الملكي وما يتعلق بها من علفها وأرزاقها و**درواغة فيل أو شحنة الفيل** الذي يتولى إدارة شؤون الأفيال الحربية و أرزاقها , وأرزاق من يعتني بها من المستخدمين إلى غير ذلك من الأمور العسكرية(١).

يُعّدْ شيرشاه أول من وضع القوانين لترتيب العساكر ونظامها على أسلوب جديد منها داغ وتصحيحه وهو أن يعرض الأمراء عساكرهم على عرض الممالك , فيحمى الحديد من نار , ثم يختم بها الخيل , ومنها الحلية وهو تحرير أسماء الفرسان , وأوطانهم , وحليتهم , وطول قاماتهم وأعمارهم , وما يختص بهم من الخطوط , والسمات , في دفتر خاص لها , كما وزع عساكره على بلاده وعين لهم معسكرات في مقامات عديدة , ومنها أنه ألزم عساكره بناء القلاع من الطين في كل منزل إذا أرادوا الخروج إلى القتال , أو نقلوا من معسكر إلى معسكر آخر, ومنها أنه ألزم عساكر أن لا يستأصلوا الزروع في النقل والحركة , وكان يعزرهم في ذلك أشد تعزير, ومنها أنه عين الأمناء ليدركوا نقصان الزروع حال القتال, ليعوضوا ما ضاع منها , ومنها أنه منع عساكره أن يأسروا أحداً من الرعية في القتال(٢).

وضع سليم شاه بن شيرشاه بعض القوانين لعسكره , وأضاف إلى ما وضع والده , ومنها أنه رتب عساكره على نظام جديد , فرتبهم على طوائف صغيرة وكبيرة , أما الصغيرة فهي الطائفة الأولى: ٥٠ , الطائفة الثانية : ٢٠٠, الطائفة الثالثة : ٢٥٠, الطائفة الرابعة :٥٠٠ والكبيرة فهي الطائفة الأولى : ٥٠٠٠ , الطائفة الثانية ١٠٠٠٠ , الطائفة الثالثة :٢٠ ألفاً , ورتب الأمراء عليهم بذلك الترتيب , ومنها أنه أمر أن يعين في كل ٥٠ فارساً كاتباً , يعرف اللغة الفارسية , وكاتباً يعرف اللغة الهندية , ومنها أنه رتب القضاة لهم خاصة , واحداً من الأفغانية , ومنها أنه وسع قانون المعسكر لوالده , أما السلطان أكبر قد جدد تلك القوانين , وأضاف إليها أشياء لم تكن من قبل , الأول أنه جدد قانون داغ والحيلة, كما رتب الأمراء على مدارج كثيرة , ورتب عسكراً جديداً من أشراف الناس وأبطالهم ممن لم يصلوا إلى المناصب , وسماهم أحدى و أيكه سوار وجعلهم ملازمين لركابه ,كما أصدر قانوناً آخر أجاز للفرسان أن يحرز كل واحد فرسين أو ثلاثة , وسماهم ذوي الأفراس , وأصدر قانوناً قسم فيه الخيل على ستة أصناف وقسم الأفيال على خمسة أصناف, وقرر الرواتب على أصناف الناس : للفارسي وللتوراني خمس وعشرون ربية, وللهندي عشرون ربية, وللخالصة خمس عشرة ربية , وقرر الرواتب لأصناف الخيل ,فلصاحب العراقي ثلاثون ربية , ولصاحب التركي عشرون , ولصاحب العربي خمس عشرة ,

---

(١) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص ٢٨٢ ؛ علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٧٢-٢٧٥ .

(٢) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٩٠-٢٩١ ؛ علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٦٤ .

وقرر الرواتب للرجالة خمس عشرة , وعشراً , وثماني ربيات , وللتفنكجي سبع ربيات , واثنتا عشرة آنة , وسبعٌ , على اختلاف المدارج[١].

- الأمراء العسكريون« نظام منصبدارية »

لقد وُجِد الأمراء العسكريون بدرجة الحاكم العسكري في الدولة المغولية , فقد اعتاد سلاطين المغول المسلمين في الهند على الاستعانة في حروبهم بما كان يمدهم به أصحاب الإقطاعات من الرجال في الغالب وكانت هذه الحشود على ضخامة عددها تجهل أساليب القتال وفنونه عموماً ولا تتيسر لها فرص المران والتدريب وبعد أن قضى السلطان أكبر على نظام الإقطاع وأصبحت الأراضي كلها ملكاً للدولة , وغدت ولاياتها تحكم بوساطة نواب للسلطان يوليهم شؤونهم على نظام مرسوم , ورأى أن ينهج في تنظيم قواته الحربية نهج علاء الدين الخلجي وشيرشاه سوري من قبل , فتغدو للدولة قوات نظامية دائمة تقوم بدفع أجورها من الخزانة العامة , ومن كان من بين هذه القوات من يعمل تحت إمرة السلطان نفسه, فهي بمثابة حرسه الخاص, ومنها من كان يعمل تحت إمرة حكام الولايات , فقد قام السلطان أكبر بتحديد وإضافة بعض القوانين العسكرية حول منح المناصب للأمراء وبتوظيفهم على حسب المنصب, أي جعلهم درجات عديدة وسمي هذا نظام المنصبداري , وقضى هذا النظام على كثير من مساوئ سابقيه , ومنها ما كان يبذله الأمراء عادة من الرشاوي للحصول على أقطاعات واسعة نظير ما يتعهدون به من إمداد السلطان بالجند والمؤن , وما كان يتتبع ذلك من إرهاقهم لسكان الإقطاع وابتزازهم لأقواتهم ومصادرتهم لأموالهم وأملاكهم [٢], وكان هذا النظام مبنياً على مبادئ الولاء والإخلاص التام للدولة والسلطان الذي يمنح هذه المناصب لأي شخص يشاء؛ نظراً لخدماته العسكرية أو المدنية وما إلى ذلك من الخدمات , أي لم تكن هذه المناصب حكراً على فئة معينة , ومن ثم نجد العناصر والأجناس العديدة والمتنوعة في صفوف المنصبدار, بما فيهم الأسر الحاكمة , والإقطاعيون , والنبلاء , والعلماء والفئات والأعراق العديدة بما فيهم الفارسيون والتورانيون والأفغان والعرب , والمسلمون والهندوس , بما فيهم الراجبوت , ومن ميزات نظام منصبداري أن هذا النظام قد أدى إلى تأليف الكتائب العسكرية تحت إشراف الأمراء ولكن لم يستطع أي أمير مهما كانت قوته العسكرية أن يستقل في إمرته أو في إقطاعه أو في ولايته؛ وذلك بسبب عدم وجود الوراثة في المنصبداري , إنما يمنح الأمير أو المنصبدار المناطق الصغيرة على وفق الإقطاع أو العقار , وكان المطلوب منه الإشراف على الشؤون المالية وجمع أموال الخراج

---

(١) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٩٠-٢٩١ ؛ علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٦٤-٢٦٥.

(٢) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص ١٥٣ ؛ بوزورث , الأسرات الحاكمة في التاريخ , ص٢٨٥.

وصرف الأموال من هذا العقار على الجيش الذي يتابعه ديوان مير بخشي وينقل هذا الأمير من منطقة لمنطقة ومن ولاية إلى ولاية أخرى بحسب الضرورة العسكرية , مما كان يؤدي إلى عدم صُنع العنصر الثوري أو التمرد ضد الحكومة المركزية[١]

- **عناصر الجيش**

ضم الجيش جنسيات متعددة منهم الهندي والتركي والأفغاني والفارسي, وضم المسلم والهندوسي والزرادشتي والبوذي وانضووا جميعاً تحت لواء الجيش المغولي , وقد درج سلاطين الهند قبل السلطان أكبر على نظام معين في تكوين جيوشهم , فكانت البلاد مقسمة على أقطاعات وكان حكام الأقطاعات يمدون السلاطين بالرجال أثناء الحروب وعلى الرغم من أن السلاطين كان يتجمع لديهم نفر كثير إلا أن العدد الضخم لم يكن مدرباً على فنون القتال , ولم يتبع أكبر هذا الأسلوب في تكوين جيشه بل نهج نهجاً آخر , وكون جيشاً نظامياً تحت إمرته[٢].

وبينّ لنا السلطان بابر كيف كان تنظيم جيشه , فقد سار على نهج أسلافه من التيموريين بتنظيم الجند , وتوزيع المناصب والرتب على أمراء فكانت تعبئة الجيش تمثل ثلاثة أقسام : الميمنة , والميسرة , والقلب[٣], يسمونها الهنود **جرانفار, وبرانفار, والقول** وتلك الجيوش تشمل الجنود الأبطال , والسلطان يكون على الفيل في القلب وعليه مظلة حمراء تختص به , ويتقدم كل ذلك فئة كبيرة من جيوشهم طليعة لهم هي المقدمة ويسمونها هراول , أما تعبئة الصفوف في القتال , فكانوا يقدمون المدافع وينصبونها في مكان مرتفع يربطونها بالسلاسل , لئلا تقتحم جيوش الأعداء المكان وتتجاوزها, ثم بعد ذلك ينصبون« زنبورخانه» وهي الجمال يشدون على ظهرها زنبورك وهي تشبه الجزائل الفلكية , ويقعد عليها واحد من الفرسان يطلقه على الأعداء , ومن ورائها صفوف الرجالة يسمونهم تفنكجي وهم يسلحون بالبندقيات ومن ورائهم صفوف الفرسان, وإذا أرادوا القتال يأمرون بإطلاق المدافع , والزنبورك والبندقيات والسهام , أولاً فأول , ثم يستعملون الرماح والسيوف, وكل واحد من الفريقين يريد أن يقطع السلاسل ويقتحم على الجيوش[٤] ويستعملون أسلوب الكر والفر بشكل مفاجئ[٥], وحرص السلطان أكبر على أن يكون

---

(١) **لابيدس , أبرا .م , تاريخ المجتمعات الإسلامية ,ترجمة فاضل جنكر , ط٢ ,(دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان –٢٠١١م) , مج٢ , ص٦٢٠ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص١٩٩ .**

(٢) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٩٠–٢٩١ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص١٥٧.**

(٣) **بابرشاه , تاريخ بابرشاه , ص٣١–٣٢ ,٦٣ .**

(٤) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص ٢٩٣ ؛ علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٦٧ .**

(٥) **بابرشاه , تاريخ بابرشاه , ص٣١–٣٢ ,٦٣ .**

جيشه قوياً ومنظماً , فبعد انتصاره على جيش هيمو الذي كان يتكون من مائة ألف جندي وخمسمائة فيل ولم يكن جيش أكبر يتعدى العشرين ألف جندي أدرك أهمية وجود جيش قوي[١],كما أن من أسباب تكوين جيش قوي أن أكبر أراد أن تكون هناك مركزية في السيطرة على السلطة حتى لا ينقلب عليه أو يستقل عن الدولة المركزية أي أمير أو حاكم إقليم لاسيماً بعد أن تمرد عليه ولده الكبير مراد الذي سرعان ما عاد إليه مرة أخرى وعفا السلطان أكبر عنه[٢].

وكانت المناصب في عهد الدولة المغولية كثيرة تبتدئ من **دي باشي** أي العشرات وتنتهي إلى **بنج هزاري** أي العشرة آلاف لأبناء الملوك في عهد السلطان أكبر وإلى **نه هزاري** أي تسعة ألاف للأمراء وإلى ستين ألفاً لأبناء السلاطين في عهد السلطان شاهجهان , وكل منصب منها كان محدوداً على عدد الأمراء لا يزيد عنه و لكن ينقص في بعض الأوقات لموت أحدهم أو سبب آخر , وكان ينبغي على كل واحد من أهل المناصب أن يحرز من الخيل والأفيال والنوق والبغال والعربات وغيرها ما فرض عليه بحسب منصبه[٣].

أصناف الجيش

تألف جيش السلطان من عدة أصناف شأنه في ذلك شأن جيش أسلافهم من السلاطين, إذ كان يتكون من الفرسان والرجالة والفياليين والمدفعيين والفعلة والعيون .

- الفرسان

كان سلاح الفرسان القوة الضاربة الرئيسة في الجيش , لاسيما في عهد السلطان أكبر فقد كان يتولى بنفسه الإشراف عليه ويختبر خيوله , وينزل إلى حظائرها ويراقب تدريب رجاله, وقد بلغ عدد الفرسان في عهد السلطان أكبر أربعمائة ألف فارس وكان من الطبيعي أن يتضاعف هذا العدد حين تنضم إليه قوات الولايات في أوقات الحرب وينكمش إلى ما دون ذلك بكثير أيام السلم وكان أصحاب المناصب من الفرسان يتم اختيارهم بدقة ويجري لهم امتحان ولابد أن تطبق عليه

---

(١) Abu al Fazl, The Akbar nama , translated by boverdge, vol I Delhi ,1902 p.58,نقلاً عن علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٦٨.

(٢) آزاد , محمد حسين , دبار أكبري , مخطوط محفوظ بقسم المخطوطات , مكتبة آزاد عليكرة , الهند تحت رقم ٣٣٢-٦٣ تاريخ فارسي ورقة ٢٦ , نقلاً عن : علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٦٨ .

(٣) الندوي, الهند في العهد الإسلامي, ص٢٩١؛ علي, قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٦٨, وللمزيد من المعلومات عن أهل المناصب ورواتبهم ينظر: ملحق رقم٦.

المواصفات المطلوبة وأول الأمر لابد أن يكون مالكاً لجواد فيه مواصفات خاصة وكان الجواد العراقي أرقى أنواع الجياد في الهند(١).

أما في عهد السلطان شاهجهان فقد بلغ عدد الفرسان مائتي ألف فارس, ويعد قسم الفرسان من الأقسام المهمة في الجيش المغولي؛ لما له من مميزات ومزايا تميزه على الأقسام الأخرى من حيث الحركة والقدرة العالية على المناورة وقوة الصدام عند الالتحاق ,كما حظي الفرسان بنظرة الاحترام والعزة بالنسبة لأصناف الجيش الأخرى , وكانت الدولة المغولية الإسلامية تعتمد على الفرسان في المعارك ؛ وبسبب القدرة العالية المتوافرة في هذا القسم , يجب على الفارس أن يكون عارفاً بالخيل وشؤونه الأخرى وما يحتاج منه إلى إصلاح , وأن يكون ذا مهارة عالية بركوب الخيل والمراوغة والمناورة , لذلك اهتم سلاطين المغول اهتماماً بالغاً بتعليم وتربية الفرسان وتدريبهم الجيد وكل ما يحتاجه الفرسان لإتمام مهاتهم العسكرية ؛ وبسبب هذه العناية والرعاية الملكية صار هذا القسم يؤلف نسبة عالية من جيش الدولة المغولية مقارنة بالأقسام الأخرى , فكان الاعتماد على هذا القسم كبيراً جداً في عمليات الفتح التي تتطلب السرعة في الكر والفر التي يوفرها هذا الصنف(٢).

- الرجالة (المشاة) :

وهم الجند الذين يقاتلون الأعداء« راجلين» ويأتي سلاح المشاة من حيث الأهمية في المرتبة الثانية بعد سلاح الفرسان , أذ كانت غالبية الدول الإسلامية في الهند قد اتخذت من العناصر الإسلامية , مثل الأتراك والمغول والفرس والأكراد والأفغان والعرب, التي والت تلك الدول الإسلامية , اتخذت منهم عناصر رئيسة لبنية سلاح الفرسان , فإن سلاح المشاة يختلف تماماً عن الطبيعة التي كانت تسيطر على الفرسان , حيث احتوى هذا السلاح «المشاة» على المقاتلين الهنود الذين لا يملكون ثمن شراء الخيل أو السلاح(٣) ,وكان يؤلف القسم الأعظم من قوة الجيش ويقوم بأعباء القتال ويتحمل مشقاته ونتائجه وكانت الأسلحة التي يحملها أفراد هذا الصنف أسلحة خفيفة؛ لأنهم يسيرون على أقدامهم , فكانوا يستعملون السيوف والأقواس والسهام والرماح القصيرة, وكانوا يرتدون الدروع والخوذ الواقية , وكان المشاة يقومون بإخراج أفراد العدو من خنادقهم ويقضون عليهم , ولعل أهم ما كان المشاة يكلفون به هو حماية الجيش أثناء المسير

(١) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٥٤ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص١٦٨.

(٢) قمر الزمان , اورنجزيب , ص٢٠١-٢٠٢ .

(٣) الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص٨٨ .

للحيلولة دون مداهمته من قبل العدو وحراسة القوافل التي تحمل المؤن والعتاد أثناء تنقلها وفي ترتيب الجيش كان المشاة يوضعون في الصفوف الأمامية[١].

-سلاح الفيلة

وهو من القطاعات الحربية التي استحدثها المسلمون في حروبهم في آسيا , ولاسيما أن هذا السلاح شهد تطوراً كبيراً تحت رعاية سلاطين الدولة الغزنوية الذين بذلوا جهوداً جبارة من أجل بناء جيش قوي قادر على تحقيق أهداف الدولة, وبذلك تكون الدولة الغزنوية صاحبة السبق في مضمار تأسيس هذا النوع من الأسلحة في حضارة العرب المسلمين , لم تكن الدولة الغزنوية تمتلك فيلاُ واحداً قبل دخولها إلى الهند , ففي حروبها في آسيا الوسطى مع الأتراك لم يكن لديهم هذا النوع من السلاح , بل كانت البدايات في نشأة هذا السلاح كنتيجة من نتائج الانتصارات التي حققوها على أرض الهند , ومكتسباً من مكتسبات الحروب , فكانوا في كل معركة يخوضونها مع الهند يغنموا فيلاً كثيرة , وأحيانا يصالحون الهنود مقابل فيلة بدل الأموال , وقيل إن عدد الفيلة قد تجاوز الألفين وخمسمائة في عهد السلطان محمود الغزنوي[٢],وقد أصبحت الفيلة عنصراً بارزاً في الحروب في عهد سلطنة دلهي, إذ كانت تمثل القوة الضاربة الأساسية في الجيش , خصوصاً في حروب السهول , في حين اهتم سلاطين المغول باستخدام الفيلة اهتماماً بالغاً , وأوجد السلطان أكبر نظامٍ دقيقٍ لها؛ بسبب ضخامة أعدادها إذ بلغت ما يزيد على ستة آلاف وسبعمائة وهي على شكل وحدات تسمى وحدات الفيلة وقوام كل وحدة منها كان يتراوح بين العشرة والثلاثين فيلاً , وكان كل فيل يحمل اسماً خاصاً به وهي عادة لا تزال تجري في الهند حتى هذا اليوم[٣] وهذه الفيلة كان يشرف على أمر ترويضها وتدريبها على مقاتلة الأعداء مجموعة من السيّاس, فضلاً عن وجود مجموعة كبيرة من الرجال الموكلين بأمر تغذيتها , وتحضير العلف وتهيئة المكان المناسب لها ورعايتها , مما تطلب وجود أعداد كبيرة من الرجال ليقوموا بالإشراف عليها[٤], إن استعمال الهنود للفيلة في ميدان المعارك نابع من إدراكهم لذكائها الفائق , وإمكانية ترويضها , على تأدية أنواع معينة من المهمات , فضلاً عن إدراكهم لطبيعة أجسام الفيلة الأكثر ضخامة من غيرها عن ارتفاعها العالي نسبياً عن الأرض , وهنا تظهر فائدتها؛ لأنها تؤدي عدة وظائف هجومية ودفاعية للفارس الذي يمتطي الفيل , فالوظيفة الهجومية تتمثل في إمكانها سحق الأعداء بأرجلها وإرهاب الخيول التي تخاف الفيلة , أما

---

(١) الجوارنة , الهند في السيادة الإسلامية , ص٨٩ .

(٢) درويش , السلطان محمود الغزنوي , ص١١٣-١١٤ ؛ الجوارنة , الهند في السيادة الإسلامية , ص٨٩

(٣) الساداتي ,تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٥٤-١٥٥ ؛ الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص٨٩ .

(٤) درويش , الإمارة الغورية , ص٢٤٥ .

الوظيفة الدفاعية فهي تقي طعنات الأعداء وتساعد من يمتطيها على السيطرة على أعدائه وهو في وضع مرتفع(١), وكان سلاطين المغول يستخدمون الفيلة لضرب المدفعية والبندقية من فوق ظهر الفيلة , فعندما أرسل السلطان شاهجهان قواته تحت قيادة الأمير أورنجزيب للاستيلاء على بلخ في سنة(١٠٥٩هـ/١٦٤٩م) , استخدم الأخير الفيلة في المعارك الكبرى لضرب المدفعيات والبندقيات من ظهور الفيلة , وكانت الفيلة تؤدي دوراً مهماً في إنهاء المعارك الكبرى , وأحياناً كان الجيشان يطلقان العنان للفيلة في البدء بالقتال قبل الالتحام المباشر , وكان كلا الفريقين يختار الفيل المناسب لتلك المهمة, وكان الغرض منها إثارة الحماس لدى المقاتلين , وكانت الفيلة تستخدم أيضاً لحمل البضائع العسكرية , كما تستخدم أحياناً في الأحوال الطارئة , لكن مع هذا كله كانت هناك بعض السلبيات في استخدام الفيلة في ساحة القتال؛ لأنها تخاف بعض الأحيان من أصوات الموسيقى و من ضوضاء القذائف والقنابل , فتسبب في إلحاق الأضرار البالغة بجيشها(٢)

– **الفعلة(العمالة) :**

نظراً لما تتصف به الهند من وعورة الطرق وكثرة الأشجار, والقلاع والمدن المسورة , لذا تتطلب عمليات الفتح وجود العمال لمرافقة الجيش والقيام بما تمليه الحاجة من أعمال عديدة مثل فتح الطرق وردم الخنادق وحفر الأنفاق , وقطع الأشجار وهدم الأسوار ونصب القناطر والجسور, فتطلب هذا وجود العمال وأصحاب الحرف مثل الحفارين والحجارين والنجارين والحدادين والنفاطين والبنائين وغيرهم , فقد أدى هؤلاء دوراً كبيراً في مساعدة الجيوش وإزالة العوائق من أمامها(٣).

– **المنجنيقيون** وهم رماة المنجنيق(٤) تقع عليهم مسؤولية رمي حصون الأعداء و قلاعهم بالمنجنيق عند الهجوم ,أو رمي الجيوش المهاجمة من داخل الأسوار والحصون في حالة الدفاع , ولقد كون هؤلاء صنفاً مهماً لما له من تأثير في سير الحروب لما تسببه المقذوفات التي ترميها المنجنيقات من تخريب وإشعال الحرائق في حصون الأعداء , وتقف وراء هذه المنجنيقات أعداد كافية من الرماة الذين يتولون أمر نصبها وإعدادها فضلاً عن العمال الذين يقومون بنقلها وإصلاحها , والفعلة الذين يتولون أمر تهيئة الحجارة والمقذوفات اللازمة لرمي الأعداء , وبذلك

---

(١) **المشهداني , د.ياسر , الفيل واستخداماته في الحياة الهندية في العصور الوسطى , بحث منشور في مجلة التربية والعلم الصادرة عن كلية التربية – جامعة الموصل – ٢٠٠٧م , ص٨٠ .**

(٢) **قمر الزمان , أورنجزيب , ص٢٠٧.**

(٣) **درويش , السلطان محمود الغزنوي , ص١١٧ .**

(٤) **ثابت , نعمان , الجندية في عهد العباسيين , مراجعة وتقديم اللواء الركن حامد أحمد الورد , (مديرية المطابع العسكرية –بغداد –١٩٨٧م) , ص١٢٢ .**

يعد من الأسلحة الثقيلة , وهو من الأسلحة الأشد نكايةً على الأعداء , وذلك لمداه البعيد وغالباً ما يستخدم في حصار المدن والقلاع؛ لان حجارته تقوم بهدم القلاع والحصون والأبراج[1].

- **العيون « الاستخبارات »**

تعد العيون من الأصناف الفعالة في الجيش المغولي في حالتي الحرب والسلم , وكان يطلق عليهم لقب هركارا فعليها تتوقف خطط القيادة عن طريق قيام جهاز التجسس لجمع المعلومات الدقيقة عن جيوش الأعداء من حيث عددهم وتحركاتهم وخططهم العسكرية, وبناءً على هذه المعلومات الدقيقة يقوم السلطان برسم الخطط المضادة , فيستطيع معرفة كافة المعلومات حول تخطيط العدو, ومن ثم يتمكن من القضاء عليه , وكان جهاز الاستخبارات المغولي من أفضل أجهزة التجسس في الهند , وكانت المعلومات التي يقدمها في غاية الدقة والأهمية[2]

- **الموسيقيون**

عرفت الموسيقى في الجيش منذ القدم واستعملت لإثارة حماسة الجند في الحرب , فكان العرب قبل الإسلام يستعملون الطبول عند بدء المعارك , ثم دخلت الموسيقى الجيوش الإسلامية فكانت تشمتل على الأبواق والطبول[3].

أما في الهند فكانت الموسيقى من لازمات الجيش في ساحة المعركة لتحريض القوات لمواصلة القتال, فقد كان الموسيقيون والمطربون لا يفارقون جيش السلطان أكبر في أغلب فتوحاته ومن أبرزها فتح مالوه[4] وكانت أنواع الموسيقى في العصر المغولي تشتمل على النقارة أي الطبول أو فرقة الطبول وعلى« دهل , كرنا , سرنا , نفير» أي المزمار , يتضح مما سبق أن الموسيقى كانت تؤلف جانباً مهماً في الجيش, وكان يقوم بها مجموعة من الرجال المتخصصين العارفين بالعزف على الأبواق ودق الطبول , ونرى أنهم كانوا يعزفون أنواعاً متعددة من المعازف لإثارة الرعب في نفوس الأعداء ولضبط مسير الجيش[5]

- **أعداد الجيش :**

تعد القوة العسكرية الركيزة الأساسية التي تستند عليها الدول عادة في تثبيت كيانها وأمنها سواء على المستوى الداخلي بحفظ النظام ودفع السكان إلى الالتزام بالأمر والقوانين التي تسيرهم , أو على المستوى الخارجي لصد الأخطار التي تهددها , ورد الأعداء الراغبين في التوسع على

---

(1) درويش , الإمارة الغورية , ص٢٤٥ .

(2) درويش , السلطان محمود الغزنوي , ص١٢٠ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ٢٠٩- ٢١٠ .

(3) زيدان , جرجي , تاريخ التمدن الإسلامي , (منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت),ج١, ص١٨٣ .

(4) السادتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص٢٧ .

(5) قمر الزمان , أورنجزيب , ص٢١١ .

حساب أراضيها , وبناء عليه يتم إعداد الجيش على أسس نظامية هيكلية , قوامها تقسيم قواته إلى وحدات كبرى ذات وسائل متعددة ؛ بغية تسهيل عملية الإعداد والتدريب والتعبئة للتحكم نظرياً في إدارة المعارك من جهة , والإشراف على النشاط والأداء العسكري لمختلف فرقه , على أفضل وجه خلال مباشرة القتال فعلياً من جهة أخرى , مما يضمن تنفيذ المهمات الهجومية أو الدفاعية التي تصدر عن القيادة , ولقد بلغت أعداد الجيش في عهد السلطان شيرشاه السوري مائة وخمسين ألفاً من الفرسان , وخمسة وعشرين ألفاً من الرجالة , وخمسة آلاف من الأفيال , في حين وصل عدد الجيش في عهد السلطان أكبر إلى ما يقرب من أربعمائة ألف فارس, والمشاة بما يقرب من أربعة ملايين , أما في عهد السلطان شاهجهان فتشير المصادر إلى تقدير عدد المقاتلين بمائتي ألف من الفرسان وثمانية آلاف من المنصبدار أي من أهل المناصب , وكانت عساكر أبناء الملوك والأمراء الذين كانوا من ذوي المناصب الجليلة مائة وخمسة وثمانين ألفاً , أما العساكر التي كانت تلازم ركاب السلطان بدار الملك فقد بلغت خمسة وثلاثين ألفاً من الفرسان , وعشرة آلاف من الرجالة ومن الطبيعي أن يتضاعف هذا العدد حين تنضم إليه قوات الولايات , وينكمش إلى ما دون ذلك بكثير أيام السلم(١)وكان تأليف الجيش يتم من خلال عدة مصادر , أولها : **الجيش الطارئ** المزود من جانب الراجوات , وثانياً : **جيش الطوارئ** المجهز من طرف المنصبدار أي القادة العسكريون , وثالثاً : **الجيش الاحتياطي** الموجود في الولايات وفي الإقطاعات والذي يصرف عليه الولاة ولكن يقوده المنصبدار , ورابعاً: **المليشيات المحلية**(٢).

أسلحة الجيش

كان الجيش المغولي يستعمل ما كان مألوفاً في تلك الأيام من الأسلحة الدفاعية والهجومية المتقدمة , و سوف نلقي الضوء سريعاً على هذه الأسلحة :-

-الاسلحة الهجومية وتقسم على نوعين : الأول الأسلحة الفردية التي يستعملها المقاتل لوحده

منها **السيف** : سلاح ذو حد يضرب به باليد وهو أنبل وأشرف الأسلحة وأشهرها استعمالاً ولقد عرف المسلمون قيمته فاستعملوه في جميع معاركهم(٣). وقد اشتهرت الهند بصناعة السيوف وكانت هي من تزود الدول المجاورة بها(٤) وكانت هناك أنواع عديدة من السيوف الهندية, وكانت

---

(١) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٩٠-٢٩١ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٥٢- ١٥٦؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٢١٢- ٢١٣ .

(٢) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٥٢- ١٥٦ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٢١٢- ٢١٣ .

(٣) ثابت , الجندية في عهد العباسيين , ص١٤٩ .

(٤) درويش , الإمارة الغورية , ص٢٥٨.

تطلق على السيوف الطويلة كلمة تيغ وشمشير وهي كلمة فارسية أو سيف الكلمة العربية أو تلوار كلمة هندية أما السيوف القصيرة فتطلق عليها نيمجه شمشير[١]

-**الرماح** : استعملت الرماح كونها سلاحاً فاعلاً من قبل الفرسان والرجالة , ويعد من الأسلحة الهجومية ويسمى القناة , وهو عمود طويل في رأسه حربه , ومن أنواع الرماح العربية هي , الخطل , النيزك , المربوع , المخموس , التام[٢]أما في الهند فكان لها دور كبير في إحراز الانتصارات على الأعداء , ويطلق عليها في الهند كلمة نيزه يا سنان[٣]

- **القوس**

استعمل القوس والسهم جنباً إلى جنب مع الأسلحة الأخرى , وكانت من أبرز أسلحة الراجلة , إذ كانت تقذف السهام والنبال على الأعداء واستعملت في بداية المعارك كما استعملت للرمي من فوق الأسوار عند حصار القلاع والمدن المسورة , وكان لها دور فاعل في إيقاع الكثير من الخسائر في صفوف الأعداء , ومن ضمن أنواعه هي الخوارزمي ولاهوري ثم تغيرت بعض هذه المصطلحات, فأصبحت تعرف بتخش كمان وكهونتها وغيرها[٤]

الأسلحة ذات الأستعمال الجماعي منها : المنجنيق سبق وأن تحدثنا عنه والمدافع والقلاع والحصون

- **المدافع :**

هي انابيب ترسل بها المقذوفات كما ترسل بالمنجنيق , لكنها في هذا ترسل بحركات ميكانيكية وأول من استعمل المدافع في الدول الإسلامية الدولة العثمانية , وبها استعانوا على فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م[٥]

المدفع هو آلة الدفع , ومنه آلة الحرب المعروفة التي ترمي بالقذائف , لقد بدأ استعمال المدافع في الهند منذ القرن التاسع الهجري/السادس عشر الميلادي , والمدفعية لها دور هام وفعال جداً في الحروب وقد اعتمد السلطان بابر على المدافع في معركة بانيبات الفاصلة وجميع معاركه تقريباً , ولم يكن لديه أول مرة سوى مدفع واحد وكان لا يطلق إلا مرات قليلة في اليوم ,

---

(١) قمر الزمان , أورنجزيب , ص ٢١٣ .

(٢) الجاحظ , عمرو بن بحر بن محبوب, البيان والتبيين , (دار الهلال – بيروت –١٤٢٣هـ) , ج١ , ص٢٤

(٣) قمر الزمان أورنجزيب , ص٢١٤ .

(٤) قمر الزمان أورنجزيب , ص٢١٤ .

(٥) زيدان, تاريخ التمدن الإسلامي , ج١, ص١٩٥ .

وتستغرق تعبئته مدة طويلة[١] , وقد اهتم المغول بصناعة المدافع المتطورة , واستعملوها في كافة المعارك الكبيرة والصغيرة , وكانت المدافع على قسمين :

النوع الأول : المدافع الصغيرة وهي مصنوعة من النحاس الأصفر, تحمل على عربة تسير بها الفرسان وفي كلَّ عربةٍ رجلٌ يطلق المدفع يسُمونه كولنداز, وهذه المدافع تلازم ركاب السلطان في السفر والحضر[٢]

النوع الثاني : المدافع الكبيرة , بعضها مصنوع من النحاس الأصفر , والبعض الآخر من الحديد[٣] ويعد السلطان أكبر أكثر سلاطين المغول عناية بسلاح المدفعية , حتى أنه أعطى أسماء معينة لمدافعه وكتب لها تاريخاً دوّن فيه ما أدته هذه الأسلحة من خدمات[٤] , وقد أقام السلطان عدة مصانع لتصنيع المدافع , وصناعة أجزائه ولما وجد أن قطع المدافع ثقيلة يصعب حملها وجه أوامره إلى صنعها من قطع صغيرة يسهل حملها ونقلها وفكها وتركيبها[٥], ويعهد إلى أخلص الرجال منصب الإشراف العام على تصنيع واستعمال المدافع , وقد أطلق على صاحب تلك الوظيفة مير آتش أو أمير النار وفي أحيان أخرى عرف باسم« داروغة توبخانة »[٦] , في حين أطلق عليه بخشي روس خان[٧].

- **القلاع والحصون**

تعد العمارة الحربية من أهم فروع العمارة الإسلامية في الهند , وما زالت بعض الشواهد حاضرة إلى الآن من القلاع والحصون؛ الأثرية التي ترجع لعصور مختلفة من بداية عصر الدولة التغلقية(٧٢٠-٨١٥هـ/ ١٣٢٠-١٤١٢م), وفي الواقع لم يهتم سلاطين المغول بتشييد القلاع والحصون لأن معظم القلاع والحصون المنتشرة في أرجاء الهند في الأماكن الإستراتيجية قد سقطت في أيديهم ضمن الفتوحات , فقط قاموا بتجديدها واستعمالها في العمليات العسكرية , زيادة على أنهم كانوا يمتلكون جيشاً قوياً مجهزاً بأرقى الأسلحة, كما أنهم كانوا مهاجمين في الدرجة الأولى , لم يكن جيشاً مدافعاً , ومن هنا كانوا يعتمدون على قواتهم العسكرية القوية ولم

---

(١) بخشي , المسلمون في الهند , ج١ , ص ٢٨٢-٢٩١ ؛ طقوش , تاريخ مغول .. , ص١٦٧ .

(٢) الندوي , الهند , ص٢٨٤ ,٢٩٠-٢٩١ ؛ علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٦٦ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٢١٥ .

(٣) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٩٠-٢٩١ ؛ علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٦٦ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٢١٥ .

(٤) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص ٢١٦ .

(٥) الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص١٦٨ .

(٦) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٩١ .

(٧) المسلمون في الهند , ج١ , ص٢٩٧ .

يخطر على بالهم أنهم سيحاربون في يوم من الأيام محاصرين في القلاع والحصون , وبالتالي لم يهتموا كثيراً بإنشاء القلاع والحصون وإقامة الأسوار وحفر الخنادق ,ولعل من أشهر القلاع التي شيدت في عصر المغول قلعة فتح بور سيكري في عهد السلطان أكبر والتي تعد قصراً أكثر منه قلعة , كما قام السلطان شاهجهان بإنشاء القلعة الحمراء في دلهي والتي تعد آية من آيات فن العمارة الإسلامية, ولكنها مع ذلك تعد قصراً بالدرجة الأولى فوق أنها قلعة عسكرية(١) , سوف نتكلم عن عمارة هذه القلاع لاحقاً في مجال العمارة

الأسلحة الدفاعية :

– **الدروع** : وهو سلاح وقائي معروف منذ القدم , وهو ثوب منسوج من حلقات حديدية متداخلة بعضها مع بعض , ويلبس فوق ثوب من النسيج المبطن لوقاية الجسم من خشونة في حلقاته , وكان يطلق عليه زره في العصر المغولي , ولأهمية الدرع في القتال كان أفراد الجيش المغولي يرتدونه في حروبهم لوقاية أنفسهم من سيوف الأعداء ورماحهم وسهامهم(٢) .

–**الترس** : وهو آلة وقائية تكون على شكل صفيحة مصنوعة من الفولاذ وكان الترس يُصنع في الهند (العصر المغولي) من جلود الحيوان مثل وحيد القرن , والفيل وغيرها , ويستعملونها الجيش المغولي لوقاية أنفسهم من ضربات العدو سواء كانت بالسيوف أو الرماح أو الحجارة ويكون الترس على ثلاثة أشكال منها المسطح لصد ضربات الرماح والمستطيل لصد ضربات النشاب والمقبب المنحني الأطراف إلى الخارج ويقى من ضربات السيوف , وقد استعمل الجيش الترس في كافة معاركه وفتوحاته(٣)

أما السلطان فقد كان يرتدي أردية خاصة بالقتال منها ما يغطي الرأس والرقبة والصدر والجسم ويقيه من سهام ورماح الأعداء(٤).

– **القوة البحرية**

يعد الاهتمام بالأسطول الحربي في الهند أحد روافد الحضارة الإسلامية , وهذا لا ينفي براعة الهندوس في عملية تصنيع السفن والمراكب , وقد اهتم الهنود بعملية بناء السفن الحربية منذ عهد الغزنويين , فبلغ عدد سفن السلطان محمود الغزنوي ألفاً وأربعمائة سفينة حربية مجهزة في أحد

---

(١) **علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص١١, ٩٧–٢٤٤ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٢١٧– ٢١٩ .**

(٢) **عبد الرحمن , سيد صباح الدين , هندوستان كي عهد وسطي كا فوجي نظام , نقلاً عن قمر الزمان , أورنجزيب , ص٢١٧.**

(٣) **درويش , السلطان محمود الغزنوي , ص١٣٧ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص ٢١٧ .**

(٤) **الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص١٧٣ .**

فتوحاته[١] أما في عهد سلطنة دلهي فقد استعملوا سفناً حربية كثيرة في حروبهم , وتطورت صناعة السفن بشكل جيد على يد حكام الكجرات فيما بعد[٢].

يعد السلطان أكبر المؤسس الحقيقي لتصنيع السفن الحربية في الدولة المغولية , وذلك أنه اضطر إلى الاهتمام بهذا الجانب بعد الاعتداءات البرتغالية , والتمرد والعصيان من جانب بعض الولايات الهندية , وقيام البرتغاليين بالاستيلاء على السفن الملكية , وأنهم أخذوا يضيقون الخناق على الحجيج المسلمين , ففرضوا عليهم رسوماً جمرجية عالية , كما إنهم هاجموا سفنهم , ومن ثم تطلبت هذه الأوضاع تصنيع الأساطيل الحربية القوية القادرة على نقل الجنود والمدافع وباقي أدوات الجيش بسهولة ويسر , بجانب حماية سفن الحجاج من الاعتداءات البرتغالية المستمرة , وقد نجح السلطان أكبر بالفعل في تطوير السفن الحربية , فقد كان للسلطان أكبر إدارة بحرية تشرف على بناء السفن وتنظيم حركة الملاحة البحرية في المحيطات, حيث قام الأسطول الحربي دوراً فعالاً في فتوحات السلطان أكبر[٣], على الرغم من أنها لم تبلغ درجة تنافس بها لأساطيل الموجودة في عصره , وأغلب سفنه كانت تعمل في أنهار الهند وفي حدود موانئه , ومن بينها ما كان يحمل المدافع الخفيفة وآلات الحرب , وبتشجيع من السلطان أكبر انشئت عدة مصانع لبناء السفن مختلفة الأحجام والأشكال في عدة مدن أبرزها لاهور وأحمدآباد وكشمير , وكان يعمل على هذه السفن فريق من مهرة الملاحين الذين كانوا يفدون من السواحل ليلاقوا من تقدير السلطان ما انتهى إلى تقرير رتب عسكرية لهم على غرار الرتب العسكرية للضباط في الجيش البري[٤].

أما القوة البحرية في عهد السلطان شاهجهان فإنها كانت مؤلفة من ألف سفينة وفي كل واحدة منها سبعون أو ثمانون رجلاً من الملاحين وأهل السيوف ومن أهل الطبول , والأبواق والنجارين والحدادين وغيرها من أصناف الحرف, وتلك البحرية كانت في بنكالة وكانت رواتبها تعود إلى محاصيل تلك الأرض[٥].

---

(١) درويش , السلطان محمود الغزنوي , ص١٨٨ .

(٢) قمر الزمان , أورنجزيب , ص٢٢٠ .

(٣) ديورانت , قصة حضارة الهند وجيرانها , ص١٥٧ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٢٢٠ .

(٤) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٥٥ .

(٥) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٩٣ ؛ علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص٢٦٦-٢٦٧ .

الفصل الثالث

الحياة الثقافية لإمبراطورية المغول الإسلامية في الهند

لقد بلغت الحياة الثقافية في شبه القارة الهندية في العهد الإسلامي مبلغاً عظيماً ولاسيما في عهد الدولة المغولية , وساعد على ذلك ما وصلت إليه البلاد من تقدم في مجالات المعرفة المختلفة من أدب وفنون ورياضيات وفلك وطب وغيرها من العلوم الإنسانية , وتجدر الإشارة بأن ثقافة الهند كانت محصورة داخلها, حيث الجبال العالية في أطرافها الشمالية, فضلاً عن وجود البحر على الجوانب الثلاثة منعت قيام أية عملية تبادل ثقافي بينهما وبين جيرانها , وما أن وطئت أقدام المسلمين أراضي الهند حتى أخذ الخلفاء يهتمون بنقل علوم الهنود وفنونهم كما استقدموا العديد من العلماء والأدباء وترجموا إلى العربية أشهر كتبهم في كافة فروع المعرفة , وأدى ذلك إلى حدوث عملية تبادل ثقافي بين المسلمين والهند , والجديد في العصر الإسلامي قيام المسلمين بتحرير العلم والثقافة من سطوة وعنصرية البراهمة الذين حرّموا على غيرهم الاشتغال بالعلم , وكذلك إدخالهم العلوم الجديدة في البلاد منها علم الحديث والتفسير والفقه والتاريخ وما إلى ذلك , وقد أحدثت الفتوحات الغزنوية ثم الغورية , اهتمام سلاطين دلهي ثم الدولة المغولية بالحياة الثقافية في شبه القارة الهندية والعمل على انتشار الشعر والأدب واللغة العربية ,كل ذلك ساعد على ظهور المدارس والمراكز التعليمية والحواضر الثقافية الكبرى في العاصمة الإسلامية دلهي ثم في الولايات الهندية الأخرى , وكذلك أدى اختلاط كل من الثقافتين الإسلامية والهندية إلى ظهور حضارة اشتملت على مميزات تلك الثقافتين أطلق عليها **(الحضارة الإسلامية في الهند)** وقد تعددت العوامل التي ساعدت على نشر العلم والثقافة وأوجدت التطورات العلمية في العهد الإسلامي, منها تشجيع السلاطين للعلماء والأدباء , وزيارة العلماء لشبه القارة الهندية وهجرة العلماء إلى الهند بصفة عامة وإلى العاصمة دلهي بصفة خاصة , والكتب والمكتبات , ثم من خلال إنشاء المدارس الإسلامية والمؤسسات العلمية في أنحاء شبه القارة الهندية , وقد تمثلت تلك النهضة الثقافية في العناية بدور العلم والتعليم التي شهدت الهند على مر العصور الإسلامية أنواعاً عديدة منها , كما تمثلت في المساجد والمدارس وغيرها , ويعد الاهتمام بالتعليم من أهم ما قدمه الفتح الإسلامي لشبه القارة الهندية , حيث جلب المسلمون معهم نظامهم التعليمي بجانب دينهم الجديد والتي كانت الهند مهيأة تماماً لاستقباله[١].

([١]) الندوي , مقالات سليمان , ص٢٣–٣٠ نقلاً عن قمر الزمان , أورنجزيب , ص ٣٢٧

المبحث الأول

رعاية سلاطين الهند للعلم والعلماء

حظيت الحياة الثقافية والعلمية باهتمام كبير من لدن سلاطين المسلمين في الهند على مر العصور من خلال تشجيع العلماء والأدباء واستقطابهم لشبه القارة الهندية , وإنشاء المدارس الإسلامية والمؤسسات العلمية , ويُعّد الاهتمام بالتعليم من أهم ما قدمه الفتح الإسلامي لشبه القارة الهندية , إذ جلب المسلمون معهم نظامهم التعليمي بجانب دينهم الجديد , والتي كانت الهند مهيأة تماماً لاستقباله, وكان سلاطين المسلمين في الهند يعدون خدمة العلماء المخلصين والأساتذة والمربين الأجلاء , شرفاً لهم , ووسيلة لنجاتهم في الآخرة, وتوجد في تاريخ الهند أمثلة كثيرة لهذا التشجيع الملكي للعلم والعلماء, فقد حرص ولاة الأمر على راحة العلماء والمشايخ[١] . فالفتوحات الغزنوية في بلاد الهند صحبها ازدهار الثقافة الإسلامية , وذلك لأن السلطان محمود الغزنوي(ت:٤٢١ه/ ١٠٣٠م) عمل على تشجيع الحركة العلمية في بلاده مستفيداً من ثروة الهند العلمية الكبيرة[٢] ولم تكن دولة المماليك في الهند(٦٠٢-٦٨٨ه/١٢٠٦-١٢٩٠م) اقل اهتماماً من الغزنويين بالمجالات الحضارية والثقافية فقد صارت العاصمة دلهي مركزاً للتعليم والثقافة الإسلامية في الهند لاسيما في عهد السلطان بلبن(ت:٥٨٥ه/١٢٨٧م) فقد لجأ إليها العديد من العلماء, إذ حرص السلطان على عقد مناظرات بين الشعراء والأدباء والعلماء[٣], في حين ازدهرت الحياة الثقافية في عهد الخلجيين(٦٨٩-٧٢١ه/١٢٩٠-١٣٢١م) لتميزها بظهور إنتاج أدبي غزير ومتنوع , فقد عرف عن السلاطين الخلجيين شغفهم الكبير بالعلوم والمعارف فبذلوا من أجل ذلك الكثير من الأموال إكراماً للعلماء والمفكرين ونتيجة لحب السلطان جلال الدين الخلجي(ت:٦٩٥ه/١٢٩٦) للعلم وتضلعه بعلم النجوم مما دفعه إلى بناء مرصد فلكي في مدينة دلهي[٤].وظلت الحياة الثقافية في الهند مزدهرة في عهد بني تغلق(٧٢١ -٨٠١ ه/١٣٢١-١٣٩٩م), فقد حصلت هجرة واسعة النطاق من البلاد العربية إلى الهند لاسيما في عهد السلطان محمد بن تغلق(ت:٧٥٢ه/١٣٥١م) الذي كان أكثر سلاطين الهند عناية بالعلم والأدب , ولم يكن

(١) الندوي , أبو الحسن علي الحسني , المسلمون في الهند , ط١ (دار أبن كثير -دمشق -بيروت-١٩٩٩م) , ص١٢٠- ١٢١ .

(٢) للمزيد من المعلومات عن الحضارة الإسلامية في عهد الغزنويين ينظر : الفقي , بلاد الهند في العصر الإسلامي , ص٢٣٧-٢٤٤ .

(٣) الفقي , بلاد الهند في العصر الإسلامي , ص٢٤٠.

(٤) للمزيد عن الحياة الثقافية في عهد الخلجيين ينظر : سليم , طارق طه حماد , الأمارة الخلجية في الهند (دراسة في أحوالها السياسية و الحضارية ٦٨٩-٧٢١ه/ ١٢٩٠- ١٣٢١م) , أطروحة دكتوراه مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات – بغداد – ٢٠١٢م) , ص١٦٣-٢٢٤.

فيروز شاه أقل من سلفه اهتماماً بالعلم فقد أسس عدة مدارس كما قام بجلب العلماء المسلمين إلى السلطنة , وكان هو نفسه أديباً فقد كتب كتاباً في التاريخ تضمن حياته وأعماله وسياسته ويسمى **فتوحات فيروز شاهي**(١)

أما سلاطين المغول المسلمون في الهند فقد اتسمت مدة حكمهم بصفة عامة بازدهار حضاري وثقافي لم يسبق له مثيل في تاريخ شبه القارة الهندية , لذا لابد من إلقاء الضوء على هؤلاء الحكام ودورهم في الحركة الحضارية والثقافية , وأول هذه الشخصيات المهمة هي شخصية السلطان بابر مؤسس امبراطورية المغول الإسلامية في الهند ,كان إسهام السلطان بابر في الحركة الحضارية و الثقافية أقل من خلفائه؛ وذلك لكونه مؤسساً للدولة , فقد انصرف اهتمامه إلى مسائل حربية ومشاكل سياسية قبل عملية استقرار الدولة , ومع ذلك كانت فيه صفات الأديب , رقيق الحس , مرهف المشاعر , فيروى أنه كان يقرض الشعر بالتركية والفارسية(٢), وألف عدة كتب في علوم مختلفة :في العروض وفي الفقه وكتابه يسمى **المبين** كما اخترع خطاً سميّ باسمه كتب به مصحفاً وأهداه إلى مكة , وعرف عن السلطان بابر ذوقه الرفيع في الرسم , ويقال إنه أحضر إلى الهند معه تحفاً مختارة من الرسوم التي استطاع جمعها من مكتبة أجداده من سلالة تيمورلنك , وقد نقل نادر شاه بعضها إلى إيران بعد غزوه للهند(٣), ومن أهم أثاره التي تركها لنا مذكراته والتي تعد تحفة من تحف التاريخ المغولي والتي أثنى عليها العديد من الكتّاب والمؤرخين لما تحتويه من صدق الرواية , وروعة الأدب(٤)وعلى الرغم من انشغال السلطان بابر بإرساء قواعد الدولة إلا أنه أولى الجانب الثقافي بعضاً من وقته واهتمامه فقد كان يراسل فحول الشعراء والعلماء في ذلك الوقت ويستقبل الكثير منهم في بلاطه وكان من بينهم الشاعر علي شيرنوائي والمؤرخان خواندمير صاحب كتاب حبيب السير, وميرزا محمد حيدر دغلات(٥) صاحب كتاب تاريخ رشيدي, وهكذا يتضح من العرض السابق مدى رعاية السلطان بابر للجانب الثقافي والحضاري التي تكمن في كونه على رأس دولة كبيرة ومؤسسٍ لها , فضلاً عن صفاته الشخصية

---

(١) الفقي , بلاد الهند في العصر الإسلامي , ص٢٤٥ , للمزيد عن الحياة الثقافية في الإمارة التغلقية , ينظر : حسن , الإمارة التغلقية في الهند , ص١٦٥-١٩٤ .

(٢) بدايوني , منتخب التواريخ , مج١, ص٢٣٢-٢٣٣ ؛ حسن , د.منى سيد علي , التصوير الإسلامي في الهند (الصور الشخصية في المدرسة المغولية الهندية) , ط١ (دار النشر للجامعات – القاهرة – ٢٠٠٢م) , ص١٦ ؛ الطريحي , الشيعة في العهد المغولي , ص٣١ .

(٣) بخشي , المسلمون في الهند , ج١, ص٢٩٣ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٧٨, ٣١٧ كوكن , الدولة المغولية في الهند , ص١٢.

(٤) لوبون , حضارات الهند , ص٤٣٥ ؛ أرسلان , حاضر العالم الإسلامي , ج٤ ,ص٢٩٨ .

(٥) دغلات: وهو مؤرخ من نسل جنكيزخان ولد (٩٠٥هـ/١٤٩٩م) ولاه السلطان بابر على لاهور قتل سنة(٩٥٨هـ/١٥٥١م) , وللمزيد ينظر : الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) ,ج ٤ , ص٣٣٤ .

وملكاته الفنية في النقد الفني والأدبي وأيضا الشعر مما جعله أن يكون راعياً للفن في عصره [١].

ومن السلاطين الذين أولوا رعاية كبيرة للجانب الثقافي السلطان همايون , فقد نال قسطاً وافراً من التعليم في صغره فنشأ تنشئة طيبة تقوم على العلم والدين , وعلى عادة المغول أحضر له والده من يقوم على تعليمه القراءة والكتابة والتاريخ والدين في سن السادسة , ومن ذلك الوقت عرف السلطان همايون بشغفه للعلم والأدب والفن , وقد ترك مكتبة عامرة بالمؤلفات القيّمة ولا يزال بناء هذه المكتبة قائماً في دلهي حتى الآن[٢], وعلى الرغم من انشغاله بالحروب الكثيرة في مواجهة أعدائه في الخارج ومؤامرات إخوته في الداخل مما اضطره للهروب إلى إيران, حيث كانت لتلك المدة ذات أهمية خاصة في تنمية قدراته على تذوق الفنون ولاسيما فن التصوير, زيادة على رؤيته للنهضة الفنية وملاحظته لعلو شأن الفنانين في عصر شاه طهماسب , ويبدو أنه وجد وقتاً كافياً لمشاهدة روائع الفنون الصفوية والتعرف عن قرب على عدد من المصورين والخطاطين , وعلى الرغم من المحن التي مرّ بها السلطان همايون فقد ظل يرعى الفن , إلا أنه اهتم دائماً بالعلم فتعلم اللغة التركية وكذلك الفارسية ,كما كان شاعراً يجالس الشعراء, وله دراية في علم الفلك , محباً للعلماء وصحبتهم , وراعياً للفنانين , وكان هدفه الارتقاء بالذوق الفني وإنشاء الأكاديميات الفنية , وتقريب الفنانين إليه مما أثر تأثيراً كبيراً على الجانب الثقافي والحضاري فيما بعد[٣] كما كان عالماً بالهيئة والهندسة والنجوم وتبحر في علم الاصطرلاب, وبارعاً في العلوم الرياضية شغوفاً بالكتب ومطالعتها[٤].

في حين كانت مدة حكم السلطان شيرشاه من أزهى مُدَد الحياة الثقافية في الهند , فقد اهتم بتحصيل العلم وكسب الفضائل منذ صغره, فبعد انفصاله عن والده رحل يطلب العلم فقرأ العديد من الكتب القيمة والشروح الكثيرة , وأخذ قسطاً كبيراً من كتب المتصوفة وزار العديد من المؤسسات العلمية , وتباحث مع كبار العلماء والمشايخ الذين كانوا في تلك البلاد , لذلك عندما حكم الهند اهتم برجال العلم والأدب , فقرب إليه الشعراء وأجزل لهم العطاء , وعلى الرغم من أنه

---

(١) حسن , التصوير الإسلامي في الهند (الصور الشخصية في المدرسة المغولية الهندية) , ص١٨ .

(٢) الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص٧٤.

(٣) بدايوني , منتخب التواريخ , ج١, ص ٢٩٦ ؛ حسن , التصوير الإسلامي في الهند (الصور الشخصية في المدرسة المغولية الهندية), ص ١٨– ٢١ ؛ أمجد , خالدة , النثر الفني في شبه القارة الهندية , أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها مقدمة إلى الكلية الشرقية (جامعة البنجاب , لاهور– ٢٠٠٦م) , ص١٣٣.

(٤) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص١٩٧–١٩٨؛ كوكن , الدولة المغولية في الهند , ص١٩ .

لم يستقر على عرش البلاد سوى خمس سنوات وهي سنوات لا تعد طويلة حتى يثمر الأدب والفكر ومع ذلك ظهر في عصره عدد كبير من العلماء و الأدباء[١].

أما الراعي الآخر للفن من أباطرة المغول في الهند فهو السلطان أكبر, الذي يعد أكثر سلاطين الامبراطورية المغولية الإسلامية في الهند رعاية للعلم والعلماء , ويبرر السلطان أكبر اهتمامه بهذا المجال كونه لم يتلق قسطاً وافراً من التعليم شأنه في ذلك شأن أولاد السلاطين , فقد كانت ولادته وأبوه مطارداً من إخوته وأعدائه , ونشأ في ظل الحروب التي خاضها أبوه لاسترداد ملكه , لذلك حاول السلطان أكبر عندما اعتلى العرش أن يعوض ما فاته من العلم والتعلم , فأحاط نفسه بالعلماء كي يستمع إليهم ويستفيد منهم ويشاهد مناظراتهم , لذلك نشطت الحركة العلمية في عهده كما نشطت الترجمة بدرجة كبيرة , وارتبط بحركة الترجمة تأسيس مركز لرعاية الفن والفنانين حتى ازدهر الفن في بلاطه ازدهاراً كبيراً , فقد جمع العديد من الفنانين الفرس , ويبدو أن اهتمامه بالفن كان عظيماً , الأمر الذي جعله يقيم معرضاً أسبوعياً لتشجيع الفن والفنانين , وكانت لأكبر نظرته الخاصة فيما يتعلق بالفن ولاسيما فن التصوير, فكان يعده ضرباً من ضروب العبادة[٢], ويقال إنه كان له أكثر من مائة مصنع للفنون والحرف ملحقة بالقصور الملكية, وكل منها كمدينة, وقد بنى مصنعاً قرب القصر, حيث كانت الاستوديوهات والغرف الخاصة بالفنون الأرفع والأكثر شهرة , مثل الرسم والصياغة وصناعة الأقمشة والسجاد والستائر وكان السلطان أكبر يتردد عليها كثيراً ويراقب أعمال الذين يمارسون تلك الفنون[٣], فليس هناك سلطان مغولي لا قبل ولا بعد السلطان أكبر أعطى للجوانب الثقافية والحضارية مثل هذا الاهتمام , فقد مزج بين الثقافة الإسلامية والهندوسية على حد سواء في الفنون والعمارة والرسم والشعر والإبداعات الأدبية[٤], حيث سنتناول هذه الجوانب كلاً على حده لاحقا .

أما السلطان جهانجير فأخذ الكثير من صفات أبيه السلطان أكبر والتي من أبرزها اهتمامه بالعلم والمعرفة والفضائل فقد نهل منهما الكثير, فأصبحت له مشاركة كبيرة في الدراسات الأدبية والتاريخية , وإلمام واسع بعلوم الحيوان والنبات خاصة , وشغفٌ بالغ بالحدائق وتنسيقها بل وبتزويدها بكل النباتات الجديدة , مما لم تكن تعرفه الهند , كما كتب سيرته على غرار ما فعله آباؤه في الغالب ضمّنها الكثير من أعماله ومشاهداته[٥], فقد كان حريصاً على كتابة يومياته

---

(١) **بدايوني , منتخب التواريخ , مج١ , ص٢٧٩ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص٨٤.**

(٢) **حسن , التصوير الإسلامي في الهند (الصور الشخصية في المدرسة المغولية الهندية) , ص٢١-٢٥ .**

(٣) **النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٣١٨ .**

(٤) **لابيدس , تاريخ المجتمعات الإسلامية , ص٦٢٤ .**

(٥) **الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ ص١٨٠-١٨١ .**

سجل فيها ما كان يمر به من حوادث في صراحة , وتسمى **توزك جهانجيري** أي يوميات جهانجير وهي في مجلدين وتمثل فيها أدبه الرفيع وبراعته في الكتابة , إذ كان أديباً شاعراً , كما ترك كتاباً بالفارسية ضَمّنه نصائحه لأبنائه ويسمى **بندنامه** لازال معروفاً للآن , كما أمر الشيخ محمد الجلال الكجراتي بترجمة القرآن للفارسية ترجمة متقنة لا تصنّع فيها ولا زيادة(١) وتعد يومياته من أهم المصادر لمعرفة اتجاهات الملك ونفسيته , ومن خلالها يمكن للقارئ أن يعيش معه في حربه وسلمه , ويدوّن ملاحظاته عليها, ومما يزيد هذه اليوميات قيمة ما دوّنه فيها من أشياء تؤخذ عليه ولم يحاول إخفاءها(٢), ومع ذلك فلا اعتقد أنها ترقى إلى مذكرات السلطان بابر , وسار السلطان شاهجهان على خطى أسلافه في تشجيع العلم والعلماء, فقد كان كثير الإكرام للعلماء حتى قصدوه من جميع الجهات فلم يقصر معهم وكان يرعاهم ويجلّهم ويجري عليهم الأرزاق والمعاشات السخية , ولِمَ لا وعصره يعد عصر رخاء ورفاهية لم تشهد الهند له مثيلاً من قبل , ساعد على ذلك ما تجمع في خزائنه من الثروات الضخمة التي خلفها أبوه وأجداده , وطلب من الشيخ الفاضل عبد الحميد اللاهوري وهو أحد العلماء البارزين في التاريخ والشعر أن يصنف كتاباً في سيرته , فصنف كتاباً حافلاً في أيامه وسماه **بادشاه نامه** وهو مشهور **بشاهجهان نامه**(٣) فضلاً عن اهتمام السلاطين والأمراء والوزراء ,كان الأثرياء وأصحاب الاقطاعات يتسابقون كذلك إلى تكفل المدارس والعلماء , ويعدون هذه الفرصة غالية , وسعادة لهم , وإلى همتهم العالية وتشجيعهم كان له الفضل في كثرة انتشار المدارس وازدهار العلوم(٤) .

وهكذا كان بلاط السلاطين ملتقى العلماء والأدباء من كل الأقطار, حيث يَلقون العناية والإكرام , فبرز في العهود المختلفة علماء فطاحل , كانوا وما زالوا فخر الهند بل فخر البلاد الإسلامية كلها(٥) وذكرنا هؤلاء السلاطين وأعمالهم العلمية والحضارية هنا؛ لأن الحركة العلمية لا تقوم من فراغ بل إنها تحتاج إلى رعاية من قبل الحكام لحملة العلم والأدب .

المبحث الثاني

عوامل ازدهار الحركة العلمية

---

(١) **الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٥١٧ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٣٦-٢٣٧**

(٢) **النمر , تاريخ الإسلام , في الهند , ص٢٣٧ .**

(٣) **الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) ,ج٥ , ص٥٥٨ ؛ أمجد , النثر الفني في شبه القارة الهندية , ص١٣٥**

(٤) **الندوي , المسلمون في الهند , ص١٢٢ .**

(٥) **خليل الرحمن ,عبد الوهاب ,الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية وأثرها في مقاومة الانحرافات الدينية, أطروحة دكتوراه غير منشورة في الشريعة الإسلامية مقدمة إلى جامعة أم القرى–المملكة العربية السعودية – ١٩٨٧م , ص٧٣ .**

شهدت الحركة العلمية في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند ازدهاراً كبيراً في شتى الميادين؛ ويعود سببه إلى ظهور الكثير من العلماء والمفكرين في مختلف العلوم وانتشار حركة الترجمة واهتمام السلاطين بها , فضلاً عن التوسع في التعليم العام وبناء المدارس والمؤسسات الثقافية , فالمراكز العلمية انتشرت في كافة أرجاء الهند وأصبحت مظهراً من المظاهر التي ساعدت على ازدهار الحياة العلمية وبناء المؤسسات التعليمية .

المؤسسات التعليمية :

تعددت المؤسسات التعليمية وانتشرت في كافة أرجاء الامبراطورية المغولية الإسلامية في الهند , وكان نظام التعليم في الهند يشبه نظام التعليم السائد في باقي أجزاء العالم الإسلامي , حيث يتضح أن هناك وحدة مشتركة تسيطر على مناهج التعليم ولاسيما ذات الصلة بالعلوم الإسلامية بأنواعها المختلفة , وكانت معاهد التعليم العالي تعرف باسم المدارس , وكان الطلاب يدرسون فيها علوم الدين واللغة العربية والفارسية واللغات الهندية, وكان الإنفاق عليها يتم من خلال المعونات المالية والمساعدات الحكومية بجانب مساعدات الوقف , وكانت تلك المدارس تزود الدولة بما تحتاج إليه من قضاة ومفتشين وبعض الإداريين(١) , وعلى الرغم ما يشهد به التاريخ من تطور التعليم في عهد المغول(٢), إلا أن أحد الباحثين الأوربيين حاول تشويه هذه النهضة التعليمية وافترضوا أن التعليم نظامٌ مقصورٌ على الأغنياء الذين كانوا ينظرون بدورهم إلى التعليم نظرة أرستقراطية تجعله شيئاً كمالياً الغرض منه إضفاء العلم على المكانة الاجتماعية ,وقليلا ما كانوا يتخذونه غاية تزداد بها ثقافة الرجال وتتقدم بها الأمم (٣).

وهذا الرأي والقول مخالف للصواب , فالتاريخ يشهد بأن الدول الإسلامية عموماً كانت فاتحة خير لأهل الهند, حيث أصبح التعليم مجاناً , فقد قام السلاطين بإجبار الأهالي على إلحاق أبنائهم بالمدارس والمتتبع لتاريخ المغول في الهند يجد إغفال جانب الأعمال العلمية الإسلامية إلا قليلاً, لاسيما المدارس الإسلامية القديمة في الهند , والسبب في ذلك يعود إلى الوازع الديني الإسلامي الذي كان يحمل المسلمين على جعل مهنة التدريس والتعليم وظيفة دينية , فما من مسلم إلا ويعدُّ مساعدة طلبة العلم , ونشر الكتب الدينية , وتوفير الأجهزة التعليمية , والوقف على التعليم والتدريس , وبناء المدارس , وخدمة أهل العلم , ومدّ يد العون إليهم , تكليف شرعي , يجلب عليه الخير والبركة في الدنيا والآخرة؛ والسبب الآخر هو عدم وجود أبنية خاصة تخص

---

(١) حسين خان , يوسف نظام التعليم في الهند خلال العصور الوسطى , مجلة ثقافة الهند , عدد ٢ , ١٩٦١, ص٦٠, نقلاً عن قمر الزمان , أورنجزيب , ص ٣٦٢- ٣٦٣ .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن تطور النظم التعليمية في الهند خلال عهد سلاطين المغول راجع مقال : ترويج الثقافة والتعليم في العهد المغولي , مجلة ثقافة الهند ,مج٦٠ , العدد٣ -٢٠٠٩م , ص٦٦-٩٦ .

(٣) ديورانت , قصة الحضارة , ج٣ , ص٢٨٨.

التعليم والتلقين ,وإنما كانت المساجد تحقق الهدف نفسه في الغالب فكانت المساجد كلها تستعمل كدور للعلم ومعاهد للتعليم , فما من مسجد واسع مترامي الأطراف إلا ويمثل مدرسة عظيمةً , فلا تخلو أية مدينة من مدن الهند إلا وتجد فيها مساجد فخمة واسعة , ومن المعروف أن المؤسسات التعليمية في الهند كانت على ثلاثة أنواع : الأول : المساجد , والثاني : الخانقاهات, والثالث : هي المدارس(١).

-المساجد:

يعد المسجد المؤسسة التربوية الرئيسة في الإسلام التي أسهمت في نشر الثقافة الإسلامية وله أثر واضح في الحركة العلمية والفكرية وقد عُرفت بلاد الهند في العهد الإسلامي باهتمام المسلمين فيها ببناء المساجد , وقد ضمت الهند العديد من المساجد التي أدت دوراً مهماً في نشر الإسلام , وكانت مركز إشعاع ديني وثقافي للمسلمين داخل البلاد وخارجها, وكانت محط أنظار طلاب العلوم الإنسانية والإسلامية واللغة العربية إلى جانب كونها مثلاً حياً لروائع الفن المعماري المستمد من الصبغة المحلية الهندية والإسلامية , فعند قيام امبراطورية المغول ازداد الاهتمام ببناء المساجد لدرجة لم تشهدها الحقب السابقة وكانت مدة حكم السلطان بابر وهمايون مدة انتقالية انشغلا خلالها بترتيب شؤون الدولة الحديثة وكثرة الحروب التي نشبت في عهديهما(٢), وعلى الرغم من ذلك شهد عهد السلطان بابر نشاطاً واسعاً في الحركة الفكرية ,إذ كان ولعاً بفن العمارة واستعمل العديد من النحاتين والبنائين ليقيموا له منشآته من قصور ومساجد ونافورات وخزانات للمياه في أكرا وباقي مدن الهند(٣). وفيما يأتي نتناول أبرز مساجد الهند في امبراطورية المغول الإسلامية :**المسجد الكبير**:ويقع في كابل باغ في بانيبات , بناه السلطان بابر سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م) و**المسجد الجامع** في سامبهال, وهما الأثران الوحيدان اللذان بقيا من آثار ومنشآت السلطان بابر الجميلة التي اندثرت(٤) **مسجد همايون شاه** :يوجد مسجد همايون شاه بمدينة اكرا, ومنشئ هذا المسجد هو السلطان همايون , وقد أنشأ المسجد ليكون مسجداً جامعاً لمدينة أكرا , وهو أقدم المساجد في مدينة أكرا و**مسجد كيلاكونا** وهو من المساجد الجامعة التي أنشأها السلطان شيرشاه سنة(٩٣٨هـ/١٥٣١م) ,و**مسجد عيسى خان** يوجد هذا المسجد في

---

(١) قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٦٢-٣٦٣ ؛ الديوبندي , سيد محبوب الرضوي , المدارس في الهند , مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند , ٢٠١٢م , العدد ٨ .

(٢) ديسائي , د. ضياء الدين , المساجد التاريخية في دلهي , ترجمة منظور أحمد واني , مجلة ثقافة الهند(المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – نيودلهي- ٢٠٠٢م) مج٥٣ , العدد٢-٤ , ص١٠٩ .

(٣) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ,ج٢ ,ص٥٨ .

(٤) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٥١-٣٥٢ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٣٧ .

مدينة دلهي ومنشئ هذا المسجد هو عيسى خان وهو أحد كبار رجال البلاط الملكي في عهد الملك شيرشاه السوري, وتم إنشاء هذا المسجد سنة (٩٥٤هـ/١٥٤٧م) , و**مسجد خير المنازل** الذي أنشأته مهام أنغا مربية السلطان أكبر سنة(٩٦١هـ/١٥٥٣م) , و**المسجد الأكبري** ومنشئ هذا المسجد هو السلطان أكبر بين عامي(٩٧٢-٩٨٠هـ/١٥٦٤-١٥٧٢م) وهو نفس تاريخ إنشاء القلعة الحمراء في مدينة أكرا والتي سنتناولها لاحقاً , وقد أنشئ هذا المسجد ليكون مسجداً جامعاً للمدينة , وهو ما يزال باقياً إلى اليوم , و**مسجد أفساروالا** في مدينة دلهي بالقرب من ضريح السلطان همايون , وقد تم أنشاؤه سنة (٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م)[1], **المسجد الجامع بمدينة فتح بور سكري** وهو الذي أنشأه السلطان أكبر سنة (٩٧٩هـ/١٥٧١م)[2], **المسجد المغولي** ويوجد هذا المسجد بدلهي بمنطقة قطب منار , **مسجد كالان**, وهو يقع في مدينة أكرا أنشئ سنة(١٠٠٩هـ/١٦٠٠م)[3], **المسجد الجامع** وهو من أكبر المساجد الموجودة في العالم , يقع في مدينة دلهي تأسس في سنة (١٠٥٨هـ/١٦٤٨م) و منشئ هذا المسجد هو السلطان شاهجهان [4]**مسجد ناجينا** وناجينا تعني الحجر الكريم يقع هذا المسجد في مدينة أكرا أنشأه السلطان شاهجهان, وهو مسجد صغير بجوار قصره ليكون مقراً لصلواته الخاصة أي مقتصر على السلطان وحاشيته أسس سنة (١٠٤٧هـ/١٦٣٧م) , و**مسجد وزير خان** ويوجد مسجد وزير خان في مدينة لاهور أنشأه الأمير وزير خان من حكام لاهور سنة(١٠٥٣هـ/١٦٤٣م)[5] **مسجد فتحبوري بيكم** ويوجد هذا المسجد في مدينة شاهجهان آباد الأثرية بشمال دلهي , ومنشئ هذا المسجد السيدة فتحبوري بيكم إحدى زوجات السلطان شاهجهان , وقد تم بناؤه سنة (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م), **مسجد موتى** وموتى كلمة هندية معناها بالعربية اللؤلؤة يقع داخل قلعة أكرا أنشأه السلطان شاهجهان سنة(١٠٥٦هـ/١٦٤٦م) **المسجد الجامع** يوجد هذا المسجد الجامع بوسط مدينة أكرا, وهذا المسجد بني بأمر من جهان أرابيكم ابنة السلطان شاهجهان سنة (١٠٥٦هـ/١٦٤٦م) , **مسجد تاج محل** يقع هذا المسجد إلى الغرب من ضريح تاج محل,

---

(١) علي , أحمد رجب محمد , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ط١(الدار المصرية اللبنانية –القاهرة -١٩٩٧م) ص٩٤- ١٩٢.

(٢) بدايوني , منتخب التواريخ , مج ٢ , ص٣٨٣ ؛ علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص٩٤-١٩٢ ؛ للمزيد من المعلومات عن مسجد (فتح بور سكري) ينظر : Nath, R. , Fatehpur Sikri and its Monuments ,(Historical Research Documentation Programme -2000) ,22 -45.

(٣) علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص٩٤-١٩٢.

(٤) كوكن , دولة المغول في الهند , ص١٣٩ ؛ الندوي , ضياء الحسن , الآثار التاريخية في الهند , مجلة ثقافة الهند , (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية –نيودلهي – ٢٠٠٢م)مج ٥٣ العدد١, ص٤٩-٥٠.

(٥) علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص٩٤-١٩٢.

ومُنشئ هذا المسجد هو مُنشئ مجموعة تاج محل السلطان شاهجهان استمر بناؤه بين عامي (١٠٤١-١٠٥٧هـ/١٦٣١-١٦٤٧م) وقد أنشئ هذا المسجد لكي تقام فيه الصلوات لزوار الضريح وهم عدد كبير جداً[١]. وهذه المساجد والمساجد الأخرى التي انتشرت في المدن والقصبات كانت تؤدي دوراً مهماً في عملية التعليم, حيث أخذت على عاتقها وبهمة العلماء المتواجدين فيها على تعليم اللغة العربية والفقه وأصول الشريعة لطلاب العلم الذين يرتادون تلك المساجد وأسهمت في عملية التعليم في شبه القارة الهندية [٢].

- الخانقاهات

الخانقاهات أو زوايا المتصوفة التي كان لها دور عظيم , إذ إن نشر العلم والثقافة كان أكبر همّ هؤلاء المشايخ وبغيتهم , وكان أكثرهم صاحب ذوق أدبي وعلمي رفيع , وكانت عقيدتهم أنه لا يمكن معرفة الله سبحانه بدون العلم , وأن الصوفي الجاهل يُعد ألعوبة بيد الشيطان, ولذلك نراهم لا يستخلفوا للدعوة إلى الله النجباء من ذوي الكفاءة والاستعداد إلا بعد التحصيل العلمي[٣], والحقيقة أن الفضل الكبير في الحركة التعليمية في ذلك الوقت يرجع إلى تشجيع هؤلاء الصوفية إما مباشرة أو بوساطة ما, ونرى أن المدرسة والزاوية جنباً إلى جنب , فالعهد الإسلامي في الهند بدأ بهؤلاء الصوفية ولاسيما الشيخ معين الدين الاجميري المولود سنة(٦٢٧هـ/١٢٢٩م) والذي أسس الطريقة الجشتية في هذه البلاد على دعائم قوية لجهاده وإخلاصه , وأقبل عليهم الناس من جميع الطبقات والفئات يتنافسون في حبهم وصلتهم بهؤلاء المرشدين , رجال الله والدعاة إليه بإخلاص وصدق , وأمانة ونزاهة , وامتدت في طول البلاد وعرضها شبكة من المراكز الروحية حتى لم يبق بلد أو قرية ذات شأن إلا وفيها مركز روحي أو عدة مراكز, فبعد وصول الشيخ معين الدين الجشتي إلى الهند وقيامه بالدعوة إلى الإسلام , دخلت فئات كبيرة من الهند الوثنين في الإسلام وصل عددهم بمئات آلالاف , ومن هذه الخانقاهات والزوايا خرج لنا الإمام أحمد السرهندي المجدد والمصلح الذي تصدى لبدع السلطان أكبر والذي سنتناوله في الفصل اللاحق[٤].

---

(١) Rustam.J Mehta. ,Masterpieces of Indo-Islamic Architecture ,69. ؛ علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص١٧٨-٢٢٤.

(٢) للمزيد من المعلومات عن تفاصيل تصميم هذه المساجد ينظر : علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص٩٤-١٩٢.

(٣) الندوي , أبو الحسنات , مدارس الهند الإسلامية القديمة , (أكاديمية شلبي أعظم كره – الهند ٢٠٠٨م) نقلاً عن قمر الزمان , اورنجزيب , ص٣٦٢- ٣٦٣ .

(٤) الندوي , أبو الحسن علي الحسني , ربانية لا رهبانية , ط١ (دار القلم – دمشق , دار الشامية- بيروت – ٢٠٠٠م) ص٧٥-٧٧ ؛ الندوي , المسلمون في الهند , ص١٦٤.

-المدارس

لم تكن تعرف المدارس زمن الصحابة ولا التابعين , وإنما ظهرت بعد القرن الرابع من الهجرة , وأول من بَنَى المدرسة في الإسلام أهل نيسابور, وأشهر ما بُنى في القديم المدرسة النظامية ببغداد, والمستنصرية , أما الهند فلم تكن عندهم معرفة بإنشاء المدارس على الطريقة المعروفة , فقد كان سلاطين الهند يوظفون الأفراد المتعلمين ويعطونهم عطايا مجزية , ليشجعوهم على دراسة العلوم النظرية والعملية على أيدي بعض العلماء سواء في المساجد والزوايا , أو حتى في بيوتهم كل يوم وليلة, والبعض كان يدرّس حسبة لله , ولا يقبلون الهدايا والعطايا من السلاطين[١]

تختلف المدارس عن المساجد وغيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى , ومن أبرز معالم المدارس القاعات الدراسية أو الإيوان ,كما احتوت المدارس على مساكن للطلاب والأساتذة ومسجد للصلاة ومكتبة يستعملها الأساتذة والطلاب فضلاً عن المرافق الأخرى كالحمّامات وقاعات الطعام , وفي أغلب الأحيان كانت الدولة تشرف على هذه المدارس وتهتم بالتعليم وترعاه وتعين المدرسين الأكفاء للتدريس, وجعلت التعليم مجاناً لمن يريده بل إن أكثر المدارس تقدم منحاً ورواتب للفقراء من الطلبة[٢].

والتعليم في الهند ينقسم على نوعين :-

١- **التعليم الخاص(المدارس الخاصة)** :لم يتعَّد التعليم الخاص بعض زوايا المساجد ودور الملوك والسلاطين والعلماء والفقهاء , إذ لم نعثر على مدارس خاصة ومستقلة تقوم على التدريس , بل وجدنا في المصادر نماذج تشير إلى أن هذا النوع من التعليم انحصر في الغالب في تدريس وتعليم أبناء الملوك والسلاطين , فالسلطان أكبر خصص لتعليم أبناءه احد العلماء الكبار وهو الشيخ أبو الخير بن المبارك الناكوري الدهلوي , أما السلطان شاهجهان فقد عين الشيخ علي بن محمد المقيم الخطاط معلماً ومربياً لابنه أورنجزيب ومنه تعلم أورنجزيب الخطوط العربية[٣].

٢- **التعليم العام(المدارس العامة)** : سيطر التعليم العام على مسار الحركة التعليمية في كافة المناطق الهندية الخاضعة لحكم المسلمين, حيث كان بمقدور طلبة العلم تحصيل علومهم في

---

(١) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٥٦ .

(٢) الهاشمي , الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم , ص١٥٢.

(٣) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٥٦ ؛ الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص١٧٦ .

أماكن مخصصة لهذا الغرض كالمسجد والخانقاه والمدرسة[١], كما أن الأبنية التي تقام على أضرحة السلاطين والزهاد, تحيط بها حجرات وأروقة استعملت كمدارس وكتاتيب[٢]

قُسِمّت المدارس في الهند على ثلاثة أقسام :-

-**القسم الأول : المدرسة الدينية** , وهي التي تهدف إلى نشر الإسلام وعلومه المختلفة ,كالقرآن والسنة وعلوم الفقه وعلوم اللغة العربية[٣].

-**القسم الثاني : المدرسة الهندية – الفارسية** , والتي أسهمت في نشر العلوم الهندسية , لاسيما العمارة والزخرفة والنقش والمنمنمات والرسم والموسيقى والتصميم , وقد طور هذه المدرسة , وزير البلاط المغولي أبو الفضل الناكوري في الوقت الذي حظيت به هذه المدرسة برعاية فائقة ومباشرة من قبل أباطرة القصر المغولي في الهند[٤].

- **القسم الثالث : المدرسة الفارسية** , والتي عُنيت بتعليم الأدب والمنطق والفلسفة , واشتهرت أيضاً بعلمي النقل والترجمة, وقد حظيت هذه المدرسة بدعم القادة وكبار الدولة المغولية ولاسيما أولئك الذين تعود بهم عروقهم إلى الأصول الفارسية [٥]

ابرز المدارس في امبراطورية المغول الإسلامية :

انتشرت آلاف المدارس في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند, وعد سلاطينها انفسهم رعاةً ومروجين للثقافة والعلوم إدراكاً منهم بأهمية التعليم وقد سعت الإدارة المغولية إلى مساعدة العلماء والإغداق عليهم بالعطايا والهبات , هذا فضلاً عن أنها خصصت لهم رواتب شهرية مجزية وتوفير الطعام لهم, كما عمدت الدولة على تعيين هؤلاء في الوظائف الإدارية وقد أوقفت الدولة عدداً من القرى الزراعية وأراضٍ خراجية لدعم المدارس والقائمين عليها من المدرسين[٦]

ومن أبرز المدارس المغولية في الهند مدرسة **الشيخ فريد** والتي بناها الشيخ علاء الدين الدهلوي؛ تخليداً لذكرى الشيخ الصوفي فريد الدين جانق وذلك في عصر السلطان همايون سنة(٩٤١هـ/١٥٣٤م) , ومدرسة **أكبر آباد** التي أنشئت بأمر من السلطان جلال الدين أكبر, ومدرسة **(الخاصة)** أُسّست على يد الشيخ علاء الدين لآري في عهد السلطان جلال الدين , ومدرسة **أكبر** التي بناها السلطان جلال الدين أكبر في منطقة فتح بورسكري, وقد عين لهذه المدرسة علماء تميزو بعلومهم ومعارفهم وغزارة إنتاجهم ومؤلفاتهم , ومدرسة **أبي الفضل** في نفس مكان مدرسة

---

(١) **الجوارنة , الهند في ظل السيدة الإسلامية , ص١٧٦ .**

(٢) **الديوبندي , المدارس في الهند , مجلة الداعي الشهرية ، دار العلوم ديوبند , ٢٠١٢م , العدد ٨ .**

(٣) **الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص ١٧٧ .**

(٤) **م , ن , ص١٧٧ .**

(٥) **م , ن , ص١٧٧ .**

(٦) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٥٦ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٦٧ .**

أكبر وقد حملت اسم وزير البلاط المغولي أبا الفضل الناكوري وهو مؤرخ البلاط المغولي المشهور, ومدرسة **الشيخ عبد الحق المحدث** وهي من المدارس العليا أسسها السلطان جهانجير تكريماً للشيخ عبد الحق بن سيف الدين[١]. شهد عصر السلطان همايون والسلطان أكبر زيادة ملحوظة في عدد المدارس وازدهارها[٢]وقد اهتمت هذه المدراس في نشر الدعوة الإسلامية في دلهي وأنحاء متفرقة من الهند, وساهمت المدارس في تطور وازدهار العلوم والمعارف الإسلامية بأنواعها المختلفة في الهند , كما أدت دوراً مميزاً في نشر الإسلام في ربوع الهند , وعمل على خدمتها معظم علماء ذلك العصر, ومدرسة **شاهجهان« دارالبقاء** » وهي المدرسة التي أنشأها السلطان شاهجهان سنة(١٠٥٩هـ/١٦٤٩م) على مقربة من المسجد الجامع وتم تعيين العلّامة الشيخ يعقوب البيانوي مديراً للمدرسة بمرسوم ملكي خاص , ومدرسة **لاهور** التي أسسها الشيخ محمد فضل البدخشاني الذي كان يشغل منصب قاضي القضاة في البنجاب على عهدي جهانجير وشاهجهان , ومدرسة **سيالكوت** أسسها العلّامة الشيخ عبد الحكيم بن شمس الدين وهو من العلماء الكبار الذي خلف عشرات المؤلفات العلمية وقد أوقف شاهجهان العديد من القرى لهذه المدرسة[٣], وقد اتهم السلطان أورنجزيب بأنه أصدر مرسوماً أغلق فيه العديد من المدارس التي تعود للهندوس تعصباً منه لدينه ، إلا أن حقيقة المرسوم وما جاء فيه هي بناءً على ما تقتضيه الشريعة الإسلامية, إذ لا يجوز بناء معابد جديدة للهندوس , ومنع أي اعتداء على برهمي ولا على معابدهم أو مدارسهم , ويعود أمر غلق المدارس الهندوسية والمسيحية إلى ما كانت تبثه هذه المدارس في سياستها التعليمية من أفكار تخالف الدين منذ عهد السلطان أكبر, الذي أنشأ مثل هذه المدارس لانتزاع أبناء المسلمين من الدين الحنيف , فلم تؤسَّس هذه المدارس إلا لهذا الغرض , إذ لم يكن غلق هذه المدارس إلا من باب الحفاظ على العقيدة الإسلامية[٤].

- **مدارس النساء**

لم تحضَ المرأة في الهند في العصور السابقة بنصيب وافر من التعليم , وقد خصت بعض النسوة من دون سواهن في هذا المجال مثل سيدات الطبقة الراقية أو ممن يعملن في خدمة المعبد , والنظرة السائدة أن القراءة كانت في عرفهم لا تليق بالمرأة , وليس من حقها أن تلم بكتب الفيدا , فإن دراسة المرأة لها تعد علامة من علامات الفساد في المملكة[٥]. وقد شهدت العصور الإسلامية في الهند تغييراً واضحاً في هذا الأمر, إذ حظيت المرأة في عصر دولة المغول

(١) الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص١٧٩-١٩٢ .

(٢) الديوبندي , المدارس في الهند , بلا ص .

(٣) الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص١٧٩- ١٩٢ .

(٤) بخش , أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية , ص٤٠-٤١ .

(٥) ديورانت , قصة حضارة الهند , ص١٧٩.

بنصيب وافر من التطور العلمي والثقافي , والتحق عدد كبير منهن في المدارس الخاصة التي عدت لهن وقد اهتمت أميرات البيت المغولي بتشييد المدارس الخاصة بالبنات , وأشهرهن بيك بيكم زوجة السلطان همايون والتي أنشأت معهداً على مقربة من ضريح زوجها , والسيدة مهام أنغا مربية السلطان أكبر, فأبدت استعدادات كبيرة لمنح عملية التعليم خدمات جليلة , وأنفقت أموالاً طائلة عليها فأسست مدرسة في مدينة دلهي سنة(٩٦٩هـ/١٥٦١م) ومازالت أنقاض بناء تلك المدرسة المنهارة ناطقة بما كانت عليه هذه المدرسة من رقيّ وازدهار وتطورٍ في مدينة دلهي الجديدة ,كما عنت الأميرة آراء بيكم ابنة السلطان شاهجهان إذ أسست مدرسة في مدينة أكرا وألحقت بها مسجداً سمّي المسجد الجامع(١)وخصصت للمدرسة أقطاعات كثيرة من أجل المحافظة عليها وعلى نشاطها العلمي , ومدرسة أكبر أبادي بيكم قامت ببنائها السلطانة أكبر أبادي بيكم إحدى زوجات السلطان شاهجهان في دلهي سنة(١٠٤٠هـ/١٦٣٠م) كما قامت السلطانة نواب فاتح بوري بيكم أحدى زوجات السلطان شاهجهان ببناء مدرسة سنة(١٠٥٩هـ/١٦٤٩م) سميت بمدرسة فاتح بور بيكم إذ بنيت بجوار مسجدها الشهير فاتح بوري وقد بنيت من الرخام والقرميد الأحمر, وهي خاصة بتدريس البنات فقط وبقيت هذه المدرسة تؤدي دورها الهام في نشر العلوم الإسلامية حتى أواخر العصر المغولي(٢), وكانت دور العلم والمدارس الإسلامية تتمتع بإشراف مالي من قبل الحكومة , الأمر الذي أدى إلى ديمومتها إلى مدة طويلة وقد أسهمت هذه المدارس بشكل فاعل في نشر الثقافة والوعي المعرفي بين النساء المسلمات في شبه القارة الهندية .

-المناهج الدراسية:

اقتصرت المناهج التدريسية عند الهندوس على تعليم النصوص الدينية السنسكريتية والبوذية , وكان المعلمون البارزون يلقون يومياً محاضرات عديدة وبشتى المواضيع , هذا بجانب دراسة النظريات الفلسفية المتعلقة بالدين والأخلاق , أما بالنسبة للمسلمين فقد كان المنهج المتبع هو إتقان اللغة العربية والقرآن والكتابة والحساب, وذلك في المرحلة الأولى ثم يلتحق التلميذ بشيخ يعلمه المنطق والفلسفة والنحو والصرف والفنون , هذا بجانب أصول الدين , وعقب ذلك يلتحق الطالب بإحدى المدارس الكبرى ليدرس العلوم تفصيلاً(٣), وقد كانت الهند واقعة تحت التأثير الفارسي من النواحي العلمية والأدبية والثقافية والحضارية والفكرية في مناهجها الدراسية ونظمها

---

(١) الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية ,ص١٧٥ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص ٣٦٧ .

(٢) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٦١ ؛ الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص ١٧٧.

(٣) قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٦٩.

التعليمية ومؤلفات علمائها ونوابغها , وهذا التأثير متأتٍ من مجاورتها للفرس, وأن القائمين والدعاة والمعلمين كانوا على صلة كبيرة بإخوانهم في بلاد فارس وقد زاد هذا التأثير في عهد السلطان همايون عندما دخل إلى هذه البلاد إذ توثقت العلاقة بين الهند والفرس , أما في عهد السلطان أكبر نقد أصبحت الهند كلياً عالةً على بلاد فارس في مناهجها الدراسية وطرق التعليم وتحديد مقاييس الفضل والنبوغ في مجال العلوم العقلية والحكمية وتمت بذلك السلطة العليا للفرس على الهند[١] .

فقد اصدر السلطان أكبر مرسوماً ملكياً عدّه البعض ضربة قاصمة للتعليم الإسلامي , وكان هدفه تحقيق الوحدة القومية في التعليم جاء فيه : يجب على كل طالب أن يدرس الأخلاق والحساب والزراعة والهندسة والنجوم وتدبير المنزل وسياسة المدن والطب والمنطق والتاريخ , ومنع تدريس العلوم الدينية في المدارس , غير أن الفشل كان مصير هذا المرسوم, إذ لم يطبق إلا في بضع مدارس في دلهي دون آلاف من المدارس المنتشرة في طول البلاد[٢] ومما ميز المدارس الدينية في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند أنها لم تكن حكراً على المسلمين بل أن التعليم فيها كان متاحاً لأبناء الهندوس إذ رغبوا بذلك ولم يميز المسلم عن الهندوسي في التعليم , وهذا الأمر قاد إلى بروز شخصيات هندوسية نبغت في سماء العلم والأدب, وقد امتدح الكتاب الهندوس هذا الأمر وعدوه خطوة على جانب كبير من التسامح[٣].

وتجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك مراكز ومؤسسات لتدريس العلوم والفنون المختلفة مع انتشار المدارس الخاصة والعامة, وكانت هذه المراكز والمؤسسات العلمية يُدرّس بها الأساتذة والعلماء في موادهم العلمية الخاصة, وكان طلبة العلم يشتركون في هذه المجالس العلمية الخاصة لتحصيل المواد على حسب التخصص, ومن هنا كان على طلبة العلم أن يسافروا إلى هذه الأماكن الخاصة لتحصيل العلوم التي لم تكن توجد في غيرها مثلاً ولاية البنجاب للتخصص في النحو الصرف , ودلهي للتخصص في أصول الدين , وغيرها من التخصصات , أما فيما يتعلق بمنح الشهادات للمتخرجين فكانت هناك ثلاثة ألقاب لهم هي **فاضل , وعالم , وقابل,** فكانت تمنح هذه الألقاب للمتخرجين على حسب تحصيل العلوم في نهاية العام الدراسي , وكانت الشهادات تمنح للذي تخصص في الفلسفة لقب **فاضل** , والذي يتخصص في أصول الدين أو في الشريعة الإسلامية يمنح لقب **عالم** , أما الذي يتخصص في اللغات وآدابها يمنح لقب **قابل** , أما

---

(١) الندوي , رجال الفكر والدعوة , ج٤, ص٣٨٨ .

(٢) الندوي , تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية , ص٢٢٩ ؛ بخش , أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية , ص٨٥.

(٣) الندوي , تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية , ص٢٢٩ ؛ بخش , أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية , ص٨٥ .

المقررات الدراسية في مرحلة الدراسات العليا فكانت مواد التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والآداب وعلم المعاني والمنطق والفلسفة وعلم الكلام والتصوف والرياضيات والكيمياء والطب وما إلى ذلك من العلوم المتداولة آنذاك , وهذه المقررات الدراسية كانت تدرس من خلال بعض المؤلفات الشهيرة مثل كتاب الهداية في الفقه الحنفي وشرح البداية بالفارسية للشيخ مخلص الدهلوي(ت:٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) وحاشية الهداية للشيخ حسين بن عمر العريضي (ت:٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م)[1] .

أما مقررات التفسير فقد اعتمد على كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي(ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) والكشاف للزمخشري (ت:٥٣٨هـ/١١٤٣م) , وفي الحديث كان هناك مصباح السنة للبغوي(ت٥١٦هـ/١١٢٢م)و(الصحيحان)للبخاري(ت:٢٥٦هـ/٨٦٩م) ومسلم (ت:٢٦١هـ/٨٧٤م) ومشكاة المصابيح للتبريزي(ت:٧٤١هـ/١٣٤٠م) , وفي مجال التصوف فكان هناك عوارف المعارف للسهروردي(ت:٦٣٢هـ/١٢٣٤م), وفي النحو كتاب الفوائد الضيائية شرح كافية للملا جامي(ت:٨٩٨هـ/١٤٩٢م) , وفي المنطق كان يدرس كتاب شرح المطالع لقطب الدين الرازي(ت:٧٦٦هـ/١٣٦٤م) وفي علم الكلام كتاب شرح العقائد للنسفي(٥٣٧هـ/١١٤٢م) وشرح المواقف للشريف الجرجاني(ت:٨١٦هـ/١٤١٣م), وفي البلاغة كتاب مختصر المطول للتفتازاني(ت:٧٩٢هـ/١٣٨٩م)وفي الرياضيات كتاب تجريد إقليدس للنسوي(ت:٤٢١هـ/١٠٣٠م) وفي الطب كتاب الموجز لابن سينا(ت:٤٢٧هـ/١٠٣٧م)[2].

-المراحل التعليمية

والمراحل التعليمية التي كان يمر بها التلاميذ لا تختلف كثيراً عن وقتنا الحاضر, حيث كان التلاميذ يذهبون إلى المدرسة من شهر سبتمبر« أيلول» إلى فبراير« شباط » وعمرهم خمس سنوات وينهون المرحلة الابتدائية في سن الثامنة, وعقب ذلك يلتحق التلميذ بشيخ أو معلم ليعلمه الأدب والسلوك والنظام وفي سن السادسة عشرة يلتحق بإحدى المدارس الكبرى المنتشرة في الهند[3] .وأحياناً كان التلميذ يتم المرحلتين الأولى والثانية في قريته ثم يلتحق في المرحلة الثالثة بكبرى المدارس المتخصصة ومن ثم تتكلف الحكومة بتوفير المسكن اللازم له مع الطعام والشراب والأدوات الدراسية وبالنسبة للأمراء وأبناء سلاطين المغول فقد كانت بداية التعليم عندهم في سن الرابعة أو الخامسة , وكان السلطان يقيم حفلاً عظيماً بهذه المناسبة كان يحضره كبار رجال الدولة والعلماء و الأدباء, وكان يكشف عن عمره على الحضور واسم المعلم الذي اختاره للأمير ليعلمه لغته الأم أي اللغة التركية الجغتائية , وبعد التمكن من لغته الأم يدرس على يد

---

(١) **الندوي , المدارس الهندية , ٧٨-٧٩ , نقلاً عن قمر الزمان , اورنجزيب , ٣٦٩-٣٧٠ .**

(٢) **قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٦٩-٣٧٠ .**

(٣) **ديورانت , قصة حضارة الهند , ص٢٨٥.**

الأساتذة الكبار العلوم العقلية والنقلية , فقد اختار السلطان أكبر الشيخ مير كلان هروي لتعليم ابنه سليم « جهانجير» وكان من كبار رجال الحديث في الهند , وكان المعلم يستمر مع الأمير حتى يبلغ اثنى عشر عاماً [١] ,كذلك اختار السلطان شاهجهان محي الدين البهاري فجعله معلماً لولده اورنجزيب , فأشتغل بتعليمه اثنتي عشرة سنة[٢] .

وقد كانت العقوبات البدنية مسموحاً بها في أضيق الحدود؛ بهدف تقويم سلوك التلاميذ ويلاحظ أن تلك العقوبات كانت تقل تدريجاً من الضرب بالعصا على الرأس في المرحلة الأولى وإلى الزجر في المرحلة الثانية وأحياناً كانت تصل إلى الفصل في المرحلة الأخيرة , وكان ذلك يحدث قليلاً , وقد أجاز السلاطين استعمال القوة والضرب غير المبرح لإجبار التلاميذ على الحضور إلى المدرسة , وأعطى المعلم كامل الحرية في استخدام الطرق اللازمة لتقويم سلوك التلاميذ داخل قاعات الدرس[٣], ومهما كانت تلك العقوبات لم تكن تصل أبداً إلى المستوى الذي كان سائداً في العهد الهندوسي إذ كان الطالب يعاقب بلبس جلد حمار مدة عام , وعليه أن يجوب الطرقات ليعلن عن خطيئته[٤], وكان لذلك أثره السلبي على حياة الفرد والمجتمع .

- **المعلمون**

لقد انقسم معلمو الهند على فئتين هما: معلمو العامة وأطلق عليهم المدرسون , أما معلمو الأمراء فقد أطلق عليهم لقب **أتاليقي** وهو لقب مرادف لكلمة **أتابك** أو**المربي**, وكان هذا اللقب يستعمل عند الترك وسكان القوقاز والهند , وكان لا يزال يستعمل عند أمراء بخارى حتى القرن الحادي عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي , وأدى صاحب منصب أتاليقي دوراً علمياً وتربوياً مهماً مثل **مولانا حامد الجنبوري** أحد كبار الفقهاء والذي استعمله أورنجزيب لتدوين **الفتاوى الهندية** وجعله معلماً لولده محمد أكبر[٥] أما معلمو العامة فمن أبرزهم **مرزاده مغلي سمرقندي** حيث كان يلقي الدروس في مدرسة خواجة معين والمعلم **ميان حاتم السنبهلي**(ت:٩٦٩هـ/١٥٦١م) **وملا منور**, و**ملا شيخ حسن تبريزي** , **وملا حاجي كشميري**(ت:١٠٠٦هـ/١٥٩٧م) ,**وملا حبيب الله**(ت:١٠٤٤هـ/١٦٣٤م)[٦] , **ملا مقيم**[٧] والعلامة وجيه الدين بن نصر الله الكجراتي قضى من

---

(١) **بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص ٣٧٤ .**

(٢) **الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٦٤٧ , ٦٠٤ .**

(٣) **حسين خان, نظام التعليم في الهند خلال العصور الوسطى , ص٧٢ .**

(٤) **ديورانت , قصة حضارة الهند , ص٢٨٧ .**

(٥) **بخشي , المسلمون في الهند ,ج٢ , ص٢٢٠-٢٣٧ .**

(٦) **بدايوني , منتخب التواريخ , ج٣ , ص ٥٦٣- ٦٤٢ ؛ بخشي , المسلمون في الهند ,ج٢ , ص٢٢٠- ٢٣٧ .**

(٧) **الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٥٣٢ .**

من عمره ستين سنة في أحمد آباد في تدريس العلوم العقلية والنقلية , وانتشر تلامذته من أحمد آباد إلى لاهور, وانهمكوا في التعليم والتدريس وأصبحوا علماء كباراً وأغلب هؤلاء المعلمين هم في عصر السلطان أكبر(١).

المبحث الثالث

العلوم وأشهر العلماء والأدباء

(١) الندوي , المسلمون في الهند , ص١٢٤ .

قسم أهل العلم في الإسلام العلوم التي يتداولها الناس في مختلف الأمم , وفي شتى العصور ,على علوم نقلية , وعلوم عقلية

- **العلوم النقلية :** وهي العلوم الدينية أو الشرعية التي أساسها ومحورها الوحي الإلهي , الذي ينزله الله على رسوله , ومن أبرزها :-

١- **علم التفسير:** احتل تفسير القرآن الكريم موقعاً مهماً بين العلوم الإسلامية في الهند , وذلك منذ وصول العرب إلى الهند حيث اهتم الفاتحون بنشر علوم الدين ومنها التفسير , وذلك في محاولة منهم لنشر الدين الإسلامي , وقد قابل الهندوس ذلك بصدر رحب , فنجد أول محاولة لترجمة معاني القرآن إلى اللغة السنسكريتية , يقوم بها أحد ملوك الهندوس , وسرعان ما نشط المفكرون المسلمون في نشر الدين الإسلامي عن طريق نشر الثقافة الإسلامية , ومنها تفسير القرآن إلى لغات محلية , وقد ظهر أول تفسير للقرآن على يد الداعية **إسماعيل بن عبد الرحمن أحمد لاهوري** الذي استطاع إدخال أعداد كبيرة من الهندوس إلى الإسلام , وأدرك أهل الهند الأهمية الكبرى لعلم التفسير إبان العصر المغولي عامة , فكانت هناك كتب تفسير عديدة متداولة آنذاك ما يقرب من مائة وتسعة مؤلف منها **التفسير الواضح للرازي(ت:٦٠٦هـ/١٢١٠م) والجلالين للسيوطي والمحلي(ت:٩١١هـ/١٥٠٥م) والكشاف للزمخشري(ت:**٥٣٨هـ/١١٤٣م**)** والتي قام علماء الهند بالنقل والتأليف على منوالها أو قاموا بكتابة الحواشي على هذه الكتب التفسيرية[١] .

ولأهل الهند مصنفات كثيرة في التفسير يصعب حصرها لذلك سوف نذكر أهم التفاسير التي كتبت في عهد الامبراطورية المغولية الإسلامية والتي من أبرزها تفسير القرآن المسمى **سواطع الإلهام لأبي الفيض بن المبارك الناكوري** وهو تفسير للقرآن الكريم بكلمات غير منقوطة , قام فيه بشرح وتوضيح معاني كتاب الله العزيز كله , وهذا دليل على براعته في اللغة العربية وعلى الرغم من مصنفاته التي تدل على اقتداره في العلوم الأدبية إلا أن أهل الدين والملة يستنكفون الأخذ من علومه لاتهامه بالكفر والزندقة[٢] وسوف نذكر تفاصيل كفره وإلحاده في الفصل القادم , ومن علماء التفسير **الشيخ منور عبد المجيد اللاهوري**(ت:١٠١١هـ/١٦٠٢م) كان يقرأ القرآن على سبع قراءات , ولّاه السلطان أكبر الصدارة في مالوه , ثم أمر بحبسه وخلال سجنه ألف العديد من الكتب أبرزها الدر النظيم في ترتيب الآي وسور القرآن الكريم وقام بتعريب كتاب

---

(١) **الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص٢٠٣ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٧٩ .**

(٢) **بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٥٥٢-٥٥٣ ؛ الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٢ , ص٤٧٢ ؛ الندوي عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني, الثقافة الإسلامية في الهند , ط٢ (مطبعة خالد بن الوليد – دمشق – ١٩٨٢م) , ص٤٥ ؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص ١١٧ .**

البحر الموّاج وبلغ عدد الكتب التي ألفها حوالي ألفاً وخمسمائة كتاب أمر السلطان أكبر بنهب أمواله وكتبه , ومن مصنفات التفسير في الهند **مجمع البحرين** و **مختصر تفسير المدارك للشيخ طاهر بن يوسف السندي**(ت:١٠٠٤هـ/١٥٩٥م) **وتفسير القرآن للشيخ يعقوب بن الحسن الصرفي الكشميري**(ت:١٠٠٣هـ/١٥٩٤م) , و**تفسير القرآن الكريم على نهج الجلالين** صنفه في ستة أشهر , وله ترجمة للقرآن صنفه في أيام السلطان جهانجير وسماه **تفسير جهانجيري** , و**التفسير النظامي للشيخ نظام الدين بن عبد الشكور التهانيسري**(١).

- **علم الحديث**

ظل علم الحديث مهملاً في شبه القارة الهندية لعدة قرون , حيث بدأ اهتمام أهل الهند بعلم الحديث متأخراً في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وكان إقبالهم على علمي التفسير والفقه أكثر من علم الحديث ولكن سرعان ما ساهم مسلمو الهند في هذا المجال وبرعوا فيه , مع أنه كانت هناك صعوبات وحواجز جغرافية , وعلى الرغم من ذلك فإن الهند أبلت بنفسها في هذا الفرع بلاءً حسناً , فَمَنّ الله تعالى على الهند بإفاضة هذا العلم وأصبح فيها ما يقرب من مائة واثنين وتسعين مؤلفاً(٢), وممن يرجع إليهم الفضل في نشر علم الحديث لاسيما في عصر امبراطورية المغول الإسلامية في الهند **الشيخ علي بن حسام الدين المتقي البرهانبوري(ت:٩٧٥هـ/١٥٦٧م)** صاحب **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** وهو أكبر موسوعة في الأحاديث النبوية و**الشيخ مجد الدين محمد بن طاهر الفتني(ت: ٩٨٦هـ/١٥٧٨)**(٣)**والشيخ عبد المعطي بن الحسن(ت:٩٨٩هـ/١٥٨١م)** و **الشيخ رفيع الدين الشيرازي(ت: ٩٥٤هـ/١٥٤٧)**(٤) .

وفي هذا العصر مَنّ الله تعالى على الهند وسكانها بإمام المحدثين **الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي** (١٠٥٢هـ/١٦٤٢م) وهو يعد حقاً من رواد العلماء المحدثين بالهند عامة وبشمالي الهند خاصة , فهو الذي يرجع إليه الفضل في تدريس الكتب الستة؛ لأنه أدخلها لأول مرة في المنهج التعليمي لشمالي الهند , عمل على نشر السنّة بالتدريس والتأليف أكثر من نصف قرن بكل جد ونشاط وإخلاص , وعني بها عناية لم يسبق لها مثيل في هذه المنطقة الشمالية بحيث اشتهر بين الناس خطأ أنه أول من جاء بعلم الحديث في الهند , واستمر أبناء الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي وأحفاده بخدمة الحديث والسنّة النبوية بعده , بحيث أحدثوا نهضة كبيرة

---

(١) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٣ , ص ٦٣٩ ؛ الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٤ , ص٤٢١ , ج٥ ص٦٥٢ ,٥٤٦ , ٦٥٧, ٦٥٥ ؛ الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ص١٦٤-١٦٥ .

(٢) الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص٢٠٢ .

(٣) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) ,ج٤ , ص٤٠٩ ؛ المسلمون في الهند , ص٤٩.

(٤) بدايوني , منتخب التواريخ , مج١, ص٢٥٣ ؛ الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ص١٣٦ .

في هذا المجال[١] .وقد شهدت المرحلة اللاحقة نزوح بعض العلماء من الهند إلى الحرمين الشريفين لدراسة علم الحديث النبوي الشريف وعادوا بهذا العلم إلى شبه القارة الهندية وقد انتفع منهم الكثير وأسسوا له في تلك الأصقاع, وكان من أبرزهم **الشيخ عبد الله بن سعد السندي** و **الشيخ رحمة الله بن إبراهيم السندي(ت:٩٩٤هـ/١٥٨٥م)والشيخ يعقوب بن الحسن الكشميري(ت:١٠٠٣هـ/١٥٩٤م)**[٢] .

هذا فضلاً عن العديد من العلماء لا يسع المجال لذكرهم , أما مصنفات أهل الهند في الحديث الشريف وأصوله وما يتعلق به فهي كثيرة أبرزها **عين العلم والسبعين للشيخ علي بن الشهاب الهمذاني**(ت:٧٨٦هـ/١٣٨٤م) وفيه سبعون حديثاً في مناقب أهل البيت , و **وظائف النبي في الأدعية المأثورة للشيخ عبد النبي بن أحمد النعماني الكنكوهي**(ت:٩٩١هـ/١٥٨٣م) **وملتقط جمع الجوامع** للشيخ **طاهر بن يوسف السندي البرهانبوري(ت:١٠٠٤هـ/١٥٩٥)**[٣]ولا شك أن مثل هؤلاء العلماء وأعمالهم القيمة ساعدت على ازدهار وتطور علم الحديث في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند

- علم الفقه

تعددت المذاهب الفقهية في الهند وإن انتشر فيها المذهب الحنفي بصفة خاصة , وكان ذلك منذ دخول الغزنونيين , أما المذهب الشافعي فقد دخل البلاد على يد التجار العرب في جنوب الهند وعلا شأن أتباعه في العهد الغوري[٤], وأما فيما يتعلق بالمذهبين المالكي والحنبلي فلم ينتشرا في الهند؛ لأن أهل الهند في معظمهم على مذهب أبي حنيفة , وقد زاد الاهتمام بعلم الفقه لأن المدارس كانت أصلها فقهية , تُعلّم الطالب أولاً فقه أحد المذاهب الذي ينتمي إليه , ثم يعرج به الدراسة إلى باقي المذاهب[٥] واشتهر أهل الهند بتصنيف الفقه أكثر من غيره من العلوم فمنها ما هو شروح وحواشٍ على تلك الكتب المعتبرة , ومنها ما هو الفتاوى , وقد أقبل مسلمو الهند على دراسة علم الفقه وكان لهم باع طويل في التأليف والتصنيف , وقد اشتهر كثير منهم في العصور الإسلامية الهندية أما فيما يتعلق بفقهاء الإمبراطورية المغولية الإسلامية في الهند فهو عدد لا يعد ولا يحصى , نذكر على سبيل المثال أشهر من قام بالتأليف والتصنيف في هذا المجال , المفتي **عبد السلام الأعظمي الديوي** (ت:١٠٣٩هـ/١٦٢٩م) وهو من العلماء البارزين في الفقه

---

(١) **الحامدي , د.خالد , تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند , مجلة ثقافة الهند , (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – نيودلهي –١٩٩٦م) مج ٤٧ العدد ١–٤ , ص١٦–١٧ .**

(٢) **بدايوني , منتخب التواريخ , مج٣ , ص٦٣٩ ؛ الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ١٤٢–١٤٣ .**

(٣) **بدايوني , منتخب التواريخ , مج٣ , ص٦٠٥ ؛ الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ١٤٢–١٤٣ .**

(٤) **المباركبوري , أطهر, رجال السند والهند , (دار الانصار– القاهرة –١٩٧٨) ج١ , ص٢٩٩ .**

(٥) **الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ص١٠٣ .**

والأصول ولي القضاء , وله مؤلفات وتعليقات على الكتب المنهجية والتي من أبرزها **حاشية الهداية** وأيضاً **حاشية الهداية** للشيخ **وجيه الدين العلوي الكجراتي**(ت: ٩٩٨هـ/١٥٨٩م) , ومن فقهاء الهند المشهورين **بير محمد بن أولياء الجونبوري**(ت:١٠٨٥هـ/١٦٧٤م) نهل من علمه الكثير من علماء الهند انتهت إليه رئاسة العلم والتدريس, له مصنفات جليلة منها **سراج الحكمة وحاشية على هداية الفقه والفتاوى الفقهية**,ومن فقهاء السلطان شاهجهان الفقيه **محمد حسين الجونبوري(ت:١٠٧٦هـ/١٦٦٥م)**(١)وهو ممن ساهم في تدوين **الفتاوى العالمكيرية** ويسمونها **الفتاوى الهندية** التي تعد من أجَلّ وأنفع ما كتب في هذا المجال لكثرة المسائل وسهولة العبارة وحل العقد وهي في ست مجلدات(٢), ألفتها لجنة من العلماء الأجلاء تحت إشراف **مولانا نظام الدين البرهانبوري** أحد أكابر الفقهاء الحنفية وعلمائهم المشهورين أستعمله أورنجزيب في عهد السلطان شاهجهان حين كان والياً في بلاد الدكن وجعله من ندمائه , و ولاه تدوين الفتاوى الهندية وترتيبها باستعمال الفقهاء الحنفية(٣) .

- **اللغة**

تميزت شبه القارة الهندية بكثرة السكان واختلاف اللغات , فقد انتشرت في الهند العديد من اللغات التي كانت تستعمل في كل إقليم على حدة , فتقدر لغات الهند بنحو(٢٤٠) و(٣٠٠) لهجة محلية , وتعد اللغة واحدة من أهم الروابط التي تؤدي الانسجام والتآلف ما بين الشعوب , وكلما تعددت كلما أدى إلى التفكك وعدم الانسجام(٤),ومن أقدم اللغات في الهند السنسكريتية حيث ظهرت منذ القرن الثالث الميلادي, وهي تحظى بمكانة خاصة بين الهندوس , فهي لغة الكتب الهندية المقدسة , وقد أعطتها طابع الانتشار بين أعداد كبيرة من سكان الهند حتى صارت من أبرز اللغات في تلك المنطقة(٥) وتجدر الإشارة إلى أن المسلمين بعد دخولهم الهند بدأت اهتماماتهم الخاصة بتعلم اللغة السنسكريتية وترجمة بعض كتبها الدينية والعلمية خاصة بعد توسيع نطاق الدولة الإسلامية بعد الفتوحات الغزنوية , حتى أن كثيراً من العلماء تتلمذوا على يد الفلاسفة البراهمة لتعلم لغتهم وعلومهم فتفوق بعضهم عليهم ومنهم مؤرخنا الضليع في العلوم والمعرفة الهندية أبو الريحان البيروني(٤٤٠هـ/١٠٤٨م) , أما في عهد الدولة المغولية فوصلت هذه الاهتمامات إلى القمة , أي تعليم وتعلم اللغة السنسكريتية والفارسية والعربية بين الجانبين ,

---

(١) **النّدوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٧ ,ص٩٦٨ , ج٥ , ص٦٥٥ , ٥٠٦ , ٦٣٠ .**

(٢) **للمزيد من المعلومات عن الأمور الفقهية السائدة في الهند ينظر : الشيخ نظام وجماعة من العلماء الهند , الفتاوى العالمكيرية (الفتاوى الهندية) , مصر – ١٩١٦م , ج٤ , ص٢-٤٦٦.**

(٣) **الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٦٥٦.**

(٤) **لوبون , قصة حضارة الهند , ص٤٧٧ .**

(٥) **الساداتي , الدول الإسلامية , ص١٣.**

ويعد السلطان أكبر أول من حرص على تعلمها ونشرها بين أبناء المسلمين ومن ثم أدرجها ضمن المقررات الدراسية وكان أشهر معلميها عبد القادر البدايوني صاحب كتاب منتخب التواريخ(١) .

ومن أوسع لغات شبه القارة الهندية انتشاراً هي الأوردية(٢) وهي لغة آرية وضع قواعدها ونحوها علماء مسلمون , إذ نشأت هذه اللغة فبدأت بالظهور في القرن العاشر الهجري , وألفاظها مزيج من العربية والسنسكريتية والفارسية والتركية, وهي في قواعدها آرية خالصة , وتكتب بالحروف العربية مع الإضافات الفارسية(٣) .

أما اللغة الفارسية فقد دخلت للهند مع الفاتحين الغزنونيين , وشجع سلاطين الإسلام على انتشار اللغة الفارسية في عهد سلطنة دلهي وفي عهد الدولة المغولية على السواء , حتى أصبحت الفارسية لغة التأليف والأدب والشعر وكانت تستعمل في الدواوين بجانب اللغات المحلية ومنحت فرصة أكثر في الانتشار في عهد السلطان أكبر , حيث قرر وزير ماليته راجا تودرمل إلغاء اللغة السنسكريتية واللغات المحلية من الدواوين وإعادة صياغتها باللغة الفارسية , الأمر الذي دفع الراغبين من الكتّاب والنوابغ لاسيما الهندوس في العمل على تعلم اللغة الفارسية لضمان وظيفة في بلاط السلطان , فأصبحت الهند في عهد السلطان أكبر وخلفائه المركز الأول للغة الفارسية حيث جذبت أعظم الناطقين بها , فقد فضل أغلب العلماء والمؤرخون تدوين كتبهم باللغة الفارسية(٤) أما اللغة العربية فقد كان لها نصيب وافر في بلاد الهند ؛ ولعل ذلك يرجع إلى عهود قديمة حيث تعامل الهنود مع التجار العرب جعلهم يتقنون العربية للحفاظ على مصالحهم التجارية , وقد احتلت اللغة العربية مكانة بارزة في الامبراطورية المغولية الإسلامية في الهند إذ بلغ عدد المؤلفات الخاصة باللغة العربية فيها ثلاثة وعشرون مؤلفاً(٥), وهناك لغة أخرى هي التركية الشرقية أو الجغتائية , فقد حاول التيموريون إضعاف شأن اللغة الفارسية في خراسان واستبدالها بالتركية , ومن هنا ظهرت أعمال تركية مهمة والتي من أبرزها ما ألفه السلطان بابرشاه من مذكراته والتي تسمى **تزك بابري** والتي سبق أن تكلمنا عنها إذ تعد هذه المذكرات

---

(١) الفقي , بلاد الهند في العصر الإسلامي , ص٢٤٣ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٣٥-٣٣٦ .

(٢) الأوردية : كلمة سادت في بداية الفتح الغزنوي مشتقة من الأردو والتي تعني لغةً العسكر ينظر : الساداتي , المسلمون في شبه القارة الهندية , ج١ , ص٢٥- ٢٦.

(٣) الساداتي , المسلمون في شبه القارة الهندية , ج١ , ص٢٥- ٢٦ .

(٤) الساداتي , تاريخ المسلمين ,ج٢ , ص٣٢٤ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٣٧-٣٣٩ .

(٥) الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص١٩٨ .

بداية النهضة الحقيقية للغة التركية الجغتائية في الهند , والتي حاول سلاطين المغول نشرها فيما بعد؛ لأنها كانت لغتهم الأم الأصلية[١].

- **علم اللغة والأدب**

اهتم أهل الهند بعلم اللغة العربية والنحو؛ بهدف الرغبة بأن تكون الصلاة والصيغ الدينية الشرعية صحيحة في تركيبها ومخارج أصواتها , وقد عُرف علم اللغة عند الهنود القدماء باسم « بياكرن» وتعني تصحيح الكلام والمشتقات التي تؤدي إلى البلاغة في الكتابة والفصاحة في الخطابة , ولهم كتب قيمة في هذا المجال منها **أيندر** لصاحبه **إندر** و **جاندر** لمؤلفه **جندر** وكتاب **شاكت** وهو للمؤلف نفسه , أما أشهر كتبهم فهو المعروف باسم **شكهت برت** ومؤلفه هو **أوكربوت**[٢] .

وكان مسلمو الهند شغوفين بمعرفة قواعد وأصول العربية بهدف إتقان القرآن والحديث والفقه واللغة العربية , ومن ثم ظهرت العديد من مؤلفاتهم القيمة مثل كتاب **بداية النحو وتذكرة النحو** لملا **عبد الرشيد الجونبوري** وهو أحد العلماء البارزين في النحو والصرف والمنطق والحكمة ومما يلفت النظر أن تطور الأدب في الهند ازدهر نتيجة عدة عوامل أساسية , أشهرها ما تمتعت به الهند من تراث عظيم في هذا المجال متمثلاً في القصص الدينية والأساطير القومية , والحكم والأمثال الشعبية , بجانب نشاط عملية الترجمة وإعادة صياغة القصص العالمية من جديد[٣]

- **الشعر**

كان الهنود القدماء من أسبق الشعوب بمعرفة فن الشعر والذي امتزج عندهم بالتصوف والحكمة والأساطير, وهناك مجموعة ضخمة من الشعر الهندي القديم باسم **أسطورة البورانس** وهي الأشعار السنسكريتية التي كان ينشدها الشعراء في قصور الأمراء وكان الأهالي يحفظونها عن ظهر قلب , وقد واكب هذا التقدم الشعري تقدمٌ في علم العروض أطلق عليه « جند» ومعناها وزن الشعر المقابل لعلم العروض , وأشهر كتبهم في ذلك كتاب **كيست** الذي عرف باسم مؤلفه , وقد قسموا البيت الشعري على قسمين كل قسم يطلق عليه شطراً[٤] .

ونال الشعر اهتماماً كبيراً جداً من لدن سلاطين المغول حتى أنهم أنفسهم كانوا ممن ينظمون الشعر, فعلى الرغم من انشغال السلطان بابر بتأسيس الامبراطورية إلا أنه كان يولي الشعر اهتماماً كبير فقد كان أديباً ذواقاً للأدب ذا بصيرة بفنونه , فهو شاعرٌ مجيدٌ يقرض الشعر باللغة الفارسية لغة الثقافة في ذلك العصر ,وكان الأمراء في عصره يفتخرون بثقافتهم الأدبية فقد عشق الشعر منذ شبابه الأول , وقد ترك ديواناً من الشعر كتبه باللغة التركية نجد الكثير منه في كتاب

---

(١) **قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٤٠- ٣٤٥ .**

(٢) **البيروني , تحقيق ما للهند من مقولة , ص٩٥ .**

(٣) **الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) ج٦ , ٧٤٩ .**

(٤) **البيروني , تحقيق ما للهند من مقولة , ص٩٦ .**

توزك بابري وله مجموعة أخرى من الأشعار أسماها **مبين** وكانت كثيرة التداول في أيامه , وكذلك عرف عن السلطان همايون حبه الشديد للشعر ,كما كان هو نفسه شاعراً ممتازاً , وله أشعار تمتاز بالبلاغة وقوة التعبير, وممن حظي بعطف السلطان همايون ورعايته من الشعراء الشاعر **شهاب الدين خافي** صاحب الأشعار التي لا تبارى في الألغاز والتاريخ , و**الشيخ حسين** المدرس بإحدى مدارس دلهي الكبرى[١] و **خواجة ايوب وزين الدين**[٢] .

والتحق ببلاط السلطان أكبر عدد كبير من الشعراء الذين أثروا الحياة الثقافية في بلاطه وتركوا تراثاً قيماً من الشعر, وأجزل لهم العطاء بغير حساب وقَرّب أحدهم وهو يدعى **بربال الهندي** فأصبح ذا حظوة كبير عند السلطان أكبر لدرجة تنصيبه قائداً للجيش, مما أظهر عجزاً شديداً وقتل في جو أبعد ما يكون الجو عن خيال الشعراء[٣] , ومن هؤلاء الشعراء **ملا غزالي المشهدي** وهو فارسي التحق بخدمة السلطان أكبر وقد لقبه **بملك الشعراء** له ديوان شعر زيادة على مائة ألف بيت من الشعر, وكان متهماً بالإلحاد بين أقرانه من الشعراء , و **ملا قاسم كاهي** له أشعار كثيرة مقلدة عن الآخرين , وأشعاره في علم الهيئة, و **خواجة حسين مروي** وهو ابن وزير, عمل في خدمة السلطان همايون عدة سنوات , و **خواجة حسين ثنائي مشهدي** وهو من شعراء السلطان أكبر المقربين له ديوان شعر كبير , ويجيد أقسام الشعر, ويفوق شعراء عصره[٤] , وبرع فيضي بتأليف الشعر غير المنقوط وهذا الأسلوب الذي عُرِف به من خلال تفسيره الغير منقوط أيضاً[٥]

والسلطان جهانجير هو الآخر كان شاعراً له العديد من القصائد[٦], وكان للنساء نصيب من نظم الشعر, فقد كانت **كلبدن بيكم** ابنة السلطان بابر شاه أديبة وشاعرة لها كتاب ضخم في أخبار أبيها وأخيها السلطان همايون أسمته **همايون نامه**[٧],ويقال أن أحد زوجات السلطان أكبر

(١) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٣٨- ٥٧ ؛ كوكن , الدولة المغولية في الهند , ص١٢.

(٢) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) ,ج ٤, ص٣١٤ , ج١ , ص١٠١ . للمزيد عن الشعر والشعراء في عهد همايون ينظر: بدايوني ،منتخب التواريخ , مج١ , ص٣١١-٣٢٠.

(٣) ديورانت , قصة حضارة الهند , ص١٣٨.

(٤) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٣ , ٦٥٦-٧٧٤ ؛ بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص٢٤٨-٢٦٧ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين , ص١٨٤- ٢٣٦ .

(٥) إدريس , أحمد , الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين , ط١ (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – ١٩٩٨) , ص٣٦ .

(٦) الطريحي , الشيعة في العهد المغولي , ص٣٢-٣٣ , ص١٦٣.

(٧) بدايوني , منتخب التواريخ , مج١ , ص٤٤٢ ؛ الطريحي , الشيعة في العهد المغولي , ص٣٢-٣٣ .

كانت شاعرة وكانت تكتب الشعر بأسم **مستعار مخفي**[١], وأزدهر الشعر ازدهاراً منقطع النظير وشكل الشعراء طبقة كبيرة في عهد السلطان أكبر[٢] .

ولاشك في أن هذا الازدهار في فن الشعر يرجع إلى عدة أمور مهمة منها تعدد أغراض الشعر وأساليب تأليفه والتي نتجت عن إعطاء الحرية الكاملة للشعراء في اختيار مواضيع القصائد , وكذلك كثرة أعداد الشعراء سواء الهنود من المسلمين والهندوس أو الفرس , وهذا الفضل يرجع إلى السلاطين الذين فتحوا باب التفوق أمام الجميع ولم يطردوا أحداً من حضرتهم , بل عملوا جاهدين على جذب كبار الشعراء إليهم , مع إغداقهم الأموال والمناصب والألقاب الفخرية المغرية , فخلدوا ذكراهم بأفضل وأعظم القصائد الشعرية .

- **التاريخ والمؤرخون:**

حظيّ التاريخ بمكانة كبيرة وقد عُنِيَ بالدراسة والتأليف من قبل المسلمون وغيرهم مما له من أهمية في معرفة الماضي والاعتبار من الحوادث التي وقعت في رسم سياسة الحاضر. هذا فضلاً عن تدوين التراث الحضاري للمسلمين في شبه القارة الهندية , فقد تطورت الدراسات التاريخية في الهند في عصر المغول الذين كتبوا عن تاريخ امبراطورية الهند , لذلك فقد أولى السلاطين عناية فائقة بهذا العلم فقد عمدوا إلى تشجيع المؤرخين والإغداق عليهم لكي يؤلفوا الكتب المتعددة , فبعض هؤلاء المؤرخين كانوا مقربين من السلطة الحاكمة فأخذت أعمالهم تظهر من خلال كتب تاريخية قيمة لاسيما في عهد سلطنة دلهي ومنها **طبقات ناصري للجوزجاني** , و**تاريخ فيروز شاهي** لكل من **ضياء الدين وشمس عفيف** , وكل تلك الأعمال تتناول تاريخ الإسلام في الهند مع شيء قليل من تاريخ الإسلام العام[٣]. وقد تطور علم التاريخ في العصر المغولي لاسيما بعد ما قام السلطان أكبر لأول مرة بتعيين مؤرخ رسمي «**الدرباري**» أي المؤرخ الرسمي في البلاط الملكي, فقد حفل بلاطه بعدد من المؤرخين الذين يندر وجودهم في أي عصر , ثم سار على هذه السنة كل من السلطان جهانجير وشاهجهان[٤].

ومن خلال إلقاء نظرة عامة على حركة التأليف التاريخي في إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند نستطيع أن نرصد المؤلفات بسير وتراجم حكام وسلاطين ومشاهير البلاد والمؤلفات الأخرى التي اهتم أصحابها بالتواريخ, وهي توجز أو تفصل في تناول الموضوعات بحسب رغبة

---

(١) **Malleson, c.s.i , Rulers of India (AKBAR) ,185.**

(٢) **للمزيد عن طبقة الشعراء في عصر السلطان أكبر ينظر : بدايوني , منتخب التواريخ , مج٣ , ٦٥٦-٧٧٤ ؛ بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص٢٤٨-٢٦٧ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين , ص١٨٤- ٢٣٦ .**

(٣) **الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ص٥٩ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٤١٥.**

(٤) **قمر الزمان , أورنجزيب , ص٤١٥.**

المؤلف , ومن أبرز المؤلفات التاريخية في هذا العصر **تزك بابري** ترجمةُ **عبد الرحيم بن بيرم خان**(ت:١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) بالفارسي , و**واقعات همايوني للجواهر الآفتابجي وهمايون نامه لغياث الدين هند مير** وهو أديب ومؤرخ, عاصر التيموريين والمغول في الهند والصفويين في فارس ويعد كتابه من أهم الكتب التاريخية العامة ,و**همايون نامه لكلبدن بيكم بنت بابر شاه** , و **طبقات أكبري لميرزا نظام الدين بن محمد مقيم الأكبر آبادي**(ت:١٠٠٣هـ/١٥٩٤م) , و **أكبر نامه** و **آئين أكبري** وكلاهما بالفارسية للشيخ **أبي الفضل بن المبارك الناكوري(ت:١٠١١هـ/١٦٠٢م)** وهما من الكتب المهمة التي تناولت الهند في عهد السلطان أكبر ,و**أخبار الملوك** للشيخ **عبد الحي بن سيف الدين الدهلوي** , و**تزك جهانجيري** للسلطان جهانجير, و**إقبال نامه لمعتمد خان محمد شريف بن دوست الفارسي** , و**بادشاهنامه** للشيخ **عبد الحميد اللاهوري**(ت:١٠٦٥هـ/١٦٥٤) , و**شاهجهان نامه لميرزا علاء الدين علاء الملك التوني , ومنتخب التواريخ لعبد القادر البدايوني , وتاريخ فرشته لمحمد قاسم هندوشاه,** و**مآثر رحيمي لمحمد عبد الباقي رحيمي**(١) هذا فضلاً عن الكتب التاريخية في المغازي وتاريخ الأمراء والوزراء , ومصنفاتهم في السير والأنساب وطبقات العلماء والمشايخ ..الخ(٢).

- **مذكرات بابر(بابرنامه)**(٣)

تعد مذكرات بابر **بابرنامه** أحد المصادر الأساسية لتاريخ إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند , بل يمكن الأفادة أيضاً من هذا الكتاب في فهم التاريخ الاجتماعي وتقاليد الشعوب في المدة التي عاصرها , ومما يزيد من أهمية بابرنامه التراجم التي كتبها السلطان بابر لعدد من الشخصيات التاريخية المهمة والمؤثرة في عهده , كذلك حرص السلطان بابر في مذكراته على وصف المدن الهامة التي رآها وعاش فيها أثناء فتوحاته, وحرص أن يصف موقعها ومناخها ومحاصيلها وحيواناتها وخصائص وعناصر السكان وطبيعة معيشتهم , فضلاً عن عاداتهم وتقاليدهم , وبعض المظاهر الحضارية التي شاهدها في تلك المناطق , لهذا سيرته المعروفة باسم بابرنامه أعظم آثاره الأدبية على الإطلاق فهي عملٌ فريدٌ كُتب باللغة التركية , كما يعد بابرنامه مصدراً أساسياً في معرفة التاريخ الاجتماعي والحضاري لمنطقة وسط آسيا في مطلع القرن السادس عشر الميلادي(٤), ولم يكن السلطان بابر هو أول من قام بتدوين سيرته في أسرته

---

(١) الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ٦٢-٦٣ , للمزيد عن أبرز المؤلفات التاريخية في عهد السلطان أكبر ينظر : الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص٢٤٢- ٢٥٥ .

(٢) للمزيد من المعلومات عن أبرز هذه الكتب و مؤرخيها ينظر : الندوي , الثقافة الإسلامية , ص٧٠-٩٩ .

(٣) Abdul-Ghani , A-History of Persion Languaga Litereture at the Mughal Court , 48

(٤) بابرشاه , تاريخ بابر شاه , ص٣٢-٣٣ ؛ أمجد , النثر الفني في شبه القارة الهندية , ص١٣٠.

فقد سبقه إلى ذلك جده الأكبر تيمورلنك(٧٣٧-٨٠٧هـ/١٣٣٦-١٤٠٥م)), كما سار أبناؤه على نهجه من بعده , على أنه تميز عنهم جميعاً بتدوينه لسيرته بنفسه , فلم يكن يملي على الكُتّاب وهم يكتبون بأسلوبهم الخاص حيث يزوقون الكلام ويكتبونه بحس أدبي رائع , بل عمد على كتابتها بأسلوبه الخاص , وقد كتبت بصراحة وصدق المشاعر التي كانت تخالجه, وقد خلدت هذه المدونة ذكره في عالم الأدب والتاريخ , وسطرت لنا صور المعارك التي خاضها (١).

-منهج السلطان بابر في الكتابة التاريخية

قد تدفع كتابة السيرة الذاتية , صاحبها أحياناً للمبالغة والزهو؛ لأنها ستكون حديثاً عن النفس وإعلاء لقيمتها , ولكن إذا كان صاحبها معتدلاً وكان الصدق ديدنه فستكون سيرته الذاتية أكثر انطباقاً على حياته؛ لأنها في هذه الحالة لن تكون مجال تخمين أو افتراض لكنها ستكون بالضرورة مجال تحقيق وتثبت , وهناك بعض الشخصيات المؤثرة في التاريخ تنهض لكتابة مذكراتها , فتميل أحياناً إلى عدم الالتزام الدقيق بالحقائق تبريراً لأخطائها أو درءاً للمسؤولية , أو تأكيداً لنجاحها ومن ثم الإساءة إلى أعدائها أو غير ذلك من مظاهر عدم الالتزام بالحقائق في هذه الحالة تضعف الثقة في قيمتها المرجعية وأحياناً تفتقر إلى الصدق والواقعية , وتكون بذلك أقرب إلى كونها رسالة للدفاع عن النفس , أما كتاب السلطان بابر فيتميز بالصدق الكامل والموضوعية وتصوير الوقائع بحسب ما جرت دون إغفال لأوجه النقص أو التقصير أو الإهمال أو غير ذلك من مظاهر الضعف الإنساني , مما جعلا السلطان بابر يبدو فيها بطلاً إنسانياً وليس بطلاً أسطورياً , وإذا قورنت مذكرات بابر هذه بما كتبه المؤرخون الذين عاشوا المدة نفسها وشهدوا نفس الأحداث نرى أن السلطان بابر قد أحسن عرض جهوده ,كما أنه لم يتعمد إلى إخفاء أي تصرف قد يسيء إليه , ولم يغير في الوقائع التي سجلها لكي يبالغ في نجاحه فالموضوعية التي دون بها السلطان بابر وقائعه لها دلالة حضارية , وسبب اهتمام السلطان بابر بكتابة هذا التاريخ يرجع بالدرجة الأولى إلى أنه كان جزءاً من الوقائع التي سجلها ,كما كان وثيق الصلة بأطراف هذه الوقائع , فضلاً عن ثقافته الواسعة التي تبدو لنا من خلال كتابه بابرنامه والتي يمكن من خلالها أن يضع ما هو ضروري ومهم من الأحداث في إطاره الصحيح , وهذه الثقافة مكنته من إبداء الرأي والتعليق على بعض ما جاء به , وقد وضع السلطان بابر لنفسه منهجاً التزم به في كتابه هذا المنهج اعتمد بالدرجة الأولى على الصدق والموضوعية في سرد الوقائع , فلم يخفِ شيئاً يمكن أن يؤخذ عليه , وإذا قورنت مذكراته بما كتبه المؤرخون المعاصرون له , نجد السلطان بابر لم يغير في ذكر الوقائع بالمبالغة أو النقصان , سواء بالنسبة لنفسه أو لمن ورد ذكرهم من شخصيات تاريخية عاصرها واحتك بها ,كما تميز منهج

(١) **الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢, ص٧٠-٧١.**

السلطان بابر بالحرص على ربط النتائج بالأسباب , فهو لا يدون الوقائع فحسب وإنما يعبر عن فكره الخاص تجاهها, ومرجع هذا أن السلطان بابر كان جزءاً أساسياً في هذه الوقائع وليس مجرد راوٍ أو مسجل لها , فكان يفسر النصر بأن مرجعه توفيق الله وقدرته , أما الإخفاق فيرجعها دائماً إلى أسباب موضوعية , مثل الإهمال الناتج عن عدم التجربة , أو قطع الرأي على عجل وبدون إمعان فكر, لاسيما في وقت الحرب , أو عدم توخي الدقة والتروي في اتخاذ القرارات , وعرف عنه اهتمامه بالتفاصيل وما يحيط بها من أحداث ومظاهر حضارية, فقد سجل مذكراته بعد أكثر من ثلاثين عاماً مع هذا يتذكر الأحداث بتفاصيلها الدقيقة , ونتيجة لسهولته في أسلوب كتابته فهو لم يستعمل محسنات لفظية أو بلاغية تميزه عن كتّاب التواريخ والوقائع في عصره وجعله يختلف عن معظم كتّاب التاريخ المعاصرين له فقد تناول موضوع كتابته بشكل مباشر دون تمهيد , ولم يغفل السلطان بابر إبداء رأيه في الأحداث بما يعبر عن فلسفة التاريخ عنده ورؤيته التاريخية[١].

- **ترجمة بابرنامه إلى اللغات الشرقية والأوربية**

نتيجة لأهمية بابرنامه فقد تُرجِمَت إلى عدة لغات منها الإنجليزية والألمانية والفرنسية والفارسية والأوردية وإلى التركية الحديثة عن التركية الجغتائية وإلى الروسية , وأقدم هذه الترجمات هي الترجمة الفارسية, ومن أبرزها تلك الترجمة التي قام بها عبد الرحيم خان بن بيرم سنة(٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م) بأمر السلطان أكبر شاه حفيد بابر , وهذه الترجمة الفارسية الأخيرة التي تمت في عهد السلطان أكبر هي الترجمة التي تبين بعد النظر فيها أنها ليست مطابقة تماماً للنص الجغتائي الأصلي في بعض أجزائها ,كما غفلت هذه الترجمة الفارسية أيضاً ترجمة بعض الأوراق من النص الأصلي , أما ترجمتها إلى العربية فقد قامت بها الدكتورة ماجدة مخلوف وهي التي بين أيدينا الآن , فقد استفادت من الترجمات باللغات السابقة ومقارنتها مع بعضها البعض زيادة في الدقة[٢].

- **الترجمة**

تعد حركة الترجمة في أي مجتمع ثقافي دليلاً على ازدهار الحركة الفكرية والنهضة الحضارية, وانفتاحاً على ثقافات العالم المختلفة في الشرق والغرب , والترجمة كما تعرفها المعاجم هي : نقل نص مكتوب بلغة ما إلى لغة أخرى, وإن كان هذا النقل لا يخلو من قدر من عدم التطابق التام قد يقل وقد يكثر[٣], وتعد الترجمة إحدى أهم حلقات الاتصال المعرفي والثقافي بين الشعوب وهي

---

(١) بابرشاه , تاريخ بابر شاه وقائع فرغانة , ترجمة د. ماجدة مخلوف , ص٣٤-٤٥ .

(٢) بابرشاه , تاريخ بابر شاه وقائع فرغانة , ص٤٦- ٥٥ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص٦٩ .

(٣) الحفناوي , د.جلال السعيد , جهود الهنود في الترجمات الأردية للقرآن الكريم , مجلة ثقافة الهند ,=

تنمو وتزدهر مع نمو وازدهار الثقافات والحضارات , وهي تعتمد أساساً على مدى إدراك العلماء والأدباء لأهمية المعرفة في الارتقاء بالمجتمع , وفي الهند ظل الشعب الهندي قبل تأسيس الدول الإسلامية وازدهار الإسلام في ربوعها مهملين تماماً أهمية وقيمة ترجمة كتب ومعارف الهند القديمة , في حين اهتمت الدول الإسلامية بالترجمة بجانب اهتمامها بتطوير العلوم الأخرى , وقد اهتمت الدول الإسلامية القائمة في شبه القارة منذ تأسيسها بتطوير عملية النقل والترجمة من أمهات الكتب العلمية إلى اللغتين العربية والفارسية(١).

وتعددت أنواع الترجمة منها ترجمة الكتب من اللغة السنسكريتية إلى الفارسية , فمن المعروف أن اللغة السنسكريتية هي التي استعملها الأدباء ورجال الهندوس في كتابة مؤلفاتهم وعندما دانت بلاد الهند للسلطان أكبر ازداد الاهتمام بالترجمة(٢) , فقد أراد السلطان الاطلاع على عادات وتقاليد وأديان ومعارف أهل الهند, فأمر بترجمة المؤلفات الهندية إلى الفارسية , وقد كانت لغة قصره , وأشهر هذه المؤلفات التي تمت ترجمتها **اتهرين , الرامايانا , بحر الأسمار , المهابهارت** , أما النوع الثاني من الترجمة هي ترجمة الكتب العربية إلى اللغة الفارسية , ومنها **وفيات الأعيان ,كتاب الأحاديث , انتخاب جامع رشيدي , معجم البلدان , وحياة الحيوان** وهناك ترجمة من لغات أخرى مثل ترجمة **الإنجيل** وكان بطلب من السلطان أكبر عندما جاء إليه وفد من الباباوات المسيحيين إلى بلاطه وقدموا له الإنجيل أمر رجاله بترجمته إلى اللغة الفارسية, لكي يقف على حيثيات الديانة النصرانية , وكان من أبرز العلماء المترجمين عبد القادر البدواني وأبو الفضل بن المبارك(٣),كما اهتم السلطان جهانجير اهتماماً بالغاً بترجمة الكتب العديدة من اللغة السنسكريتية إلى الفارسية(٤) وأمر السلطان جهانجير الشيخ **جلال الدين محمد بن الجلال الحسيني الكجراتي**(ت:١٠٥٧هـ/١٦٤٧) أن يترجم القرآن الكريم إلى الفارسية وأن لا

=(المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – نيودلهي- ١٩٩٨م) مج ٤٩ , العدد ٢-٣ , ص٩ .

(١) قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٥٧.

(٢) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص ١٣١-١٣٢ , وللمزيد من المعلومات عن الترجمة في عهد السلطان أكبر ينظر : الرضوي , السيد أظهر عباس , دار الترجمة للامبراطور أكبر, ترجمة د.منهاج أحمد , مجلة ثقافة الهند (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية –نيودلهي – ٢٠٠٤م) مج ١٥٥ , العدد١ , ص١١٤ .

(٣) ديورانت , قصة الحضارة , ص١٣٩ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص٢٣٨-٢٤١ ؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٧٤-٧٥ ؛ Schimmel, Annemarie , The Empire of the Great Mughals : History .Art . and Culture (Reaktion Book-2004) ,264

(٤) كوكن , دولة المغول في الهند , ص١٢٦-١٢٧.

يباشر التصنع ولا يزيد على الترجمة اللفظية من جانبه(١), فمن المعروف أن المسلمين في الهند كانوا يجهلون اللغة العربية مع حبهم العميق للإسلام ومبادئه السلمية وحرصهم على تطبيق الإسلام على أنفسهم وتربية أولادهم تربية دينية صحيحة , ولذلك دعت الضرورة إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الهندية , وكان الشيخ **الشاه وليّ الله الدهلوي** أول من أدرك هذه الضرورة الملحة فترجم القرآن الكريم وفسره إلى اللغة الفارسية , وهذا لا يعني بأن القرآن لم تتم ترجمته قبل القرن الثاني عشر الهجري , بل ترجم وفسّر كثيراً في اللغة الفارسية , ولكن كانت هذه التراجم والتفاسير مخطوطات لا يستفيد منها العامة(٢) .

وقد ظهرت تراجم عديدة ومختلفة للقرآن الكريم, بسبب الاختلاف المنهجي أو الجزئي في عقائد الجماعات المختلفة, إلا أن هناك عدداً من التراجم أكثر قبولاً بين هذا العدد الضخم من التراجم الأوردية للقرآن الكريم(٣).

- الغناء والموسيقى

يحتل الغناء والموسيقى مكانة كبيرة في تاريخ شعوب شبه القارة الهندية؛ وذلك لأنه يعد جزءاً من الطقوس الدينية , حيث ترافق الطقوس الدينية نغمات موسيقية جميلة , في بعض الأحيان يرافقها الرقص أيضاً(٤) وقد وصلت الموسيقى الهندية إلى القمة بعد توطيد أركان الدولة الإسلامية لاسيما في عصر سلطنة دلهي , حيث ساهم السلاطين في تطورها , فمن المعروف أن سلاطين امبراطورية المغول في الهند كانوا على ولع شديد بالعزف والغناء(٥), فقد عني السلطان بابر بالموسيقى عناية خاصة فهو كان عليماً بأصولها , وخير دليل على هذه الرعاية الرسائل الصغيرة التي كتبها عن الموسيقى , فإن ما بها من معلومات وثيقة يدل على أن السلطان بابر كان محباً للموسيقى عارفاً بأصولها الفنية(٦).

---

(١) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٢٥ ؛ الطريحي , الشيعة في العهد المغولي , ص١٦٣ .

(٢) خان , حبيب الله , الترجمة العربية منها وإليها في الهند قبل الاستقلال , مجلة الثقافة الهندية (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية –نيودلهي –١٩٩٧م) , مج ٤٨ , العدد ١-٢ , ص١٠٦ .

(٣) الحفناوي , جهود الهنود في الترجمات الأوردية للقرآن الكريم , ص١٠ .

(٤) ديورانت , قصة حضارة الهند مج١, ج٣ , ص٣٣٦ ؛ الندوي , محمد إسماعيل , الهند القديمة حضارتها وديانتها , (دار الشعب – القاهرة –١٩٧٠م) , ص٢٧١ .

(٥) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ ص٣١٨ .

(٦) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٣٩ .

في حين كان ابنه السلطان همايون يعقد ندوة موسيقية ببلاطه يومي الاثنين والأربعاء من كل أسبوع[١]وقد عفا عن مجموعة من الأسرى بعد أن غنى أحدهم غناء عذباً فقربه إليه وأصبح من خاصته[٢] .

أما السلطان أكبر فقد استقدم إلى بلاطه مشاهير الموسيقيين , رجالاً ونساءً , حتى أن ضريح أحد المطربين أصبح مزاراً يقصده موسيقيو الهند حتى يومنا هذا , في حين أصبح بلاط السلطان جهانجير مقراً لنشاط الموسيقيين , وقد اشتغل هذا السلطان نفسه بالموسيقى حتى ألّف فيها أصواتٍ كثيرة , أما أبرز الآتُ الموسيقية التي دخلت إلى الهند هي الرباب و السرود والدلربي والطاووس, وجميعها الآلات فارسية[٣], نفهم مما سبق أنه لا يخلو مجلس أي سلطان من سلاطين المغول من مجالس الطرب والموسيقى والرقص[٤] ومن أشهر الموسيقيين في ذلك العصر تانسين الكواليري , وقيل إنه في الموسيقى أعظم من الفارابي وأمثاله , ومنهم الشيخ المعمر بهاء الدين الزيادي الذي كانت له اختراعات في الموسيقى , ومنهم الشيخ بير محمد وإبراهيم عادل شاه البيجابوري الذي فاق أهل زمانه في الإيقاع والنغم , انتهت إليه رياسة الموسيقى في زمانه, وله كتاب في الموسيقى سماه **نورس** , فضلاً عن العديد من الموسيقيين لا يسع المجال لذكرهم جميعاً[٥].

خزانة الكتب « المكتبات »

شغف المسلمون بالقراءة ومطالعة الكتب واقتنائها؛ وذلك لأن القرآن الكريم والرسولﷺ يحثون على العلم وتبجيل العلماء, ونتيجة لانتشار حركة التدوين والترجمة والتأليف التي شهدها العالم الإسلامي وانتشار الوراقين والنُسّاخ , ولتسهيل المطالعة وتيسيرها للراغبين ولاسيما غير القادرين منهم على اقتناء الكتب؛ بسبب غلائها وندرتها آنذاك, وقد سارع السلاطين والعلماء والأغنياء والوزراء والأمراء إلى تأسيس المكتبات[٦].كان للكتاب أهمية قصوى في بلاد الهند الإسلامية , إذ إذ اهتم المسلمون بنشر العلم والثقافة , وتعاليم الدين الإسلامي, ومن ثم أدى إلى وجود أعداد

---

(١) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص٣١٨-٣١٩ .

(٢) الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ص٢٨٣ .

(٣) جغتائي , ذاكر محمد عبد الله , فنون لطيفة بعهد أورنجزيب(فارسي), ط١ (كتاب خانه نورس-١٩٥٠م) , ص٩٢ – الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص٣١٩ .

(٤) للمزيد عن مجالس الطرب والموسيقى في بلاط سلاطين المغول المسلمين في الهند ينظر : حسن , التصوير الإسلامي في الهند (تسليات البلاط وحياة الشعوب في التصوير المغولي الهندي) , ط١(دار النشر للجامعات –مصر-٢٠٠٣م) ,ص٩٩-١١٦ .

(٥) الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ص٢٨٤ .

(٦) الهاشمي , الحضارة العربية , ص١٥٩ .

ضخمة وكافية من الكتب , وقد عرفت الهند العديد من المكتبات التي وُجِدت في المؤسسات التعليمية من مساجد وخانقاهات ومدارس منتشرة في أرجاء الهند, هذا بخلاف المكتبات الخاصة بكبار العلماء ورجال الدولة والتي ساعدت بلا شك على تطور الحياة الثقافية في البلاد , ومما سهل من عمليات نسخ الكتب وفرة المواد الخام ومنها الورق, حيث كانت الهند تحتوي على كثره الأشجار التي تدخل في صناعة الورق[١] , فقد تم إنشاء مصانع للورق بعد أن انتشرت صناعة الورق في أنحاء متفرقة من الهند , وكانت أكبر تلك المصانع في مدينة سيالكوت , أما في عهد أباطرة المغول المسلمين فواقع انتشار المكتبات يختلف اختلافاً كلياً عن العهود السابقة , حيث كانت أكثر العهود الإسلامية في الهند اهتماماً بإنشاء المكتبات , وتوفير الكتب والحصول عليها من مصادر مختلفة , وهذا ما أخذ عليهم شغفهم بجمع نوادر الكتب والمخطوطات العلمية والأدبية, وكثيراً ما كانوا يحصلون على الكتب بوساطة المؤلفين والعلماء كهدايا, زيادة على حرصهم على شراء الكتب مهما غلت قيمتها وقد احتذى النبلاء حذو الأباطرة وراحوا يصنعون لأنفسهم مكتبات خاصة,[٢] وأن المكتبات التي وجدت في الهند كانت نتيجة لحب العلوم لدى الكثيرين من الحكام المسلمين , وكان لها تأثير عظيم على الثقافة الهندية , فلم يكن فقط الملوك والأمراء الذين جمعوا خزائن غنية من الأدب لمتعتهم بل النبلاء من كافة الطبقات تنافسوا في اقتناء هذه النفائس[٣] وانتشرت المكتبات الخاصة في جميع المدن الإسلامية وقد تنافس السلاطين والأمراء والأغنياء والعلماء على تأسيس هذا النوع من المكتبات , فقد أدى سعة اطلاع السلطان بابر لفروع المعرفة إلى اقتناء مكتبة قيمة خاصة به , وكان عليها مسؤول يدعى عبد الله كتابدار وقد ضم إليها كذلك قسماً من مكتبة غازي خان لودهي حين استولى على حصنه بالبنجاب , وبعث بالقسم الآخر إلى ابنه همايون[٤] , أما السلطان همايون فَعُرِفَ بحبه الكبير للكتب والمكتبات, فقد جمع في مكتبته الملكية عدداً ضخماً من الكتب وفي حكمه أصدر فرماناً بتحويل شير مندل وهي الدار التي كان يقضي فيها شير شاه أوقات سمره وسروره إلى مكتبة , ولشغفه بالعلوم والآداب فقد أطلع على أحسن المؤلفات في عصره , وعلى الرغم من انشغاله الدائم بقتال أعدائه فقد كان يخصص جزءاً من وقته للقراءة والدراسة حيث كان يصحب معه الكثير من كتبه المختارة وأمين مكتبته في ساحات القتال[٥],واشتهرت مكتبته التي تركها عامرة

---

(١) قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٥٩ .
(٢) الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص١٩٤ .
(٣) الطريحي , محمد سعيد , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , (دائرة المعارف الهندية -١٩٨٥) , مج١ , ص١٠٥ .
(٤) الساداتي , تاريخ المسلمين, ج٢ , ص٦٩ ؛ كوكن , دولة المغول في الهند , ص١٣-١٤ .
(٥) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٥٧-٥٨ .

بالمؤلفات القيّمة والتي لا يزال بناؤها قائماً بدلهي حتى يومنا هذا , ومن كثرة حضوره في مكتبته جعل الله نهاية أجله فيها بعد أن انزلقت قدماه وهو يصعد سلّم مكتبته بدلهي وكان السلّم مصنوعاً من المرمر الخالص(١). أما السلطان أكبر فقد جمع مكتبة عظيمة تتألف كلها من مخطوطات جميلة الخط والنقش قيمة المضمون , كتبها له نسّاخون بارعون كانت لهم عنده منزلة الفنانين , فهم في نظره لا يقلون مكانة عن المصورين والمهندسين والمعماريين الذين كانوا يزينون مُلكه , وكان يكره الطباعة كونها آلة لا تتجلى فيها شخصية الكاتب , ولم يلبث أن استغنى عن بعض الرسوم الأوربية المختارة التي قدمها له أصدقاؤه(٢), وقد قسم مكتبته على عدة أقسام , قسم يحتفظ فيه الكتب في داخل قسم الحريم , وقسم يحتفظ فيه خارجه , ورتبت الأقسام على بحسب قيمة الكتب ومنزلة المواضيع التي كتبت فيها , فنجد لكل من كتب العربية والفارسية واليونانية والكشميرية قسماً مختصاً بها , وكذلك خصص لكتب الشعر مكان , ولكتب النثر مكان آخر(٣), وعدت مكتبة السلطان أكبر من أكبر مكتبات العالم في زمانه , وقدر عدد الكتب التي احتوتها تلك المكتبة بحوالي أربعة وعشرين ألف مجلد ضخم في شتى المعارف والعلوم , وقدروا قيمتها المادية بحوالي سبعة ملايين من الروبيات الهندية , وكانت للوزير أبي الفضل وشقيقه فيضي مكتبة خاصة , احتوت على ثروة علمية ضخمة من الكتب بلغت حوالي خمسة آلاف كتاب , أما المكتبات العامة فكانت منتشرة هي الأخرى في أنحاء مختلفة من الهند , والتي لا يمكن حصرها وحصر المدارس التي توفرت بها , إلا أنه يمكن القول إن معظم المساجد والمدارس احتوت على المكتبات , وساهم جميعها في تغذية حركة التعليم في دلهي وغيرها من مدن الهند(٤).

وكانت المكتبات تحتوي على قدر كبير من الزخرفة و النقوش على الجدران , أما الأرضية فكانت تُكْسى بنوع من الرخام الأخضر, وكانت الكتب تحمل بطاقات بعناوينها توضع في حافظات خشبية , وقد تطورت المكتبات في عهد الامبراطورية المغولية ووصلت إلى أعلى درجات الرقي والازدهار, وكانت تدار المكتبة بوساطة عدة موظفين , وكانت مسؤولياتهم متنوعة بين تنظيف وترتيب المكتبة , وتصليح ما يتلف من الكتب , أما مدير المكتبة فكان يتم تعيينه من قبل السلطان مباشرةً(٥).

– **فن التصوير:**

---

(١) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص ٦٩, ٩٢-٩٣ .

(٢) ديورانت , قصة الحضارة , ص١٣٩ .

(٣) Malleson, c.s.i , Rulers of India AKBAr and the rise of the Mughal Empire ,169-170 ؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٧٤-٧٥ .

(٤) الجوارنة , الهند في ظل السيادة الإسلامية , ص١٩٤ .

(٥) قمر الزمان , أورنجزيب , ص٣٦٠ .

يعرف الرسم عند الهندوس بعلم التصوير وعرفه المغول بالاسم نفسه, ويقول أبو الفضل وزير السلطان أكبر ومؤرخه إن التصوير هو تأليف أي شيّ كما هو, ويطلق عليه الرسم القرطاسي سميت بهذا الاسم؛ لأنها ترسم على الورق فيسهل تداولها من يد إلى يد , إن الرسوم القرطاسية في المدرسة المغولية ليست ثمينة لقيمتها الفنية فقط , بل لها أهمية تاريخية سياسية كبيرة , لأنها تلقي الضوء على تاريخ ذلك العصر الذي ترجع إليه[١].

وإن التصوير في الهند قديم قدم الحضارة الهندية نفسها , ويتميز في جزء كبير منه بوضوح التقاليد المحلية سواء في مفردات فن التصوير أو في الأشكال الفنية. ومن الواضح أن فن التصوير الهندي في مرحلة ما قبل الإسلام ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقائد الهندية القديمة, ومن هنا فلا يمكنه فصله عنها , أو تفسيره بمنأىً عنها كما أنه لا يمكن فهمه إلا في ضوء خلفية قوية من العقائد الدينية الهندية , ومن هنا فإن الفتح المغولي للهند , أدخل فن التصوير الهندي في مرحلة جديدة أكثر تطوراً , ولكن هذا الفتح المغولي ربط فن التصوير بعقيدة جديدة هي الإسلام, وحكّام جُدد هم أباطرة المغول , ونتيجة لتأثير هؤلاء أخذت التقاليد الهندية القديمة تتوارى شيئاً فشيئاً لتفتح المجال أمام نمط آخر من التصوير لا يخضع لأساليب تقليدية جامدة , وإنما يخضع لإرادة جديدة نشطة متغيرة ؛ وذلك لأن فن التصوير المغولي في الهند أرتبط بالطابع المدني أي ارتبط بحياة الناس سواء الحكام منهم أو المحكومين , وهكذا بدا فن التصوير الإسلامي في عصر دولة المغول بالهند وكأنه مرآة ضخمة تعكس حياة الناس حكّاماً ومحكومين في جوانبها المختلفة الدينية , والاجتماعية والثقافية , وأصبح من الصعب دراسة تاريخ الهند الاجتماعي دون المرور بالتصوير, وكذلك بالنسبة للجوانب الدينية والثقافية , وقد أدى الجوار الجغرافي دوراً كبيراً في التأثير على فن التصوير الإسلامي , فكان من السهل على المصور الفارسي أن ينتقل ليعمل في خدمة المولعين بالفن من حكام الهند في عصر المغول , أو أن يبعث أحد سلاطين المغول في طلب أحد المصورين من بلاد فارس , فكان من الطبيعي أن يكون التأثير الفارسي على التصوير المغولي الهندي قوياً في مراحله الأولى[٢]. وقد عُرِف عن السلطان بابر حبه الشديد بالطبيعة ومظاهرها, إلا أن انشغاله بتأسيس الدولة في الهند لم يتح للفن ازدهاراً[٣] إلا أنه ذكر الوصف التفصيلي للحياة النباتية والحيوانية والطبيعية المحيطة به ,كما أنه ذكر في مذكراته العديد من أسماء المصورين والفنانين مثل كمال الدين بهزاد[٤], ويقال إنه عندما أتى إلى الهند أحضر معه نخبة مختارة من الصور الفنية التي جمعها من مكتبة أسلافه التيموريين, وقد نقل

---

(١) **الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج١ , ص١١٨ .**

(٢) **حسن , التصوير الإسلامي في الهند, ص٥-٦ .**

(٣) **النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٢٦ .**

(٤) **بابر , تاريخ بابر شاه ووقائع فرغانة , ص .**

بعض هذه الصور فيما بعد إلى إيران, ولكن هذه الصور كانت إبان وجودها في الهند ذات تأثير قوي على فن التصوير هناك(١).

أما دور السلطان همايون في فن التصوير فإنه انشغل به طوال مدة هروبه في فارس , حيث عرف عنه تأثره بالفن الفارسي حتى أنه عندما عاد اصطحب معه أمهر مصوري فارس مثل مير مظفر وابنه مير سيد علي وخواجة عبد الصمد(٢) .

يعد السلطان أكبر أكثر سلاطين الإمبراطورية تشجيعاً لفن التصوير لذلك عَدّه المؤرخون مؤسس فن التصوير« الرسم »(٣)؛ وذلك لأن السلاطين الذين سبقوه وهم جده بابر ووالده همايون لم يكن لديهم الوقت الكافي للاهتمام أكثر بفن التصوير, في حين كانت الفرصة سانحة له , فقد أقام معهداً دراسياً في مدينة فتح بورسيكري لتعلم فن التصوير دخله آلاف الطلبة ,كما قام على رعاية أساتذة فن التصوير الذين بلغ عددهم مائة في أواخر عهد السلطان أكبر, وكان السلطان بنفسه يرعى هذا المعهد(٤), وبرزت طائفة من الهنود التحقت بخدمة السلطان أكبر يبلغ عددهم سبعة عشر فناناً , يعدون أعلاماً في بلاطه منهم ثلاثة عشر هندوسياً(٥) لقد انتعش فن التصوير في عهد السلطان أكبر؛ بسبب الحرية الفكرية التي اتبعها فالتف حوله الفنانون المهرة في كل مجال(٦).

وفي سنة(٩٧٥هـ/١٥٦٨م) أمر السلطان أكبر جماعة من مصوري بلاطه بتصوير قصة أحد الأمراء على ستار طويل بدأت هذه الجماعة المشتملة على مائة فرد بهذا العمل الجليل تحت إشراف مير سيد علي جدالي بن مير وهو مصور إيراني ماهر في هذا المجال , ثم قام بتكميله الخواجة عبد الصمد الشيرازي, ولتوضيح الوقائع التمثيلية قام عطاء الله القزويني بإصباغ موضوعات قصة أمير حمزة بصبغة الشعر(٧).

---

(١) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول, ص٣٩ , النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٣١٧ .**

(٢) **Ikram , Muslhm Civilization in India ,142 ؛ جغتائي , فنون لطيفة في عهد أورنجزيب , ص٥٦ ؛ حسن , التصوير الإسلامي في الهند, ص١٤ .**

(٣) **Abid, Massarrat Abid and s-Qalb-i- , Cultural heritage of the Mughals , Pakistan study Centre univ-Punjab-2005 , 31 ؛ ينظر ملحق ٥, ٦ .**

(٤) **Ikram , Muslhm Civilization in India ,142. ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في عهد السلطان جلال الدين أكبر , ص٢٧١ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٦٠ .**

(٥) **ديورانت , قصة الحضارة , ص٣٤٧ .**

(٦) **للمزيد من المعلومات عن فن التصوير في عهد السلطان أكبر ينظر : الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص٢٦٨-٢٨١ .**

(٧) **الرضوي , دار الترجمة للامبراطور أكبر , ص١١٤ .**

وبالطبع كان حال الرسم في عهد السلطان جهانجير لا يختلف كثيراً عما كان موجوداً في عصر السلطان أكبر, وعندما انتقل إلى أكرا أسس المرسم الملكي هناك ودعمه بمصورين آخرين , وكان عكس أبيه السلطان أكبر الذي كان يرضى بجميع الأذواق , ورحب بكل الفنانين للعمل في مرسمه كبيرهم وصغيرهم وشجعهم على المشاركة في لوحة واحدة تبعاً لتخصص كل واحد منهم , في حين استغنى السلطان جهانجير عن كثير من المصورين الذين لم يحالفهم الحظ في إنتاج قطع فنية ترضي ذوقه الفني , ومطالبته الدائمة بالإجادة والابتكار في الموضوعات والتنويع في الأشخاص والأماكن , كما أن فن التصوير الشخصي الذي رست قواعده في عهد السلطان أكبر اتسع وتطور ولاقى تشجيعاً كبيراً في عهد جهانجير, ونتيجة لحبه الشديد لزوجته نورجهان أمر أن تطبع صورتها على العملة(١), وكان مغرماً بجمع الحيوانات النادرة ودراسة أطوارها , وكان يأمر المصورين في بلاطه بتصويرها , وكان يجمع هذه الصور في مرقعات «البومات» يعنى بها شديد العناية , ومن أعلام المصورين الذين برعوا في تصوير الحيوان والنبات في المدرسة الهندية المغولية« منصور ومراد وعنايت ومانوهار وغلام علي ومادهوخان آزاد»(٢) .

أما في عهد السلطان شاهجهان فقد حظي فن التصوير اهتمام كبير على الرغم من ولع السلطان بالفن المعماري , حيث ضمّ ألبومه مجموعة متميزة لما قام به من أعمال زيادة على إنتاج فناني مرسمه , فقد ورث عن أبيه وجده مرسماً ملكياً عامراً بالمصورين والفنانين الذين كانت لهم أساليبهم القديمة للمحافظة على الموروث فضلاً عما ابتدعوه من أساليب جديدة ومتطورة(٣) , وقد وقد ورث السلطان أورنجزيب من أسلافه حبه الشديد لفن التصوير , فقد مارس فن التصوير بنفسه وبرع في هذا المجال بشكل منقطع النظير , فأصبح أشهر سلاطين إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند بفن التصوير(٤).

- **الصور الشخصية**

عندما أسس المغول دولتهم في دلهي وأكرا استعانوا بمصورين وخطاطين من بلاد فارس وازدهرت على أيديهم الفنون من خط وتصوير وتجليد , وفي أول الأمر كانت موضوعات الصور الهندية المغولية تقليداً للصور الفارسية التي كادت تنحصر في تمجيد الملك كصياد ماهر ومحارب قوي, فضلاً عن مناظر البلاط وتمثيل القصص العاطفية , ثم فيما بعد بدأت شيئاً فشيئاً تأخذ الصور الطابع الهندي وكانت بدايته في عهد السلطان همايون , ثم استقر الطابع

---

(١) حسن , التصوير الإسلامي في الهند, ص١٩-٢٧ .

(٢) الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج١ ص١٢٥ .

(٣) حسن , التصوير الإسلامي في الهند , ص١٩-٢٧ .

(٤) للمزيد من المعلومات عن فن التصوير ينظر : جغتائي , فنون لطيفة في عهد أورنجزيب , ص٥٦- ٧٤ .

الهندي على الصور في عهد السلطان أكبر[١], نتيجة لتطور فن التصوير في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند فقد تفرع فن التصوير إلى مجموعة تخصصات منها« صور مجالس البلاط , صور المواكب والأعياد , صور المعارك الحربية ، القصور،المناظر الطبيعية، رحلات الصيد , صور الحيوانات» إلا أن من أبرزها الصور الشخصية , حيث تحول هذا الفرع إلى فن له أهميته في بلاد الهند؛ لأنه أصبح يعبر عن وقار السلطان وحكمته وقوته , وزخرت الصور الشخصية المغولية بمناظر طبيعية تنافس المناظر الطبيعية في الصور الأوربية المعاصرة . إن الصور الشخصية هي أهم ما ترك المصور المغولي الهندي لاسيما وأن فن رسم الصور الشخصية لم يعرفه التصوير الإسلامي بينما كان فن الصور الشخصية مزدهراً في أوربا , ومن المصورين الذين ساهموا بنهضة فن الصور الشخصية في الهند « بهزاد أو سلطان محمد ومعين وفروخ بيك ومحمدي و رضا عباس» , أما فيما يخص اهتمام أباطرة المغول برعاية فن الصور الشخصية , فقد حظيت برعاية منقطعة النظير؛ وذلك لدورها الكبير في حياتهم , فقد كان يعتقد السلطان أكبر أن الصور الشخصية وسيلة من وسائل الخلود , ولم تقتصر على تجسيد صور الأباطرة بل جسدت صور الأمراء وحكام المقاطعات والقواد العسكريين[٢]ومن الموضوعات التي صورت في ألبومات السلطان أكبر وجهانجير وشاهجهان , صور النبلاء وأقارب الملوك والفرسان , وصور الحكماء والشعراء والموسيقيين والزهاد , زيادة على بعض الشخصيات الغير السوية , مثل عنايت خان متعاطي الأفيون , وكل هذه الصور رسمها مصورون أكثر ميلاً إلى الموضوعية من الخيالية أو العاطفية , ونفّذت الصور بألوان صافية وخطوط رقيقة ارتفعت إلى مستوى عالٍ على يد فنانين كانوا في رعاية الأباطرة الذين يطمحون إلى الكمال, واستمر ازدهار التصوير المغولي إلى أن اعتلى السلطان أورنجزيب العرش[٣].

كان للمرأة المغولية نصيب وافر من فن التصوير – الصور الشخصية- , فقد ذكرت لنا المصادر ذلك من خلال تجسيد ملابس المرأة الهندية ومجوهراتها , والمصور لجأ إلى تصوير موضوعات عاطفية ترقق المشاعر تجاه المرأة ويبدو ذلك جلياً في تصاوير المرأة الحزينة , والمرأة المنتظرة , والمرأة الوحيدة[٤] ولكن يبقى نصيبها منه محدوداً جداً , فهي لم تحظ فيه بنصيب مرموق؛ ولعل السبب في ذلك تقاليد ومراسيم البلاط المغولي , حيث كان متشدداً نوعاً ما في الرقابة على المرأة

---

(١) الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج١ , ١٣٢-١٣٣ .

(٢) حول الصور الشخصية في امبراطورية المغول الإسلامية،ينظر : حسن , التصوير الإسلامي في الهند(الصور الشخصية في المدرسة المغولية الهندية) , ص٨ .

(٣) الطريحي,أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج١ ص١٣٢-١٣٣, ينظر ملحق رقم ٨,٧ ,٩.

(٤) حسن , التصوير الإسلامي في الهند(الصور الشخصية في المدرسة المغولية الهندية) , ص٨ .

، فيقتصر نشاط السلطانات والأميرات في داخل القصور التي يتهيأ لهن فيها جميع وسائل التسلية , إذ كانت عليهن رقابة مشددة , فمن المستحيل أن يتقرب أحد إلى مكانهن ومن يحاول مجرد النظر إليهن فسوف تقع عليهن عقوبة كبيرة , مهما كانت منزلتها أو مرتبتها , ومما تجدر الإشارة إليه أن الرسوم لا تصور امرأة من عامة الناس أو من نساء البلاط الملكي أو من الطبقة الراقية, وإنما كان التصوير على الأغلب لامرأة خيالية , لكن هذا لا يمنع من تصوير الجلسات الرسمية للبلاط تحتوي على بعض صور النساء , وتوجد صور للسلطان جهانجير والسلطانة نورجهان في مجلس يمثل المأدبة التي أقامها السلطان؛ بمناسبة انتصاره في الدكن[١] .

المبحث الرابع

(١) الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج١ ص١٤٥-١٤٧ .

- **العلوم العقلية**

العلوم العقلية وهي التي تكون طبيعية للإنسان من حيث إنه ذو فكر, فهي غير مختصة بملة بل بوجهة النظر وهي تتجدد وتحتمل النقاش والابتكار ومن أبرز العلوم العقلية:

الطب :وهو من العلوم الضرورية واللازمة للإنسان , ومن هنا أمرنا الإسلام بالتداوي, وأقر ممارسة الطب , واعترف به , وحثّ على الفصل بينه وبين الخرافة والشعوذة , ونقله إلى ميادين العلم والتجريب, ويعد أهل الهند أعلم الناس بصناعة الطب وأبصرهم بقدرة الأدوية , وكانوا يسمون ملك الهند– ملك الحكمة– لفرط عنايته بالعلوم وتقدمهم في جميع المعارف(١) تقدم الطب في الهند؛ بسبب انشغال العلماء والأطباء القدماء به واهتمامهم بالمداواة الطبيعية والوقاية من الأمراض,إلا أنه ونظراً لارتباطه القوي بالتوهمات عندهم كان جُلّ اهتمامهم بالطب الروحاني ,إذ عَدّ البراهمة ورجال الدين الهندوس الطب الروحاني يشفي كثيراً من الأمراض مثل «الجدري» وغيرها بسبب الأرواح الشريرة ومن هنا اكتفوا بعلاج مثل هذه الأمراض بتقديم القرابين للآلهة والأصنام دون البحث والتدقيق في علم الطب(٢).

ويعد الهنود أول شعب قام باختراع المختبر الطبي , حيث وجدت رسالة قديمة عندهم فيه وصف دقيق لمختبر طبي نموذجي , وفي مجال التأليف وُجِدت عشرات الكتب الطبية في اللغة الهندية التي انتشرت في العالم(٣). اتصلت بغداد في العصر العباسي بأشهر أطباء الهنود , ولعل البرامكة كانوا أشد الناس ولعاً بالعلوم الهندية, فقد عُني يحيى بن خالد البرمكي(٤)بأمر الهند واستقدم بعض علمائها وأطبائها وحكمائها وكان يبعث إلى الهند رجلاً ليأتيه بالعقاقير الموجودة فيها(٥). وتذكر لنا كتب التاريخ أن الخليفة هارون الرشيد لما أصيب بمرض شديد طلب أطباء الهند المتخصصين فجاء الطبيب الشهير منكه الهندي وعالجه ثم أصيبت أخته أيضاً وعالجها طبيب هندي, ولما نجح أطباء الهند نجاحاً باهراً , بدأ بترجمة أشهر الكتب الهندية في الطب إلى

---

(١) ابن صاعد الأندلسي , أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت : ٤٦٢هـ) , طبقات الأُمم , تح :الأب لويس شيخو اليسوعي , (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين – بيروت –١٩١٣م) , ص١١–١٢ .

(٢) أرنولد , دافيد , الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية , ترجمة : د. مصطفى إبراهيم فهمي , (عالم المعرفة – الكويت – ١٩٩٨م) , ص٧١–٧٢ .

(٣) البيروني , تحقيق ما للهند , ص١١١ .

(٤) يحيى البرمكي : وهو من أشهر وزراء الخليفة هارون الرشيد تولى الوزارة سنة ١٨٢هـ , ينظر : ابن العبري , غريغوريوس بن هارون بن توما الملطي (ت:٦٨٥هـ) , تاريخ مختصر الدول , تح , انطوان الصالحي اليسوعي , ط٣ (دار الشرق – بيروت –١٩٩٢م) , ص١٢٩ .

(٥) ابن النديم , أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق (ت : ٤٣٨هـ) , الفهرست , تح :إبراهيم رمضان , ط٢(دار المعرفة – بيروت –١٩٩٧م) , ص٤٢١ .

العربية[١], مما شجع الخليفة على مضاعفة العناية بعلوم الهند وطبها , لذلك فقد نزح عدد من أطباء الهنود إلى بغداد بأعداد كبيرة[٢].

ويصف لنا السلطان بابر بعض أساليب العلاج المتبعة بين المغول في ذلك الوقت فيقول: أرسل لي الخان جرّاحاً مغولياً اسمه اتكه بخش للعناية بالجرحى , والمغول يطلقون على الجراح الماهر اسم بخش وقد كان جراحاً حاذقاً , فكان يداوي مخ الإنسان وإن خرج من موضعه , ويضع دواء يشبه المرهم فوق بعض الجروح ,كما يصف لبعضها الآخر دواء يؤكل ,كما أطعمني شيءٌ يشبه الجذر, وحكوا عنه مرة أنه انكسرت عظمة دقيقة في ساق أحدهم , وتمزق مكانها تماماً بمقدار أربعة أصابع , فشق اللحم وأخرج العظام تماماً , ووضع مكانها دواء على هيئة التراب , فقام هذا الدواء مقام العظام , وقد عجز الجراحون في الولاية عن القيام بمثل هذه العلاجات[٣].

وعلى الرغم من كثرة المؤلفات الهندية في مجال علم الطب إلا أن الهنود عقب دخول الإسلام إلى ديارهم وبلدهم حاولوا الاستفادة من كتب الطب الإسلامية , ومنها القانون في الطب لابن سينا حيث قام بشرحه والتعليق عليه أحد المهتمين بالطب , وفي عهد السلطان أكبر قام الطبيب الحكيم علي الكيلاني بشرح الكتاب مرة أخرى[٤], ومن أشهر الأطباء في عهد السلطان أكبر حكيم رسل شيرازي وهو من المقربين إلى البلاط السلطاني , ومن أبرز الأطباء المتخصصين بالجراحة مولانا قطب الدين كمال, و بيارجيو , وبهرن , جندرسين[٥]والمتتبع لأشهر أطباء البلاط البلاط المغولي يجد أن أغلبهم تلقوا تعليمهم في إيران , ففيها أشهر المراكز لتعليم الطب ومن أبرز هؤلاء مير محمد هاشم المعروف باسم الحكيم هاشم الذي أصبح فيما بعد المعلم للأمير أورنجزيب, وفتح مدرسة في مدينة أحمد آباد لنشر العلوم الطبية , فضلاً عن أطباء السلاطين , كان هناك أطباء لأصحاب المناصب الرفيعة في الامبراطورية وأطباء للجند , وكان البعض

---

(١) السادتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج١, ص٧٣ ؛ الندوي , د. محمد بن إسماعيل , تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية , ط١(دار الفتح للطباعة والنشر- بيروت) , ص٨٦-٨٧ .

(٢) للمزيد عن طبقات الأطباء في الهند ينظر : ابن أبي أصيبعة , أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس(ت:٦٦٨هـ) , عيون الأنباء في طبقات الأطباء , تح : د.نزار رضا , (دار مكتبة الحياة – بيروت) , ص٤٧٣- ٤٧٧.

(٣) بابر , مذكرات بابر شاه ووقائع فرغانة , ص٣١ .

(٤) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٣ , ٦٥٠-٦٥٥ ؛ الندوي ,الإعلام(نزهة الخواطر) ج٥ , ص٥٩٢ ؛ Rezavi, Ali Nadeem , Disease and Medicine in india((Physicians as Professionals in Medival India)) , (Tulika – 2001) , 41 ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص ٣٩٩ .

(٥) للمزيد من المعلومات عن طبقة الأطباء في عهد السلطان أكبر ينظر : بدايوني , منتخب التواريخ , مج٣ , ص٦٥٠-٦٥٥ ؛ بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ ص٢٤٦- ٢٤٨ .

منهم متخصصاً بعمل معين مثل الجراحين وأطباء العيون والصيادلة والأطباء البيطريين , والغالب يحصلون على الإجازة الطبية من السلاطين , فقد كان السلطان أكبر يختبرهم , فمن اجتاز الاختبار رفعت منزلته وزاد نفوذه وأصبح من المقربين للسلطان , ولهذه المهنة تقسيم هرمي على رأسه رئيس الأطباء والذي يعرف بالمصطلحات المغولية(saramad –l atibba) أو ((saramad –l hukamad) , وكان تحت يده عدد من الأطباء والجراحين والممرضين, وهؤلاء ملزمون بطاعة رئيسهم , وبعض الأطباء يكونون مستقلين بمهنتهم عن البلاط السلطاني , أما فيما يخص أجور الطبيب , فالبعض يأخذ أجوراً يومية أو شهرية وأحياناً سنوية على شكل منح وهي تتراوح ما بين (٣٦٠٠ – ١٠٠٠٠٠) روبية , ومن أبرز هذه الهبات أو المنح هي التي دفعتها السلطانة نورجهان للحكيم روح الله منحته ثلاث قرى في مسقط رأسه, وهناك العديد من الإشارات إلى العاملين في القطاع الخاص دخلاء (دجالين) يتاجرون بهذه المهنة وهم غير مؤهلين لذلك , وهم يجلسون تحت مظلة وأمامهم منصة تعرض عليها بعض القوارير والزجاجات التي تحتوي على الأدوية ,وربما كان يقف صبي لمساعدته في إعطاء العلاج, ومن أبرز الأمراض في تلك المدة الشلل والصرع و فقر الدم والحمى الخبيثة , وكان بعض الأطباء يحتكر طريقة تحضير الأدوية ويبقيها سراً خاصاً به؛ ولربما يعود ذلك للتنافس الذي كان سائداً بين الأطباء, ولاشك أن تقدم الطب الهندي في امبراطورية المغول الإسلامية يرجع إلى عدة عوامل منها استفادة الأطباء المسلمين من تراث الهند الطبي , وقدوم عشرات الأطباء العرب والفرس إلى الهند , وذلك التقدير الشديد الذي أولاه السلاطين للأطباء وعوائلهم , وكذلك الأهمية التي أداها الأطباء المسلمون في التصدي للأمراض الخطيرة , ناهيك عن بناء مئات المستشفيات في المدن والقرى , وأقاليم الهند , زيادة على محاولة كبار رجال الدولة تشجيع وتعليم مهنة الطب, حيث أضحت من لوازم المدنية الاجتماعية بجانب علوم الدين والأدب والشعر(١).

- **علم الحساب**

لقد أسدت الهند خدمات جليلة إلى الحضارة الإنسانية باختراع نظريات خالدة في الحساب والجبر والهندسة تلقتها الأمة العربية إبان مجدها وحضارتها ثم سلمتها في عهد تخلفها إلى الأمة الأوربية حتى استطاعت بها أوربا أن تصل إلى ذروة المجد والكمال في العلم(٢).

وقد استفاد علماء امبراطورية المغول الإسلامية في الهند من جهود علماء الهنود القدامى ومن الذين ساهموا في مجال علم الرياضيات في العصر الإسلامي الهندي , ومن أبرز علماء الهند

---

(١) Rezavi , Disease and Medicine in india((Physicians as Professionals in Medival India)) ,41-53.

(٢) **النّدوي , تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية , ص٨٠ .**

في الرياضيات مولانا شكر الله الشيرازي فلم يكن له نظير في عصره في الحساب وسائر الفنون الرياضية , فقد ورث علم الحساب عن أبيه وقد لقبه السلطان جهانجير أفضل خان, برع أكثر في عهد السلطان شاهجهان بكافة العلوم , والشيخ محمد سعيد الكرهرودي برع في العلوم الحكمية لاسيما الحساب في عهد السلطان شاهجهان, ومن أبرز المؤلفات التي ظهرت في تلك المدة خلاصة الحساب لبهاء الدين بن الحسين العاملي[١].

- **علم الهندسة :**

كان للهنود باع طويل في مجال العلوم الهندسية , ولهم العديد من الإنجازات الهندسية على الرغم من أنهم لم يكونوا على هذه الدرجة من التوفيق في الهندسة , فالمعروف أن نظرية فيثاغورس هي هندية الأصل[٢]

ومن الأسماء اللامعة في علم الهندسة الشيخ ميرك عبد الباقي التتوي وهو من العلماء البارعين بعلمي الهيئة والهندسة وغيرهما من العلوم الحكمية , اخترع بعض الأشكال الهندسية[٣], ومولانا لطف الله المهندس وهو ابن الأستاذ ملا أحمد معمار الملقب بـ«نادر العصر» وهو ينتمي إلى الأسرة المعمارية في لاهور, وقد اشتهرت هذه الأسرة لثلاثة أجيال في الحساب والهندسة والرياضيات, ووالده ملا أحمد وعمه الأستاذ حامد كانا المهندسين الرئيسين في تنفيذ مشروع القلعة الحمراء والمسجد الجامع بدلهي وتاج محل, فضلاً عن القصور الملكية الأخرى , وقد كان لطف الله مهندساً بارعاً أشرف على بناء مدينة شاهجهان آباد , وكان إخوته وأبناؤه أيضاً مهندسين ومعماريين[٤].

- **علم الهيئة « الفلك » :**

وهو العلم الذي يهتم بحركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة ومن فروعه علم الأزياج[٥], ومن خلال هذا العلم تعرف منه أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية , وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها , ومن أهم أسباب تطور علم الفلك إدماجه ضمن المقررات الدراسية ,بجانب علوم الدين والتصوف, وحدث هذا لأول مرة في العصر الإسلامي الهندي في عهد فيروز شاه الذي أمر بإنشاء العديد من المراصد الفلكية في مناطق عديدة, مما أدى إلى ظهور العديد من كبار علماء الفلك آنذاك , أشهرهم حكيم حسن بن علي الكيلاني[٦] .

---

(١) **الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) ج٥ , ٥٣٨ , ٦٣٤ ,ج٦ , ص٧٦٢ .**
(٢) **ديورانت , قصة حضارة الهند , ص٢٣٨- ٢٣٩ .**
(٣) **الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٤ , ص٣٦٠ , الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ص٢٧١ .**
(٤) **قمر الزمان , أورانجزيب , ص٤٠٥ .**
(٥) **ابن خلدون , تاريخ ابن خلدون , ج١ , ص٦٤١ .**
(٦) **الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ص٢٧٧-٢٩٧ .**

لقد اهتم سلاطين امبراطورية المغول الإسلامية اهتماماً بالغاً بتطوير علم الفلك , فمؤسس امبراطورية المغول الإسلامية في الهند السلطان بابر يذكر في مذكراته فيقول : (ومن المباني الكبيرة التي بنيت أيضاً مرصد مكون من ثلاثة طوابق وبداخله آلة كتابة الزيج)[١], أما السلطان همايون فكان أكثر اهتماماً من أبيه في علوم الفلك حتى برع في عهده العديد من العلماء في صنع الاسطرلاب, ومنهم السلطان نفسه, الذي نجح في صنع الاسطرلاب وسماه الاسطرلاب الهمايوني[٢] ولبراعته في علم الفلك فقد ألف جملة من الرسائل عن طبيعة العناصر , وبعد توليه عرش الهند أمر العلماء بعمل كرات فلكية وكرات أرضية , كما أنه أنشأ سبع قاعات للاستقبال , وسماها بأسماء الكواكب مثل قاعة القمر , وقاعة المريخ , وقاعة الزهرة , وقصر عطارد , وقصر زحل, وقصر المشتري[٣] , وهذا إن دل على شئ فإنما يدل مدى اهتمامه بعلم الفلك في حين كثر علماء الفلك بشكل كبير في عهد السلطان أكبر ومن أشهرهم فتح الله الشيرازي وكان من المقربين جدا للسلطان أكبر , وله مجموعة من الاختراعات التي أبهرت علماء زمانه , عندما مات حزن السلطان أكبر حزناً شديداً وقال: ((لو وقع في أسر الإفرنج وكنت أفديه بالأموال والخزائن كلها لكنت ربحت بإطلاقه بتلك الفدية))[٤], ومن علماء الفلك ملا لطفي منجم فقد عرف عرف عنه إجادته بعلم النجوم[٥] أما في عهد السلطان شاهجهان فقد برز من علماء الفلك العالم العالم فريد الدين الدهلوي حتى فاق أقرانه في الهندسة والهيئة والنجوم والأعداد , وله مصنفات عجيبة واختراعات غريبة أبرزها الزيج الشاهجهاني في أيام السلطان شاهجهان بذل فيه جهداً كبيراً في تصحيح الخلل في الأعمال السابقة[٦].

- الفلسفة والمنطق :

---

(١) مذكرات بابر , ص١٧٥ , الزيج : كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم , ويستخرج بوساطتها التقويم سنة , ينظر : مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى وآخرون المعجم الوسيط (دار الدعوة – القاهرة) , ص٤٠٩ .

(٢) الندوي , الثقافة الإسلامية في الهند , ص٢٨٢ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٤٠٨.

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٥٢ .

(٤) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٤ , ص٣٩٢ .

(٥) بخشي , المسلمون في الهند , ح٢ , ص ٢٥٧ .

(٦) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) ج٥ , ص٦٠١ .

يقول ابن خلدون عن الفلسفة إنها النظر في مبادئ الموجودات وأحوال النفس وكل ما هو خارج عن نطاق الطبيعة[١]. ولعل من أهم عوامل تطور الفلسفة الهندوسية كثرة الملل والنحل والطوائف الدينية العديدة التي انتشرت في الهند[٢], مع السلوك الذي سار عليه الزهاد والنساك بجانب الكتب الدينية الهندوسية القديمة التي دعت الهندوس إلى تحليل التفكير فيها , ودراسة أفكارها , هذا إلى جانب تعدد المدارس العقلانية التي ظهرت في البلاد[٣]. ولم تكن لعامة المسلمين رغبة تذكر في علوم الحكمة , ولذلك فإننا لا نعثر على كتاب من كتب المنطق والفلسفة أُدرجت في المقررات الدراسية في شبه القارة الهندية حتى القرن التاسع الهجري ما عدا كتاب شرح الشمسية إلا أنه عندما ورد دلهي كل من الشيخ عبدالله بن هداد(٩٢٢هـ/١٥١٦م) صاحب كتاب بديع الميزان وزميله الشيخ عزيز الله(ت:٩٣٢هـ/١٥٢٥م) , فإن الوضع تغير , ولعزيز الله كتاب في مجال المنطق والفلسفة وهو المطالع والمواقف فقد تم إدخال هذين الكتابين ضمن المناهج الدراسية؛ وذلك نتيجة الاهتمام الذي أبداه أهل الهند بعلوم الحكمة , وقد اهتم سلاطين الامبراطورية المغولية اهتماماً بالغاً بتطوير العلوم العقلية ومنها الفلسفة والمنطق , فقد كان السلاطين يدركون أهمية الفلسفة؛ لأنه كثيراً ما كانوا يجلسون مع العلماء للمذاكرة في الكتب الدينية والفلسفية كإحياء علوم الدين والكيمياء, وكلاهما لشيخ الإسلام الإمام الغزالي [٤].

المبحث الخامس

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر , ج١ , ص٦٥٣ .

(٢) الشهرستاني , أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت: ٥٤٨) , الملل والنحل , تح أمير علي مهنا وآخرون , ط٣(دار المعرفة – بيروت –١٩٩٣م) ج٢ , ص٦٠١-٦١٧ .

(٣) ديورانت , قصة الحضارة , ج٣, ص٤٣-٥٢ .

(٤) قمر الزمان , أورنجزيب , ص٤١١-٤١٢ .

العمارة الإسلامية

اهتم سلاطين امبراطورية المغول الإسلامية في الهند اهتماماً بالغاً بالحركة العمرانية من خلال بناء العمائر والمنشآت المختلفة , فقد اشتهرت الهند بعمائرها الضخمة وآثارها الجميلة منذ أقدم العصور, وعندما دخل الإسلام الهند أفاد رجاله من مهارة وبراعة الهنود واستقدموهم إلى بلادهم لإقامة عمائر مناظرة لما هو كائن في الهند , ولما استقر المسلمون في الهند , شيدوا قصوراً وأقاموا قلاعاً وبنوا مدناً كاملة , استعملوا في تشييدها الهنود , وبلغت العمارة الهندية الإسلامية ذروة الرقي في العصر المغولي, وتعاون الفنان الهندي والمسلم في إقامة هذه العمائر, لقد أُعجب المسلمون بالعمارة الهندوسية فأقاموا مساجدهم على نمط المعابد الهندية نفسها , لكن هذه المحاكاة للطبيعة سرعان ما تحولت إلى طراز يمثل النزعة الإسلامية تمثيلاً يبلغ من الدقة حداً يثير العجب[١], ووقعت العمارة الهندية تحت تأثيرات مختلفة , مثل الترك والأفغان والفرس, فقد نقل الترك إلى الهند ملامح الفن المعماري في أواسط آسيا متمثلاً في القباب والمنائر والأشكال الهندسية , وأضاف الهنود ملامح أسلوبهم , ومع مرور الزمن سيطر الأسلوب الفارسي على العمارة في الهند , ثم أخذ أسلوب العمارة الفارسية يسير جنباً إلى جنب مع أسلوب العمارة الهندية , وكان التأثر الفارسي في العمارة الهندية في عصر امبراطورية المغول بشكل واضح وكبير, فقد أحضر السلطان بابر معه اثنين من المهندسين المعماريين الفرس وهما مير ميراك غياث هرات و محمد شاه من خراسان؛ وذلك لنقل الأشكال الهندسية الفارسية[٢] وكان قمة لقاء العمارة الفارسية مع العمارة الهندية في عهد السلطان أكبر؛ لأنه شجع الاتجاه السائد نحو دمج الطرز الإسلامية والهندوسية, وتضافرت الجهود نحو تشييد آيات فنية معمارية اشترك الفنانون الهندوس والمسلمون فيها[٣]والمتتبع لإنجازات السلاطين في مجال العمارة يجد أن مساهمة السلطان بابر والسلطان همايون محدودة مقارنة بباقي السلاطين, على الرغم من أن السلطان بابر يذكر في مذكراته أنه كان يخطط للعديد من المشاريع المعمارية لكن لم تصلنا تلك الإنجازات؛ والسبب في ذلك يعود إلى قصر مدته وانشغاله في الحروب[٤].

---

(١) **الشاذلي, الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين , ص٢٨٢-٢٨٣ Abid Cultural heritage of the Mughals , 180-190.**

(٢) **Rezav, The Growth of Civilizations in India) ,127-137 .**

(٣) **الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين , ص٢٨٢-٢٨٣.**

(٤) **Rustam.J, Mehta ,Masterpieces of Indo-Islamic Architecture ,27**

فن العمارة المغولي وخصائصه

إن لفن العمارة المغولي علامات خاصة وخصائص لا توجد في فن العمارات الأخرى , فلكل أمة وبلاد فن عمارة يحمل طابعاً خاصاً, يتمثل فيه ذوقها الثقافي وطبيعتها الحضارية , ومن العلامات الخاصة والخصائص البارزة في فن العمارة المغولي صناعة المحاريب, فلا نجد عمارة بنيت في عهد المغول إلا وهي ذات محاريب وهي على نوعين المستدير والمستطيل , أما المحراب المستدير فهو نادر والمستطيل هو الشائع العام لديهم , فلا نجد عمارة تخلو من المحراب المستطيل , ومن علامات فن العمارة المغولي صناعة القباب فقد كانت تحتوي البناية الواحدة على قبة أو أكثر, ومن العلامات أيضاً استعمال الحجارة الحمراء والرخام , إذ نادراً ما نجد قبلهم من الملوك من استعملوا الحجارة الحمراء في بناياتهم , فإن العمارات التي بنيت في عهد السلطان شاهجهان مبنية من الرخام ومن علامات فن العمارة كذلك الزخرفة والزينة وصناعة الشبابيك فجميع الأبنية التي بنيت في عهد المغول من مساجد ومدارس وأضرحة وقلاع وحصون تحتوي على التزيين والزخرفة والشبابيك[١], وتنقسم العمارة الإسلامية في الهند على ثلاثة أقسام الأول: العمارة الدينية وتشمل (المساجد , المدارس ,الأضرحة) , الثاني : العمارة المدنية وتشمل: القصور, والمستشفيات , والحمامات, والحدائق, والثالث : العمارة الحربية وتشمل: القلاع والحصون , والأسوار, والبوابات[٢]

العمارة الدينية وتشمل :_

المساجد :-

التخطيط العام لمساجد المغول في الهند

تقسم المساجد الأثرية في الهند على ست طرز الطراز الأول : يتكون من صحن وأربع ظلات , والثاني: من صحن وثلاث ظلات , والثالث: من صحن وظلتين , والرابع: من صحن وظلة واحدة, والخامس: مساجد متعددة الصحون , والسادس: مساجد بلا صحن , وتميزت العناصر المعمارية في الآثار الإسلامية في الهند بثرائها الزخرفي ووجود أبراج في زوايا المسجد الخارجية ووجود شرفات صغيرة أعلى الواجهة على شكل جواسيق صغيرة , أما عن المداخل في المساجد الهندية فقد شاع نظام المداخل الثلاثة المحورية , كما انتشر طراز المساجد ذات المدخل الواحد , وتعد النافورات« الفوارات» من العناصر التي تميزت بتعدد أشكالها وطرزها وهي على نوعين الأول الفوارة الحوض وهذا النوع هو الأكثر شيوعاً في المساجد ويعرف باسم البحيرة وهي توجد داخل صحن المسجد وأحياناً في مؤخرة المسجد وتكون عبارة عن حوض مستطيل أو مربع وفي

---

(١) **الطريحي , أطلس الخطوط , ج١ , ص٧٤-٧٦ .**

(٢) **ديساني , مجلة ثقافة الهند , مج٥٣ , العدد٢-٤ , ص١٠٩ .**

بعض الأحيان تكون عبارة عن حوض مستدير , والنوع الثاني تكون الفوارة ذات الشاذروان وهذا النوع من الفوارات نادرٌ جداً وهي موجودة في مسجد ناجينا , وتميزت المساجد المغولية في الهند باشتمال معظمها على أبراج في زوايا المسجد تستعمل للأذان , إلى جانب استعمالات أخرى كالمراقبة أو استعمال الأبراج ككتاتيب لتعليم الأطفال, ومن أمثلة مآذن الأبراج مآذنة جامع أكبر في أكرا , وإلى جانب مئذنة البرج وجدت أنواع وطرز أخرى من المآذن , ومن أمثلة ذلك المآذن ذات الطوابق الثلاثة المضلعة ويعلو قمة المئذنة جوسق , ويعد تعدد القباب من العناصر المتميزة في العمارة الإسلامية في الهند في عصر المغول, إذ إن المساجد المغولية في الهند عادةً تشتمل في ظلة قبلتها على ثلاث قباب وأحياناً أكثر من ثلاث كما في مسجد كالان الذي يشمل على خمس قباب, ومن أشهر أنواع القباب البصلية الشكل والتي تعرف بالقبة السمرقندية , نظراً لانتشارها في سمرقند(١). أما النوع الثاني من القباب فيعرف باسم القباب البنغالية؛ وذلك لاستعمالها في البنغال, وهذا النوع شاع استعماله في الأضرحة والعمارة المدنية , أما الأعمدة فقد تعددت أشكالها وموادها الخام في العمارة الإسلامية في الهند, وهي أنواع منها الأعمدة الحجرية سواء الاسطوانية أو المثمنة لاسيما في عهدي السلطان همايون والسلطان أكبر, والنوع الثاني الأعمدة الرخامية والتي استعملت على نطاق واسع في عهد السلطان شاهجهان , ومن أشهر الأعمدة العمود الفريد الموجود في مدينة فتح بور سكري بالديوان الخاص المعروف باسم عبادت خانة وهذا العمود يتوسط الديوان قطره ٢,٥متراً وارتفاعه خمسة أمتار, أما الدعائم فقد شاع استعمالها أيضاً كروافع سواء في العمائر الدينية أو المدنية ومن أهم نماذج الدعائم تلك المحيطة بالفناء الرئيسِ بقصر السلطان جهانجير بأكرا , أما الدعائم في عهد السلطان شاهجهان فكان لها شأن إذ بلغت أوج جمالها لاسيماً دعائم قصر تاج محل , وللعقود نصيب كبير في العمارة الإسلامية وهي على أنواع كثيرة من أكثرها انتشاراً العقد المدبب وهو موجود في مسجد وضريح تاج محل , والعقد المفصص ومن أشهر أمثلته مسجد السلطان همايون ومسجد السلطان أكبر, والعقد ذي الزهور وهو من تأثير المعابد الهندية , وعقد ذي الزهور والخوذات, وعقد ذي الرؤوس أو ذو الجماجم , وعقد ذي الرؤوس والأفيال وجميع أنواع هذه العقود موجودة في قصر السلطان جهانجير, وهناك نوعان من العقود النادرة منها العقد ذي الخراطيم والخوذات وهذا النوع(٢) موجود في قصر الترفيه الخاص بالسلطان أكبر, والعقد ذو الحيات وهو لا يوجد إلا في ضريح الشيخ سليم , كما أبدع الهنود في إنشاء النوافذ وهي نوعان النوافذ المستطيلة والنوافذ المعقودة ومعظم النوافذ في العمارة الإسلامية في الهند مغطاة بأحجبة بها زخارف , أما المنابر

(١) **علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند ص٢٨٣-٢٨٩ .**

(٢) م , ن , ص٢٩٨-٣٠٤

فقد تميزت في المساجد الهندية بأنها عادةً ماتكون الحجر أو الرخام تبنى مع المسجد وأنها غالباً ما تكون من ثلاث درجات وجلسة , وهي بذلك تتأسى بمنبر رسول الله ﷺوعلى الرغم من سهولة المنابر في المساجد الهندية إلا أن الهنود تفننوا في زخرفة بعضها فأصبحت من التحف الفنية البديعة ومن أمثلة ذلك منبر المسجد الجامع بمدينة أكرا , ومن المنابر البديعة بالمساجد الهندية منبر المسجد الجامع بدلهي الذي اشتهر بزخارفه الجميلة [١]

حينما تمكن نفوذ المسلمين في شمال الهند في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي كانت الهند تتبع آنذاك أسلوباً راقياً في فن البناء , وقد عرف المسلمون فن البناء الذي كان متبعاً في بلاد العراق و مصر وفارس وتركيا , ولم تكن بين هذه الفنون والفن المعماري الهندي كثير من أوجه تشابه؛ لأن المساجد كانت عبارة عن مبانٍ تقام لتغطية مكان فسيح مفتوح , وتتقسم على قاعات وغرف متسعة في بعض الأحيان ,في حين كانت المباني الهندية ذات تشكيلات بنائية وزخارف فنية مليئة بالصور الآدمية والأشكال الرمزية , وبفضل الاتصالات بين الفنيين نشأ مزيج عجيب بين هذين الأسلوبين في البناء , وأتت إلى الوجود في أحضان الهند الفسيحة الأرجاء مساجد ضخمة تمثل خير ما حققته البدائع المعمارية الفنية في الهند, وأصبحت شاهد عيان على التراث الثقافي الإسلامي فيها وجمال الفن الهندي–الإسلامي المشترك فعند قيام امبراطورية المغول الإسلامية في الهند سنة(٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م)ازداد الاهتمام ببناء المساجد لدرجة لم تشهدها الحقب السابقة, وكانت مدة حكم السلطان بابر وهمايون مدة انتقالية [٢] وعلى الرغم من ذلك شهد عهد السلطان بابر نشاطاً واسعاً في الحركة الفكرية, إذ كان ولعاً إلى درجة كبيرة بفن العمارة, وقد استعمل بضع ألوف من مهرة النحاتين والبنائين ليقيموا له منشآته من قصور ومساجد وحمامات ونافورات وخزانات للمياه في أكرا وباقي مدن الهند[٣]

وفيما يأتي أبرز مساجد الهند في تاريخ امبراطورية المغول الإسلامية :

المسجد الكبير و**المسجد الجامع**[٤] وهما مسجدان بنيا في زمن السلطان بابر وليست لدينا معلومات عن أوصاف عمارتهم , **مسجد همايون شاه** :يوجد مسجد همايون شاه بمدينة أكرا ومنشئ هذا المسجد هو السلطان همايون سنة(٩٣٧هـ/١٥٣٠م) , ولم يتبق من هذا المسجد سوى جزء من ظلة القبلة وحتى هذ الجزء في حالة سيئة جداً , كان له فناء مكشوف تطل عليه ظلة القبلة , يتوسطه صحن وكان يحتوي على مدرسة لتحفيظ القرآن والحديث مقسمة على

(١) علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص٢٨٩–٣٠٤ .

(٢) ديساني , مجلة ثقافة الهند , مج٥٣ , العدد٢–٤ , ص١٠٩ .

(٣) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ,ج٢ ,ص٥٨ .

(٤) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٥١–٣٥٢ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٣٧ .

قاعات , وفيه برجان مثمنان يعلوهما جواسق مكونة من ثمانية أعمدة ,كانتا تستعملان للأذان, وأيضاً كمقاعد لجلوس شيوخ المسجد وكبار الزوار[١].

مسجد كيلاكونا يقع بوسط قلعة بورانا التي أنشأها السلطان شيرشاه سنة(٩٤٨هـ/١٥٤١م) يتكون هذا المسجد من مساحة مستطيلة طولها من الشرق ٦٠ متراً , ومن الشمال إلى الجنوب ٤٠متراً تتكون من صحن مكشوف وظلة للقبلة, وللمسجد مدخل واحد بالضلع الشرقي من الصحن وفيه برجان كبيران كل برج يتكون من ثلاثة طوابق , وفيه خمسة محاريب , ويحتوي في الداخل على كتابات قرآنية بخط النسخ محفورة حفراً بارزاً على الرخام , ويحتوي هذا المسجد على ميضأتين مستديرتين واحدة في الشمال والأخرى في جنوب المسجد[٢].

و**مسجد عيسى خان** ويقع هذا المسجد بمدينة دلهي , تأسس سنة(٩٥٤هـ/١٥٤٧م) ومنشئ هذا المسجد عيسى خان أحد كبار رجال البلاط الملكي في عهد السلطان شيرشاه السوري , وتخطيط هذا المسجد عبارة عن مربع طول ضلعه نحو٣٠ متراً يتكون من ظلة للقبلة وفناء مكشوف ومبلط بالحجر الأحمر, وفيه ثلاثة محاريب أحدها رئيسٍ والآخران أصغر حجماً منه, وفي الجهة الجنوبية يوجد حوض للوضوء مستدير الشكل قطرهُ أربعة أمتار وعمقهُ متر وتتوسطه نافورة ينبع منها الماء و**مسجد خير المنازل** وتخطيط هذا المسجد مستطيل الشكل يمتد من الشرق إلى الغرب طوله نحو ٥٠متراً وعرضه٣٠متراً , تلحق به مدرسة متكونة من أربع عشرة قاعة دراسية , ويتوسط صحن المسجد ميضأة مستديرة الشكل قطرها تقريباً خمسة أمتار وعمقها نحو ١٢٠سم[٣].

المسجد الأكبري ويقع هذا المسجد بوسط مدينة أكرا تقريباً أنشأه السلطان جلال الدين أكبر, يتكون هذا المسجد من مساحة مستطيلة (٣٤×٢٨م) وفيه صحن مكشوف تحيط به ثلاث ظلات : أكبرها ظلة القبلة في الجهة الغربية ثم ظلة في الشمال وأخرى في الجنوب , وأرضيته مرتفعة عن أرضية الشارع بنحو خمسة أمتار, وله أربع واجهات منها الواجهة الرئيسة وهي في الشرق ولا يوجد فيها مدخل؛ وذلك لأن للمسجد مدخلاً واحداً في الشمال , ويوجد فيه برجان مثمنان ارتفاع كل واحد ١٢متراً , وميضأته عبارة عن حوض من الحجر مربع الشكل طول ضلعه ثمانية أمتار, وله سبعة محاريب جميعها على شكل نصف مثمن والمحراب الأوسط أكبرها ويوجد المنبر

---

(١) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٤٩-٣٥٥ ؛ علي , تاريخ وعمارة المساجد , ص٩٧-١٠١ .**

(٢) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٤٩-٣٥٥ ؛ علي , تاريخ وعمارة المساجد الآثرية في الهند , ص١٠٧-١٠٨ .**

(٣) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٤٩-٣٥٥ ؛ علي , تاريخ وعمارة المساجد الآثرية في الهند , ص١٠٢-١٠٥ .**

على يسار المحراب, ويتألف من ثلاث درجات أو أكثر والدرجة الأخيرة عبارة عن جلسة للخطيب , والمسجد يشتمل على قاعتين للدرس وأربع غرف للمدرسين وهو لا يزال باقياً إلى اليوم(١).

مسجد أفساروالا ويقع في منطقة نظام الدين بالقرب من ضريح السلطان همايون, أنشأه أفساروالا سنة(٩٧٢هـ/ ١٥٦٦م) وهو أحد النبلاء في عهد السلطان همايون , وتخطيط هذا المسجد عبارة عن فناء مكشوف وظلة للقبلة مكونة من ثلاث مربعات , والفناء مستطيل الشكل امتداده من الشمال ٣٠ متراً , ومن الشرق إلى الغرب٢٠, وله محراب واحد وعلى يساره يوجد منبر وهو من الحجر الأحمر وهو من أربع درجات(٢).

المسجد الجامع ويقع بمدينة فتح بور سكري أنشأه السلطان جلال الدين أكبر سنة(٩٧٩هـ/١٥٧١م) وهو يتكون من مساحة مستطيلة طولها من الشرق إلى الغرب ١٨٠م , ومن الشمال إلى الجنوب ١٤٠م , ويتكون من صحن مكشوف تحيط به ثلاث ظلات أكبرها عمقاً ظلة القبلة , وللمسجد مدخلان واحد في الشرق وآخر في الجنوب(٣).

المسجد المغولي ويقع بمنطقة قطب منار بدلهي , ومنشئ هذا المسجد غير معروف, إلا أنه من المرجح أنه أحد أمراء ورجال الدولة في مدة حكم السلطان أكبر, والمسجد عبارة عن إطلالة متهدمة مهجورة إلا أننا نستطيع أن نتبين منها أن المسجد كان على الطراز المغولي اليسير , يتكون من فناء مكشوف يبلغ امتداده من الشمال إلى الجنوب١٢م , ومن الشرق إلى الغرب١٤م , أرضه مبلطة بالحجارة الحمراء ومرتفعة عما حولها , يوجد محرابه في الجهة الغربية وهو نصف مثمن وهو سهلٌ جداً وخالٍ من الزخارف(٤).

مسجد كالان(الجامع الأسود) ويقع المسجد في وسط مدينة أكرا, ومنشئ هذا المسجد خانداری بيكم وهي الزوجة الأولى للسلطان جهانجير سنة(١٠٠٩هـ/١٦٠٠م), والتخطيط العام لهذا المسجد عبارة عن مستطيل يبلغ امتداده من الشمال إلى الجنوب٦٥م ومن الشرق إلى الغرب٧٠م , وله ثلاثة مداخل محورية تؤدي إلى داخل فناء المسجد , وموقع الميضأة هنا يختلف عن باقي

---

(١) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٤٩-٣٥٥ ؛ علي , تاريخ وعمارة المساجد الآثرية في ص١١٣-١٢١ ؛ ينظر : ملحق رقم ١٠ , ١١ .

(٢) علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص١٢٣- ١٣٢ .

(٣) بدايوني , منتخب التواريخ , مج ٢ , ص٣٨٣ ؛ علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص٩٤-١٩٢ ؛ للمزيد من المعلومات عن مسجد فتح بور سكري ينظر : Nath. , Fatehpur Sikri and its Monuments ,22 -45.

(٤) علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص١٣٥.

المساجد,إذ أن من المعتاد أن تكون وسط صحن المسجد لكنها توجد خلف الباب الرئيسِ حتى يتوضأ كل من يدخل المسجد ولا يدخله إلا الطاهرون[١].

أما في عصر السلطان شاهجهان فقد حدث تغييرٌ مهم على بناء المساجد, فبرز الشكل الخارجي وأصبح جميلاً وجذاباً إلى حد بعيد؛ والسبب في ذلك هو استعمال المرمر في موضع الحجر الأحمر, وأدخلت تغييرات في المحراب أبرزها التجديد في النقوش[٢].

المسجد الجامع ويقع بمدينة دلهي, ومنشئ هذا الجامع السلطان شاهجهان سنة(١٠٤٥هـ/١٦٤١م) وقد استغرق بناؤه ست سنوات وهو من أكبر المساجد الموجودة في العالم , فيه منارتان عاليتان وفي صحنه حوض للماء يتوضأ فيه المصلون, وهو على جبل ولذا يرتفع من الأرض حوالي ثمانية أمتار , يصلي فيه المسلمون صلاة الجمعة وصلاتي العيدين[٣].

مسجد فتحبوري بيكم يقع في مدينة شاهجهان آباد الأثرية بشمال مدينة دلهي , ومنشئ هذا المسجد السيدة فتحبوري بيكم إحدى زوجات الامبراطور المغولي شاهجهان سنة (١٠٥٤هـ/١٦٥٠م) يتكون هذا المسجد من مستطيل أبعاده من الشرق إلى الغرب٩٠م , ومن الشمال إلى الجنوب٧٥م, وميضأة هذا المسجد فريدة من نوعها لا تشبه باقي الميضآت الموجودة في المساجد الأخرى , وللمسجد أربع واجهات الواجهة الشرقية ومحرابه مكسوٌ بالرخام , وعلى يسار المحراب يوجد منبر المسجد يتكون من ثلاث درجات وله مئذنتان كبيرتان متشابهتان من الحجر الأحمر , ارتفاع كل مئذنة حوالي٣٥م[٤] .

مسجد وزير خان ويقع في مدينة لاهور, ومنشئ هذا المسجد هو الأمير وزير خان من حكام لاهور في عصر المغول سنة(١٠٥٣هـ/١٦٤٣م) يتكون هذا المسجد من صحن مكشوف (٣٠×٥٠ م) تحيط به أربع ظلات , وداخل صحن المسجد يوجد حوض مربع للوضوء , وللمسجد مدخل ضخم في منتصف البوابة الشرقية , وله أربع مآذن كبيرة , كل مئذنة تتكون من قاعدة مكعبة مزخرفة[٥].

---

(١) **علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص١٥٠**

(٢) **الديساني , المساجد التاريخية في دلهي , ص١١٠.**

(٣) **كوكن , دولة المغول في الهند , ص١٣٩ ؛ الندوي , ضياء الحسن , الآثار التاريخية في الهند , مجلة ثقافة الهند , (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية –نيودلهي – ٢٠٠٢م)مج ٥٣ العدد١, ص٤٩–٥٠ ؛ ينظر ملحق رقم ١٢**

(٤) **علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص١٦٧–١٧٨.**

(٥) **علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند, ص١٧٥–١٧٧ .**

مسجد تاج محل يقع هذا المسجد إلى الغرب من ضريح تاج محل , وإلى الغرب من حديقة تاج محل وقد أنشئ هذا المسجد لكي تقام فيه الصلوات لزوار الضريح وهم عدد كبير جداً[١]. يتكون من مساحة مستطيلة طولها من الشمال إلى الجنوب٧٠م,ومن الشرق إلى الغرب٣٠م , ولمسجد تاج محل أربع واجهات , الواجهة الرئيسة هي الواجهة الشرقية والتي يبلغ امتدادها ٧٠م وأقصى ارتفاع لها ٢٨م , وله ثلاثة أبواب الباب الرئيسِ يؤدي مباشرة إلى المحراب والذي يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار وعرضه ستة أمتار ويوجد المنبر على يسار المحراب يتكون من ثلاث درجات من الرخام , الدرجة الثالثة عريضة حتى يجلس الخطيب عليها , ومن الملاحظ أن هذا طراز أغلب المنابر في مساجد الهند إذ يعدون ذلك تأسياً بمنبر رسول اللهﷺ والذي يتكون من ثلاث درجات فقط , وتقريباً جميع هذه المساجد تشترك بالتخطيط العام , فقد كان أغلبها يحتوي على صحن واسع تحيط بها أروقة غطيت بالقباب التي كانت تتكون من طبقتين خارجية وداخلية , وللمسجد سور يحيط به ونجد أسوار المسجد من الجهة الغربية تكون سميكة جداً أكثر سمكاً من باقي الأسوار, أما القباب فتكون من الداخل من الحجر الأحمر وعليها زخارف منفذة بالرخام الأبيض على الحجر الأحمر, ومن الخارج مكسوة ببلاطات من الرخام الأبيض , بلطت أرضية المسجد ببلاطات من الرخام الأحمر محاطة بإطارات من الرخام الأسود أما المآذن التي استعملت في العمائر الهندية , فهي مبنية بالحجر وهي تختلف عن المآذن الشائعة في ذلك العصر وكذلك وجود ظلة القبلة[٢] .

- **الأضرحة :**

تعد الأضرحة من أهم العمائر التي اعتُني بتشييدها في العصور الإسلامية المختلفة , حيث كان يدفن فيها أهل الفضل من المسلمين أو أصحاب الجاه من السلاطين والأمراء , ويعد ضريح الرسولﷺ أول ضريح في الإسلام الذي هو أصلاً غرفة السيدة عائشة« رضي الله عنها» , وأول ضريح خطط في الإسلام ضريح الخليفة العباسي المنتصر بالله الذي يعرف « بالقبة الصليبية» , ولم تكن العرب تعرف الأضرحة باستثناء بعض النوادر, فقد نهى رسول اللهﷺ عن تجصيص القبر؛ وذلك سداً للذريعة من الإشراك وعبادة القبور, ثم انتشرت بعد ذلك عمارة الأضرحة في

---

(١) Rustam.J. ,Masterpieces of Indo-Islamic Architecture ,69 ؛ علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص١٧٨- ٢٢٤ .

(٢) علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص٩٤-١٩٢؛ إبراهيم , أمجد , العمارة الإسلامية في الهند , مزيج من الإيمان والروعة , المرصد الإسلامي لمقاومة التنصير-٢٠١٢ , وينظر ملحق رقم ١٣ ,١٤ .

العالم الإسلامي ولاسيما في العراق وإيران والهند ومصر , وصارت الأضرحة تلحق بعمائر دينية أخرى كالمدارس والمساجد(١) .

أما الأضرحة الإسلامية في الهند فقد وصلت إلى قمة الرقي والذوق المعماري , المتمثلة في خطوط البناء التي تتجلى في أضرحة أباطرة المغول التي عجز عن تحقيقها وبلوغها عباقرة المهندسين المعماريين في العالم(٢).

ضريح همايون(٣): بُنيَ ضريح السلطان همايون أومقبرة همايون في دلهي سنة(٩٧٣هـ/١٥٦٥م) علي يد أرملة السلطان همايون نواب حاجي بيكم التي دفنت هي الأخرى به, لقد استمر العمل به ست عشرة سنة أسسته من الحجارة الحمراء والبيضاء وهو في غاية الجمال والمتانة , ولم يكد يوجد له نظير في أرض الهند قبل تاج محل وبقربه قصر كبير وحدائق وجداول ونافورات(٤),قام بالاشراف على بنائها ميرك ميرزا غياث(٥)وتمتاز المقبرة باستعمال الأسلوب الفارسي في العمارة وتختلف عنه بحرية استعمال الرخام الأبيض واختفاء الألوان والزينة المفضلة في ذلك العصر, والأسلوب المستعمل في بناء مقبرة همايون أسلوب فارسي من الخارج ,أما القباب والمنحنيات والزوايا فهي أسلوب هندي , ويقول الخبراء إن تاج محل بني على نمط هذه المقبرة ولا فرق بينها إلا المنارات الأربع التي توجد في التاج دون المقبرة(٦).

- **ضريح شيرشاه** : وقد بنى شيرشاه ضريحه أثناء حياته , والذي دفن فيه بعد مماته من أجمل الآثار الباقية في الهند حتى اليوم(٧).
- **ضريح الشيخ سليم بن بهاء الدين الجشتي** : وهو الذي أُقيم في سيكري , صنعه امهر العمال العثمانيين, وزوايا المقبرة لها مميزات خاصة تعبر عن الأسلوب الهندي وقد أبدى الهنود مهارة فائقة في بنائه (٨).

---

(١) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٨٠ .

(٢) كبير , أ.د.همايون , التراث الهندي من العصر الآري إلى العصر الحديث , ترجمة البروفيسور ذكر الرحمن , مراجعة عمر الأيوبي , ط١ (هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – أبو ظبي- ٢٠١٠م) ص١٥٠ , للمزيد من المعلومات عن هذه الإضرحة , ينظر : الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٨٠-٣٨٣ .

(٣) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص٣١٢ ؛ ينظر ملحق رقم ١٥ .

(٤) الهند في العهد الإسلامي , ص٣٨٣ ؛ الطريحي, أطلس الخطوط والكتابات , مج ١ , ص٦٥ .

(٥) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٣٩٥ .

(٦) ديورانت , قصة حضارة الهند , ص٣٩٢ ؛ الندوي , ضياء الحسن , الآثار التاريخية في الهند , ص٥٠

(٧) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٧٣ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين , ص٢٨٩؛ الامبراطورية المغولية , منتديات شبكة التاريخ العام .

(٨) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٧٣ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط

- **ضريح أدهم خان** أقيمت هذه المقبرة سنة(٩٧٣هـ/١٥٦٥م) حيث تحيط به حديقة واسعة وجميلة وأسلوب البناء مزيج من الهندي– الفارسي[١].
- **ضريح(السلطان أكبر)** يعد هذا الضريح من أكبر البنايات التي شيدت في عهد السلطان جهانجير وأعظمها يقع في مدينة سكندره وهي على سبعة أميال من أكرا, انفق عليها السلطان مليوناً ونصف المليون روبية , يتوسط هذا الضريح بستانٌ واسع ومحاط بالحيطان من جوانبه الأربعة وفي كل حائط باب كبير وقد أغلقت كلها عدا الباب الرئيس الذي يقع نحو الجنوب , ومما يزيد في جمال هذا البستان وبهائه هو طرق الحجارة الحمراء وفيه أحواض عديدة وأنهار جارية , وفي وسط هذا البستان عمارة الضريح الشامخة ذات الخمسة طوابق يقع قبر السلطان أكبر في الطابق الاول داخل سرداب , وفي الغرف المجاورة يوجد قبر ابنتي السلطان أكبر, وكل طابق أصغر من الطابق الذي أسفله , أما الطابق العلوي الأخير فمبني من الرخام وهو في غاية الروعة والجمال , ويحيط به من كل جانب أواوين رائعة ومحاريب جذابة[٢] فضلاً عن أنه أحدث فيها أموراً عجيبة , تدهش المتفكر وتعجب الناظر[٣].
- **ضريح السلطان جهانجير :** وهو موجود على بعد أربعة أميال من لاهور , بناه ولده شاهجهان من الحجارة البيضاء والحمراء على ربوة كبيرة مرتفعة وبنوا قبره على ضفة ربوة صغيرة داخل بناء عال من الأحجار الثمينة كالعقيق واللزورد والمرجان[٤].
- **ضريح تاج محل**

يعد ضريح تاج محل أشهر وأجمل وأكبر ضريح في العالم , وهو أروع آثار فن العمارة الإسلامية , يقع هذا الضريح في ضواحي أكرا على الضفة الجنوبية من نهر جُمنا[٥] بناه السلطان شاهجهان تخليداً لذكرى زوجته أرجمند بانو بيكم المعروفة بـ«ممتاز محل» التي توفيت على أثر ولادة وهي تضع طفلها الرابع عشر, وقد استغرق إنجازه اثنتين وعشرين سنة ابتداء من سنة(١٠٤٢هـ/١٦٣٢م) واشتغل بتشييده أكثر من أثنان وعشرين ألف عامل , ويقال إنه كلف خزانة شاهجهان أربعين مليون روبية , أما بخصوص التسمية فكلمة تاج محل تعني قصر التاج؛ وذلك لأن المؤرخين في عهد السلطان شاهجهان كانوا يطلقون عليه « روزا ممتاز محل » أي

السلطان جلال الدين , ص٢٨٩؛ الامبراطورية المغولية , منتديات شبكة التاريخ العام , بلا ص .

(١) م . ن

(٢) **الطريحي , أطلس الخطوط , ج١ , ص٦٩–٧٠ .**

(٣) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٨٣ ؛ كوكن , دولة المغول في الهند , ص٤٣ .**

(٤) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٨٣ .**

(٥) **نهر جمنا أو جمن :وهو نهر يقع غرب الهند وهو يخرج من جبال همالية ويصب فيه نهيرات كثيرة , الندوي , الهند في العهد الاسلامي , ص٤٠ .**

ضريح ممتاز محل , وبعدها شاع اسم تاج محل على أنه قصر التاج أو تاج القصر , مر على بنائه ثلاثة قرون ونصف ولا زال جميلاً , يزوره ما لا يقل عن ثلاثة ملايين شخص سنوياً , وهو مجمع بنائي ضخم يحتوي على ضريح وقصر ومسجد ومدرسة, إلا أن ضريح ممتاز محل أشهر ركن , حرص السلطان شاهجهان على استعمال أعلى المهارات المتوفرة في عصره لبناء هذا الصرح الكبير(١) وتم جلب المعماريين والحرفيين إلى أكرا من بغداد ومن القصور العثمانية في تركيا, وقَدِمَ مصممو الحدائق من كشمير, والخطاطون من شيراز, والحجارون والنحاتون ومصمموا القباب والبناؤون من بخارى والقسطنطينية وسمرقند , أما مهمة التصميم الأساسية فقد اختلفت الآراء حول المهندس الذي وضع تصميم البناء , وأعتقد أن السبب في ذلك هو الشهرة التي اكتسبها الضريح ومن هم بالتالي أكسب مهندس الضريح السلطان شاهجهان شهرة طائلة بفضل روعة بنائه ودقة فنه ولكن المهندس نفسه لم يحصل على شي من الشهرة وقد اختلف كثيراً في اسمه حتى أخذ المتطرفون من الهندوس يزعمون بأن باني هذا التاج هندوسي(٢) إلا أن أحد الكتّاب ينفي هذا تماماً فيقول :(لم يسهم في فكرته ولا هندي واحد , فهو ليس بناء هندوسياً من أوله إلى آخره , هو بناء إسلامي خالص)(٣), في حين ادعى سليمان الحاكم البريطاني لمنطقة أود سنة(١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م) أن التصميم الحقيقي لتاج محل هو للمهندس الفرنسي استين د. بوروكس , وزعم فنسنت في كتابه تاريخ الفن الجميل بأن مهندس تاج محل هو رجل اسمه جرونيمو فيرو نيو , ويذكر بورجيس أن أحد نبلاء الفرس اسمه علي مردان خان انضم إلى السلطان شاهجهان فأكرمه هو الذي وضع تصميم تاج محل , في حين ذكر أحد الكتّاب في مقالة نشرت في أحدى المجلات الهندية أن المصمم هو الأستاذ أحمد لاهوري الذي منحه السلطان شاهجهان أعلى وسام في الدولة , وفي كتاب منتخب اللباب يذكر أن مكرمت خان ومير عبد الكريم وإسماعيل الرومي هم الذين بنوا تاج محل , إلا أن الراجح هو أنه تم إسناد مهمة التصميم الأساسية من قبل السلطان شاهجهان للمهندس التركي عيسى أفندي والمهندس محمد سيازي خان, فوضعا تصاميم البناء إذ كان المهندس التركي عيسى أفندي المسؤول الأول عن تصميم المبنى, أما محمد خان من شيراز وعبد الغفار من مولتان كانا من مخططي المشروع(٤) المشروع(٤) بينما كان المسؤول عن النواحي الفنية والتصميم الداخلي قادر زمان خان وهو من

---

(١) **الندوي ,الهند في العهد الإسلامي , ص٣٨٤ ؛ ديورانت , قصة الحضارة , ص٣٩٤-٣٩٥ ؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص ص٢٠٨-٢١٦ .**

(٢) **النمر , تاريخ الإسلام , ص٢٥٢ -٢٦٢ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين , ج٢ , ص١٨٩ ؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٢٠٨-٢١٦ .**

(٣) **ديورانت , قصة حضارة الهند , ص٣٩٤ .**

(٤) **النمر , تاريخ, ص٢٥٢ -٢٦٢ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين, ج٢ , ص١٨٩ .**

الجزيرة العربية , وبالفعل بدأ العمل في البناء عام(١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م) وانتهى سنة(١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م) وشارك في البناء حوالي اثنان وعشرون ألفاً من عمال ومهندسين وبالداخل مسجد وقصر للضيافة استغرق بناؤهما خمس سنوات , استعمل في بناؤه أكثر من أربعين نوعاً من الأحجار الكريمة , ويحوي على أربع منارات وهي لا ترمز لشيء معين إنما مجرد ديكور , ونجد بداخله بوابة جميلة مزخرفة غاية في الإبداع الفني مزينة بسورة ﴿ يس ﴾ بالخط الفارسي , وفي سنة(١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م) نقلوا رفات الإمبراطورة ممتاز محل من جنوب الهند ووضعت في مركز المبنى على حسب التصميم الهندسي وعندما اكتمل بناؤه طلب السلطان شاهجهان من المهندسين اللذين قاما بالبناء عدم بيع فنهما لأحد من بعده , ومنهم من قال إنه تم قطع أيدي العديد من أشهر الحرفيين الذين شاركوا في التصميم والبناء ترهيباً وخوفاً من تقليده أو نقل أفكاره التصميمية الرائعة , وبعد وفاة السلطان دفن في البناء نفسه إلى جانب زوجته, وقال البعض إن السلطان شاهجهان لم يكن ينوي أن يجاور زوجته في القبر وإنما كانت نيته بناء تاج محل آخر من الرخام الأسود ليكون ضريحاً له , وكان المظهر الخارجي للتاج يشبه الجوهرة؛ لأن شاهجهان كان يحب الحجارة الكريمة ويحب أن يضع بنفسه تصاميم مجوهراته[1] .

ومن عجائب هذا المبنى كذلك بناؤه على خاصية النظير التام فكل جزء نقش أو قبة أو مئذنة على اليمين يوجد لها نظيرها التام على اليسار والضريح ينعكس كلياً على جدول الماء الأمامي , ويتغير تاج محل بتغير فصول السنة وأوقات اليوم , فالزهور تظهر بعد الفجر بلون وردي وخلال مدة الظهيرة بلون أبيض ناصع ثم تتحول إلى اللون الرمادي قبل الغروب , وتاج محل عمارة بيضاء صافية من الرخام والجرانيت , ويتغير لون المبنى الخارجي بحسب تغير أشعة الشمس الساقطة ودرجة الحرارة من اللون الأبيض إلى النيلي والبنفسجي , أما الضريح فهو عبارة عن قاعة يحيط بها حاجز مثمن من الرخام, وقد وضع في وسطهما تابوت ممتاز محل , وإلى يساره تابوت شاهجهان , وكلاهما مدرج رائع الزخرفة , وقد نقشت على تابوت ممتاز محل عبارات بالفارسية , وأسماء الله الحسنى , وكتب تاريخ وفاتها سنة (١٠٤٠ هـ/ ١٦٣٠م) وكتب الآية الكريمة﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .﴾[2] وقوله تعالى﴿ كل نفس ذائقة الموت﴾[3] على أن هذين التابوتين الفخمين ليسا إلا رمزين أما المقبرة

---

(1) **الندوي ,الهند في العهد الإسلامي , ص٣٨٤ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٥٢ -٢٦٢ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٨٩ ؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٢٠٨ -٢١٦ ؛ ينظر ملحق رقم١٦ .**

(2) **سورة الزمر , آية ٥٣ .**

(3) **سورة آل عمران , آية ١٨٥.**

الحقيقية فتقع أسفل الصخرة تحت الموقع نفسه(١), وضريح تاج محل مصفح بالمرمر الناصع البياض, في حين أن البناءين أمامه وخلفه من الحجر الأحمر, وهذا يؤدي إلى إبراز الضريح بمرمره الأبيض وهو مشيد على مسطبة مربعة طول ضلعها حوالي ٥٠ متراً , وفي كل من أركانها مئذنة قاعدتها مدمجة في جسم المسطبة , وكل مئذنة ذات ثلاثة طوابق يفصل بين كل طابق رفوف , وهي دائرية التخطيط , وعلى المئذنة قبة قطرها عشرون متراً , تحملها ثمانية عقود ترتكز على ثمانية أعمدة رشيقة , أما الضريح نفسه فمقام في وسط المسطبة وطول كل ضلع من أضلاعه حوالي ٢٥متراً , وتعلو بناء الضريح قبة بصلية ضخمة فوق رقبة طويلة , وتَحُفّ برقبة القبة قباب أربعة , وسطح البناء من الداخل على هيئة قبة نصف كروية وهي القبة الداخلية التي تعلوها القبة الخارجية البصلية(٢) ومن الجدير بالذكر أن الأضرحة الضخمة في الهند في عصر المغول قد اشتملت على أربع مآذن في زوايا الضريح كعناصر جمالية تضفي على الضريح شموخاً ورونقاً , وتاج محل من الأضرحة التي بها أربع مآذن عالية على شكل مخروطي ارتفاع كل واحدة منها نحو أربعين قدماً (٣) وبهذا الوصف العام لهذه التحفة الرائعة التي لا يوجد لها نظير في العالم استحقت أن تكون إحدى عجائب الدنيا السبع مما يجعلها مفخرة الهند بلا منازع.

العمارة المدنية

تعد العمارة المدنية بشكل عام من أقل العمائر الإسلامية التي وصلتنا عدداً إذا ما قورنت بالعمائر الدينية أو الحربية, إذ إن الإنسان لا يجد حرجاً من هدم منزل أو قصر وإعادة بنائه بطريقة أحدث أو أكثر راحة , وما أسرع وتيرة تطور طرز وأنماط العمارة المدنية عكس المساجد التي يسارع الناس إلى ترميمها إذا ما أصابها أي تلف أو الأضرحة التي يجد كثيرة من الناس(٤) حرجاً من هدمها أو تخريبها لاسيماً أنها عادة ما تكون في أطراف المدن أي بقاع غير مطلوبة للسكن, أما القصور والمنازل فعادةً تبنى على ضفاف الأنهار أو وسط المدن أو الأماكن الجميلة المطلوبة , ولذا يكون هدمها أسرع(٥)

– القصور

(١) **الندوي ,الهند في العهد الإسلامي , ص٣٨٤ ؛ النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٥٢ –٢٦٢ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٨٩ ؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٢٠٨ –٢١٦ ؛ ينظر ملحق رقم ١٧ , ١٨ .**

(٢) **الطريحي , أطلس الخطوط , ج١ , ص١٣٥ .**

(٣) **علي , تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند , ص٢٨٩ .**

(٤) **علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور , ص١٣–٧٠ .**

(٥) **علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور ..., ص١٣–٧٠ .**

التخطيط العام للقصور وأبرز أنواعها

اختلفت تخطيطات القصور في الهند بشكل عام بحسب الوظيفة التي تؤديها , فكانت هناك الدواوين الملكية والتي انقسمت بدورها على دواوين عامة ودواوين خاصة مختلفة في تخطيطها حسب الدور الذي تؤديه , فتتكون الدواوين عادةً من مساحة مستطيلة وبصدر هذه المساحة توجد منصة السلطان التي كان يجلس عليها ويتقدم الديوان العام فناءً واسعاً محاطاً بسور مرتفع لوقوف الناس واستعراض الأفيال والأحصنة التي تهدى للسلطان , أما القصور السكنية لاسيما قصور السلاطين فتتكون من الأفنية والقاعات والغرف والمطابخ , في حين تستعمل القصور الترفيهية« الاستراحات» للأقامة والسكن أيضاً, إلا أن السمة الغالبة عليها هي التسلية والترفيه وهي تقسم على عدة أنماط منها قصور الأبراج المثمنة , وهذا النوع شاع استعماله في القلاع حيث تبنى الاستراحة فوق برج عالٍ, وهو مخصص لجلوس السلطان مع زوجاته والتطلع خارج القلعة على المناظر البديعة , وهناك نوع يسمى بالقصور المائية والتي تبنى داخل حوض كبير من الماء , بحيث يبدو القصر كجزيرة وسط ماء , وأيضاً يوجد ما يسمى بالقصور الموسمية والتي تكون مخصصة للسلطان في مواسم معينة كموسم المطر , وهناك نوع من القصور يكون مخصصاً للاحتفالات والجلسات الخاصة , وتخطيط هذا النوع عبارة عن قاعة وسطى على جانبيها غرف صغيرة , وعادةً تتوسط هذه القاعة نافورة كبيرة أو مجرى مائي , والدعائم والعقود والنوافذ والأبراج(١).

اهتم سلاطين امبراطورية المغول في الهند بتشييد القصور لولعهم الشديد بذلك , فقد اشتهرت الهند بكثرتها وجمالها إذا ما قورنت ببعض الأقطار الإسلامية , تميزت عمارة القصور المغولية بوجود النافورات –الفوارات– بأشكال هندسية بديعة والتي غالباً ما تتوسط القصر, وكذلك وجود القباب والجواسق فوق الأبراج أو فوق زوايا البناء عادة أربعة في كل ركن جوسق , وقد تكون القباب هرمية الشكل تشبه الأقبية المتقاطعة , كما استعمل النوع المعروف باسم القباب البنغالية وهي القباب المتعددة المركز, أي لها أكثر من قمة أو أربع قمم(٢), وقد أمر السلطان بابر الخواجة قاسم المهندس بتعمير بعض القصور لعماته , وأمره أيضاً ببناء عدة مبانٍ بجانب النهر, وبنى قصراً من الحجارة لخلواته الخاصة بين الحرم والحديقة وأربع غرف في البروج الأربعة من القصر, وأمر بإنشاء البرك , وهذا يدل على أن عصر السلطان بابر القصير لا يخلو من تشييد العمارات والمباني , كما أسهم السلطان همايون بالتطور المعماري قبل أن ينشغل بغزواته , فقد بنى المدينة التي أطلق عليها اسم« دين بناه » في دلهي وأقام السلطان همايون

---

(١) م , ن , ص٢٢٥-٢٣٧

(٢) م , ن , ص١٣-٧٠ .

قصراً فخماً مكوناً من سبعة طوابق تحيطه الحدائق والبساتين , فقد وضع حجر الأساس بنفسه في حفل ضم رجال الدين والأشراف والأمراء والجنود الذين أسهموا أيضاً بوضع حجر الأساس وطبقاً لما جرت عليه العادة في مثل هذه المناسبات فإن الشعراء قد نظموا مقطوعات الشعر التي أرّخت لهذا الحدث ورفعوها إلى السلطان , ومن أبرز العمارات التي بناها السلطان همايون كانت مجموعة العمارات التي شيدها وسماها«خانة طلسم» أو « بيت السحر » على ضفة نهر جمنا , وهي على ثلاثة أقسام تسمى « خانة مراد» و«خانة سعادت»و« خانة دولت » وكانت خانة مراد أكبر هذه الثلاثة , ومكونة من طابقين وعلى هيئة مستديرة مثمنة الأضلاع وفي وسطها خزان للمياه , ويحتوي على قاعة علوية نصب فيها سرير من ذهب فرش بأبسطة ومفارش من الحرير المطرز , أما خانة سعادت فتقع في الوسط وهي أيضاً مثمنة ولكنها أصغر من الأولى بالحجم , وتحتوي على حجرة عليا فرشت فيها سجادة للصلاة كما كان يوجد فيها عدد من الكتب واللوحات والصور, أما البناية الثالثة دولت خانة فلم تكن على هيئة الشكل المثمن وتوجد في الدور العلوي منها قاعة اتخذها السلطان همايون مجلساً لتصريف مهمات الدولة وهذه القاعة كانت مزينة بأنواع الأسلحة مثل السيوف العربية المرصعة بالجواهر والدروع المذهبة والخناجر , فضلاً عن هذه العمارات الثلاثة فقد بنى السلطان همايون عدداً من القصور(١) أبرزها قصر روان الخشبي المتحرك ذو الطبقات الثلاث وهو من أبرز وأحدث أعماله الإبداعية , وقد رُكّبت أجزاؤه بمهارة فائقة حتى لتبدو وكأنها قطعة واحدة وضُعت السلالم التي تؤدي إلى الطابق العلوي, بحيث كان من اليسير فكها وإعادة تركيبها وكان القصر مزيناً بمختلف الألوان وكانت ستائره مستوردة من أوربا , وكانت تعلو القصر قبة ذهبية(٢) , ويعد السلطان أكبر أكثر السلاطين بناء للقصور ففي مدينة فتح بور سيكري(٣) التي كان السبب في تأسيسها هو أن السلطان أكبر لم يكن يعيش له أبناء ذكور, فدله الناصحون على شيخ عابد جبل سيكري يسمى الشيخ سليم ليطلب نصحه وعلى أثره رزق بابنه جهانجير(٤), فارتاح السلطان لهذه البقاع فقرر أن يشيد فيها

---

(١) الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج ١ , ص٦٤ , ٧٩-٨١ .

(٢) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٥٣ , طقوش ؛ تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ٢١١؛ الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج ١ , ص٨١ .

(٣) Smith, Vincent Arthur , Akbar Great Maghul(1542-1605) , (Clarendon 1919) Press, 433.

للمزيد من المعلومات عن مدينة (فتح بور سكري) ينظر : Rizvi, Saiyid Athar Abbas,Fatehpur Sikri ,(Archaeological Survey of India – 1972), 20-80.

(٤) .Ikram , Muslhm Civilization in India ,145.

مدينة وكان ذلك سنة(٩٧٩هـ/ ١٥٧١م) , إلا أنه هجرها سنة (٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م) ولم تسكن هذه المدينة منذ ذلك الحين , وقد ترك فيها السلطان أكبر العديد من القصور , ولعل هجر السلطان أكبر لهذه المدينة وعدم سكن أبنائه فيها من بعده كان سبباً في عدم بقاء هذه القصور على حالتها الأصلية , أي كما تركها السلطان أكبر؛ لأن أحداً من أبنائه لم يجرِ عليها أي تعديل , وكانت قوتها ومتانتها سبب آخر في صمودها بمرور الزمن وعوامل التعرية عليها وأغلبها بحالة جيدة , ومن أبرز هذه القصور: قصر الديوان العام , وقصر الديوان الخاص , وقصر الإمبراطورة جودا زوجة السلطان أكبر, وقصر الإمبراطورة مريم زوجة السلطان أكبر, وقصر الأحلام ومجالس الاستجمام والترفيه , قصر بنش محل , أما عن أبرز القصور في عهد السلطان جهانجير القصر الأحمر ويقع في قلعة أكرا,ولا توجد أية نقوش تاريخية داخل القصر تدلنا على تاريخه الدقيق , وقد حدث خلاف بين علماء الآثار حول من بنى هذا القصر[١] , إذ إن من الثابت أن السلطان جهانجير قد سكن هذا القصر وهو أمير, والخلاف هو هل أن السلطان أكبر بناه لابنه الأمير أم أن الأمير بناه لنفسه ؟ وهو الأرجح[٢].

ومن القصور التي بنيت في زمن السلطان جهانجير قصر برج الياسمين وهو بمثابة استراحة أو قصر صغير فوق قلعة أكرا , وقد سكن هذا القصر الصغير الإمبراطورة نورجهان زوجة السلطان جهانجير , كما سكنتها بعد ذلك أرجمند بانو زوجة السلطان شاهجهان , أما عن القصور التي بُنيت في عهد السلطان شاهجهان فشهدت تطوراً فنياً وهندسياً وأصبحت لها بصمة جمالية تميزها عن القصور في باقي العصور والتي منها قصر خاص محل بدلهي بالقلعة الحمراء , ويتكون هذا القصر من ثلاثة أجزاء رئيسة هي : تسبيح خانة قاعة العبادة , وغرف النوم , وغرف الاستقبالات الخاصة وغرفة الجلوس , وقصر رائج محل وهو أيضاً داخل أسوار القلعة الحمراء , فقد تم إنشاؤها مع القلعة الحمراء ومن ضمن هذه المجموعة قصر الديوان العام وهو قصر الاجتماعات العامة ليكون مقراً لاجتماعاته العامة بالأمراء وبالوفود المختلفة كما, أنشأ قصر الديوان الخاص وهو للاجتماعات الخاصة بالسلطان , وقصر ساوان داخل القلعة الحمراء , وقد أنشأ هذا القصر ليكون استراحة لحديقة حياة بخش لاسيما في موسم الأمطار, إذيجلس السلطان داخل السقيفة لمشاهدة الأمطار وهي تسقط في الحديقة , ومن هنا اشُتِق اسمه وهو ساوان وساوان هو أحد الشهور في موسم المطر في التقويم الهندي , وجميع هذه القصور بالقلعة الحمراء تم إنشاؤها في تاريخ واحد وهو مابين سنة(١٠٤٩-١٠٥٨هـ/ ١٦٣٩-١٦٤٨م) , و قصر شاهجهان في قلعة أكرا وتم إنشاؤه سنة(١٠٤٦ هـ/ ١٦٣٦م) , أي بعد وفاة زوجته بخمس

---

(١) **علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور...... , ص١٣-٧٠ .**

(٢) **Rustam.J. ,Masterpieces of Indo-Islamic Architecture,37 علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور....., ص١٣-٧٠ .**

سنوات , وهذا القصر هو الذي حبس فيه السلطان شاهجهان , وحددت إقامته بحيث لا يغادره وذلك بأمر ابنه أورانجزيب مع توفير كل وسائل الراحة والرفاهية والجواري(١) فقد بقي فيه ثماني سنوات لا يسمح له بالمغادرة حتى وفاته سنة(١٠٧٦هـ/١٦٦٥م) , ويوجد قصر يسمى قصر البنات, وأخيراً قصر تاج محل ويقع هذا القصر إلى الشرق من ضريح تاج محل والذي تم إنشاؤه بين سنة(١٠٤١-١٠٥٧هـ/ ١٦٣١-١٦٤٧م) , وقد أمر السلطان شاهجهان بإنشاء هذا القصر في مواجهة ضريح ممتاز محل حتى يجلس فيه بجوار محبوبته ويسترجع الذكريات الجميلة التي قضاها مع زوجته أرجمند بانو(٢)

- **المارستانات (المستشفيات) :**

اعتنى الإسلام بصحة الأبدان , وحث على الاستشفاء ومعالجة الأمراض , وكان من أثر ذلك اهتمام السلاطين ببناء المارستانات وتوفير ما يحتاج إليه من أطباء وأدوية وأدوات طبية , لذلك حظي بناء المارستانات في الهند باهتمام كبير لاسيما إبان العصر الإسلامي , فيذكر أن السلطان فيروز تغلق أول من بنى المارستان في الهند حيث بنى مارستانات خمسة , رتب فيها الأطباء , وأجرى عليهم أرزاقهم وأودعها العقاقير, وكان في العاصمة دلهي وحدها سبعون مارستان في عصر السلطنة دلهي , زيادة على تأسيس المارستانات , تأسست دور للعجزة , فيذكر العّلامة الندوي قائمة طويلة بأسماء المستشفيات والمؤسسات الخيرية(٣)

واهتم سلاطين المغول بإنشاء المارستانات أو ما يسمونها بـ« دار الشفاء» لعلاج الفقراء والمحتاجين , ويبدو أن إنشاء المستشفيات من قبل السلاطين هو تقليد قديم سار عليه سلاطين الهند, فقد أمر السلطان محمود شاه خلجي بإنشاء دار للشفاء وصيدلية , حيث عرف عنهم صناعة الأدوية , وأكثر من اهتم بإنشاء المستشفيات والمارستانات من بين المنشورات في دستور أمل عند جلوسه على العرش إذ أكد فيه على إقامة دور الشفاء في كافة أنحاء البلاد فقد كانت المارستانات تقتصر على أكرا ولاهور ودلهي فقط وتزويدها بالأطباء على أن تقوم الدولة بالإنفاق عليها , فتصرف الغذاء والدواء للمرضى بالمجان(٤) وقرر أن يجعل في كل مارستان طبيباً مسلماً وآخر هندوسياً وجراحاً , وأدوية مركبة وعقاقير, ويتاح العلاج فيه للكل على مختلف طبقاتهم ومكانتهم سواء كان مقيماً أو مسافراً, حراً أو مملوكاً , وضيعاً أو شريفاً , أما في عهد السلطان أكبر فقد أنشأ العديد من المارستانات أبرزها بمدينة أكبر آباد , والثاني في مدينة فتح

---

(١) **علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور............, ص٩٩-١٧٧ .**

(٢) **م. ن , ص٩٩-١٧٧**

(٣) **الهند في العهد الإسلامي , ص٣٧٥-٣٧٧ .**

(٤) **Rezavi , Disease and Medicine in india((Physicians as Professionals in=**
=Medival India)) , 46-47 ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين, ج٢ , ص١٦٦ .

بور سيكري , بناه من الحجارة المنحوتة , وفيه دور للمرضى ولا تزال آثاره باقية إلى الآن , كما بنى أبو الفيض بن المبارك بالقرب من بيته مارستان يحتوي أغذية للمرضى على مختلف طبقاتهم فضلاً عن الأدوية(١)وهناك العديد من الفرمانات الملكية التي كانت تحث على إنشاء وترميم المستشفيات في مدن الهند , ومنها دار الشفاء الذي بنيّ سنة(١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م)(٢) وفي عهد السلطان شاهجهان شُيّدَ مستشفى في دلهي لعلاج المسافرين والطلاب , وشُيّدَ أيضاً مستشفى في أحمد آباد حيث عين السلطان شاهجهان الحكيم مير محمد هاشاني والغرض الرئيس من تشييده هو لعلاج الفقراء , ويُدفَع لأطباء تلك المستشفيات أجوراً يومية من الخزانة « بيت المال» , وكانت هناك مستشفيات خاصة تم إنشاؤها من قبل أصحاب النفوذ , ففي عهد السلطان جهانجير شيد كل من سيف خان والحكيم علي مستشفيات من هذا النوع(٣).

- **الحمامات :**

عرف المسلمون الحمامات منذ وقت مبكر فقد أشتهرت بغداد بكثرة حماماتها , أما في الهند فعند دخول المسلمين إليها أكثروا من بناء الحمامات وفي عهد المماليك خاصة أصبحت منتديات اجتماعية يلتقي فيها الناس زيادة على وظيفتها الأصلية وهي النظافة التي حثت عليها جميع الأديان السماوية كشرط أساسي للمتعبدين, وجاءت تسمية(الحمّام) من حَمّ الماء أي تسخينه ولا يكون الحمّام حمّاماً إلا باستعمال الماء الساخن,أما الاستحمام بالماء البارد فكان يسمى «الاغتسال»(٤)

لقد تميزت الهند في عهد إمبراطورية المغول الإسلامية بتشييد الحمّامات , فقد أنشأ السلطان بابر العديد منها(٥), وأيضاً اشتهرت بما يعرف « غسل خانة » أي مبنى الاستحمام وهي عبارة عن مبنىً يقع في مواجهة النهر, وعلى يسارها صالة أنيقة فسيحة فيها نقوش ذهبية وترتفع عن الأرض بحوالي أربعة أو خمسة أقدام, وكان يجلس السلطان مع خاصته وفي وسطها يجري نهر, وعلى يمينها يوجد حمام يحتوي على مغسل ساخن ومغسل بارد , وعلى حجرة للملابس علق على حيطانها عدد من المرايا المستوردة من سوريا, وكان في أرضية المغسل الساخن نتوءٌ مستطيل مرتفع عن الأرض في وسطها ويشبه المصطبة وكلها من المرمر ومطعمة بمختلف

---

(١) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٧٥-٣٧٩ .

(٢) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣٧٥-٣٧٧ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص٤٠١ .

(٣) Rezavi , Disease and Medicine in india((Physicians as Professionals in Medival India) , 49.

(٤) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ ص ٥٨ ؛ كونا (وكالة الأنباء الكويتية) , الحمّامات في العصر الإسلامي -٢٠٠٦ .

(٥) مكي , أيه أي , الحدائق المغولية في الهند , مجلة الشندغة , مارس- ابريل ٢٠٠٥ , العدد ٦٣

الجواهر والأحجار الكريمة , أما المغسل البارد فقد كان في وسطه حوض مربع تحيطه قناة يجري فيها الماء[١] ومن أشهر الحمّامات التي شيدت حمام السلطان جهانجير بقلعة أكرا الموجود أمام قصره, وهذا الحمام عبارة عن حوض مستدير ضيق من الأسفل وجوانبه تتسع كلما اتجهنا إلى الأعلى , قطره من الأسفل حوالي ٥ أمتار ومن الأعلى ٦ أمتار وهو منحوت في الحجر من قطعة واحدة , وعلى أحد جوانب الحوض توجد ثلاث درجات مرتفعة عن الأرض حوالي ٦٠سم, وداخل الحوض كذلك درج بارز على جانب الحوض في مقابل الدرج الخارجي منحوت للنزول إلى قاع الحوض ومزخرف من الخارج على شكل مستطيل كتب عليه اسمه, والراجح أنه شيّد في عهد والده لأن النص لم يعطِ جهانجير لقب شاه أو سلطان أو امبراطور ,ومن الحمامات أيضاً الحمام الامبراطوري في القلعة الحمراء بدلهي أنشأه السلطان شاهجهان ليكون حمامه الخاص وكان ذلك في مدة مابين سنة(١٠٤٩-١٠٥٨هـ/ ١٦٣٩-١٦٤٨م) يطل هذا الحمام على فناء مبلط بالرخام مرتفع عن أرضية القلعة بحوالي متر ولذا يصعد إليه بدرج , ويوجد به بابان كل باب ٢×١متر يؤدي كل باب إلى حجرة, وهناك وجهة رئيسة له تؤدي إلى قاعة مستطيلة , ويتكون الحمام من قاعة استقبال وغرفة باردة وغرفة ساخنة وخزان ماء أسفله فرن لتسخين الماء , وأرضية القاعة تتوسطها مصطبة بارزة من الرخام الأبيض المطعم بالرخام الملون , ليستلقي عليها السلطان[٢].

- **الحدائق المغولية في الهند**

قام المغول ببناء الحدائق في جميع أنحاء البلاد؛ لتكون مجلبة للمتعة أو لتكون مقراً مؤقتاً إذا قاموا بزيارة عابرة لإحدى الجهات , وقد أقيمت هذه الحدائق على درجة كبيرة من الإسراف والمبالغة في فخامتها وعلى مساحات شاسعة , وفيها ممرات وأحواض للزهور وقنوات للمياه وبنايات للسكن[٣], وقد حظيت الحدائق المغولية باهتمام كبير على كونها موضوعاً لدراسة تاريخية اكتسبت الكثير من الرعاية في كل جانب من جوانبها وتحليل أحوال إنشائها سواء كانت عامة أو خاصة , والحدائق المغولية تنقسم على أربعة أنواع : حدائق النزهة أو المتعة وهي من الحدائق التي تكون أصغر حجماً في الغالب , والحدائق الملكية وهي بمثابة مسكن ترفيهي تحيط به الحدائق يستخدمها السلطان في رحلاته , والحدائق التي تحيط بقصور السلاطين[٤] , وحدائق

---

(١) **الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج ١ , ص٨٨ .**

(٢) **علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور......, ص٩٧-١٤٥.**

(٣) **الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج ١ , ص٩١ .**

(٤) **Rezavi, Syed Ali Nadaeem, Proceeding of Indian History Congress, ((Exploring The Mughal Grdens at Fathpur Sikri)), Aligarh- 1998 , 895.**

الأضرحة أو الجنائزية كما يسميها المغول , وهي التي تحيط بالأضرحة والتي من أشهرها حديقة ضريح السلطان همايون في دلهي, وحديقة ضريح السلطان أكبر في أكرا , وحديقة ضريح السلطان جهانجير , وحديقة تاج محل(١) .

وكانت الأزهار والنباتات والأشجار تحظى بالإعجاب واهتمام أغلب سكان الهند , حيث توجد إشارات كثيرة للحدائق تضمنتها الديانات الهندية السابقة , وأول من أنشأ الحدائق والبساتين في الهند السلطان علاء الدين الخلجي(ت: ٧١٥هـ/١٣١٦م), إذأنشأ ما يقرب الثلاثين حديقة في دلهي , ثم قام السلطان فيروزشاه بإصلاح الحدائق التي تركها السلطان علاء الدين , وتأسيس مجموعة كبيرة أخرى التي لم يُبقَ منها ولا واحدة , ومن أبرز الحدائق المغولية في عهد السلطنة هي« باغ بولدي و باغ دلكشاه وباغ جنار(٢) وباغ شمال وباغ بهشت» ومعنى كلمة باغ الحديقة أو الروضة , لكن عندما تولى السلطان بابر بدأ ببناء حدائق في مدينة أكرا والتي من أبرزها حديقة تسمى كل أفشان, وكان فيها العديد من الأشجار والفواكه المثمرة التي دخلت للهند لأول مرة , وكذلك حديقة « رام باغ», وهي من أقدم الحدائق في الهند التي لا تزال موجودة إلى يومنا هذا(٣).

وقد أمر السلطان بابر بإنشاء هذه الحديقة بعد انتصاره على رانا سنغا(٤) وكذلك حديقة « جهار باغ » أنشأها السلطان بابر في مدينة أكرا , حيث أقيمت على مساحة مربعة تقريباً , وهي محاطة بسور عبارة عن حائط عريض ولها أربع بوابات كبيرة , وقسمت مساحة الأرض على أربعة أقسام متساوية , وفي كل واحد من هذه الأقسام بنيت نافورات وقنوات المياه التي تستمد ماءها من أحواض أو من آبار حفرت لهذا الغرض(٥), وصمم السلطان بابر حدائقه لتكون مقاومة للحرارة والغبار , وفيها جداول ونافورات على أبعاد منتظمة , وعرف عن السلطان بابر بولعه بحفر الآبار والأنهار وغرس الأشجار , وهو أول من رتب الحدائق على أسلوب جديد , وقسمها على أقسام كثيرة , حيث كان يزرع الحدائق في كل قصر ومحافظة وكتب ما يقرب من

Rezavi, Syed Ali Nadeem, The Growth of Civilizations in India Iran, , (Iranian)influen on medieval Indian Architecture)), 1

(٢) بابر , مذكرات بابرشاه ووقائع فرغانة , ص١٧٤ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين , ج٢ , ص٥٨ .

(٣) الندوي , الهند في العهد الاسلامي , ص٣٤٥ -٣٤٦؛ الساداتي , تاريخ المسلمين, ج٢ , ص١٨٠ .
؛ Schimmel, Annemarie , The Empire of the Great Mughals : History .Art . and Culture ,23-24

(٤) Rezavi, Proceeding of Indian History Congress , ((Exploring The Mugal Grdens at Fathpur Sikri)) , 896

(٥) الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج ١ , ص٩١-٩٢.

ثلاثين صفحة في مذكراته عن الحدائق ووصفها وذكر ما فيها من أنواع الزهور والحيوانات المختلفة[١].

كان السلطان همايون يشبه أباه في حبه للحدائق؛ وبسبب نضاله الطويل مع شيرشاه لم تُتَح له الفرصة لإشباع هوايته الفنية هذه , فقد امتاز عهده بإنشاء حديقة جميلة رائعة , هي تلك الحديقة المتصلة بضريحه , والتي لا تزال حتى اليوم آية من آيات الجمال والروعة[٢].

أما السلطان أكبر فقد صمم حديقة ضخمة قرب إحدى البحيرات أسماها نسيم باغ وقدم في كتاب ائين أكبري وصفاً مفصلاً لأعداد النباتات والأزهار[٣]. وعندما أمر السلطان أكبر ببناء مدينة فتح بورسيكري , صمم لها مجموعة بساتين وحدائق في محيط المدينة ومركزها , بل وقام بإنشاء حدائق خارج المدينة يصل عددها إلى تسع وعشرين حديقة خارجية , أما الحدائق داخل المدينة فيصل عددها إلى عشرين حديقة , فضلاً عن حفر الآبار بالقرب منها لتزويدها بالماء , وهذه الحدائق تكون مزينة بالمنصات والنافورات في وسطها[٤] ومن الحدائق البارزة في الهند الحديقة التي أنشأها نواب محمد قلي خان بأرض كشمير, حين كان والياً عليها ما بين سنة(٩٩٦-١٠١٠هـ/١٥٨٧-١٦٠١م) في عهد السلطان أكبر, فهو أول من اخترع التلقيح في الأشجار فلم يكن أهل الهند يعلمون طريقته من قبل؛ وصار ذلك سبباً لازدياد الفواكه كماً ونوعاً ، كما شغف السلطان جهانجير شغفاً بالغاً بالحدائق وتنسيقها بل بتزويدها بكل نبات جديد , مما لم تكن تعرفه الهند لذلك بنا العديد من الحدائق أيام شبابه, ومن أبرزها حديقة نور باغ التي أنشأها بالقرب من مدينة أكرا وكلفت ما يقرب من مائتي ألف روبية[٥]

كما شيّد آصف خان شقيق نور جهان حديقة نيشات باغ الجميلة في كشمير على عهد السلطان جهانجير , وكانت تلك أكثر الحدائق المغولية بهرجة وذلك بنوافيرها وأزهارها[٦].

وحين زار السلطان شاهجهان كشمير عرج على حديقة آصف خان فسحرته بشرفاتها وإطلالاتها الرائعة, وقرر أن تكون له مثل هذه الحديقة الفريدة , لهذا أبدى إعجابه بالحديقة صراحة أمام

---

(١) الندوي , الهند في العهد الاسلامي , ص٣٤٥ -٣٤٦ ؛ الطريحي , أطلس الخطوط, مج ١ , ص٢٤؛ الامبراطورية المغولية , منتديات شبكة التاريخ العام .

(٢) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول, ص٥٨ , طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية , ص٢١ .

(٣) الساداتي , تاريخ المسلمين, ج٢ , ص١٨٠ ؛ مكي , مقالة(الحدائق المغولية في الهند)

(٤) Rezav,i Proceeding of Indian History Congress , ((Exploring The Mughal Grdens at Fathpur Sikri)) ,896-897.

(٥) الندوي , الهند في العهد الاسلامي , ص٣٤٥ -٣٤٦ , الساداتي , تاريخ المسلمين, ج٢ , ص١٨٠؛ الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج ١ , ص٩٢ .

(٦) الندوي , الهند في العهد الاسلامي , ص٣٤٥ -٣٤٦ الساداتي , تاريخ المسلمين, ج٢ , ص١٨٠ .

آصف خان شقيق زوجته ثلاث مرات متوقعاً منه أن يعرضها عليه هدية بلا تردد , غير أن آصف خان بقي صامتاً , فلم تطاوعه نفسه أن يتخلى عن حديقته للسلطان , فما كان من السلطان شاهجهان إلا أن أمر غاضباً بقطع مدد الماء عن الحديقة نيشات باغ انتقاماً من صاحبها, وبذلك فقدت الحديقة جمالها وحزن آصف خان حزناً شديداً عليها , وذات يوم جلس بجانب إحدى السواقي مهموماً من حال حديقته ثم غط في نوم , إلى أن أيقظه خرير الماء وما كاد يصدق ما رأى, إذ عادت النوافير بمياهها مرة أخرى؛ والسبب أن أحد خدمه المخلصين جازف بحياته وتحدى أوامر السلطان مزيلاً حاجز المياه من الجدول , وما كان من آصف إلا وبخه على تهوره وأمره بأن يغلق الجدول سريعاً , غير أن الخبر وصل إلى السلطان الموجود في حدائقه المجاورة , وطلب من السلطان شاهجهان إحضار ذلك الخادم, إليه وبدلاً من إيقاع العقاب أمر السلطان بمنح الخادم وشاح الشرف جزاءً له على إخلاصه لسيده , فقرر السماح بعودة المياه للحديقة, وتوجد حديقة شاليمار باغ الشهيرة على ضفاف إحدى البحيرات , وقد سميّت على اسم قرية تجاورها ,وضع السلطان جهانجير مخططها ,تتخلل الحديقة سواقي الماء وتظللها أشجار ضخمة , والحديقة على ثلاثة أجزاء :حديقة خارجية , وحديقة وسطى للسلطان حصراً, وحديقة ثالثة للامبراطورة و رفيقاتها وأغلب هذه الحدائق تطل على البحيرات[1] , وحديقة حياة بخش باغ وهي حديقة موجودة داخل أسوار القلعة الحمراء بدلهي أنشأها السلطان شاهجهان مع إنشائه للقلعة بين عامي(١٠٤٩-١٠٥٨هـ/١٦٣٩-١٦٤٨م) وهي مستطيلة الشكل طولها من الشمال إلى الجنوب ٢٠٠متر ومن الشرق إلى الغرب ١٤٠متراً , وفي الجهة الغربية منها وفي وسطها تقريباً وعلى بعد حوالي عشرة أمتار يوجد حوض ماء كبير عبارة عن مربع طول ضلعه ٢٥متراً وعمقه حوالي ٣أمتار متصل بثلاث قنوات مائية كبيرة تصب فيه , فالقناة الأولى تتجه ناحية الشمال , والقناة الثانية تتجه ناحية الجنوب , والقناة الثالثة تتجه ناحية الشرق , وهذه القنوات عرضها حوالي ٦أمتار وعمقها ٤٠ سم بداخلها نافورات مخروطية الشكل من الحجر الأحمر , وتقسم الحديقة على قسمين شمالي وجنوبي, وكل قسم مقسم على أربعة أحواض بداخلها الأشجار والزهور المختلفة , وقد أنشأ السلطان شاهجهان في هذه الحديقة قصرين قصر في جهة الشمال يعرف باسم ساوان , وقصرٌ في جهة الجنوب يعرف باسم بهادون , وساوان وبهادون هما اسمان لشهرين من موسم المطر في التقويم الهندي , أما حديقة أنجوري باغ فتسمى بحديقة العنب؛ وذلك لأنها كانت مليئة بأشجار العنب , أنشئت في عهد السلطان شاهجهان سنة(١٠٤٦هـ/١٦٣٦م)مع القصر بأكرا, وهي مستطيلة الشكل طولها من الشمال إلى

(١) Parihar, Subhash, Some Aspects of Indo-Islamic Architecture (Abhinav Publications-1999) , 76,89-140 ؛ مكي , مقالة (الحدائق المغولية في الهند) .

الجنوب ٨٠متراً , ومن الشرق إلى الغرب ٥٠ متراً نصل إليها عن طريق مدخل موجود في منتصف ضلعها الغربي عبارة عن فتحة معقودة ارتفاعها ثلاثة أمتار واتساعها ٢,٥متر, وتحيط الحجرات بالحديقة من كل جانب في طابقين وهي نوعان: حجرات كبيرة وحجرات صغيرة , الكبيرة تحتوي على أحواض للاستحمام كانت مخصصة للجواري والمحظيات والموظفين المسؤولين بالقصر , أما الصغيرة في الأطراف فكانت مخصصة للموظفين الصغار والخدم والعمال , وتتوسط الحديقة فوارة مربعة الشكل طول ضلعها ستة أمتار وجدرانها مدرجة إلى أسفل لتنتهي في وسطها بحوض مربع ٢×٢ متر يفور منها الماء وهي مبنية من الرخام الأبيض وفيها زخارف هندسية ملونة , تحاط هذه الفوارة بمماشٍ مبلطة بالأحجار عرض الممشى نحو خمسة أمتار , وعرفت هذه الحديقة بكثرة أشجار العنب المثمرة [١], وحديقة شارباغ وهي الحديقة التي توجد حول ضريح تاج محل , وتحتوي على ممرات ذات أشجار, وتصميم الحديقة مستوحىً من الحدائق الفارسية التي أدخلها إلى الهند السلطان بابر[٢], واستهوت حدائق كشمير بفتنتها الأمراء البابريين جميعاً فكانوا يسارعون إليها في كل صيف طلباً للانتجاع والمتعة , حتى أقاموا على غرارها بلاهور حديقة « شاليمار» حاكوا بها نظيرتها في التبت بأشجارها وجداولها وشلالاتها ومدرجاتها[٣], وهي تقع على ضفاف بحيرة أنشأها السلطان شاهجهان عندما كان أميراً قبل أن يعتلي العرش وعندما اعتلى العرش زاد في تجميلها وأضاف إليها بعض المباني والبرك والأحواض وخزانات المياه وبعد هذه التحسينات تغير اسمها إلى« فرح بخش » وخصصت كلها لكي تكون منتزهاً ومنتجعاً للحريم السلطاني[٤]. ومن مميزات الحدائق في عهد السلطان شاهجهان هي إحاطتها بالغرف التي لربما كانت لتغيير الملابس , ووجود بعض الحيوانات للتسلية[٥]

ساحة الصراعات :

وهي ساحات ينشئها السلاطين بالقرب من القصور في الجهة الغربية من الديوان الخاص, وتسمى ساحة الصراعات بـ« الماشيني بهوان » وهي ساحة تستخدم في العروض الخطيرة مع

---

(١) علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور ... , ص١٤٨- ١٥٨ .

(٢) ينظر ملحق رقم ١٩ .

(٣) الساداتي , تاريخ المسلمين.., ج٢ ص٣١٧-٣١٨ ؛ مكي , مقالة الحدائق المغولية في الهند
Schimmel, Annemarie , The Empire of the Great Mughals : History .Art . ,and Culture ,283.

(٤) الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج ١ , ص٩٣ .

(٥) Rezavi, Proceeding of Indian History Congress, ((Exploring The Mughal Grdens at Fathpur Sikri)) ,899-901.

الحيوانات المفترسة, حيث يصارع فيها الأبطال المتمرسون الأسود والنمور وهي عادة يحبها كثير من السلاطين والأمراء الهنود, كما كانت تستعمل أيضاً في تنفيذ الأحكام الصادرة ضد بعض المجرمين بالإعدام بأن يُطْلق على كل مجموعة من الخارجين على القانون مجموعة من الأسود وأحياناً كان يعطى المحكوم عليه سيفاً ودرعاً, ثم يصارع أسداً فإذا غلب الأسد وقتله أفرج عنه , إذ إن السلاطين كانوا يقدرون البطولات, وكانوا حريصين على حضور هذه الصراعات , وينعمون بالكثير من الهبات على الأبطال المنتصرين, وفي بعض الأحيان حرصت بعض زوجات السلاطين على حضور هذه الصراعات , مثل السلطانة نورجهان التي كانت مشهورة ببطولتها وفروسيتها , وكانت تجيد الرمي بالقوس والرمح , وقد أمرت بتشييد منصة لها بالفناء الذي يتقدم الديوان الخاص تشرف بها على هذه الساحة, حيث كانت تتابع بعض الصراعات وتمنح العطايا للأبطال والمنتصرين , وساحة الصراعات هي ساحة مستطيلة أبعادها من الشمال إلى الجنوب ٧٠ متراً , ومن الشرق إلى الغرب ٥٠ متراً , وتتكون ساحة الصراعات من مساحة وسطى مكشوفة أبعادها من الشمال إلى الجنوب ٥٥ متراً , ومن الشرق إلى الغرب ٣٥متراً تطل عليها الحجرات والبوائك من كل ضلع, وهي من طابقين كل طابق يتكون من ١٦حجرة فيها أبواب مستطيلة ٢×١متر ومثلها في الطابق الثاني من حيث عدد الحجرات , وفي الطابق الثاني توجد مقصورة بارزة عن سمت المباني بحوالي ثلاثة أمتار تشرف على الفناء , وهي مخصصة لجلوس السلطان, أما عن الوظيفة التي يؤديها ذلك العدد الكبير من الحجرات سواء في الطابق الأرضي أو العلوي, فإن بعضها كان يستخدم كحظائر للأسود والنمور حيث إن بعض غرف الطابق الأرضي مغلقة ولها فتحات أبواب مصفحة بالحديد , وهناك غرف مخصصة للمحكوم عليهم بالإعدام والسجناء وهي غرف مجاورة لغرف الأسود والنمور , مما يؤلف عقاباً نفسياً لهم قبل إلقائهم إلى هذه الوحوش المفترسة , وبعض هذه الغرف كانت مخصصة للقائمين على خدمة هذه الوحوش وبعض الحراس المسؤولين عن[1] حراسة هذه الساحة , أما غرف الطابق العلوي فكان يوجد فيها الجنود والموظفون المسؤولين عن إدارة هذه الساحة, ولم تكن هذه الساحة مقصورة على عقاب المجرمين أو على استعراض الأبطال المحاربين , بل أن بعض السلاطين ومنهم السلطان أكبر كان يصارع النمور والأسود والفيلة وأشدها شراسة ويحاول صيدها, كما أن السلطانة نورجهان هي الأخرى كانت تنبري لصراع أشد الكواسر فتكا[2].

العمارة الحربية :

---

(1) علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور... , ص١٧٣-١٧٥.

(2) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٦١, ١٧٨ ؛ علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور........ , ص١٧٥.

العمارة الحربية هي أهم فروع العمارة الإسلامية في الهند , أُنشِئَت للأغراض الدفاعية والحربية؛ من أجل حماية حدود وأطراف الدولة من أية مخاطر داخلية أو خارجية , وتعد العمارة الحربية نوعاً من الدروع المعمارية الضخمة , أما في الهند فقد تنوعت العمائر الحربية الإسلامية ما بين القلاع الكبيرة والحصون الصغيرة وأسوار المدن وبواباتها, وهذه القلاع والحصون تميزت بالكثير من العناصر المعمارية والسمات التي اختلفت من عصر إلى آخر, والتي تميزت عن مثيلاتها في الدول الأخرى لاسيما الأبراج والأسوار وغيرها من عناصر العمارة الحربية , التي تميزت بفخامتها وضخامتها[١].

القلاع والحصون

القلاع هي مبنىً كبير يشتهر بأسواره العالية وأبراجه الضخمة نسبياً , يوجد بداخلها العديد من المرافق التي تساعد على الصمود لأوقات الحصار كمخازن للذخيرة والطعام ومسكن للجنود وآبار لحفظ الماء وسكن للسلطان ومسجد للصلاة فضلاً عن السجون والمعتقلات , وصلتنا الكثير من القلاع والحصون الأثرية التي ترجع لعصور مختلفة , بداية من عصر الدولة التغلقية, فقد كان السلطان فيروز شاه يبني القلاع في كل المناطق التي يتوجه إليها ومن أشهر القلاع التي أنشأها قلعة فيروز شاه وقلعتي فيروز آباد و فيروز يور وقلعة بورانا التي تنسب إلى شيرخان الأفغاني في الهند , وأكملها السلطان همايون , وهي تشبه إلى حد كبير قلعة أكرا وقلعة دلهي, أما في عهد الإمبراطورية المغولية الإسلامية فكان من أشهر القلاع قلعة أكرا, إذ تقع وسط المدينة على ربوة مرتفعة أنشأها السلطان أكبر بين عامي(٩٧٣-٩٨١هـ/ ١٥٦٥-١٥٧٣م) وهو أول عمل فكر فيه السلطان بعد انتقاله من دلهي إلى أكرا والتي سميت بعد ذلك «أكبر آباد»؛ لتكون مقراً لعرش الهند ونتيجة لبنائها بالحجر الأحمر الرملي سميت بـ«القلعة الحمراء »[٢] وقد بنى الحصن بداية الأمر من الآجر , ولكنه أعاد بناءه مرة ثانية من الحجر الأحمر المنحوت, وقد تم بناء هذا الحصن تحت إشراف أمير البحر « مخلص خان », واستمرت عملية البناء ثمانية أعوام , وكان طول السور الذي يحيط به ثلاثة آلاف ياردة أما عرضه فكان عشر ياردات , وحول هذا الحصن حفر خندق عرضه عشرون ياردة وعمقه عشر ياردات ويملأ من نهر جمنا , وكان لهذا الحصن أربع بوابات رئيسة واثنتين صغيرتين , وكانت مكاتب الموظفين بداخل الحصن وكذلك الأسواق والقصر السلطاني وهذا القصر يحتوي على قاعتين للاجتماعات , وللحصن أربع بوابات تقع إحداها في الجهة الشمالية بينما توجد الثانية في غربي السوق وفي داخل هذه البوابة كانت تقع

---

(١) العمارة الإسلامية أحد المظاهر الحضارة التي ميزت التاريخ الإسلامي , مقالة تصدرها جريدة البيان – دبي ٢٠١١م .

(٢) بخشي , المسلمون في الهند , ج١ , ص١٩٠ ؛ علي , قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ص١١, ٢٥٥

المحكمة أو بيت القاضي وتجاه بيت القاضي كانت توجد محكمة أخرى تنعقد ثلاث ساعات في صباح كل يوم للفصل في المنازعات , وخلف هاتين البوابتين كانت تقع الثالثة وقد نصب عليها تمثالان لاثنين من راجات الهنود, وبعبورها يدخل الزائر شارعاً لطيفاً تحفه من الجانبين المنازل التي تتخللها الترسانات والمعدات الحربية , وفي نهاية الشارع توجد البوابة الرابعة التي توصل إلى المقر الإمبراطوري وهذه البوابة كانت دائماً مغلقة وكان موقعها من الجهة الجنوبية وتسمى « بوابة أكبر » والبوابة الخامسة تقع بجوار النهر وكان السلطان يوزع العطايا على الناس الذين يتجمهرون أمامها, وأمام هذه البوابة كانت توجد الساحة التي تنعقد فيها مبارزات بين الفيلة والأسود وغيرها من الحيوانات , وبعد عبور البوابة الثالثة يصل الإنسان إلى قاعة فسيحة تتصل بغرفة الحرس وحول غرفة الحرس يظل القواد بحسب رتبهم في تأهب واستعداد يدوم سبعة أيام , وعلى مسافة من هذا المكان توجد قاعة أخرى حولها أيضاً سور من حديد ولايسمح بدخولها إلا لمن تقتضيه الضرورة وبعدها توجد قاعة أخرى حولها أيضاً سور ويعلوها برج , وهنا يوجد مرتفع فيه قاعة يتربع فيها السلطان على عرشه, ولم يكن يسمح بدخول قاعة العرش هذه إلا للقواد الذين يرأسون أربعمائة فارس على الأقل , وفي نهاية قاعة العرش والتي كانت تسمى« الحضرة » علقت أجراس ذهبية[1].

بعد ذلك قام ببناء حصنين واحداً بعد الآخر الأول في لاهور , والآخر في اله آباد , أما قلعة لاهور فقد بنيت على طراز قلعة أكرا , كما شيد السلطان حصوناً كثيرة أبرزها حصناً منيعاً في مدينة أجمير سنة (٩٧٩هـ/١٥٧٠م)[2], وفي عهد السلطان أورنجزيب أضاف إلى أسوار القلعة سوراً آخر أقل ارتفاعاً, وتعد قلعة أكرا أكبر القلاع الإسلامية في بلاد الهند وتخطيطها العام قريب من النصف دائرة ومن الحصون المشهورة حصن شاهجهان أو ما يسمى بـ« القلعة الحمراء » ويوجد هذا الحصن بمدينة دلهي بمنطقة شاهجهان آباد,ومنشئ هذه القلعة السلطان شاهجهان سنة(١٠٤٩هـ/١٦٣٩م) , ويمكن مقارنتها بقلعة أكرا ,إذ تشبهها في جميع صفاتها باستثناء الشكل العام, وتخطيطها على هيئة مستطيل وليس نصف دائرة أو ثلاث أرباع الدائرة[3], وحصن شاهجهان أو القلعة الحمراء هي مجموعة من المباني, ومحاطٌ بحائط جميل بني من الأحجار الرملية الحمراء المنحوتة , وتعلوه بعض الشرفات وهي مطلة على نهر جمنا وهي محاطة من جميع جوانبه بخندق , ويتصل بهذا الخندق حديقة , ألوان ورودها منسقة مع لون حائط القلعة , وهناك عند مدخل البوابة الرئيسة تمثالان من الفيلة يعلو كلاً منهما راكبٌ[4] أما

(١) **الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج ١ , ص٨٣-٨٤ .**

(٢) **م , ن , ص٦٦ .**

(٣) **علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور والاستراحات , ص٢٥٥-٢٥٦ .**

(٤) **الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج١ , ص٨٧-٨٨ .**

بقية القلاع في الهند فأغلبها مستطيل أو مربع , وهذه الصفة هي الغالبة على القلاع سواء كانت قبل العصر المغولي أو خلاله[١].

أما الحصون فهي تشبه القلاع من حيث الشكل ومن حيث احتوائها على ثكنات للجند وغير ذلك لكن الحصون تتميز بوقوعها على قمة جبل عالٍ قد يكون قريباً من مدينة ما لكنه لا يتصل بها, وإن كان الغالب أن الحصون تقع على قمم الجبال العالية ذات الطبيعة الإستراتيجية المتحكمة بالمنطقة التي يقع فيها , وغالباً ما يقوم السلاطين ببنائها وشحنها بالجند والعتاد بشكل مستمر؛ استعداداً للحرب مع الأعداء وصدهم , ولا يخلو جبل عالٍ إلا ويوجد على قمته حصن من الحصون[٢].

- **الأسوار والأبراج :**

تعد الأسوار من أهم المنشآت الحربية التي اهتم السلاطين بتشييدها لحماية مدنهم ودفاعاً عن أملاكهم , والسور مفرد كلمة أسوار, وهو بناء يرتفع عن سطح الأرض يحيط بالمدينة كلياً ولاسيما إذا ما علمنا بأن أغلب المدن بنيت في السهول والوديان أو يحيط بها جزئياً كما في المدن التي تبنى في المناطق الجبلية وغالباً ما تستند على جبل عالٍ أو تل مرتفع يحميها من أحد جوانبها , وتبنى الأسوار في الغالب بإحدى المواد الثلاث : الأحجار ولاسيما في المدن الجبلية , الآجر أو الطين , ويكون سمك السور وارتفاعه مناسباً لموقع المدينة, لذلك يختلف من مدينة إلى أخرى وتدعم كل سور على مسافات محددة تتراوح بين١٥–٤٠م أبراج متنوعة منها المربع والمستطيل ونصف الدائرة وثلاثة أرباعها , وتتميز هذه الأبراج بارتفاعها عن مستوى ارتفاع السور, وكذلك باحتوائها على عدد من العناصر الدفاعية كالمزاغل بأنواعها والسقّاطات والممشى بجدرانه الساترة وغيرها من العناصر التي يتم الدفاع بوساطتها عن المدينة[٣].

ومن أشهر الأسوار الهندية هي أسوار قلعة فيروز شاه التي لا يزال جزء منها موجوداً , وأسوار قلعة بورانا التي بناها شيرخان , أما عن أشهر الأسوار في عهد امبراطورية المغول الإسلامية في الهند هي أسوار قلعة أكرا التي أنشأها السلطان أكبر وهي ذات مستويات دفاعية عالية , ومن الأسوار المشهورة أيضا سور القلعة الحمراء بدلهي وأسوار مدينة شاهجهان آباد , أما الأبراج فتعد من العناصر المعمارية المهمة في العمارة الحربية في الهند , إذ إن كل مدينة هندية تشتمل على قلعة من هذه القلاع مزودة بعدد ضخم من الأبراج بأشكالها المتعددة سواء المثمنة أو المستديرة أو النصف دائرية أو ثلاثة أرباعها , وتتميز الأبراج الهندية في العصر المغولي

---

(١) **علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور والاستراحات , ص٢٥٥–٢٥٦ .**

(٢) **عثمان , د.محمد عبد الستار , المدينة الإسلامية , (عالم المعرفة – الكويت ١٩٨٨م) , ص١٢١–١٢٤ ؛ منتديات ستار تايمز , العمارة العسكرية في الإسلام (أسس العمارة الحربية) – ٢٠١٠م .**

(٣) **عثمان , المدينة الإسلامية , ص١٢٤–١٣٠ .**

بانقسام كل برج على ثلاثة أقسام « طوابق» القسم السفلي مصمت , أما القسمان الأوسط والعلوي فكل قسم من غرفة تشرف على الخارج بمزاغل , أما الأبراج الموجودة على جانبي البوابات فتكون أكثر ارتفاعاً وتكون غالباً مصمتة بالكامل باستثناء الجزء العلوي منها , إذ توجد غرفة تطل على الخارج بمزاغل أو فتحات للمدافع وعادة تتوج هذه الغرفة بقبة , ومن الجدير بالذكر أن بعض الأبراج لاسيما الأبراج الموجودة على جانبي البوابات كانت تزخرف بأشكال دخلات صماء معقودة وأشكال زخارف هندسية وزخارف ملبسة بالرخام الملون على الحجر الرملي الذي يعد المادة الأساسية في بناء القلاع, وأحياناً كتابات مثل (توكلت على الله) , وأحياناً تعلوا الأبراج جواسق أقل قطراً من سطح البرج كما في بوابة لاهور بقلعة دلهي[١] .

- **البوابات**

كانت مدينة دلهي مدينة محاطة بالحيطان والأسوار, وقد بقيت بعض هذه البوابات حتى الآن وهي تعرف بكشميري غيت ولاهوري غيت وتركمان غيت ودلهي غيت , هذه البوابات كانت تغلق في الليل ويعين عليها حراس مسلحون , فقد كان لا يمكن لأحد أن يدخل المدينة على الرغم من أنهم من سكان المدينة أنفسهم[٢] .

وتميزت البوابات والمداخل في القلاع والحصون بالتحصين الشديد حتى أن الداخل إلى بعض هذه البوابات عليه أن يجتاز عدة تحصينات منيعة وخنادق مائية و فنائين , إذ إن عليه أن يعبر جسراً فوق خندق ماء , ثم يدخل ساحة محاطة بالأسوار المزودة بالمزاغل , ومعظم بوابات القلاع والحصون في الهند كانت مغلقة بمصاريع خشبية مصفحة بالحديد أو البرونز, ولها ترابيس معدنية ضخمة , وأحياناً تكون البوابات منزلقة مشدودة بالحبال على بكر حديدي إلى الأعلى, بحيث تقطع الحبال إذا ما حدث أي هجوم فتنزلق البوابة المصفحة لتسد فتحة المدخل , وتجعل اقتحامها شبه مستحيل , كما في بوابة دلهي بقلعة أكرا , أما بالنسبة لبوابات المدن فهي أقل منعة وتحصيناً إذ إن أغلبها يحمل الطابع المدني , لذا نجد تحصيناتها كما هو الحال في بوابة كابل« بوابة شيرشاه السوري» وكذلك بوابة دلهي وبوابة تركمان بمدينة شاهجهان , وأحياناً تكاد تكون عديمة التحصين, وتركز فقط على الجمال المعماري والفني كما في بوابة داوود خان[٣].

(١) علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور والاستراحات, ص٢١-٣٤ , ٧٠ , ٢٥٨ .

(٢) الندوي , الآثار التاريخية في الهند , ص٥١ .

(٣) علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور والاستراحات والحمامات الأثرية , ص٢٦٠-٢٦٢ .

الحياة الاجتماعية في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند

اتسمت الحياة الاجتماعية في الهند بتشعبها وتنوعها؛ بسبب كثرة الأعراق واللغات والثقافات المتعددة الموجودة فيها؛ وكذلك بسبب تعرضها لغزوات كثيرة جلبت لها هجرات من شعوب مختلفة اندمجت مع السكان الأصليين(١), وعلى الرغم من ذلك لم تحظَ الحياة الاجتماعية في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند باهتمام المؤرخين, فقد اقتصرت كتاباتهم على حياة الحكام والسلاطين وأعمالهم وفتوحاتهم , وما يتصل بذلك من حياة الولاة والقواد وأعمالهم , فلم يلتفتوا إلا نادراً إلى الكتابة عن شعوب هذه البلاد وأحوالها الاجتماعية بشيء من التفصيل يُذكر باستثناء ما كتبه أبو الفضل بن المبارك , مؤرخ السلطان أكبر ووزيره(٢).

المبحث الأول

طبقات المجتمع

يتميز المجتمع الهندي عن غيره من المجتمعات , بتعدد العقائد والأديان واللغات ,كما أنها تنفرد بنظام طبقي, تكثر بداخله العادات والتقاليد التي لا حصر لها , إذ تنبثق عنه العديد من الطوائف , فقد حدد الدين القواعد ورسم الحدود ونظم العلاقات لكل طبقة , حيث ينقسم المجتمع على عدة طبقات ثابتة لا تتغير هي الطبقة الأولى : طبقة البراهمة أو رجال الدين وهي الطبقة العليا في المجتمع, والبراهمة كلمة تطلق على الطائفة المفضلة في المجتمع(٣) , والطبقة الثانية : طبقة الكشتريا«الجنود» وتضم هذه الطبقة الجنود المحاربين والفرسان الأقوياء وقواد الجيش والأشراف ومنهم الملك , وتقع عليهم مسؤولية الدفاع عن الوطن والدين , والطبقة الثالثة : طبقة الفيشيا «التجار وأصحاب الحرف» وتعد هذه الطبقة من الطبقات الوضيعة في المجتمع والمحرومة من الكثير من الحقوق , والطبقة الرابعة : طبقة العبيد والرقيق وهي طبقة المنبوذين وتتكون من القبائل التي لم تعترف بسمو البراهمة وأسرى الحروب ومن يقع عليه الجزاء , ومن أبرز نتائج هذه الطبقية الصارمة وراثة الجمود الاجتماعي, إذ لا يمكن الانتقال من طبقة إلى أخرى والخضوع التام لما تفرضه العادات والتقاليد والعرف والدين على أفراد كل طبقة من وظائف اجتماعية, ويتفاوت على أساس هذا التقسيم أفراد المجتمع في المركز الاجتماعي والحرية الشخصية والسياسية , وهذا لا يعني أن هذه الطبقات لم تخضع للتطور تبعاً لأحوال الحياة الاجتماعية واختلاف الديانات والعقيدة(٤), وعندما دخل الإسلام للهند حمل معه المساواة الإنسانية

---

(١) الفقي , بلاد الهند في العصر الإسلامي , ص٢١٨ .

(٢) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص٣٠٨ .

(٣) المسعودي , أبو الحسن علي , مروج الذهب ومعادن الجوهر, تدقيق أسعد داغر , ط٤ (دار الاندلس – بيروت –١٩٨١) ,ج١ , ص٩٣ .

(٤) البيروني , تحقيق ما للهند... , ص٤٢٩ ؛ الساداتي , أحمد محمود , تاريخ الدول العربية بآسيا=

التي لم يكن للهند عهد بها , فلا نظام طبقات ولا منبوذ ولا نجس بالولادة ولا جاهل يُحرم عليه التعليم , يعيشون معاً ويأكلون جميعاً , وقد كانت صدمة عنيفة للذهن , والمجتمع الهندي , ولكن لا شك أنها أفادت الهند كثيراً , ولَطّفت من شدة النظام الطبقي السائد, وكان باعثاً قوياً على رد الفعل ضد النظام الطبقي , و حافزاً للدعاة إلى الإصلاح الاجتماعي(١) .

وقد وجد هؤلاء في الإسلام الطريق الأمثل والمنهج المتكامل الذي يربط العبد بربه من دون وسيط , إذ لا طبقات ولا فوارق طبقية ولا تمايز عنصري بين طبقة وأخرى بل أن المجتمع قائم على ضمان حياة الفرد والجماعة في مختلف أقطارها الاجتماعية والسياسية والتربوية والقانونية والدينية وهو في صميم منهج أخلاقي أكد على قيمة الفرد بصرف النظر عن لونه وديانته , إذ قدّم الإسلام للبشر عقيدةً ومنهاج حياةٍ قائم على أساس التوحيد الخالص(٢).

أما المجتمع في ظل امبراطورية المغول الإسلامية في الهند , فقد قال عنه السلطان بابر عن أفراد سكان الهند بأنهم لا يكوّنون علاقات اجتماعية حميمة فيما بينهم , ولا توجد ألفة متبادلة , وليس فيهم نبوغ أو سعة في التفكير أو أدب في السلوك , وليس من خُلُقِهم العطف والود الإنساني , وتنقصهم البراعة والابتكار, وليس لديهم المعرفة أو الحذق في التصميم أو العمارة , وربما آراء السلطان بابر عن سكان الهند كان سببها أن المدة التي عاشها السلطان بابر في الهند لم تكن كافية لتمكنه من التعرف على أخلاق الهنود الحقيقة , وعلى عاداتهم وتقاليدهم وآرائهم لهذا يجب أن نأخذ آراءه عن الهند ولاسيما ما قاله عن الشعب الهندي بحرص شديد. في حين صنف همايون سكان مملكته تصنيفاً دقيقاً , وأقام نظاماً محكماً للشرائح الاجتماعية للدخول عليه وأنشأ وحدد(٣) أياما خاصة لمقابلتهم , وكانت الأولى هي شريحة« أهل السعادة » وتشمل الفقهاء والأتقياء وعلماء الدولة , أما الثانية «أهل الدولة» وتشمل أقارب السلطان ووزرائه والنبلاء وقواد الجيش ، والثالثة « أهل المراد» فكانت تشمل الموسيقيين والمغنين ورواة القصص «الشعراء» وأهل الفن والذوق , وإذا كانت هذه الشريحة تعتمد في حياتها على الهبات التي يمنحهم إياها

=وحضارتها , مكتبة النهضة – القاهرة –١٩٨٧) , ص٢٢؛ خطاب , محمود شيت , الهند قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه , ط٤ (دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت –١٩٩٠م) , ص٤٥ ؛ أبو النصر محمد عبد العظيم , تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب , (شركة نوابغ الفكر) , ص٣٥ .

(١) الندوي , المسلمون في الهند , ص١٥–١٦ .

(٢) الجندي , أنور, الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ,(دار الكتاب – ١٩٨٧) , ص٩ ؛ درويش , العوامل الذاتية لانتشار الإسلام في الهند , ص٤١

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٣٥–٣٦

السلطان فقد كانت مهمتها إدخال السرور على نفس السلطان عن طريق الأغاني والموسيقى(١) أما في عهد السلطان أكبر فقام أبو الفضل بتصنيف المجتمع الهندي في كتابه آئين أكبري في طبقات أربع , الطبقة الأولى : هم رجال الجندية , والطبقة الثانية : أصحاب الحرف والتجار , والطبقة الثالثة : العلماء وفيهم الفلاسفة والأطباء والمشتغلون بالرياضيات والفلك , والطبقة الرابعة : الزراع والعمال(٢) , وكان السلطان أكبر يتعامل مع الطبقات الدنيا من المجتمع بكل ود واحترام ولا يفرق بين الطبقات , وينفق الأموال الطائلة إحساناً لاسيما على الطبقات الدنيا , وكان يتقبل منهم عطاياهم اليسيرة بوجهٍ مبتسم فيتناولها ويضمها إلى صدره , مع أنه لم يكن يفعل ذلك مع أفخر الهدايا التي كان يقدمها له الأشراف(٣) وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على تسامحه ورقة قلبه حتى أراد أن يصلح مواطن الخلل في المجتمع الهندي ويقضي على الطبقية والتعددية الدينية التي أدت إلى اتساع الفوارق الاجتماعية, وكما قام السلطان أكبر بإصلاحات اجتماعية؛ لأنه كان شديد العناية برفاهية رعاياه من الهنود ، فبذل جهده لكي يرفع عنهم ما نزل بهم من ضيم , وعمل على القضاء على المفاسد والعيوب التي كانت تشوب المجتمع الهندي , فمنع زواج الأطفال , ودعا لمحاربة التمييز بين الطبقات(٤).

- **مكانة المرأة في عهد امبراطورية المغول الإسلامية في الهند :**

على الرغم من أن بلاد الهند ذات حضارة عريقة راسخة , تتميز بطابع العلم والتمدن , والثقافة , منذ أقدم العصور , ولكننا إذا أمعنا النظر نرى أهل بلاد الهند كبقية الشعوب التي كانت في الزمن الغابر تعامل المرأة عندهم , بمنتهى القساوة , ويُنظَر إليها نظرة الاحتقار إذ تتخذ المرأة مملوكة ، وينزل الرجل منها منزلة المالك . أو المعبود ، وهي محتوم عليها ، أن تظل مملوكة لأبيها بكراً ، ولبعلها زوجة ، ولأولادها أماً وكان الهنود يحرمون المرأة من جميع الحقوق الملكية , ومن الإرث , وكان الشعب الهندي يعتقد أن المرأة هي مادة الإثم وعنوان الانحطاط الخُلقي, والروحي ولا يُسلَّم لها بوجود الشخصية المستقلة كإنسان كامل(٥) فقد فقدت المرأة الهندية إنسانيتها وتحولت إلى متاع من أمتعة البيت , قد يخسرها زوجها في القمار , ويحرم عليها الزواج بعد موته وقد تضطر لحرق نفسها , وكان الهنود ينادون بتزويج بناتهم ثلاثة أيام , فإن لم يقبلها أحد

---

(١) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٣٥-٣٦ .**

(٢) **الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص١٤٦ , نقلاً عن أبي الفضل , آئين أكبري .**

(٣) **ديورانت , قصة الحضارة , ج٣ , ص١٣٧ ؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٦٩ .**

(٤) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٩١ نقلاً عن أبي الفضل , آئين أكبري .**

(٥) **فضل الله , مريم نور الدين , المرأة في ظل الإسلام , (دار الزهراء) , ص٢٨.**

, قتلوها تخلصاً من فرد غير مرغوب فيه , وعلى العكس من ذلك فقد يكون للمرأة الهندية الواحدة عدة أزواج لجمالها أو لمالها أو منصبها[١].

ظاهرة الساتي :

وهي إحراق الأرامل على الكومة التي احترق فيها أزواجهن وهي حية[٢] بعد أن يلبسونها أفخر الثياب والحليّ , ويأتون بها وكأنها عروس في ليلة الزفاف , ثم يلقونها فوق الجثة المحترقة لتأكلها النيران , ويعد الساتي تشريفاً للمرأة الهندية ولعائلتها, وامتناعها يعد عاراً عليها وعلى أهلها , ومعنى السات أو الساتي أو سوتي « الزوجة المخلصة لزوجها» وهي من العادات القديمة للهند , وهو أمر مستحب غير واجب لكن لمن أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفاً عظيماً بذلك , ويصبحوا مشهورين بالوفاء , ومن لم تحرق نفسها , يجب عليها أن ترتدي الثياب الخشنة وتقيم عند أهلها بائسة منبوذة وممتهنة لعدم وفائها ولكنها لا تكره على إحراق نفسها, فالمرأة إذا ما تزوجت رجلاً أياً كان تظل زوجته إلى الأبد , كما برزت ظاهرة أخرى عرفت بـ« جوهور أو جوهار» وهي عادة تقضي على الرجل من أهل راجبوت , إذا ما أصابه نوع من الهزيمة , أن يضحي بزوجاته قبل أن يتقدم هو إلى الموت في ساحة القتال[٣] وانتشرت العادة في حكم المغول انتشاراً واسعاً على الرغم من كراهية المسلمين لها , ولقد فشل سلاطين المسلمين بإبطالها , فقد حاول السلطان أكبر بكل نفوذه في زحزحة هذه العادة من النفوس , فقد رفضت أحدى العرائس الهنديات طلب السلطان أكبر بالعدول عن إحراق نفسها , وتوسل إليها البراهمة بما يؤيد رجاء السلطان , لكن العروس أصرت على التضحية , وأخذت « الساتي » تقل شيئاً فشيئاً كلما ازدادت الهند اتصالا بأوربا[٤].

أما عن مكانة المرأة الهندية في العهد الإسلامي فقد حظيت بمكانة لم تحظَ بها في جميع الديانات والملل من خلال احترام الدين الإسلامي للمرأة والاعتراف بحقوقها وكرامتها ,كعضو محترم من أعضاء الأسرة الإنسانية وشقيقة الرجل[٥], فالشريعة الإسلامية هي الوحيدة التي منحت

---

(١) بخش , أثر الفكر الغربي على المجتمع المغولي , ص١٣٧.

(٢) Lal, Ruby , Domesticity and power in the Eary Mughal world ,(Cambridge University Press-2005) , 36.

(٣) البيروني , تحقيق ما للهند... , ص٤٢٨ ؛ بولو , ماركو(ت :٧٢٥هـ) , رحلات ماركو بولو , ترجمة عبد العزيز جاويد , (الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة -١٩٧٧م) , ص٢٩٧ ؛ ابن بطوطة , الرحلة , ج٢ , ص٣٢٣ ؛ ديورانت , قصة الحضارة , ص١٨٠-١٨٣؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج١ , ص٤٢ .

(٤) ديورانت , قصة الحضارة , ص١٨٢-١٨٣ .

(٥) الندوي , المسلمون في الهند , ص١٧.

منحت المرأة الكثير من الحقوق والواجبات[١], فقد حرص المسلمون على إنقاذ المرأة الهندية مما آل إليه أمرها من الهبوط والانحطاط , وأعادوها إلى مكانتها الفطرية , فلم تعد إلهاً يعبد أو متاعاً يباع ويشترى , فقد شَرّع حكام المسلمين الكثير من القوانين لإصلاح المجتمع وقد خصوا المرأة بقدر كبير من تلك القوانين منها تحريم الزواج المبكر ومنع الزوجة من إحراق نفسها «الساتي» إذا مات زوجها وأباح زواج الأرامل , لذلك اعتنقن الإسلام وتزوجن من الرجال المسلمين وأسهمن إسهاماً فاعلاً في نشر الإسلام في هذه المنطقة بعد أن تخلصن من حالة البؤس والشقاء , فقد فتحت أغلب أمهات السلاطين وزوجات أمراء المسلمين الهنود العديد من المدارس ومنهن من تولت تربية يتامى النساء وتعليمهن في القصور[٢], ففي عهد السلطنة حكمت السلطانة رضية مدة من الزمن في عهد المماليك[٣], في حين برز دور المرأة في إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند بشكل كبير , ومن أبرز النساء التي ذاع صيتها في الامبراطورية مهام أنغا مربية السلطان أكبر, والسلطانة نور جهان زوجة السلطان جهانجير, والسلطانة ممتاز محل زوجة السلطان شاهجهان , وقد سبق وأن تحدثنا عنهن وعن الدور الذي لعبنه في امبراطورية المغول الإسلامية في الهند سواء كان في المجال السياسي أو الثقافي[٤], وهذا يدحض الآراء التي تقول بأن دخول الأفكار الإسلامية كان عاملاً على تدهور مكانة المرأة في الهند , حتى عندما تزوج السلطان أكبر من بنات أمراء الهندوس لم يجبرهن على الدخول بالإسلام, بل سمح لهن بالاحتفاظ بدياناتهن والقيام بشعائر هذه الأديان داخل القصر الامبراطوري[٥].

يتضح مما سبق أن الإسلام عني عناية خاصة بالمرأة ودورها في الحياة الاجتماعية في الهند على عكس التقاليد الهندوسية التي حرمت المرأة من العديد من حقوقها في الحياة[٦] .

الزواج :

يعد الزواج من الروابط المقدسة التي تربط بين الرجل والمرأة وبين الأُسر بعضها مع البعض الآخر, لكن تختلف عادات الزواج من مكان لآخر بحسب التقاليد والعادات , وتعد الهند من أكثر المناطق في العالم التي تتميز بعادات غريبة وعجيبة في طقوس الزواج ومراسيمه, وأحياناً تكون

---

(١) فضل الله , المرأة في ظل الإسلام , ص٣٣ .

(٢) بخش , أثر الفكر الغربي على المجتمع المغولي , ص١٣٧؛ الساداتي , تاريخ الدول , ص٤٩ .

(٣) بخشي , المسلمون في الهند , ج١ , ص٧٣ .

(٤) للمزيد عن دور المرأة المغولية ينظر : Misra, Women in Mughal India – 110

(٥) ديورانت , قصة الحضارة , ص١٨٠ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية, ص١١٥-١١٦ .

(٦) المشهداني , ياسر عبد الجواد , الهند من خلال ابن بطوطة(دراسة في الجوانب السياسية والحضارية , ط١ (دار نشر المعرفة – مطبعة المعارف الجديدة – الرباط – ٢٠١١م) , ص١٢٣.

هذه المراسيم تتسم بالقساوة والتعذيب لكن بالنسبة لأهل هذه العادات هي شي عادي لابد منه , وكان على النساء أن يضعن خاتماً في جانب الأنف الأيسر يدل على الزواج , أما حفلات الزواج التي تتم في حياة الهندي فتعد حدثاً مهماً , فقد كان الأب يعد وليمة كبيرة وفاخرة ينفق من ماله الكثير بمناسبة زواج ابنته أو ابنه[١], وتعد شارة البندي– النقطة الحمراء– زينة الجبهة للمرأة الهندوسية وهي علامة دائرية تضعها المرأة المتزوجة على جبينها بين الحاجبين كعلامة لليمن والبركة ورمز للحظ الجيد , أما المرأة الهندية المسلمة فهي غالباً لا تستعمل –البندي–؛ وذلك لاعتقادها الديني بأن قدرها منذ ولادتها مخطوط على جبينها , ويجب أن لا يزاحم أي شيء هذا القدر المكتوب على الجبين[٢], وأحياناً تسمى بـ«القشقة» وقد رسمها السلطان أكبر على جبينه[٣] .

وللهنود في الزواج أنواع وعادات وتقاليد عجيبة وغريبة انفرد بها مجتمعهم دون المجتمعات الأخرى في المدة التي سبقت عصر امبراطورية المغول الإسلامية في الهند لا يسع المجال لذكرها[٤] وعادات وتقاليد الزواج عند مسلمي الهند كلها تقاليد هندوسية , فمسلمو الهند يؤدون عند زواج أبنائهم وبناتهم تقاليد هندوسية , باستثناء الدوران حول النار, فمثلاً لباس الزوجة هو نفسه اللباس الهندوسي , ويحمل الزوج سلاحاً من حديد , وحمل الحلويات وغيرها إلى بيت الزوجة قبل يوم الزواج[٥] .

أما عن الزواج الهندي في ظل امبراطورية المغول الإسلامية , فقد تميز بتعدد الزوجات بالنسبة لسلاطين المغول فلم يكن لهم عدد معين من النساء[٦],فلم يتقيد هؤلاء السلاطين بما فرضته الشريعة الإسلامية بعدد الزوجات , فيذكر لنا السلطان بابر قصة زواجه الأول فيقول: كان لعمي السلطان أحمد ميرزا والي سمرقند بنت تدعى عائشة سلطان بيكم وقد اتفق أبي وعمي وهما على قيد الحياة على خطبتها وقد تزوجتها في شهر شعبان في سنة(٨٩٥هـ/ ١٤٨٨م) , وكان شعوري ناحيتها في البداية عادياً , فقد كان هذا أول عهدي بالزواج , وفيما بعد وقع حبها

---

(١) ديورانت , قصة الحضارة , ص١٨٩ ,١٩٣.

(٢) للمزيد عن تاريخ شارة البندي وأشكالها ينظر : عبد الصمد , محمد كامل , عادات وتقاليد لدى شعوب العالم المختلفة , ط١ (مكتبة الدار العربية للكتاب – مصر –١٩٩٦م) , ج٤ , ٢٥–٢٦ .

(٣) علي , تاريخ وعمارة الدور والقصور والاستراحات والحمامات والأثرية الإسلامية في الهند , ص٣٠ .

(٤) للمزيد عن أنواع الزواج في الهند وعاداتهم فيه ينظر: وافي , د. علي عبد الواحد , غرائب النظم والتقاليد والعادات , (دار النهضة مصر للطباعة والنشر) , ص٢٤٤–٢٥٢ .

(٥) عمر , محمد , المجتمع الهندي –الإسلامي(تبادل ثقافي) , ترجمة : أورنجزيب الأعظمي , مجلة ثقافة الهند , (نيودلهي – ٢٠٠٣م) مج ٥ , العدد٣,٤ , ٧–٧٨ .

(٦) لوبون , حضارات الهند , ص٤٣١ .

في قلبي[١], ثم تزوج زينب بيكم[٢] وهي ابنة عمه أيضاً السلطان محمود ميرزا في سنة(٩١٠هـ/ ١٥٠٤م),كما تزوج من السلطانة مهيم بيكم سنة٩١٢هـ/ ١٥٠٦م التي أنجبت له السلطان همايون[٣], وهي من اقرب الزوجات إلى السلطان بابر إذ تربطه بها علاقة وثيقة جداً[٤], ثم تزوج تزوج معصومة سلطان بيكم ابنة السلطان أحمد ميران شاه ثم تزوج كلرخ بيكم في سنة بين(٩١٤-٩١٥هـ/ ١٥٠٨-١٥٠٩م) التي أنجبت ولدين هما كمران وميرزا عسكري وتزوج أيضاً من السلطانة دلدار بيكم والتي أنجبت له ميرزا هندال والأميرة كلبدن بيكم[٥],وتزوج السلطان السلطان همايون من السلطانة حميدة بانو ابنة الشيخ علي أكبر جامي, التي أنجبت له السلطان أكبر[٦], وقد اصدر السلطان أكبر بعض القوانين الخاصة بالزواج , منها « لا ينعقد النكاح بغير بغير اطلاع لأعيان الحكومة , وإن كان الزواج بين عامة الناس لابد من حضور الزوجين أمام صاحب الشرطة , وإذا كانت المرأة أكبر من الرجل باثنتي عشرة سنة أو أكثر فلا يؤذن لعقد النكاح بينهما؛ لأن ذلك يورث ضعف الرجل , ويلزم أن يكون عمر الرجل عند الزواج ست عشرة سنة وعمر المرأة أربع عشرة سنة على الأقل, ولا يؤذن لعقد الزواج ببنت العم وبنت الخال؛ لأنه سبب لقلة الميل بين الزوجين ويكون أولادهم ضعفاء , وأفتى بجواز زواج المتعة , وكان من قوانينه تحريم زواج الأطفال وتحريم إرغام الزوجة على قتل نفسها عند موت زوجها وأجاز زواج الأرامل »[٧], وعدم الزواج بأكثر من واحدة[٨] .

وأشتهر السلطان أكبر بكثرة زوجاته وخليلاته التي وصل عددهن بثمانمائة خليلية , والبعض يبرر تلك الكثرة في الزيجات على أنها مصاهرات سياسية , لتثبيت أركان عرشه وتعضيده, فكان يتودد إلى أمراء الراجبوت بالزواج من بناتهم , فبدأ السلطان أكبر يعقد أحلافاً تعتمد على الزواج وصلات النسب , وكان أول راجا قدم ابنته لتكون زوجة للسلطان أكبر هو راجا أمير واسمه «

---

(١) مذكرات بابر , ص٢٣١ .

(٢) Lal , Domesticity and power in the Eary Mughal world , 122.

(٣) كوكن , دولة المغول في الهند , ص١٤ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية , ص١٧٩.

(٤) Lal , Domesticity and power in the Eary Mughal world , 116.

(٥) Misra , Women in Mughal india , 18 ؛ كوكن , دولة المغول في الهند ,ص١٤ ؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٣٢؛ الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر), ج٥, ص٤٩٦ ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص٤٩ .

(٦) Lal , Domesticity and power in the Eary Mughal world ,101, 67.

(٧) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٥٥١ ؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٥٨ ,٦٠

(٨) بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص١٨٩ ؛ ديورانت , قصة الحضارة , ج٣ , ص١٣٧؛ الندوي , رجال الفكر والدعوة , ج٣ , ١٢٨ .

بهار مال كاشهواها»[١], وكان يرى بأن زواج المسلمين من بنات الهندوس جائز ؛ لأنهم أيضاً من أهل الكتاب بدليل أن الله تعالى قد أرسل رسلاً إلى الهند بسبب قوله تعالى﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ [٢] وقال تعالى﴿ منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾[٣] ويستدل بهاتين بهاتين الآيتين بأن الله تعالى أرسل نذيراً ورسولاً إلى الهند ولكن من ضمن القصص التي لم يذكرها القرآن لحكمة أرادها الله سبحانه[٤] ثم تزوج بابنة رجا بهاري مل في سنة٩٧١هـ/ ١٥٦٢م ولقبها مريم الزماني[٥],كما تزوج السلطان أكبر من أرملة وزيره بيرم خان[٦], وكان السلطان يضع يضع زوجاته في أجنحة منفصلة في القصر الكبير[٧] أما السلطان جهانجير فيذكر أنه كان له من المحظيات ما يقرب من الـ« ستة الآف» امرأة[٨], لكنه انصرف فيما بعد إلى زوجته ومحبوبته المفضلة نورجهان أي نور العالم[٩] التي ظفر بها بعد مقتل زوجها[١٠] والتي سبق وأن تكلمنا عنها وعن دورها السياسي , أما بخصوص عدد حريمه فأعتقد أنه رقم فيه شي من المبالغة , ومن زوجات السلطان جهانجير هي ابنة رايسنكه وهو من كبار الأمراء , والتي تزوجها عندما كان لا يزال أميراً باسم سليم[١١], أما السلطان شاهجهان فكان له من الحريم نحو ألفي امرأة وما كان ليكتفي بهذا العدد فكان يبحث عن خليلات له , إلا أن زواجه من أرجمند بانو«ممتاز محل» يعد رمزاً للزواج النموذجي المكلل بالوفاء والحب الراقي , على الرغم من أنه

---

(١) Ikram , Muslhm Civilization in India,144 ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ص٨٩.
(٢) سورة فاطر : آية ٢٤ .
(٣) سورة غافر : آية ٧٨ .
(٤) كوكن , دولة المغول في الهند , ص٤٨ .
(٥) Misra , Women in Mughal India , 59
(٦) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٠٥ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند, ص٢٢٤ , وللمزيد عن أبرز زوجات السلطان أكبر ينظر , Malleson, c.s.i Rulers of India AKBAr and the rise of the Mughal Empire , 185.
(٧) Lal , Domesticity and power in the Eary Mughal world , 153.
(٨) للمزيد عن أسماء زوجات جهانجير ينظر: كوكن , دولة المغول في الهند , ص١٠٩-١١١ .
(٩) Kauasar, Zinat , Muslim Women Medal India (Janaki Prakashan P atha – New Delhe- 1992) , 157 – 158.
(١٠) ديورانت , قصة الحضارة , ج٣ , ص١٤٦ .
(١١) بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص١٩١ .

ليس الزواج الأول للسلطان شاهجهان, فقد كانت له زوجة قبلها لم تفصح المصادر عن اسمها , أنجبت له ولدين , في حين أنجبت له ممتاز محل أربعة عشر طفلاً في ثمانية عشر عاماً[١], وهناك رواية أخرى تقول إنها أنجبت له أربعة أولاد وثلاث بنات[٢] ورأي ثالث يقول إنهم فعلاً أربعة عشر طفلاً ,بقي منهم سبعة فقط على قيد الحياة , وقد أنجبت معظم أبنائها في ساحات الوغى؛ لأنها كانت تصر على مرافقة زوجها في حملاته الحربية[٣]حزن السلطان شاهجهان حزناً حزناً شديداً قلّ نظيره على وفاتها, فتخلى عن ارتداء الثياب الملونة , وأطلق لحيته التي ما لبثت أن تحولت إلى البياض من كثرة الشيب , وامتنع عن استعمال العطور ولبس الجواهر وسماع الغناء والموسيقى حتى في الاحتفالات الرسمية[٤]

الاحتفالات والأعياد الدينية :

الهند أرض الألوان البديعة وأرض السحر والفتنة وأرض الجبال والأنهار المقدسة وأرض الآلهة الكثيرة وأرض العباد والزهاد والصوفية والنساك وأرض الديانات المختلفة وأرض الأقوام والشعوب المتشعبة ومن ثم أرض الأعياد والمهرجانات الكثيرة التي لا يخلو منها يوم ولا شهر إلا ويحتفلون بعيد أو مهرجان في ولاية ما من ولايات الهند العظيمة , وتختلف الأعياد والمهرجانات فبعضها ديني محض وبعضها ثقافي وطني , ومن المثير للدهشة أن أي مهرجان خاص بطائفة أو جماعة معينة لا تقتصر المشاركة فيه على أفراد هذه الطائفة أو الجماعة , وإنما يشارك فيه أفراد عديدون من طوائف وجماعات أخرى , فالهندوس على سبيل المثال يشاركون المسلمين في أعيادهم كما يحتفل المسلمون بالأعياد الهندوسية ذات الطابع الديني مثل عيد الألوان وعيد الأنوار [٥].

اعتادت المجتمعات الإسلامية في الهند أن تشهد كثيراً من الاحتفالات والأعياد الدينية التي يحتفل بها المسلمون , وفي تلك الاحتفالات كان الناس يضعون الزينة ويكثرون الأضواء ويعملون الولائم ويتصدقون بأنواع الصدقات , أما السلاطين فكانوا يبالغون في توزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين , فضلاً عن منح الهبات للعلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والقادة[٦], ومن أبرز الاحتفالات الدينية عند المسلمين في الهند الاحتفال بالمولد النبوي , فقد كان السلطان

---

(١) Misra , Women in Mughal india , 110 , ديورانت , قصة الحضارة , ج٣ , ص١٤٧ .

(٢) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٥, ص٥٠٢ .

(٣) الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٢٠٩ .

(٤) Sarkar , Studies in Mughal India , 27.

(٥) الرحمن , سعيد , الأعياد والمهرجانات الهندوسية في ولاية البنغال الغربية , مجلة ثقافة الهند , مج ٥٦ , العدد١ , ٢٠٠٥م , ص٢٢٧ .

(٦) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣١١-٣١٢ .

أكبر يقيم حفلاً سنوياً بمناسبة مولد الرسولﷺ , إذ يعقد مجلساً يحضره السادات والعلماء والمشايخ والأمراء ويعلن على الملأ الحفل , يجهز مائدة تكفي أغلب سكان المدينة(١) .

ومن الاحتفالات الإسلامية في الهند الاحتفال بقدوم شهر رمضان, فهو شهر صوم وعبادة للمسلمين إذ انزل القرآن فيه(٢) فمع ثبوت شهر رمضان تعم الفرحة عند جميع المسلمين الهنود فيزينون المساجد ويتصدقون ويوزعون الأطعمة(٣), فقد حظي هذا الشهر الفضيل في الهند بالتعظيم والإجلال لما له من أهمية دينية وقدسية مثل بقية أنحاء العالم الإسلامي إذ يتم استقبال هذا الشهر الكريم بالتكبير والتهليل وتقام الزينات والأنوار الخاصة بهذه المناسبة ابتهاجاً وفرحاً بليالي رمضان المباركة , وكان الاحتفال بعيدي الفطر المبارك والأضحى من أكبر المناسبات الدينية في الهند والعالم الإسلامي , إذ يخرج السلطان في حفل كبير بأبهى صورة حيث كان السلطان بابر حريصاً على أداء صلاة عيد الفطر في أصعب الأحوال التي مر بها في فتوحاته(٤) وكان سلاطين الهنود يذهبون للصلاة مع الخواص , وأرباب الدولة , والأقرباء , والكتّاب, والحجّاب والنقباء , والقواد , والعبيد , والفيلة كلها مع زينتها من الحرير والذهب والجواهر, ويرفع على رأس الجتر أي المظلة المصنوعة من الحرير المرصعة بالجواهر, يمشي بين أيديهم العبيد , والمماليك , ويمشي بين أيديهم النقباء نحو ثلاثمائة أو يزيدون ومعهم القاضي الأكبر وسائر القضاة والفقهاء , وكان كل أمير من الأمراء ينتظر السلطان في نهاية الشارع على كل طريق مع خدمه وفرسانه وطبوله وأعلامه , فإذا خرج السلطان من باب القصر لحق به جميع ما ذكرناهم ,فإذا وصل السلطان إلى باب المصلى , وقف على بابه , وأمر بدخول القضاة , وكبار الأمراء , يدخل ويصلي الأمام ويخطب , فإن كان عيد الأضحى , أتى السلطان بجمل فينحره برمح , ثم يركب الفيل ويعود إلى قصره , ويفرش القصر يوم العيد , ويزين بأبدع الزينة ,ثم تنصب خيمة كبيرة مزينة بالأزهار, ويوضع كرسي السلطان وهو من الذهب الخالص مرصع بالجواهر وترفع الجتر على رأس السلطان وعندما يجلس السلطان عليه ينادى الحجّاب والنقباء بأصوات عالية : بسم الله , ثم يتقدم الناس للسلام , فأولهم القضاة , والخطباء , والعلماء , والمشايخ ,وإخوة السلطان وأقاربه , وأصهاره , ثم أمراء العساكر , ثم كبار(٥) الأجناد , ويعرضون ويعرضون على السلطان هداياهم , فإذا فرغوا , وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم, إلا أن

(١) بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص١٤٨ .
(٢) موداك , مانوراما , الهند شعبها وأرضها , ترجمة العميد عبد الفتاح إبراهيم , (مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر– القاهرة – نيويورك– ١٩٦٤م) , ص٢١٣, ٢١٥ .
(٣) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣١٢ .
(٤) بابر , مذكرات بابر , ص١٦٠ .
(٥) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣١٠–٣١١ .

السلطان أكبر غَيّر هذه الطريقة بالاحتفال بالعيد , فقد أصبح يفعل كما يفعله الهندوس ويستحسنه , مثل رسم القشقة , وهي لطخة حمراء على جبينه يوم العيد , ويربط سلكاً من الجواهر على أيدي البراهمة , ويربط راكهي وهي عبارة عن صوف مفتل يربطونه في يوم معهود من كل سنة , ولكن السلاطين من بعده من أبنائه تركوا ذلك[١] وكانوا يتبادلون التهاني بالعيد , وبعض منها يكون على شكل أبيات شعر يذكر في المجالس بهذه المناسبة[٢] .

ويحدثنا السلطان بابر عن آداب المغول وتقاليدهم في الاحتفالات وعمل المآدب ومجالس اللهو من خلال قيامه بمهرجان عظيم شاركه جميع النبلاء من مناطق مختلفة من امبراطوريته تضمن المهرجان مأدبة ضخمة ومشاهدة قتال الحيوانات والمصارعة والرقص وأعمال بهلوانية وكذلك تبادل الهدايا فيما بينهم [٣].

وكذلك الاحتفالات بالزواج فقد احتفل السلطان أكبر بزواج بيرم خان من ابنة عمه سليمة بيكم في قندهار, إذ قام الزفاف الملكي وتم إعداد وليمة عظيمة , ووزعت الهدايا والعطايا بسخاء ابتهاجاً بهذا الزواج[٤] ومن الاحتفالات الرسمية للدولة المغولية الإسلامية في الهند تكون عادة عند تولي أحد السلاطين عرش الدولة, وهناك نوع آخر من الاحتفالات التي تتصف بالمسحة الإقليمية واتخذت طابعاً محلياً اختصت به مدينة دون غيرها من المدن الهندية , مثل الاحتفال بتولية أمير أو حاكم أو عودة قادة الحروب منتصرين , أو لشفاء شخصية ذات نفوذ من المرض , ومن الأعياد المحلية عند الهنود عيد النيروز , وهو من أشهر الأعياد والمهرجانات التي يحتفل به الهنود غير المسلمين , يعقد الاحتفال لمدة تسعة عشر يوماً كاملاً ,حيث يقيمون خيمة مذهبة كبيرة مزينة بالستائر والمصابيح الملونة يحضرها الناس من كل النواحي والأطراف ليشاهدوا ويطالعوا هذا الحفل الرائع , وكان السلطان يطلع عليهم في اليوم مرة أو مرتين ويتحدث معهم , وكان المطربون من الفرس والهنود قد لازموا السلطان , ويصطف الأمراء وأرباب الدولة في صفوف , واتخذ كل واحد مكانه بحسب درجته , ونال الجميع الإنعامات السلطانية سواء كانت جياداً أو الخُلع , أو الهدايا , وهي من الأعياد التي يحتفل بها السلطان أكبر[٥], ولم يكتفِ يكتفِ بمشاركة الهندوس بالاحتفال بأعيادهم في داخل بلاطه , بل رغب فيها العامة من

---

(١) **الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣١٠-٣١١ .**

(٢) **الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٦٣٤ .**

(٣) **بابر , تاريخ بابرشاه , ص٣٠-٣١ ؛ الامبراطورية المغولية , منتديات شبكة التاريخ العام .**

(٤) **Pant, Poonam , Role of Women in Medival India Polities (1236-1627) , (Tarun Parkashan – 2001) , 54-55.**

(٥) **بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص١٦٣ ؛ الندوي , رجال الفكر والدعوة, ج٣ , ص١٢٤-١٢٥.**

المسلمين وأصبحوا يحتفلون مع الهندوس لاسيما النساء[١] وكان من أبرز وصايا السلطان أكبر هو الاستمرار بالاحتفال بعيد النيروز ويعده من أكبر أعياد السنة , ويجب أن تزين الشوارع والبيوت بالأنوار ليلة النيروز ,كما شارك السلطان أكبر في جميع أعياد الهندوس ومواسمهم , ومن احتفالات المغول في الهند , احتفال سالكره وهو اليوم الذي يولد فيه السلطان ومعنى « سال» السنة و« كره » العقدة؛ لأنهم يعقدون في سلك الصوف المفتول عقدة في ذلك اليوم, وكان السلطان يجلس بالميزان يزنونه مرة بالذهب , وأخرى بالفضة , وكذلك بأنواع الحبوب , وهو احتفال هندوسي ويسمى أيضاً بـ« قوله دان» ويجري هذا الاحتفال مرتين في العام يزّن الواحد منهم عدة مرات في كل دورة بما يعادل ثقله من الذهب أو الفضة أو المعادن الأخرى والحبوب والأقمشة, وتوزع كل هذه القيمة على الفقراء والمحتاجين ولا فرق فيه بين المسلم والكافر[٢], حيث قام السلطان أكبر بعقد مجلس للاحتفال بوزنه وهذا المجلس ينعقد منذ ولادة السلطان كل عام مرتين أحدهما يوافق التاريخ الشمسي والآخر التاريخ القمري , وبحضور أركان الدولة وأعيان المملكة يتم الاحتفال بهذه المناسبة [٣]ويذكر أن السلطان جهانجير قام حفلة وزن ابنه خرم «السلطان شاهجهان» يوم بلوغه الرابعة والعشرين من عمره[٤], وأقام السلطان شاهجهان بحفل وزن للملا عبد الحكيم السيالكوتي بالفضة مرتين,كما وزن القاضي محمد أسلم الهروي مرة بالذهب[٥] وكانت السلطانة نورجهان زوجة السلطان جهانجير, تجمع الأميرات والعلماء والأعيان في قصرها كل عام في يوم النيروز , حيث أنشأت سوقاً خيرية سميّ بـ« سوق الشفقة » وكان يعرض في ذلك السوق الأشغال اليدوية الثمينة المحكمة الصنع, وكان زوار المعرض يشترون ما يشاؤون وعند اختتام سوق المعرض توزع وارداته الوافرة على فقراء الامبراطورية[٦] .

وكانت تقام احتفالات عند ولادة أي مولود للسلاطين , فعندما ولد الأمير سليم «السلطان جهانجير» فرح السلطان أكبر بهذا المولود فرحاً كبيراً ؛ لأنه كان محروماً من الذرية فالسلطانة مريم الزماني بقيت سبع سنوات بدون إنجاب , فأنعم على جميع الناس بإنعامات شكراً على هذه

---

(١) عمر , المجتمع الهندي –الإسلامي(تبادل ثقافي), مجلة الهند , مج ٥ , العدد ٣,٤ , ص٧٤ .

(٢) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣١١–٣١٢ .

(٣) الهند في العهد الإسلامي , ص٢٩٠–٢٩١؛ .Malleson, c.s.i , Rulers of India p 195

بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص٥٢ ؛ الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص٧٨ ؛ الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٥٨ ,٦٠ , ١٤٨ .

(٤) الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص١٧٠ .

(٥) إدريس , الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن , ص١٧–١٨ .

(٦) كحالة , عمر رضا , أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام , (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر – سوريا) ,ج٥ , ص١٩٧–١٩٨ .

النعمة , وإطلاق سراح المساجين , ونظم الحفلات السلطانية , وامتدت حفلات اللهو والمرح سبعة أيام ونظمت القصائد بهذه المناسبة وقد أنعم السلطان على جميع الشعراء الذين كتبوا القصائد , وبعد عام ولد للسلطان أكبر الأمير مراد , وأقام أيضاً حفلاً عظيماً , وحمد الله على تكاثر نعم الذرية[١]كذلك كانت تقوم حفلات لختان الأولاد ولاسيما الأمراء[٢]يقال بعد انحراف السلطان أكبر تعطلت أعياد المسلمين وانقطع الاحتفال بها في عصره[٣], وكانت أغلب الاحتفالات يقوم المصورون بتصويرها من خلال رسوماتهم , بطلب من السلاطين لتوثيق تلك الاحتفالات الملكية[٤] وكان السلاطين يتصدقون تذكاراً لشهادة الإمام الحسين بن علي‏ﷺ , وفي ليلة السابع والعشرين من رجب يزينون المساجد والمحافل , ويتصدقون تذكاراً لمعراج النبيﷺ , هذا فضلاً عن صدقاتهم السخية , فقد كان السلطان شاهجهان ومن قبله اجداده من السلاطين يتصدقون باثني عشر ألف روبية في شهر محرم ومثلها في شهر ربيع الأول , وبعشرة آلاف في شهر رجب , وبخمسة عشر ألفاً في شعبان , وبعشرين ألفاً في رمضان , فكانوا يتصدقون في تلك الأيام تسعة وسبعين ألفاً , إلا أن السلطان أورنجزيب زاد عليها بعشرة آلاف روبية في كل شهر غير الأشهر المذكورة[٥] .

المبحث الثاني

---

(١) بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص٧٤-٧٦ ؛ كوكن , دولة المغول في الهند , ص١٠٣ .

(٢) بابر , تاريخ بابر ووقائع فرغانة , ص٨٤ .

(٣) الطريحي , الشيعة في العصر المغولي , ص٦٢ .

(٤) الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , مج١, ١٤٧ .

(٥) الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٣١١-٣١٢ .

الأطعمة الهندية

حُظيت الأطعمة الهندية باهتمام كبير من قبل الهنود؛ لذلك وضعوا لها آداب وعادات وقواعد خاصة بهم , منها أن يغتسل الشخص قبل كل وجبة ؛ وربما السبب في ذلك يعود للرطوبة العالية في الهند التي تدعو إلى الاستحمام الكامل لإزالة الأوساخ , ولا يقدم الطعام المتبقي في وجبة أخرى , ولا تستعمل أوعية الطعام لأكثر من أكلة واحدة , فإذا كانت الأواني مصنوعة من الخزف أو من الخشب ترمى بعد استعمالها وأما أذا كانت مصنوعة من الذهب أو الفضة أو النحاس أو الحديد , فيجب إعادة تصنيعها وصقلها , وبعضهم يمتنعون عن أكل الطعام المستمد من الحيوان وتقوى عندهم حاسة الشم إلى درجة أنهم يدركون على الفور من أنفاس الشخص أو من إفرازات جلده , إذا كان ذلك الشخص قد أكل لحماً أولم يأكل , وحتى وإن مضى على ذلك أربع وعشرون ساعة(١).

ونجد أن ابن بطوطة قد ذكر لنا معلومات قيمة عن عدد من الأطعمة الشعبية في الهند واصفاً مكوناتها وطريقة تحضيرها , فضلاً عن ذكره عدد من الآداب والتقاليد المتعلقة بالطعام , فقد قسم الطعام بدار السلطان على صنفين : طعام الخاص وطعام العام ومن أبرز أنواع الطعام هي الشواء والدجاج والأرز, ويجلس في صدر المائدة القضاة والخطباء والمشايخ ثم أقارب السلطان ثم الأمراء الكبار ثم سائر الناس ولا يجلس أحد إلا في الموضع المعين له فلا يكون بينهم تزاحم (٢).

أما في عهد إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند فيقول السلطان بابر عن ألذ ما يأكلون هو الشواء من لحم الخيل , وألذ الفواكه البطيخ والعنب(٣) وعرف عن السلطانة نورجهان بتنظيم الطعام على الموائد وتركيبه في الصحاف على شكل الأزهار(٤) .

وتحظى الحلويات الهندية بشهرة كبيرة , وهذه الحلويات لها تاريخ طويل في المطبخ الهندي , وقد تأثرت تأثراً كبيراً بما عند العرب, الذين نقلوا إلى شبه القارة الهندية تلك التقاليد العربية المتعلقة بتناول أحد أصناف الحلوى بعد الوجبات الرئيسة , ويعد المغول أول من أدخل الحلويات المعتمدة على الألبان إلى الهند , ومن أبرزها السكاكر بأنواعها , وقد ورد ذكرها ضمن قائمة الحلويات الهندية التي ترتبط بكثير من الأعياد والمهرجانات الهندوسية؛ ونظراً لأن الحلوى كانت طبقاً تفضله الأسرة المالكة المسلمة , لم يكن من المستغرب أن يأمر المغول في الهند طهاتهم بإعداد تلك الأصناف من أجلهم , مما أدى إلى دخول الحلوى ضمن الأطباق الهندية , ويذكر أن حلوى السوهان جاء بها السلطان همايون من بلاد فارس أثناء نفيه إليها , كما قام بإحضار

---

(١) ديورانت , قصة الحضارة , ج٣ , ص١٨٦, ٤٢٠.
(٢) الرحلة , ج٢ , ص٣٥٢.
(٣) تاريخ بابر ووقائع فرغانة , ص٣١.
(٤) كحالة , عمر رضا , أعلام النساء , ج٥ , ص١٩٨.

صنّاع هذه الحلوى من هناك , ويقال أن حلوى السوجي أو السميد كانت أحد الأصناف المفضلة للسلطان شاهجهان وزوجته ممتاز محل, وقد تزامن دخول الحلوى إلى المطبخ الهندي مع التوسع في زراعة قصب السكر , الذي ارتبط ارتباطاً مباشراً بحكم المغول , وبالتالي أصبحت هذه الكلمة تطلق على مجموعة متنوعة من الحلويات المغولية , ومن أنواع الحلويات الأخرى ذات الشعبية في الهند نوع يسمى غولاب جامون وهو مستمد من أحد أصناف الحلويات العربية[١] وهو لقمة القاضي ويسمونه بـ«الهاشمي», وقد انتشر هذا الصنف في الهند أثناء حكم المغول[٢] .

أواني الطبخ عند المغول

لقد اخترع المغول أقساماً متعددة من الأواني لتجهيز الأطعمة وتقديمها؛ فالآنية المستعملة في المطابخ الملكية كانت تُصنَع من الذهب والفضة والمعدن والحجر والفخار ومن أبرز أسماء الأواني المستعملة سواء كان في القصور أو البيوت هي « قدر , طاجن , صيني , سفود , ملقاط , طست , مغرفة , لوح حجري » ولتقديم الفواكه والأثمار كان السلاطين يستعملون الأكواب الزجاجية والأطباق النحاسية والأواني الذهبية والفضية الأخرى ومن الأدوات المنزلية والمطبخية التي كانت تستعمل في مطابخ السلاطين بوجه الخصوص هي « المسرجة الزهرية,المشربة الفخارية , الصحن , الطبق , الكأس , الفنجان , الصينية , المنضدة , الخزانة , الجرة , السقاية , الدلو , الإبريق » وربما كانت تصنع إناء الطبخ والأكل من الخزف, وكان يستعملها الأمراء والفقراء كلاهما؛ لكون بعض المطبوخات تكون أكثر لذة ورائحة عند الأكل لو طبخت في القدور المصنوعة من الخزف وكانت تستعمل العديد من الأواني الخزفية في تزيين مجالس السلاطين وتجميل محافل الأمراء [٣] .

الملابس :

اشتهرت الهند بصناعة الأقمشة ومعامل التطريز والتلوين , فكان يعمل في مصنع الأقمشة المطرزة في عهد السلطان محمد تغلق(ت:٧٥٢هـ/١٣٥١م) أربعة آلاف من الصنّاع وخمسة آلاف مطرز على الحرير الذين كانوا يجهزون حُللاً ملكية وأزياء أميرية من مختلف الأنواع وقد بلغت الحياكة في هذا العهد قمة الازدهار ولذا كانت فنون الصباغة والتطريز شائعة في معظم المدن الكبيرة للبلاد , وكانت تُصنع أنوع من الأقمشة المطبوعة في أنواع متعددة , كما كانت تزين

---

(١) المشهداني , الهند من خلال رحلة ابن بطوطة, ص ١٨٧ ؛ منتديات , قصيمي نت ملتقيات كل العرب(الحلوى الهندية – المغول أدخلوها والعرب طوروها www Qassimy.com) .

(٢) ابن بطوطة , الرحلة , ج٢ , ص٣١٨ .

(٣) الإصلاحي , ضياء الدين , الزخرفة وصناعة الأواني الخزفية خلال العهدين القديم والأوسط للهند , مجلة ثقافة الهند , (نيودلهي – ١٩٩٣م) , مج٤٤ , العدد٣-٤ , ص٦٧-٦٨ ؛ ينظر ملحق رقم ٢٠ .

بطانات الألحفة وشراشف السرر بأنواع من عمل التطريز والتلوين[١], وتختلف ملابس الهنود باختلاف مهنهم ومراتبهم الاجتماعية وقدرتهم المالية , ففي السابق كان الشخص العادي يلبس ملابس سهلة جداً, فإذا أرادوا الزيادة من الغطاء لفوا أوساطهم بثوب , وطرحوا طرفه المرسل على الكتف اليسرى , أما أهل راجبوت فكانوا يلبسون السراويل من كل لون وشكل , وخُفّاً أو حذاء في القدم , وعمامة على الرأس , جاءتهم هذه العمامة مع المسلمين ثم أخذها الهنود وأصبحوا يلفونها لفاً متقناً , وهي تتألف من قماش حرير, أما النساء فيلبسن أثواباً فضفاضة من حرير يسمونها الساري وهو من الألبسة النسائية التقليدية الأنيقة المعروف بالنقوش الجميلة والخطوط الملونة , وهو الأكثر شيوعاً في شبه القارة الهندية , أو يلبسن خداراً يلتفعن به على أكتافهن[٢], ولم تكن ملابسهم تحاك من عدة قطع من القماش مثلما كانت عليه الثياب في الغرب , بل كانوا يرتدون قطعاً من القماش تصل الواحدة منها إلى عدة ياردات يلفها الفرد حول جسمه , والأزياء التي ترتدى سابقاً تشبه الثياب التي يرتديها الناس في الهند ليوم[٣] ولما جاء سلاطين المغول الذين عرفوا باهتمامهم بالفنون حيث اخترعت في هذه المدة أنواع مختلفة من تطريز الأقمشة والأزياء, فكانت تتخصص الألبسة النسائية فيها بأعمال الزركشة والتطريز [٤]يقول السلطان بابر في وصف ملابس المغول : ((بأنه عبارة عن طقم كامل من الرأس إلى القدم يشمل غطاء رأس مغولي موشى , أما الملابس فكانت من الأطلس الصيني الموشى أيضاً , وكذلك الحزام كان حزاماً صينياً))[٥] ونظراً لبيئة هذه البلاد كان اختيار المسلمين قبل عصر السلطان أكبر ألبسة الهنود بتصريف قليل , ومنها التنورة الطويلة , والجلباب , والقميص بلا كُم , والسروال الواسع الذيل والساري وكانت نسوة المسلمين يلبسن الألبسة الفارسية حتى عصر السلطان أكبر, ولما تولى العرش اخترن النسوة أزياء الهندوس وبقينَ عليها[٦]لقد ازدهرت الحياكة في مدة السلطان أكبر ازدهاراً واسعاً في عدد من المدن منها أكرا وفتحبور و أحمد آباد , كما شجع السلطان أكبر صناعة الملابس الكشميرية تشجيعاً كبيراً وأوجد فيها ألواناً متعددة , وأصبح

---

(١) الإصلاحي , الزخرفة وصناعة الأواني الخزفية خلال العهدين القديم والأوسط للهند , ص٦٦ .

(٢) Mukherjee, Lla , social status of north Indian women(1526-1701) shive lal Agarwala- 1972 , 49-52, ديورانت, قصة الحضارة ,ج٣, ص١٨٨ ينظر ملحق رقم ٢١ ,٢٢

(٣) موداك , مانوراما , الهند شعبها وأرضها , ص٤٩ .

(٤) الإصلاحي , الزخرفة وصناعة الأواني الخزفية خلال العهدين القديم والأوسط للهند , ص٦٦ .

(٥) تاريخ بابر ووقائع فرغانه , ص٣٠ .

(٦) عمر , المجتمع الهندي – الإسلامي , ص١٠٤ –١٠٥ .

في مدينة لاهور فقط أكثر من ألف معمل[١] عرف عن السلطان أكبر سهولة ملابسه, ونظافتها الشديدة, ولم يكن يميل كثيراً إلى التحلي بالجواهر[٢]وفرض السلطان أكبر بعد انحرافه على المسلمين ارتداء الملابس الحريرية أثناء الصلوات , وفيما يخص جانب الملابس النسائية فقد اخترعت السلطانة نورجهان أموراً كثيرة في الزي واللباس والحلي والأشياء العطرة[٣], وكان حريم السلاطين يبالغن في أمور الملبس, فكل واحدة منهن تلبس كل يوم ثوباً وحلياً جديداً[٤].

أما فيما يخص الزينة فالنساء تهتم بالزينة أكثر من الرجال وإن كان للرجال نصيب وافر منها , ومن أبرز أساليب زينة النسوة الهنديات ذكرها أبو الفضل في ست عشرة طريقة منها العطر والكحل ومعجون التطهير ومعجون أحمر للوجنتين وورقة التنبول , والاهتمام بالشعر وتمشيطه بأسلوب جميل وتصفيفه بطريقة الضفائر , أو جمعه وربطه خلف الرأس[٥].

المبحث الثالث

---

(١) الندوي , المسلمون في الهند , ص٣٩ ؛ الإصلاحي , الزخرفة , ص٦٧ .

(٢) الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٦٢.

(٣) كحالة , عمر رضا , أعلام النساء, ج٥ , ص١٩٨ ؛ الطريحي , الشيعة, ص٦٢ , ١٦٠ .

(٤) لوبون , حضارات الهند , ص٤٣٣ .

(٥) عمر , المجتمع الهندي – الإسلامي , ص١٠٦–١٠٧ .

الجانب الديني في إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند

الأديان في الهند قبل الإسلام

سادت في شبه القارة الهندية عبادة الوثنية , فهي أرض الآلهة[١] وعند استعراضنا لأحوال الهند قبل الإسلام نجد أن الانحطاط الخُلُقي والاجتماعي والعقائدي كان السمة الظاهرة , وقد ظهر الانحطاط جلياً في مستهل القرن السادس الميلادي, ومن مظاهر هذا الانحطاط كثرة الآلهة والمعبودات كثرة فاحشة , والتفاوت الطبقي المجحف, والامتياز الاجتماعي الجائر, فقد وجدت في الهند قبل الإسلام مجموعة من الديانات, ثلاث منها قبل الإسلام هي« الهندوسية أو البرهمية – البوذية – الجينية» وهناك ديانات نشأت بعد دخول الإسلام مثل «المجوسية – السيخ – المسيحية – والقاديانية»[٢]

الهندوسية : ويطلق عليها أيضاً البرهمية, وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند , متخذة عدة آلهة ويقول ديورانت , لو أحصيت آلهتهم لاقتضى ذلك مائة مجلد[٣], وتحتل البقرة عند الهندوس مكانة مهمة تصل إلى حد التأليه والتقديس[٤], والهندوسية ليست ديانة محددة وإنما هي تضم عبادات متعددة بعضها ذات أصل آري وبعضها أتت من الشعوب غير الآرية[٥].

البوذية : هي من الديانات الإصلاحية التي ظهرت في شبه القارة الهندية , إذ جاءت لتلبي حاجة ملحة ولتزيل الذل والعبودية[٦], فعمدت جاهدة من أجل إلغاء نظام الطبقات الذي أوجدته البرهمية, وأكدت أن الناس سواسية لا فرق بين غني وفقير وأمرت بالحب والإحسان والصدق

---

(١) الندوي , أبو الحسن علي الحسني , أضواء على الحركات والدعوات الدينية الإصلاحية ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند , المطبعة الندوية مؤسسة الصحافة والنشر –لكنهو – الهند – ١٩٩٥م) ,ص٦ .

(٢) الندوي , أبو الحسن علي الحسني , ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ,(دار الأيمان – القاهرة – ١٩٤٥م) , ص٤٨ ؛ خليل الرحمن , الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية , ص٧.

(٣) حلمي , مصطفى , الإسلام والأديان(دراسة مقارنة) , ط١ (دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – الاسكندرية –١٩٩٠م) , ص٤٥– ٦٣ .

(٤) للمزيد عن عبادة البقرة ينظر : محمود , أحمد عبد المنصف , بلاد البقرة المقدسة , (دار الكاتب العربي – للطباعة والنشر – القاهرة) ص٩٠– ١٠٢ .

(٥) شويتزر, ألبير , فكر الهند(كبار مفكري الهند ومذاهبهم على مر العصور) , ترجمة يوسف شلب الشام , ط١(دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر– دمشق –١٩٩٤م) , ص١٥٢ .

(٦) ابن خلكان , أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت:٦٨١هـ) , وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , ط١(مطبعة السعادة –مصر–١٩٥٠م), ج٤ , ص٢٦٥.

والتجرد عن أمور الدنيا بالزهد[١], ولم تنجح البوذية في الهند؛ بسبب تعارضها مع البراهمة بالأفكار والمعتقدات فانتشرت في أصقاع واسعة خارج الهند[٢] والبوذية من الديانات القديمة المعروفة مشتقة من بوذا «الملهم» لقب المبشر الذي كان ينسب إليه[٣] ظهرت في بلاد الهند والسند قبل أكثر من خمسمائة سنة قبل الميلاد انتشرت تعاليمها التي تعد ضد نظام الطبقات الذي أوجدته الديانة البرهمية القديمة خدمة لمصلحتها[٤], وللبوذيين كتب مقدسة تعرف بـ« سِلال سِلال الحكمة» وهي أضخم ما ورد في التراث التشريعي في أي دين من الأديان , وقد فقدت البوذية فيما بعد بساطتها وحماسها وابتلعتها البرهمية وبدأت البوذية تحمل الأصنام إذ حلت وحيث ارتحلت وقد غمرت هذه التماثيل الحياة الدينية والمدنية , لذلك ارتقت صناعة نحت التماثيل في هذا العهد[٥] .

الجينية : وهي من الديانات المنتشرة في الهند , ومعنى « جينا » الأحرار أو الذين لا يقيّدون بشيء من أشياء المادة , ومؤسسها أو منظمها الأخير« مهاويرا » أي البطل العظيم , وقد نادت الجينية بمثل ما نادت به البوذية ولكنها تخلت عن فكرة إلغاء نظام الطبقات , فأسس هذه الديانة التي تختلف عن البرهمية الهندوسية[٦]

ومن الضروري أن نذكر بعض الديانات التي نشأت أو انتشرت في الهند بعد الإسلام حتى يتسنى لنا معرفة مدى التحديات والمقاومات التي تعرض لها الدين الإسلامي سواء من أبنائهم أو من غيرهم , ومن أبرز هذه الديانات المجوسية والتي جاءت إلى الهند نتيجة الصلات القائمة بين الهند وفارس, وكان من الطبيعي أن يتأثر كل منهما بالآخر عقيدة وسياسة وبعد دخول الإسلام زادت هذه العلاقة فدخلت المجوسية في الهند بوساطة الفرس وهي طائفة صغيرة[٧], ومن الديانات التي ظهرت بعد الإسلام السيخية , وهدفها المساواة الاجتماعية والأخوة بين الناس , فقد

---

[١] ابن دحية , أبو الخطاب عمر علي , النبراس في تاريخ بني العباس , صححه وعلق عليه عباس العزاوي , (مطبعة المعارف-بغداد- ١٩٤٦م) , ص١٣٢ .

[٢] زيعور , د.علي , الفلسفات الهندية قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والإصلاحية ,ط١(دار الأندلس-بيروت- ١٩٨٠م) , ص١٨٠ .

[٣] دياكوف , ف و س كوفاليف , الحضارات القديمة , ترجمة , نسيم واكيم اليازجي , ط١(منشورات دار علاء الدين – دمشق – ٢٠٠٠م) , ج٢ , ص٢١٤ .

[٤] أبو النصر , تاريخ المسلمين وحضارتهم , ص٣٨-٣٩ ؛ حنا , نهى وآخرون , موسوعة كنوز المعرفة (الأديان) , ط١(دار نظير عبود للطباعة والنشر – لبنان – ١٩٩٨م) , مج١ , ج٩ , ص١٨٦ .

[٥] الندوي , ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين , ص٤٦, ٤٩ .

[٦] خطاب محمود شيت , قادة فتح السند وأفغانستان , ط١ (دار الأندلس الخضراء – جدة – ١٩٩٨م) , ص ١٣٤-١٣٥ .

[٧] خليل الرحمن , الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية , ص٢٧.

قام مؤسس هذه الديانة ويدعى« ناناك» بأخذ جزء من مبادئ الإسلام وجزء من مبادئ الهندوسية فخلط بينهما, وأنشأ ديناً جديداً ودعا إليه الناس[١] .

سلاطين المغول وعلاقتهم بالدين :

لاشك أن جميع سلاطين المغول في الهند كانت ديانتهم الرسمية هي الإسلام ولكن نسبة تدينهم كانت تتفاوت من سلطان لآخر, ولكن بصورة عامة اشتركوا بالاهتمام بالدين ولهذا ظهرت في الصورة الشخصية المغولية أفكار جديدة وهي ظهور الشخصيات الدينية في حماية أباطرة المغول أو أمرائهم سواء كان ذلك في الأماكن الخارجية أو داخل القصور للتعبير عن عظمة الدين الجديد فقد عرف عن السلطان بابر تقواه وورعه , فيروى أنه كان يحافظ على الصلاة كما كان يصوم يوماً من كل أسبوع[٢], ونلتمس إيمانه العميق وتدينه في مذكراته فيفسر الانتصارات في مواقف كثيرة بأن مرجعها الوحيد توفيق الله وقدرته, أما في مواضع الإخفاق فيرجعها دائماً إلى أسباب موضوعية , مثل الإهمال الناتج عن عدم التجربة أو اتخاذ القرارات على عجل وبدون إمعان فكر , لاسيما وقت الحرب , أو عدم توخي الدقة والتروي في اتخاذ القرارات , فضلاً عن أنه كان يتمتع بثقافة إسلامية وفقهية واسعة أدت دوراً كبيراً في تحديد أولويات اهتماماته عند فتحه للبلدان وإدارتها , كما نلاحظ في مذكراته حرصه على أداء صلاته في أصعب الأحوال[٣].

أما السلطان همايون فقد كان متديناً حريصاً على القيام بشعائر دينه كمسلم صادق الإسلام , ويذكر أنه كان سنياً مخلصاً في سنيته إلا أنه لم يكن متشدداً , احترم الديانات الأخرى ولاسيما الهندوسية , وعلى الرغم من أنه أبدى تسامحاً مفرطاً تجاه الهندوس, إلا أنه تساهل في هدم المعابد الهندوسية , وحبه العميق واحترامه الشديد لأهل البيت فقد أولى أغلب المناصب إلى رجال المذهب الشيعي[٤], وربما كان زواجه من حميدة بانو بيكم شيعية المذهب , والمدة التي نُفِي فيها إلى فارس كان لها دورٌ مهمٌ في تغيير مسار فكره الديني ولو بشيء قليل لا يصل إلى الحد الذي وصل إليه السلطان أكبر , فيذكر أن شاه طهماسب الصفوي ساعد همايون بالمعدات العسكرية ضد أعدائه مقابل تحوله عن مذهبه[٥].

---

(١) للمزيد عن ديانة السيخ ينظر : الآلوسي , همام هاشم , السيخ في الهند صراع الجغرافية والعقيدة , ط١(الدار الدولية للاستثمارات الثقافية – القاهرة –٢٠٠٠م) , ص ٣٤–٥٥ .

(٢) حسن , التصوير الإسلامي , ص٧ , ١٧ .

(٣) بابر , تاريخ بابر ووقائع فرغانة , ص٣٩ , ٣١١–٣١٣ ؛ أمجد , النثر الفني , ص١٣١

(٤) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص٥٨ .

(٥) طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية و الهند , ص٢١٤ ؛ قمر الزمان , أورنجزيب , ص١١ .

مدة السلطان أكبر الدينية :

لقد أثارت نزعات السلطان أكبر جدلاً واسعاً ليس له نظير في سير السلاطين الأولين والآخِرين , ولعل السبب في ذلك هو التحول أو الانقلاب الكبير الذي حدث له في حياته الدينية , والمعروف أنه ولد من أب سني وأم شيعية , وأسدت أسرته كثيراً من الخدمات للإسلام , لذلك كان أي انحراف عن هذا الطريق ملفتاً ومثيراً , ولو ظلت عقيدته التي ابتدعها في المرحلة الثانية في حياته الدينية , سراً بينه وبين نفسه ولم تتسرب آثارها إلى سلوكه السياسي وتتأثر بها الدولة , لما أثارت كل هذا الجدل , ولكن جرأة السلطان أكبر على التعدي على حدود الله وانتهاك حرماته,هي السبب في التصدي للسلطان أكبر وأفكاره الملحدة[١] .

والمتتبع لسيرة السلطان أكبر الدينية يجدها مرت بمرحلتين متميزتين ومتناقضتين تماماً , استمرت الأولى مدة عشرين عاماً (٩٦٣ – ٩٨٢هـ/ ١٥٥٦ – ١٥٧٤م) واتصفت هذه السنوات العشرون بكونه مسلماً سنياً كأحسن ما يكون المسلم السني, يحافظ على أصول الدين , ويؤدي الصلوات في المسجد في أوقاتها[٢] , بل لقد كان يقوم أحياناً مقام المؤذنين فيدعو الناس للصلاة , وكان يحترم علماء الدين والمتصوفة الزاهدين ويجلّهم ويؤثر صحبتهم , فيقضي في حضرتهم الساعات الطوال , ولا يتردد في إجابة مطالبهم مهما كانت , وكان السلطان أكبر لا يبدأ عملاً أو قولاً إلا بدأه بقول :يا هادي يا معين , وكان يعتقد في الفقراء والمتصوفين ويزور زواياهم وهو حافي القدمين في أغلب الأحيان , وقد دفعته هذه الروح الدينية إلى دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي , بشكل سماعي؛ لأنه لا يقرأ ولا يكتب وساعده في ذلك قدراته الاستيعابية , وكان يستجيب لمشورة العلماء في معاقبة الزنادقة والملحدين , وكان يقرب إليه عدداً من العلماء حتى صاروا له بمثابة المستشارين يوجهونه ويثقفونه وينصحونه , ومن أشهرهم الشيخ عبدون نبي الذي كان يدعوه لحضرته يومياً, حيث يجلس بين يديه ليتلقى دروساً في الحديث[٣].

أما المرحلة الثانية من حياة السلطان أكبر الدينية هي مرحلة انحرافه والتي بدأت سنة(٩٨٣هـ/١٥٧٥م) بعد عشرين سنة من مدة جلوسه على العرش, والتي تغير فيها فجأة إلى رجل مغاير تماماً عن المرحلة الأولى , فلم يبقَ عنده من إخلاصه القديم للدين الإسلامي أي شيّ فانقلب إلى رجل حر التفكير, ولعل جرأته ومجازفته في حروبه جعلته يجهر بعقيدته الجديدة المنحرفة التي خالف فيها شعبه المسلم , وخالف بها ما جرت عليه أسرته الملكية من المحافظة على الإسلام , فضلاً عن اطمئنانه إلى الهندوس الذين أصبحوا من المقربين إليه[٤].

---

(١) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢١٦ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٥١.

(٢) Ikram , Muslhm Civilization, 156. ؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول , ١٠٩ –١١٠ .

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول, ١٠٩ –١١٠؛ Richards , The Mughal Empire

(٤) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص١١٠ .

ويمكن إيجاز أسباب انحراف السلطان أكبر بعدة محاور المحور الأول : ثقافة السلطان أكبر فقد كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة لكن نشأ على حب الاستطلاع فجمع جملة من المشايخ وجعل يناقشهم في مسائل الدين , فبدأ يعتقد أن الأديان كلها حق , والإسلام ليس بأفضل منها , وكانت المناقشات الخطوة الأولى لبداية التفكير في تأسيس دين جديد ألا وهو الدين الآلهي واعتزامه على القضاء على الإسلام , وهذا ما سنتحدث عنه لاحقاً , والمحور الثاني الذي كان من أسباب انحراف السلطان أكبر هو زواجه بالهندوسيات الوثنيات وأباح لهن الاستمساك بعقائدهن وعبادة الأوثان في داخل القصر الملكي , وكان هذا الزواج من أكبر الدواعي التي أفسدت عليه أمور الدين , فبنيت المعابد ونصبت الأصنام في القصر الملكي , وجعل أهله رجالاً ونساءً يحتفلون بأعياد المشركين[١], وهذه المصاهرات السياسية كانت عاملاً قوياً من عوامل انحرافه وتحول نفسيته , فأصبح يقيم الصلوات معهم ويعينهم في المناصب المهمة والعالية أما المحور الثالث في انحراف السلطان أكبر هو علماء السوء وأركان الدولة ومستشارو البلاط الذين كانوا حوله , فقد كان من الممكن أن يكون لهم دور ايجابي لو كانوا يمتازون بالتفقه والبصيرة في الدين , كان السلطان أكبر يدعو العلماء والمشايخ والأشراف والأمراء كل ليلة جمعة إلى مُصلاه , فكان العلماء والمشايخ يتسابقون إلى المقاعد , ويتنافسون في الحصول على مكان أقرب إلى السلطان , فعالج السلطان هذه المشكلة , فأمر الأمراء بالجلوس في الجانب الشرقي , والأشراف في الجانب الغربي , والعلماء في الجانب الجنوبي , والمشايخ في الجانب الشمالي , وكان السلطان يخرج عليهم في حلقةٍ من خاصته , وفي إحدى الليالي وهم مجتمعون , اشتدت المناقشات فيما بينهم واحتدم الجدال إلى أن وصل إلى تكفير بعضهم لبعضٍ وتبادلوا فيما بينهم الشتائم[٢] .

ولم يكن هذا الخلاف منحصراً في دائرة الفروع , بل كانت آراؤهم ومذاهبهم متضاربة ومتشعبة في أصول الدين , ولما ارتفعت أصواتهم وانكشفت سوءات أخلاقهم وعلا صريخهم بين يدي السلطان , فأمر بإخراجهم من مجلسه وجعل يسيء الظن بهم , ومن أبرز العلماء الذين أسهموا في الانحراف الفكري للسلطان أكبر , ملا مبارك بن خضر الناكوري (ت: ١٠٠١هـ/ ١٥٩٢م) وولداه فيضي وأبو الفضل[٣], فهؤلاء تقربوا للسلطان أكبر , وحصلوا على الحظوة

---

(١) **Ikram , Muslim Civilization in India, 144** ؛ **الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص٦١ ؛ خليل الرحمن , الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية , ص٩٧ .**

(٢) **Malleson, c.s.i , Rulers of India AKBAr and the rise of the Mughal Empire , 156.**

(٣) **الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٤٧١-٤٧٢ ؛ رجال الفكر والدعوة في الإسلام , ج٣ , ص١٠٤-١٠٧ ؛ أمجد , النشر الفني في شبه القارة الهندية , ص١٧٨.**

والتقدير عند السلطان , والتبجيل والإكرام في البلاط , ما لم يحصل لأحد من قبل[١], ومن باب الإنصاف والأمانة العلمية أن نذكر إسهاماتهم الإيجابية والخدمات الجليلة التي قدموها للامبراطورية المغولية قبل الخوض في كيفية مساهمتهم في الانحراف , فالمتتبع لسيرهم يجد أنهم كانوا من النوابغ الأذكياء , وذوي باع طويل في العلم والثقافة الغزيرة , والمتبحرين في العلوم العقلية والأدبية , وكانوا أفضل وأرقى نتاج للمناهج الدراسية المطبقة في ذلك العصر , ولو أنهم وظفوا مواهبهم , وأخلصوا في العمل لخدمة الدين لكان لهم دور أكبر وأرقى في استمرار الامبراطورية المغولية الإسلامية في الهند مدة أطول , أما الجوانب السلبية لهؤلاء , فقد كان ملا مبارك مضطرب النفس , قلق التفكير , درس المذاهب الفقهية الأربعة , واطلع على الخلافات فيها , فاتجه إلى الكراهية لها والنفور منها , وإنكار فضلها , وبدل أن ينحو نحو الجمع والتطبيق , والتوجيه الصحيح , أنكر هذا التراث الفقهي العظيم , وجهود السلف الصالحين , وسيطرت عليه الفلسفة , وبدأ يتلون بكل لون , والتكيف مع كل حال , فكان يعتنق في كل دور من أدوار حياته المذهب أو الديانة التي يرغب فيها الأمراء أو السلاطين , منها السنية والشيعية و الصوفية والمهدوية , وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله , فلم يقنع هو وأولاده بالعلم والتدريس , بل إنهم كانوا أصحاب طموح وطلب للجاه والنفوذ؛ وربما كان هذا السبب في إظهار نبوغهم وذكائهم في البلاط والتأثير فيه , أما أولاده أبو الفيض فيضي الذي ولد عام (٩٥٤هـ/١٥٤٧م) , وأبو الفضل الذي ولد عام (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م) , فُيعَدّ الأول نابغة من نوابغ العلوم الأدبية لا يختلف اثنان على روعة شعره , دخل بلاط السلطان سنة (٩٧٤هـ/١٥٦٦م) – العام الثاني عشر من تربع السلطان على العرش ونال الشرف والتقدير , ولم يزل يتقرب إلى السلطان إلا أنه لم يتولَّ وظيفة من وظائف البلاط ,كان طبيباً وشاعراً, أسند إليه تأديب أبناء السلطان وتعليمهم وتثقيفهم , حيث عُهد إليه بتعليم وليّ العهد دانيال , ولقبه السلطان (بملك الشعراء) , أقام فيضي وأخوه أبو الفضل بعقد مجالس علمية يروجون فيها لآرائهم الهدامة , ويبدو أن أفكار فيضي وآرائه الملحدة انتشرت في الآفاق[٢]. أما أبو الفضل فهو أيضاً من نوادر الرجال في الذكاء والتفنن في العلوم , دخل البلاط الملكي سنة (٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) [٣] , وكان لأبي الفضل التأثير الكبير على عقائد

---

(١) Ishtiaq Husain Qureshi, Akbar(The Architect of the Mughul Empire , 233

(٢) الندوي , الأعلام , ج٥ , ص٤٧١–٤٧٢ ؛ رجال الفكر والدعوة, ج٣ , ص١٠٤–١٠٧ , أمجد , النثر الفني في شبه القارة الهندية , ص١٧٨.

(٣) نال الحظوة عند السلطان الذي لم يكن تفكيره الديني قد استقر بعد, فوجد أبو الفضل ضالته المنشودة فأكثر من مجالسته وشجعه على الاستفسار عن الأمور الدينية والفلسفية ودفعه إلى المناقشة والجدال, ولم يزل يتقرب إليه حتى سُلّمت إليه مقاليد الوزارة العالية والنيابة المطلقة وإن آئين أكبري دستور هذه الدولة وقوانينها أعظم مآثره , بدايوني , منتخب التواريخ ,مج٢ ص٤٣٣–٤٣٤؛ الندوي , الإعلام=

السلطان أكبر , فهو من بذر في قلب السلطان أكبر بذور الشك والارتياب من الدين الإسلامي والنفور منه , وقد يشكك البعض في كلامنا عن أبي الفضل ودوره الانحرافي في حياة السلطان أكبر , لكن تصريح أبي الفضل نفسه في كتابه(إنشائي أبو الفضل) وهو عبارة عن رسائل كتبها , يدل على ما قام به من دور باستعانة علمه وذكائه من تغير السلطان ورغباته وأفكاره الملحدة , واعترف بأنه كان عبد النفس والهوى[١] .

ويتهم مؤرخو الهند بأنهم لم يدونوا سير ملا مبارك وأبناءه أبا الفيض وأبا الفضل بصدق وأمانة , ووصموهم بكل شين وألصقوا بهم تهمة الإلحاد والزندقة؛ لأنهم على مذهب أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ وهو باعتقادهم ذنب لا يغتفر لدى هؤلاء المتعصبين , وخص منهم صاحب كتاب منتخب التواريخ الشيخ عبد القادر بدايوني[٢] حيث ذكر دوره في انحراف السلطان أكبر وكيف دس في قلبه أشياء منكرة ورغبه عن الملة السمحاء البيضاء , وذكر بداواني عن أبي الفيض بأنه(تجتمع فيه الصفات غير مرضية من النفاق والخبث والرياء وحب الجاه والعداوة لأهل الإسلام والطعن في أصول الدين والنيل من الصحابة الكرام والسلف الصالح حتى فاق اليهود والنصارى والمجوس فقد كان يحل المحرمات الشرعية , ويحرم الفرائض والمباحات)[٣] كما أن الندوي صاحب كتاب الأعلام« نزهة الخواطر » قال عن أبي الفيض أن آخر أيامه أصبح يعوي كالكلاب من كثرة تجرؤه على دين الله وأصبحت الناس تنعته بشتى الألقاب, منها أبو الفيض ملحدي[٤]ويقول هذا الكاتب الذي يدافع عن مبارك خضر الناكوري وأولاده أن البدايوني على تعصبه أكثر إنصافاً من الندوي , ويبرر أن ما ورد في كتب التاريخ من التهم ضد هذه العائلة هو أن هؤلاء الكتّاب والمؤرخين كانوا يكتبون « تُقية »[٥] .

ومن علماء السوء الذين أسهموا بانحراف السلطان أكبر عبد النبي الكنكوهي[٦], فقد تكبر وتجبر وتطاول على المساكين الذين كانت وظائفهم وأرزاقهم منوطة بالمصلحة الدينية , ففشت

=(نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٤٧١ ؛ الندوي , رجال الفكر والدعوة, ج٣ ص١١٠-١١٥.

(١) الندوي , الإعلام(نزهة الخواطر) , ج٥ , ص٤٧١ ؛ الندوي , رجال الفكر والدعوة في الإسلام , ج٣ ص١١٠-١١٥ .

(٢) Malleson, c.s.i , Rulers of India, 150-1

(٣) منتخب التواريخ ,مج٢ ص٤٣٣-٤٣٤ .

(٤) ج٥ , ص٤٧٣ .

(٥) Malleson, c.s.i , Rulers of India ,150-151.

(٦) عبد النبي الكنكوهي : يعد من كبار العلماء المحدثين في عصر السلطان أكبر, وبلغ من تكريم السلطان إياه أنه كان يقوم له احتراماً وإكراماً كلما دخل عليه ويقدم له نعليه إذا أراد الانصراف , تولى منصب صدر=

الرشوة , حتى أصبحت المصلحة الدينية في عهده عاراً وُسبَّة على المملكة , ومن علماء السوء مخدوم الملك الملا عبدالله السلطان بوري[١]وهو من كبار مشايخ العصر, بلغ غاية في حب المال واكتناز الذهب وادخاره وتجاوز الحد في تحريف الدين وتلفيق الأباطيل , وهو من أفتى بسقوط فريضة الحج , حتى لا يلومه الناس على عدم أداء فريضة الحج على ما به من نعيم الدنيا , وأدهى من ذلك أنه كان يهب أمواله لزوجته قبل تمام الحول وكانت هي تهبه تلك الأموال نفسها من جديد بعد مضيّ ستة أشهر؛ فراراً من أداء الزكاة , كأنه أراد بحيله أن يخدع الله ورسوله , ومن سيئات هذين العالمين من علماء السوء في عصر السلطان أكبر أنهما ما زالا يتنازعان في ما بينهما ويتجادلان بالرسائل والفتوى , لذلك كان يدور بينهما الجدال والنزاع , لكنهما كانا في نظر السلطان أرسخا علماً وأطولا باعاً من الغزالي والرازي , أما باقي أتباع السلطان أكبر من العلماء والمشايخ الذين لا يختلفون عنهم كثيراً , ومما لا مجال فيه للشك أن كل ما وقع من مداهنة والتخاذل في الأحكام الشرعية في هذا الزمان وما ظهر من الفساد والوهن في نشر الدعوة الإلهية وإبقاء مآثرها في هذا العصر , إنما يرجع سببه إلى علماء السوء [٢] .

عبادت خانة (بيت العبادة)

أمر السلطان أكبر ببناء بيتٍ للعبادة يسمى عبادت خانة في مدينة فتحبور سيكري سنة(٩٨٣هـ/ ١٥٧٥م) , وهو منتدى للمناقشات , والمجادلات الدينية , وكان السلطان أكبر يجلس فيه ويراقب ويصلي فيه , ودعا الفقهاء والعلماء من السنة والشيعة إلى الحضور إلى هذا البيت مساء كل خميس ومناقشة المذاهب الإسلامية المختلفة في حضرته؛ بغية التقريب بين الآراء المختلفة , وتوحيد الإسلام على مذهب واحد , ولكن هذه المناقشات لم تأتِ بالنتيجة المطلوبة , بل على العكس وسعت الشقة بينهما , وزاد في عوامل الخلاف[٣] , وفي إحدى أمسيات سنة(٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) اشتد النقاش بين الفقهاء واحتدم الجدال , وكل ملة تكفّر أختها , فاستغل السلطان هذا الجدال لصالحه فألقى سؤالاً على الحاضرين : (من يكون صاحب الحق في إصدار الفتاوى

=الصدور ,الندوي , الإعلام (نزهة الخواطر) ج٤, ص٣٨٠ ؛ Ikram , Muslhm Civilization in India, 157

(١) الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص٦٤-٦٧ .

(٢) الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص٦٤-٦٧ .

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص١١٠؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص٣١٦-٣١٨ ؛ بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ ص١٢٨ ؛ كوكن , دولة المغول في الهند , ص ٤٨؛ Nath , Fatehpur Sikri and its Monument,74-75.

والأوامر الدينية الواجب اتباعها إذا اشتد الخلاف بين الفقهاء؟) , فتقدم ملا مبارك وقال :(السلطان يكون صاحب هذا الحق)[١].

مذكرة الاجتهاد والإمامة

وهو المرسوم الذي يخول السلطان حق الاجتهاد ويصعد به إلى مستوى الإمام العادل المنزه عن الأخطاء[٢], أعده له وشجعه عليه الملا مبارك سنة ٩٨٧هـ/١٥٧٩م , أما حق الاجتهاد للأمير العادل وأهل الحل والعقد من رجاله في ما يتجدد من وسائل ومشاكل , فلا اعتراض عليه , بل إن كل ما اعترى الفقه الإسلامي من الجمود وخمول الذكر , إنما هو لانعدام روح الاجتهاد , لكن البلية بل كل البلية أن السلطان أكبر كان أُمياً لا يعرف القراءة والكتابة , ولا علم له بالدين إلا ما يملي عليه رجال حاشيته وندمائه , فما كان يرجى من مثل هذا المرسوم إلا أن يكون شؤماً على الدين والمتمسكين به ووسيلة ناجحة بيد السلطان للقضاء على الشرع الإسلامي,كتب الملا مبارك هذا المرسوم أو«محضر نامه» بحسب تعبيرهم بالفارسية بقلمه ليقدمه للعلماء والأعيان يخولونه بذلك حق الاجتهاد ويعلنون بذلك على الملأ من الناس أن السلطان أكبر إمام عادل مجتهد ظل الله على الأرض , ومن علماء السوء الذين لم يتحرجوا من تأييد المرسوم والتوقيع عليه , عبد النبي الكنكوهي صدر الصدور , و الشيخ عبدالله مخدوم الملك وجلال الدين الملتاني[٣] .

نص مرسوم العصمة بعد ترجمته من اللغة الفارسية إلى العربية

جاء في نص مرسوم العصمة , أن الهند العزيزة (وقاها الله شرور الدهر) أصبحت اليوم في غاية من الدعة والأمن ويكاد يضرب بها المثل في العدل والكرم , وقد نزح إليها عدد غير قليل من رجال العرب والعجم , العامة منهم والخاصة , وفيهم من تبوأ ذروة المجد العلمي وحاز السبق في مضمار البحث والتحقيق نزحوا إليها وتوطنوها , بعدما هاجروا , والآن جمهور العلماء من الذين تضلعوا من العلوم النقلية وفاقوا أقرانهم في الفنون العقلية وعرفوا بالورع والأمانة والصدق, يعلنون بعد أن تدبروا معاني الآية الكريمة﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .﴾[٤]وأمعنوا في مغزى الأحاديث الشريفة(إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة إمام عادل)[٥]

---

(١) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٤٣٤-٤٣٥ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ ص١٢٨-١٢٩ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٥٢ .

(٢) Ikram , Muslhm Civilization in India, 159.

(٣) بدايوني , منتخب, مج٢, ص٤٧٧-٤٧٨ ؛ الندوي,الإعلام(نزهة الخواطر), ج٥ , ص٤٩٧ ؛ تاريخ الدعوة, ص٦٠ .

(٤) سورة النساء , آية ٥٩ .

(٥) الترمذي , محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت:٢٧٩هـ) , سنن الترمذي , تح محمد= =فؤاد عبد الباقي , ط٢ (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – ١٩٧٥م) , ج٣ ,

و(من أطاع الإمام فقد أطاعني ومن عصى الإمام فقد عصاني)[١] وتفطنوا إلى غيرها من الشواهد العقلية والدلائل النقلية ليعلنون بعد كل ذلك : أن السلطان العادل أرفع درجة عند الله من العالم المجتهد , وكذلك يصرحون أن سلطان الإسلام , أمير المؤمنين , ظل الله في الأرض , الملك الغازي أبا الفتح جلال الدين محمد أكبر (خلد الله ملكه) أعدل الملوك وأعقلهم و أعلمهم , فإذا عرضت مسألة من المسائل التي تضاربت فيها أقوال الأئمة المجتهدين وأراد السلطان أن يعزز جانباً أو يرجح رأيا , مستنداً بصيرة ذهنه ونضوج رأيه إذا عرضت مسألة كهذه وقطع السلطان فيها بشيء تسهيلاً للعامة وتحسيناً لإدارة السلطان , وجب على الجميع الخضوع لأمره والعمل به[٢] .

كذلك إذا أصدر السلطان أمراً لا يعارض النص ويكون فيه ترفيه عن الأمة وجب العمل بمقتضاه على كل واحد , والذي يخالف عن أمره من رعيته , يستحق العذاب في الآخرة والخسران في الدين والدنيا جميعاً , وقد كتب هذا المرسوم ابتغاءً لمرضاة الله وإعلاء لكلمة الدين[٣] وها نحن عيون علماء الإسلام في هذا العصر , قد زكيناه وصدقناه , وذلك في رجب سنة ٩٨٧هـ , انتهى المرسوم , الذي يحمل في أثنائه الكثير من دواعي الفساد والإلحاد في الدين , ولا شك أن هذا المرسوم المشؤوم كان أول خطوة في سبيل تأسيس(الدين الإلهي الجديد) , ويروى أن السلطان أراد ذات مرة أن يقوم خطيباً يوم الجمعة , وذلك بعد صدور هذا المرسوم أو بعده بقليل , زعماً منه أن وقوفه موقف الإمام يزيده قوة إلى قوته في دعوى الاجتهاد , وأراد أن يخطب وأملى عليه نديمه «فيضي» خطبة منظومة بالفارسية , لكنه ما كاد يقف على المنبر ويشرع في إلقاء الخطبة , حتى تزلزلت قدماه وأُلقيَ في قلبه من الرعب ما أذهله عن نفسه , فاضطر إلى النزول عن المنبر والتنحي عن مثل هذا الموقف[٤] .

ص٦٠٩ .

(١) أبن ماجة , أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ) , سنن أبن ماجة , تح محمد فؤاد عبد الباقي , (دار إحياء الكتب العربية – مصر) , ج٢ , ص٩٥٤.

(٢) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٤٧٨–٤٧٩ ؛ الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية , ص٨٢– ٨٥ ؛ كوكن , دولة المغول في الهند , ص٥٠–٥٣ .

(٣) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٤٧٨–٤٧٩ ؛ الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية , ص٨٢– ٨٥ ؛ كوكن , دولة المغول في الهند , ص٥٠–٥٣.

(٤) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢, ص٤٧٦–٤٧٩ ؛ الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية , ص٨٢– ٨٥ ؛ كوكن , دولة المغول في الهند , ص٥٠–٥٣ .

والمطلع على المرسوم بتمعن لن يصعب عليه الحكم بأنه صيغ ليكون السلطان محور التشريع ومن خلاله ينقض من أحكام الشريعة السمحاء ما يشاء , ويضيف إليها تحت ستار الاجتهاد والمصلحة ما تملي عليه نفسه وهواه , وإننا نستشف من كلمات المرسوم «إمام » « مجتهد»«. ظل الله في الأرض » أنها تشير إلى فكر معين , وأصبح الامتثال لأحكام الإسلام مع مراعاة تشريعات السلطان أكبر محالاً وضرباً من العبث , فما من تشريع إلهي إلا ومسَّه التحريف , وإزاحته عن ميدان العمل وسماحة الدين الحنيف , وتدرج صاحب المراسيم في الاجتهاد من الفروع إلى الأصول[1]

الدين الإلهي

بعد ثلاث سنوات من ظهور مرسوم العصمة , أعلن السلطان الدين الجديد المعروف بالدين الإلهي أو التوحيد الإلهي , وذلك أن رجال حاشيته وعلى رأسهم وزيريه فيضي وأبي الفضل أوغروا في صدره أنه قد مضى ألف سنة على دين الإسلام وانكشفت شمس مجده بتمام الألف الأول من بعثة النبي الأمي , والآن آن له أن يتولى الزعامة الدينية ويرشد الناس إلى الطريق الأقوم , ومن أبرز المعتقدات والأعمال التي جعلها أساساً لبنيان الدين الإلهي الشرك بالله تعالى , حيث بدأ يعبد الشمس أربع مرات كل يوم , وكذلك كان يعبد النار والماء والحجر والشجر وسائر مظاهر الطبيعة , ثم تقدم خطوة أخرى نحو الانحراف , بتأليه السيدة مريم بنت عمران أم النبي عيسى , بل بلغت به السفاهة بتقديس عقله , الذي أفسد عليه كل شيء , لدرجة زعمه أنه بوسعه أن يأتي بالمعجزات والأعمال الخارقة للعادة , وكان يأخذ ميثاقاً على كل من يدخل في هذا الدين وجاء في هذا الميثاق((أنا فلان بن فلان...أتبرأ من دين الإسلام التقليدي و المجازي , الذي ورثته عن آبائي وأدخل في الدين الإلهي الأكبر شاهي وأقبل الأركان الأربعة التي هي من مراتب الإخلاص في هذا الدين , وهي ترك المال والنفس والعرض والدين))[2],والذين كانوا يدخلون فيه , كانوا يسمون«جيله» أي «المريد»[3], إلا أنه لم يتشرف بهذا اللقب إلا ثمانية عشر رجلاً من بطانته , كلهم من المسلمين إلا شخص واحد , وهو نديمه الظريف بيربر , وليس معنى ذلك أن السلطان أكبر لم ينجح في إضلاله للناس[4], بل قد تأثرت الحياة الاجتماعية بضلالاته أي تأثر وقد استمد الدين الإلهي أصوله من الديانات المختلفة , فقد أخذ

---

(1) بخش , أثر الفكر الغربي على المجتمع المغولي , ص٣١-٣٢ .

(2) الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص٨٦-٨٨ ؛ الساداتي , تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية , ج٢ , ص١٣٨ .

(3) م , ن

(4) للمزيد من المعلومات عن أبرز أسماء أتباع الدين الإلهي ينظر : بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٤٨٠-٤٨١ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين , ص٣٤٥ .

من الإسلام فكرة الوحدانية , وأخذ من المسيحية أن يوم الأحد هو يوم الاحتفال بمعتنقي الدين الجديد , وأخذ من الديانة الهندوسية الامتناع عن أكل اللحوم وأخذ من الديانة الآرية فكرة تقديس الحاكم , وأخذ من الوثنية عبادة الشمس والنار(١) .

ابرز مظاهر الانحراف الأكبري في الدين الإلهي

للإنحراف الأكبري مظاهر عديدة وأشكال متنوعة لا تعد ولا تحصى سوف نسلط الضوء على أبرزها من خلال عرض مقتطفات موجزة عنها, والتي منها وضع تحية جديدة تحل محل تحية الإسلام «السلام عليكم» ورد التحية بـ«وعليكم السلام» وجعل التحية الجديدة بـ«الله أكبر» وردها بـ«ﷻ»(٢) , ومن أكبر المنكرات في الدين الإلهي هي«سجدة التحية.» للسلطان , فكان أغلب العلماء والمشايخ والصوفية والأمراء والأعيان كلهم يخرون للسلطان سجداً(٣),كلما دخلوا عليه الباب , وقد روج لهذا قبله والده السلطان همايون وهي التسليم راكعاً منحياً , وهذا الذي كانوا يسمونه بـ«كورنيش» , فما كان من السلطان أكبر إلا أن جعلها عامة , لكن المسلمين أبوها؛ لكونها مخالفة للشرع الإسلامي, مع أن كبار العلماء أمثال تاج الدين زكريا بن عيسى الدهلوي أفتوا بجوازها , فانقطع السلطان عن هذا على مرأى من الناس ومسمع , لكن العمل فيها بقي جارياً في داخل البلاط الملكي , أما الذين يرون في هذه التحية المهينة للشرف وإباء النفس حرجاً من الوجهة الدينية فما كانوا يجبرون عليها , وقد أصبحت هذه السجدة التكريمية أسلوباً متبعاً في التسليم على السلطان وبقي العمل به جارياً زمن السلطان جهانجير بن أكبر أما السلطان شاهجهان فألغاها , وقيل إن العلماء والعامة كلهم كانوا يجبرون على السجدة في عصر السلطان أكبر(٤) , كما ألغى سنة(٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م) التقويم الإسلامي واتخذ تقويماً جديداً , وجعل بدايته سنة اعتلائه لسرير السلطنة وسماه التاريخ الإلهي , فقد كان مستبداً ودكتاتورياً فأحب ذكر الوقائع التاريخية والسياسية بحسب جلوسه على العرش لا بحسب السنين الهجرية القمرية(٥) , بدّل الكلمة الطيبة « لا إله إلا الله محمد رسول الله» إلى « لا إله إلا الله أكبر خليفة الله .» , ورسم

---

(١) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص١١٣ ؛ غنيم وعبد الرحيم , تاريخ الهند الحديث , ص١٠٢ .

(٢) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغولية الإسلامية في الهند , ص١١٤ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص٣٣٥ .

(٣) بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٤٧١-٤٧٢ .

(٤) الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص٧٥-٧٨ .

(٥) كوكن , دولة المغول في الهند , ص٥٤ ؛ خليل الرحمن , الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية , ص٩٨.

القشقة«النقطة الملونة» على جبينه للحصول على البركة اقتداءً بالهندوس[١] وألغى الجزية عن المشركين , وأذن للهندوس بناء معابد جديدة , وأباح للمسلمين الجدد أن يرتدوا عن دينهم ويرجعوا إلى أديانهم السابقة , وأصدر مرسوماً عاماً بمنع ذبح البقرة لتعظيم الوثنيين إياها وعبادتهم لها , فقد زين له أهل الفساد بقدسيتها معللين أن البقرة أول سورة من سور القرآن وهذا أكبر دليل لتعظيم شأنها[٢], ثم تقدم خطوة أخرى وحظر على الناس أكل لحوم الثيران والشياه والماعز والخيول والجمال , وأصدر أمراً ملكياً أن يمتنع الناس عن صيد السمك[٣] , وحلل الخمر وأباح بيعها على مرأى من الناس ومسمع , وأباح التعامل بالربا والقمار , وأصدر مرسوماً ملكياً بمنع تعليم اللغة العربية , وفرض على خاصته ورجال حاشيته أن يرتدوا الملابس الحريرية أثناء الصلاة , وألغى بعض أركان الإسلام , ومنها منع الصلاة والأذان في دار الشورى الملكية , ومنع الناس من الصوم في شهر رمضان وأداء فريضة الحج , وعطل الاحتفال بأعياد المسلمين , وغير أسماء النبيﷺ والصحابةﷺ التي يتسمى بها المسلمون عامة واستبدل بها أسماء أخرى غيرها , تحولت العديد من المساجد إلى مرابط للخيول, فضلاً عن استيلاء الهندوس على الكثير من المساجد, وأنكر المعجزات, والاعتراض على النبوة المحمدية , والسخرية من الإسراء والمعراج , وأباح للناس أن يأكلوا لحوم النمر والخنازير والضواري[٤], ونفى العديد من العلماء المسلمين ومشايخهم لاسيما أولئك الذين أنكروا عليه أعماله , وحرم دراسة القرآن والحديث , وأمر بحلق اللحى (الشعار المميز للمسلمين) ؛ لأن الهندوس كانوا يحلقون لحاهم[٥] , ويبرر أحد المؤرخين الغربيين أمره بحلق اللحى أن الهند بلد حار وحلقها من متطلبات النظافة[٦] , والسخرية من جميع جميع التعاليم الإسلامية [٧] .

---

(١) الندوي , الثقافة الإسلامية, ص٢٢٥ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية , ص٢٥٤ .

(٢) الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص٣٢٠ .

(٣) Ikram , Muslhm Civilization in India ,163 الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص٧٥-٧٨ , ديورانت , قصة الحضارة , ج٣ , ص١٤٣ .

(٤) الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية, ص٧١-٨١ , الندوي , رجال الفكر والدعوة , ج٣ , ص١٢١-١٣٣.

(٥) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية , ص١١٤-١١٥ ؛ كوكن, دولة المغول في الهند , ص ٥٣

(٦) Malleson, c.s.i , Rulers of India, 177.

(٧) للمزيد عن مظاهر الانحراف الديني ينظر : بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٤٩٨-٥٠٦.

الدين الإلهي بين مؤيدين ومعارضين

اختلف الناس في تقديرهم لهذا الدين الجديد , فأعجب به الكثير من الغربيين , ورأوا فيه بشير نهضة أو حركة إحياء هندية كبرى , وعدّوا السلطان أكبر حاكماً مصلحاً مجدداً منشئاً لامبراطورية قوية , فالعقيدة التي دعا إليها كان هدفها التوحيد بين طوائف الشعب لتكوين هند قوية موحدة[١] ويكون أهل البلاد جميعاً بفضل العقيدة الجديدة إخواناً يعبدون إلهاً لا يختلف من طائفة إلى طائفة , ويقول ديورانت : (لم يكن النجاح حليف الدين الإلالهي كونه ديناً ووجد السلطان أكبر أن التقاليد أقوى من أن يهدمها بأفكاره , صحيحٌ أن بضعة آلاف من الناس التفّوا حول الدين الجديد , كان معظمهم ممن يريدون من وراء ذلك اكتساب حظوة عند الدولة , لكن الأغلبية العظمى ما زالت متمسكة بآلهتها الموروثة , وأما من الوجهة السياسية فقد كان لخطته الدينية بعض النتائج المعينة , فإن كان السلطان أكبر بوحيه الديني الجديد قد أبدى شيئاً من الأنانية ومن الإسراف , فقد عوّض عن ذلك تعويضاً ناجحاً بإلغائه لضريبة الرؤوس وضريبة الحج المفروضة على الهندوس, وبإطلاقه الحرية للعقائد الدينية كلها , وبإضعافه لروح التعصب الديني وما يتبع ذلك من جمود الرأي وانقسام الطوائف , وكسب إلى جانبه بفضل دينه الجديد ولاء الهندوس , حتى أولئك الذين لم يعتنقوا منهم تلك العقيدة الجديدة فاستطاع أن يحقق غايته الرئيسة إلى حد بعيد وهي الوحدة السياسية للبلاد)[٢] , والمتمعن بآراء ديورانت يجد أنه يبالغ بعدد الذين التفوا حول دين السلطان أكبر الذين كان جُلهم من الطوائف غير الإسلامية , وأنه لم يحقق أية وحدة سياسية للبلاد, فقد أفل نجم هذا الدين حتى قبل أفول نجم السلطان أكبر , يقول النمر :(كان لهذا الدين صدى طيب في نفوس المؤرخين الأوربيين وغيرهم ممن لا يدينون بالإسلام لاسيما إذا كان صادراً عن شخص في مقام السلطان أكبر)[٣] وبرر احد هؤلاء المؤرخين ما قام به السلطان أكبر على أنه دليل لتسامحه الديني واحترامه لرأي الآخرين , ودافع عنه دفاعاً مريراً[٤].

وكان من الطبيعي أن يكون أثر هذه التشريعات التي أصدرها سلطان أتى إلى منصة الحكم عن طريق انتسابه إلى الإسلام أن تهب رياح المعارضة والمقاومة في العديد من أجزاء الهند المسلمة , وعلى جميع مستويات شعبها من علماء وأمراء كل في دائرته إذ وقف الكثير من الأمراء موقف المقاوم المعاند لأفكاره أكبر وتشريعاته , فنرى مير شهباز خان كنبو ينزع يده من يد السلطان

---

(١) **الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ١١٣ .**

(٢) **قصة الحضارة , ج٣ , ص١٤٣ .**

(٣) **تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٢٣ .**

(٤) **Malleson, c.s.i , Rulers of India, 147-158.**

أكبر خشية فوات فريضة المغرب , على الرغم من إلحاح السلطان أكبر بأدائها قضاء[١], والأمير ميرزا عزيز الدين رئيس الوزراء وأخو السلطان أكبر من الرضاع ,كان يغلظ عليه القول فيما يخالف الشرع فعزله السلطان لذلك[٢], فقبل تلك التنحية باستبشار صيانة للدين والشرع الحنيف , وكان المعارضون جُلُّهم من العلماء والمشايخ المخلصين, إذ كانوا أشد جرأة من هؤلاء جميعاً فعارضوه معارضة عنيفة , فنرى القاضي يعقوب المانكبوري يفتي بتحريم ما أباحه السلطان أكبر , وأفتى قاضي القضاة محمد اليزدي على الملأ بكفر السلطان أكبر, وتصدى المحدث إبراهيم الأكبر آبادي والشيخ حسن الأجميري للسلطان أكبر في تحيته السجودية[٣] .

وكان المؤرخ عبد القادر البديواني على رأس المعارضين لدين السلطان أكبر وسجل معارضته هذه في كتابه منتخب التواريخ ولم يترك نقطة إلا وسجلها وأبدى معارضته لها[٤] ومع أن كتابه هذا لم يظهر إلا في عهد السلطان جهانجير إلا أن بدواني كان يبدي معارضته جهاراً ويدلي برأيه مدعماً بالحجة والبرهان[٥], ومن العلماء الذين رفضوا مذهب السلطان أكبرحكيم عين الملك كيلاني ظل بمكة حتى آخر حياته[٦], مما شجع الخروج عليه فبعض الولايات حاربته , وحدثت ثورات ضده سنة(٩٩٠هـ/ ١٥٨١م) في البنغال , وفي كابل يرأسها ميرزا محمد حكيم[٧] فقاد السلطان أكبر جيشاً ضد من تمرد عليه وقتل منهم الكثير[٨] .

---

(١) **بخش , أثر الفكر الغربي على المجتمع المغولي , ص٣٤-٣٥**

(٢) **الندوي, الثقافة الإسلامية في الهند , ص٢٢٥**

(٣) **بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٤٨١-٤٨٢ ؛ بخش , أثر الفكر الغربي على المجتمع المغولي , ص٣٤-٣٥ .**

(٤) **للمزيد من المعلومات عن معارضة المؤرخ بدايوني ينظر كتابه منتخب التواريخ , مج٢, ص٤٣٦-٥٠٧.**

(٥) **الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص٣٤٦ .**

(٦) **بخشي , المسلمون في الهند , ج٢ , ص١٥٦ .**

(٧) **بدايوني , منتخب التواريخ , مج٢ , ص٤٩٠-٤٩٢ .**

(٨) **Ikram , Muslhm Civilization in India ,160 ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص٣٤٨ ؛ طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٥٥ .**

المبحث الرابع

الإمام أحمد السرهندي وحركته المضادة للدين الإلهي

قام الأمام أحمد السرهندي(٩٧١- ١٠٣٤هـ /١٥٦٤-١٦٢٥م) بحركة تجديدية مضادة , تعد في الواقع ردة فعل لحركة السلطان أكبر الإلحادية(١), والإمام السرهندي واحد من كبار المسلمين المتصوفين الذين برزوا في تاريخ الهند , والذين بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل تجديد الإسلام وتنقيته من الشوائب التي لصقت به ولاسيما بعد حركة التغيير الديني التي كان قد أبداها السلطان أكبر , نشأ الإمام أحمد السرهندي في الوقت نفسه الذي كان السلطان أكبر يدعو فيه لدينه الجديد فأخذ يراقب الأحوال , وبدأ ينظم حركة واسعة لمعارضة هذه الحركة الإلحادية , وبث أتباعه ومريديه في أنحاء البلاد , وكتب إلى قواد الجيش وكبار الموظفين ممن يأنس فيهم الرشد والإسلام الصحيح ينبههم إلى هذا الخطر الداهم , ويحذرهم عاقبة هذه الفتنة العمياء , وما قد يكون لها من آثار خطيرة على الإسلام والمسلمين في الهند , ولم تظهر آثار دعوته إلا بعد موت السلطان أكبر وفي عهد السلطان جهانجير الذي سار على نهج أبيه واضطهد علماء السنة ونكل بهم , وقرب إليه العلماء من المذاهب الأخرى واتخذهم بطانة له , وعندما اشتد حماس الشيخ أحمد في معارضة الدين الإلهي وما خلفه من آثار, وعندما نشط هو وأتباعه في دعوتهم التجديدية لمحاربة البدع والعودة بالإسلام إلى أصوله الأولى, غضب عليه السلطان جهانجير وعدّ نشاطه خطراً على الدولة والعرش , وأمر بالقبض عليه وسجنه(٢), ولكن سرعان ما عفا عنه , وأمر بإطلاق سراحه , وخلع عليه , وقد اختلفت الروايات في ذكر الأسباب التي دفعت السلطان إلى العفو عنه ؛ فرواية تقول بسبب رؤيا رآها , وهناك رواية أخرى أقرب إلى الصحة أنه لم يمضِ على دخول الشيخ أحمد السرهندي السجن إلا أيام قليلة , حتى تغير حال المسجونين من خلال إلقائه المواعظ عليهم , فصلح حالهم وصاروا يطيعون الشيخ طاعة عمياء ويؤدون فروضهم الدينية في أوقاتها بحرص شديد , مما أثار عجب مدير السجن وإعجابه, فكتب إلى السلطان يخبره بأن هذا الشيخ ليس كغيره من السجناء وإنما هو شخص قلما يأتي الدهر بمثله , وطلب موافقة السلطان بإطلاق سراحه وإكرامه بما يستحق , فندم السلطان جهانجير على حبسه , فأمر بإحضاره إلى القصر, ولما علم بقرب وصوله من العاصمة أرسل ولي عهده الأمير

---

(١) لابيدس, تاريخ المجتمعات الإسلامية , مج٢ , ص٦٣١ ؛ الندوي , المسلمون في الهند , ص ٧٤- ٧٥ ؛ الندوي , ربانية لا رهبانية , ٧٧-٨٢ , للمزيد عن حياته وحركته التجديدية ينظر : الندوي , رجال الفكر والدعوة , ج٣ , ص١٣٧-٢٦٧ .

(٢) الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص١٠٠-١٠٢؛ الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية, ص١١٧ ؛ الندوي , أضواء على الحركات والدعوات الدينية الإصلاحية , ص٨-١٠.

خرم شاهجهان لاستقباله والترحيب به , ولما دخل حيا السلطان وحاشيته بتحية الإسلام ولم يسجد له[١], وبقي في قصر السلطان ولبقائه هذا آثار طيبة, إذ استطاع أن يقنع السلطان بإلغاء كثير من البدع التي استحدثها أبوه السلطان أكبر , فأصدر أمراً ملكياً حرّم السجود للسلطان , وأباح ذبح البقر وأكل لحمه , وإعادة بناء المساجد المهدمة , وأبطل جميع القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية , وتعيين قضاة ومحتسبين في مختلف المدن الهندية[٢], وبذلك آتت حركة الشيخ أحمد التجديدية أُكلها, وعاد المجتمع الإسلامي إلى سابق عهده وانتهت حركة الاضطهاد لعلماء السنة , وبدأ المسلمون يشعرون بالحرية التامة في القيام بشعائر دينهم, وأطلق عليه مولانا عبد الحكيم السيالكوتي مجدد الألف الثانية وذلك تحقيقاً للحديث النبوي الشريف[٣]

« إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينه »[٤]

لقد استبشر المسلمون بما قام به السلطان جهانجير من أوامر ملكية كان من أبرزها تحريم سجدة التحية أو السجدة التعظيمية , ورجوعه بالامبراطورية المغولية إلى حظيرة الشرع الشريف واستمساكه بعروة الدين المبين في تدبير أمور السلطان وتنظيم شؤونه , إلا أن التاريخ المعاصر لا يشهد بذلك , ولم نظفر إلى الآن بشهادة تدل على أن السلطان جهانجير أصدر أمراً بتحريم السجدة للسلطان والأذن بذبح البقرة وغيرها من الأمور بطلب من المجدد أو بغير طلب , إلا أن الملاحظ أن سياسة السلطان جهانجير قد تغّيرت كثيراً في هذا المجال وربما هذا التغيير متأتٍ من خلال تأثيرات الإمام السرهندي[٥], حيث قضى أعوامه الستة الأخيرة في الدعوة والإرشاد , وعاد إلى وطنه سرهند بإذن من السلطان جهانجير , له العديد من الكتب والرسائل العلمية القيمة[٦].

---

(١) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص١١٧.

(٢) الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص١٠٣ ؛ غنيم , تاريخ الهند الحديث , ص١١٠ ؛ خليل الرحمن , الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية, ص٢٣٥ .

(٣) الشيال , تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند , ص١١٧ .

(٤) أبو داود , سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت: ٣٧٥هـ) , سنن أبي داود , تح محمد محي الدين عبد الحميد , (المكتبة العصرية – صيدا بيروت –بلا .ت) , ج٤, ص١٠٩.

(٥) الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص١٠٣ .

(٦) كوكن , دولة المغول في الهند , ص١١٦-١١٧ .

وهكذا استطاع رجل وحيد بقوة إرادته وصدق عزيمته , وإيمانه القوي ومعرفته بقيمة نفسه , واحتفاظه بقوته , أن يحدث انقلاباً في الحكومة , واستطاع أن يقضي على عقيدة وحدة الوجود ومن أشهر خلفائه السيد آدم البنوري الذي سار على الخطا نفسه[١].

نظرة تحليلية لأحكام الدين الإلهي

خضع الدين الإلهي إلى العديد من الدراسات قديماً وحديثاً للوقوف على أسبابه ونتائجه, ومن هذه الدراسات ما كتبه د. أحمد عبد القادر الشاذلي بهذا الخصوص إذ فند الأسباب التي دعت السلطان أكبر إلى اختراع الدين الإلهي , فذكر أن السلطان أكبر ضاق ذرعاً من الانقسامات الدينية التي تحدث بين رعيته وفي مملكته الواسعة , وأفزعه الاحتمال أن تؤدي هذه الديانات المتنافسة إلى تمزيق المملكة بعد موته فاستقر رأيه آخر الأمر أن يكون منهما ديانة جديدة تضم أهم تعاليم العقائد المختلفة في صورة يسيرة, والهدف منه توحيد الدولة فهو إذن هدف سياسي أكثر منه ديني[٢], فيقول لوبون إن السلطان أكبر حاول إدغام الهندوس بالمسلمين فتزوج من هندوسيات واتخذ وزراء من المسلمين والهندوس معاً[٣] , أما ديورانت فقال إنه دمج العقائد ليهيئ للناس سلاماً وللملكة أمناً[٤], ويرى أحد المؤرخين أنه إلى جانب الأسباب السياسية فإن هناك أسباباً ثقافية ودينية دفعت السلطان إلى الدعوة للدين الإلهي , فهو كان يهتم بالفلسفة منذ صغره سماعياً؛ لأنه كان أُمياً مثلما ذكرنا سابقاً , على أية حال فإن هناك اختلافاً حول أهداف السلطان أكبر , هل كان يريد توحيد شعبه حقاً ؟ أم كان يريد أن يصبح مؤسس ملة جديدة ؟ أو أنه كان يريد أن يضفي شكلاً من أشكال التقديس على حكمه ؟ , المهم أن مشروع السلطان أكبر هذا فشل فشلاً ذريعاً , على الرغم من نفاق فريق من الناس حول المذهب الجديد , جلباً للنفع وطمعاً في اكتساب الحظوة لدى السلطان, ولم يمنع ذلك كله وصف السلطان أكبر بالزندقة والخروج عن الإسلام[٥] .

موقف السلطان أكبر من الإسلام

أُتّهم السلطان أكبر بالزندقة والخروج عن الإسلام[٦], وهذا شيء طبيعي , فقد غير السلطان مبادئ الإسلام واستحدث بدعاً لم تكن موجودة في الشرع الحنيف فقد تفرد باضطهاد الإسلام والتضييق على المسلمين وصنع بدع ومنكرات شنيعة , ومن الغريب أن يسمى عصر هذا

---

(١) **الندوي , ربانية لا رهبانية , ص٨٠ -٨١ .**
(٢) **الحياة الثقافية في بلاط السلطان أكبر , ص٣٤٦ .**
(٣) **حضارات الهند , ص٦٤٥ .**
(٤) **قصة حضارة الهند وجيرانها , ج٣, ص١٤٢ .**
(٥) **حسن , التصوير الإسلامي في الهند (الصور الشخصية) , ص٢٤ .**
(٦) **م , ن , ص٢٤ .**

السلطان بالعصر الذهبي وكان الأجدر أن يسمى عصر الضلالة[١], ويقف على رأس المعارضين المؤرخ بدايوني , وقد استمد المعارضون أرآءهم من روايات بدايوني حول السلطان ولاسيما في الدين الإلهي فقد شرحه شرحاً وافياً , وإذا كان بدواني على رأس المعارضين فإن أبا الفضل على رأس المؤيدين, ولكنه لم يذكر تفاصيل هذا الدين كما فعل بدايوني[٢], ومن الجدير بالذكر أن دعوة السلطان أكبر لم تكن أول دعوه لتوجيه الهند في دين واحد, فقد سبقته دعوات كثيرة ولكن أصحابها لم يكونوا سلاطين مثله وهناك أحد المؤرخين المعاصرين من يتهم بدايوني بأنه كان يهاجم ويتحامل على السلطان في موقفه من الإسلام , وهذا أمر طبيعي فأي مسلم حقيقي لابد أن يقف هذا الموقف ويعترض على الأحكام التي تخالف الإسلام , لقد اتضح عداء السلطان أكبر للإسلام من خلال الأحكام التي أصدرها والقوانين التي ابتدعها وتساهله مع أهل البدع وعدّه الإسلام ديناً مزيفاً , وقد أعجب الغرب أيما إعجاب فيصف ديورانت تعاليم الإسلام بالجمود والفساد؛ وهذا لأنهم اعتمدوا على رأي أبي الفضل في تصوير العبادات بأنها تقليد جامد[٣] , كان السلطان أكبر يعامل حكام المسلمين معاملة مختلفة عن الهنود في حالة هزيمتهم , فكان يقضي على المسلمين ويستولي على ولاياتهم , أما الهندوس فكان يبقيهم في ولاياتهم ويعاملهم بكل شرف وأمان[٤] المعروف أن أركان الإسلام خمسة هي « شهادة ألّا إله إلا الله وأن وأن محمداً رسول الله , وإقام الصلاة , وإيتاء الزكاة , وصوم رمضان , وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً » وهنا سؤال يطرح نفسه كم ركن من هذه الأركان أبطله السلطان أكبر وعطله ؟ الجواب : سوف نظفر به بعد أن نتتبعها ركناً ركناً , فالركن الأول من الإسلام أبطله السلطان أكبر حين غير الشهادة من « لا إله إلا الله محمد رسول الله » إلى « لا إله إلا الله أكبر خليفة الله »[٥] , أما أما الركن الثاني وهو « إقام الصلاة » , فقد توقفت الصلوات الخمس بعد أن كان لا يفوته فرض منها , الركن الثالث « إيتاء الزكاة » , أصدر فرماناً بمنع الزكاة وبالمقابل اسقط الجزية وضريبة الحج لغير المسلمين ثم منع الزكاة , والركن الرابع « صوم رمضان » عُدّ الصوم نوعاً من التقليد ولذا فقد منع صوم رمضان أيضاً[٦] والركن الخامس « الحج إلى بيت الله الحرام » ففي بداية حكمه كان يبعث كل عام عدداً كبيراً من الحجاج إلى الديار المقدسة على نفقة الدولة

---

(١) الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص٦٠ .

(٢) منتخب التواريخ , مج٢ , ص٤٣٤-٤٧٩ .

(٣) قصة حضارة الهند وجيرانها , ج٣, ص١٤١ .

(٤) الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين , ص٣٥٢-٣٥٥ .

(٥) طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٥٤ .

(٦) الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص٧١-٨١ ؛ الندوي , رجال الفكر والدعوة , ج٣ , ص١٢١- ١٣٣ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين , ص٣٥٢-٣٥٥ .

, ويبعث مع أمير الحجاج الهدايا والتحف إلى والي مكة المكرمة, ويبعث النقود والغلات لأهل الحرمين الشريفين , وكان يشيع الحجاج عند توديع قوافلهم محرماً كإحرام الحج مقصراً للشعر , ملبياً , حاسر الرأس , حافي القدمين(١), أعلن أنه من يريد الحج على نفقة الدولة سيكون متاحاً له مستثنياً القتلة , فحج خلق كثير بهذه المكرمة , ولكن في(سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م) منع مسلمي الهند من الحج الى بيت الله الحرام(٢) وبذلك أبطل أركان الإسلام الخمسة وعطلها كلها , زيادة على المحرمات التي أباحها والتي ذكرت ضمن مظاهر الدين الإلهي(٣)

لقد حلّل السلطان أكبر الحرام وحرم الحلال مما استوجب نقمة المشايخ ورجال الدين والمسلمين , هذا هو موقف السلطان أكبر من الإسلام فأمام هذه الحقائق والأدلة الدامغة , لا أعتقد أن أي قارئ يقرأ ما كتبناه عن دين السلطان أكبر الجديد لا يشك في مسألة خروج السلطان عن الإسلام وانحرافه عن الشريعة الإسلامية, ولم يفارق السلطان أكبر الحياة حتى شاهد انهيار دعوته , وفشل تشريعاته بأم عينيه , وقد اختلفت الآراء حول توبة السلطان أكبر ورجوعه إلى الدين الإسلامي بين من يؤكد وبين من ينفي , فيقال إن مجموعة من المشايخ دنوا من السلطان أكبر وهو على فراش الموت يحاولون أن يردوه إلى الإسلام , لكنهم منوا بالفشل وهكذا قضى السلطان دون أن يجد من يصلي على روحه بين أنصار أية عقيدة أو مذهب , ولم يشيع جنازته إلا عدد قليل منهم , فكانت جنازته متواضعة ولبس أبناؤه ورجال حاشيته ثياب الحداد بمناسبة موته , ولكنهم خلعوها في مساء اليوم نفسه , فرحين بوراثتهم للسلطان(٤).

ويذكر أحد الكتّاب أن السلطان أكبر في آخر حياته وقف على أخطائه , فعاد إلى حظيرة الإسلام , وهدم عبادت خانة التي لا يوجد لها أثرٌ في فتحبور , وفَوّت على المسلمين فرصة عظيمة من فرص قوتهم , صحيح أن هدفه في توحيد الأمة الهندية كان سامياً , لكن منهجه كان خاطئاً , فلم يوحد بلاده, ولم يدفعها إلى طريق الارتقاء بالواقع الديني (٥).

والرواية الأولى هي أقرب إلى الصحة وهذا ما نستدل عليه من سيرة خلفه السلطان جهانجير , وهكذا انتهت الدعوة التي دعا إليها السلطان أكبر بموته , بل لقد مات جميع الذين اعتنقوا هذه

---

(١) الطريحي , الشيعة في عهد المغول , ص٤٧ .

(٢) الندوي , تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند , ص٧١-٨١ ؛ الندوي , رجال الفكر والدعوة , ج٣ , ص١٢١- ١٣٣ ؛ الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين , ص٣٥٢-٣٥٥ .

(٣) الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين , ص٣٥٢-٣٥٥ .

(٤) ديورانت , قصة الحضارة , ج٣ , ص١٤٤ .

(٥) آذرشب , محمد علي , مقالة (أكبر والمذاهب) , بلا ص .

الديانة قبل موت السلطان أكبر, ولم يبق منهم سوى واحد فقط هو شريف آملي الذي أراد أن يحيي الدين الإلهي في عهد السلطان جهانجير[١]

لقد أطلق العديد من المؤرخين على عصر السلطان أكبر بالعصر الذهبي , فقد عَدُّوه من أعظم الحكام في تاريخ الهند والمؤسس الحقيقي لها[٢], فهل هو حقاً عصر ذهبي بالنسبة للإسلام وللهند ؟ نستشف مما تقدم أن عصره يعد ذهبياً من الناحية السياسية والعسكرية لما حققه من إنجازات وفتوحات لم يسبقه أحد من السلاطين من قبل, وإنشائه إمبراطورية كبيرة , لها ثقلها بين الأمم , وكذلك الجانب الثقافي ففي بلاطه انتعشت الحياة الثقافية انتعاشاً ليس له مثيل في عهد الدولة المغولية في الهند؛ وكان ذلك بسبب اهتمام السلطان بجوانب الثقافة وهذا ما لمسناه في كتابات الدكتور أحمد عبد القادر الشاذلي في رسالته للماجستير الموسومة .(الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر) , وقد اتسم عهده بأنه كان مزدهراً ثقافياً , أما النواحي الدينية والاجتماعية فيعد عهده عهد انحطاط وعصر الضلالة.

-موقف السلطان جهانجير وشاهجهان من الدين الإلهي

لم يرضَ أعيان الأمة المسلمة مبايعة السلطان جهانجير سنة(١٠١٤هـ/١٦٠٥م) إلا بعد أن أخذوا عليه العهد بالعودة إلى الإسلام ونبذ كل ما يخالفه من التشريعات الأكبرية , وعلى الرغم من عدم اهتمام الدولة بالدين , ولاسيما في باب بعض الحدود , نجد أن بوادر العودة إلى الشرع وضعت بذورها في أوائل هذا العهد , إذ بذل العلماء ورجال الإصلاح العديد من المحاولات للعودة إلى الإسلام[٣].

لم يكن السلطان جهانجير متعصباً في نظرته الدينية , فكان متسامحاً مع المسلمين والهندوس على حد سواء , وقد انعكست تلك النظرة بطبيعة الحال على موقفه من الدين الإلهي , لكن هذا التغير لم يحدث دفعة واحدة, فلقد اتبع جهانجير في البداية سياسة أبيه بالنسبة للدين الإلهي فاضطهد علماء السنة وقَرّب علماء الأديان الأخرى وقاوم في البداية الدعوة الإصلاحية التي كان يقودها الشيخ أحمد السرهندي الذي سجنه ثم عفا عنه , واستجاب للنصائح فألغى بعض قواعد الدين الإلهي[٤].

أما السلطان شاهجهان فقد بدأ حكمه بداية طيبة , إذ كان سنياً متحمساً ,محافظاً على تعاليم الإسلام وآدابه , ويتضح ذلك في كثير من المواقف منها أنه كان يستيقظ يومياً لصلاة

---

(١) **الشاذلي , الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , ص٣٨٧ , ٣٥٧ .**

(٢) **Ikram , Muslhm Civilization in India, 146. ؛ غنيم , تاريخ الهند الحديث , ص١٠٤؛ المشهداني , تاريخ الدول الاسلامية في آسيا , ص ٢٠٠ .**

(٣) **بخش , أثر الفكر الغربي على المجتمع المغولي , ص٣٥-٣٦ .**

(٣) **غنيم , تاريخ الهند الحديث , ص١١٠ .**

الفجر وبعد الانتهاء من الصلاة وغالباً ما تكون الصلاة في مسجد القصر, ويقضي بقية الوقت في الدعاء إلى أن تشرق الشمس فيصلي صلاة الضحى ثم يجلس باتجاه القبلة يتلو القرآن ويتأمل في آيات الله(١) , ومن مواقفه عدم تفرقته في المعاملة بين المسلمين وغيرهم , ومقاومته لانتشار بعض المذاهب وقيامه ببعض الإصلاحات الدينية التي أصابها الوهن في عهد السلطان أكبر وتبناها السلطان جهانجير من بعده , التي رأى فيها رجال الدين بدعاً , وسخط المجتمع الإسلامي في الهند منها وطالب الجميع بتغييرها , ومن أبرز هذه الإصلاحات(٢) , إلزام الدوائر الحكومية الالتزام بالتاريخ الهجري , وأبطل عادة تقبيل الأرض أمامه تحية له , وكانت هذه التحية المعتادة للملوك , حتى أن السلطان جهانجير حبس زعيم العلماء في الهند مولانا أحمد السرهندي؛ لأنه لم يسجد له كما ذكرنا سابقاً , فقضى السلطان شاهجهان على هذا التقليد السيء , كما قضى على كل مظهر من المظاهر المخالفة للإسلام مما تركه جده السلطان أكبر من بعده ولم يبطله أبوه السلطان جهانجير , وكان كثير الإكرام للعلماء حتى قصدوه من جميع الجهات(٣) .

---

(١) Sarkar, Jadunath , Studies in Mughal India , 2th –Edition (india Educatioal Service – Bihar – 1919) ,8.

(٢) طقوش , تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , ص٢٧٨.

(٣) النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص٢٦١ ؛ غنيم , تاريخ الهند الحديث , ص١١٨ .

الخاتمة

لقد كرست الأطروحة لدراسة امبراطورية المغول الإسلامية في الهند من عام ٩٣٢ – ١٠٦٧هـ/ ١٥٢٥–١٦٥٦م, إذ تُعد هذه الحقبة من أزهى الحقب التي مرت بها شبه القارة الهندية. إذ عمد المغول إلى إرساء نظام حكم إسلامي فاهتموا اهتماماً بالغاً بترسيخ قواعد الدولة من الناحية السياسية والإدارية ,هذا فضلاً عن الناحية العلمية والثقافية التي شهدتها هذه الحقبة.

ولقد كشفت الأطروحة جملة من النتائج أبرزها

- تعد المدة التي حكمت بها إمبراطورية المغول الإسلامية الهند من أزهى الحقب الإسلامية لاسيما حكم السلاطين الأوائل, التي بلغت أوج عظمتها في عهد السلطان شاهجهان وابنه السلطان أورنجزيب .

- يتبين لنا من خلال دراستنا أنه ليس من الصواب القول إن معركة بانيبات الأولى أسفرت فوراً عن تأسيس دولة المغول الإسلامية في الهند فقد كان على السلطان بابر أن يذلل الصعوبات التي كانت أمامه والتي لم تسمح له بتأسيس تلك الدولة .

- تُعد مدة حكم الأفغان الانتقالية ولاسيما مدة السلطان شيرشاه السوري من المدد المزدهرة في تاريخ الهند والتي أدت دوراً كبيراً في تثبيت دعائم إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند .

- عَدّ بعض المؤرخين السلطان جلال الدين أكبر هو المؤسس الحقيقي لامبراطورية المغول الإسلامية في الهند؛ وذلك لطول مدة حكمه البالغة خمسين عاماً ، ولإنجازاته الكبيرة , وعلى الرغم من انحرافه الديني إلا أنه جعل الدولة المغولية في الهند من أفضل الدول في العالم آنذاك .

- فشل حركات التبشير التي قام بها البرتغاليون في عهد السلطان جلال الدين أكبر الذي سمح ببناء العديد من الكنائس في الهند؛ بغية توطيد العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.
- أدت النساء المغوليات دوراً كبيراً في جميع الجوانب سواء كانت السياسية منها أو الاجتماعية أو الثقافية ، فقد حظيت بمكانة لم تحظَ بها في جميع الديانات والملل من خلال احترام الدين الإسلامي للمرأة والاعتراف بحقوقها وكرامتها. فقد ضربت اسمها على السكة إلى جانب اسم السلطان وهي حالة فريدة لا نجد لها مثيلاً في تاريخ العملة الإسلامية .
- فاقت امبراطورية المغول الإسلامية في الهند الدول الأوربية كفرنسا وإيطاليا من حيث وجود شبكة الطرق والمواصلات والخدمات عالية الجودة وتوفر الأمن فيها نتيجة العناية الكبيرة التي أولاها سلاطين المغول لها .

- شهدت الهند في عهد المغول تطوراً إدارياً عظيماً , إذ وضحت ملامح تقسيم العمل الإداري داخل جهاز إدارة الدولة وقد قام سلاطين المغول بتطوير تلك النظم الإدارية والعسكرية التي ورثوها عن أسلافهم , فجعلوا الإدارة المركزية والمحلية ذات المرجعية الإسلامية , واعتمدت الإدارة على مختلف العناصر تبعاً لمتطلبات الكفاية وحاجة الدولة الإدارية , إذ كانت هناك العناصر الإسلامية إلى جانب العناصر الهندوسية فضلاً عن نسبة كبيرة جداً من الترك والفرس والعرب .

- عَدّ الجيش الهندي في عهد امبراطورية المغول الإسلامية من أكبر الجيوش الإسلامية , فقد وُضِعَت كافة إمكانات الدولة له , وكان من أبرز ملامح الجيش قدرته على شن العديد من المعارك على الجبهات العديدة في آن واحد , وامتلاكه أسلحة متطورة من مدافع وبنادق إلى جانب أسطول حربي قوي وكبير .

- عَدّ عصر السلطان شاهجهان العصر الذهبي اقتصادياً؛ وذلك لازدهار الزراعة والصناعة والتجارة , وعلى الرغم من كثرة الحروب الخارجية التي استنزفت موارد الدولة إلا أن الخزائن آنذاك كانت مملوءة بالثروات .
- انعكس حرمان السلطان أكبر من التعليم انعكاساً أيجابياً على رعايته للعلم والعلماء فقد فاق باقي السلاطين في ذلك المجال ، إذ نشطت الحركة العلمية في عهده نشاطاً منقطع النظير وأصبحت الهند عنصر جذب لطلبة العلم والعلماء .

- ساعد على تنشيط العملية التعليمية , وجود المكتبات الكثيرة الخاصة منها والعامة , إلى جانب وجود اللغات العديدة وعمليات الترجمة مما ساعد على عمليات التواصل الفكري والمعرفي بين الثقافات العديدة , وازدهرت إلى جانب العلوم الدينية الكثير من العلوم والفنون الأخرى , منها علم الحساب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم العقلية الأخرى , التي برع فيها كثير من العلماء وخلفوا وراءهم الأعمال العلمية القيمة .

- شهدت المدة التي حكم بها المغول تطوراً كبيراً في الكتابة التاريخية, حتى أن السلاطين عمدوا إلى كتابة مذكراتهم الشخصية , وقد سبقهم في ذلك المجال جدهم تيمورلنك والتي تعد من المصادر الأساسية التي تزودنا بمعلومات عن تاريخ الهند. وقد أسعفنا الحظ بالحصول على جزء منها , فضلاً عن ظهور مؤرخين كبار مثل البداواني وفرشته,
- اشتهرت الهند بصناعة الطب وتقدمه فهم يعدون أول شعب قام باختراع المختبر الطبي , إلا أن اهتمامهم بالطب الروحاني كان أكثر؛ وذلك لكثرة معتقداتهم المرتبطة بالأرواح الشريرة وكيفية العلاج منها بتقديم القرابين للآلهة والأصنام.
- شهد العصر المغولي تطوراً معمارياً كبيراً فقد بُنيت العديد من المساجد والجوامع والمزارات والقصور ,إذ مزج بين فن العمارة الإسلامية مع العمارة الهندوسية حتى صارت تبهر الناظرين , وقد عمد السلاطين إلى جلب المعماريين والحرفيين من مناطق مختلفة من خراسان وبلاد فارس والعراق .

- اخترع المغول العديد من الأواني لتجهيز الأطعمة , كما يعد المغول أول من أدخل الحلويات المعتمدة على الألبان إلى الهند , فقد شجع السلاطين على إدخال العديد من أصنافها من بلاد فارس.
- تعد المدة التي حكم فيها السلطان جلال الدين أكبر من أحلك المدد وأتعسها من الناحية الدينية , إلا أن ذلك الانحراف ما لبث أن انتهى بوفاة السلطان أكبر وعودة سكان الهند إلى فطرتهم الدينية التي فطرهم الله عليها.
- وقوف العديد من علماء المغول بوجه الدين الإلهي وقيامهم بحركات تجديدية مضادة له وكان الإمام أحمد السرهندي من أبرزهم فقد بذل جهوداً كبيرة في سبيل تجديد الإسلام وتنقيته من الشوائب التي علقت به .

توصيات الباحثة

أن يقوم بعض الطلبة الباحثين في المستقبل بدراسات مماثلة لموضوع هذه الأطروحة عن تاريخ امبراطورية المغول الإسلامية في الهند بمختلف الجوانب , ويسلطون الضوء على ذلك الجزء المظلوم تاريخياً من قبل المؤرخين العرب المسلمين مقارنة مع الكُتّاب الأجانب الذين فاضت مؤلفاتهم بذلك الجانب ولكن بعضها يسودها آراء مشوهة ومغلوطة عن الإسلام والمسلمين ، فمن واجبنا نحن طلاب الدراسات تصحيح التاريخ على أن يتاح لهم السفر إلى الهند ليتسنى لهم النهل من المصادر الأصيلة بأنفسهم والوقوف على مدى صحتها وتفنيد الآراء المشوهة, سواء كانت المصادر فارسية أو أوردية وكذلك الأجنبية , وتظهر دراسة بمنظور جديد وبحلة جديدة من خلال الاحتكاك المباشر بمعالم تلك الامبراطورية الإسلامية العظيمة وآثارها التي يفتخر بها كل مسلم , زيادة على مَدّ جسور التواصل العلمي والثقافي بين الجامعات العراقية والهندية, لاسيما وجود أعداد كبيرة من طلبتنا في الهند لإكمال دراساتهم في الجامعات الهندية .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير , أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين (ت :٦٣٠هـ).

١- الكامل في التاريخ , تح عمر عبد السلام تدمري , دار الكتاب العربي (بيروت – ١٩٩٧م).

الادريسي , محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس (ت : ٥٦٠هـ).

٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق , ط١ (عالم الكتب – بيروت – ١٩٨٨م)

ابن الازرق , محمد بن علي بن محمد الاصبحي (ت: ٨٩٦هـ).

٣- بدائع السلك في طبائع الملك , تح د. علي سامي النشار ,ط١ (وزارة الاعلام – العراق– بلا.ت) .

ابن أبي أصيبعة , احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس (ت:٦٦٨هـ) .

٤- عيون الأنباء في طبقات الأطباء , تح : د.نزار رضا , (دار مكتبة الحياة – بيروت– بلا.ت) .

بابر , ظهير الدين محمد بابر شاه

٥- تاريخ بابرشاه المعروف بـ(بابر نامه وقائع فرغانة) , ترجمة د.ماجدة مخلوف , ط١ (دار الافاق العربية – القاهرة– ٢٠٠٢م).

بخشي , نظام الدين احمد الهروي.

٦- المسلمون في الهند ، وهو الترجمة الكاملة لكتاب طبقات اكبري ، ترجمة د. احمد عبد القادر الشاذلي , الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة –١٩٩٥م).

ابن بطوطة , محمد بن عبد عبدا لله بن إبراهيم اللواتي الطنجي أبو عبدا لله (ت :٧٧٩هـ) .

٧- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النُظّار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار , (دار الشرق العربي–بيروت–بلا.ت).

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت :٢٧٩ هـ)

٨- فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال (بيروت –١٩٨٨).

بولو , ماركو(ت :٧٢٥هـ) .
٩- رحلات ماركو بولو , ترجمة عبد العزيز جاويد , (الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة -١٩٧٧م) .
البيروني , أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي(ت : ٤٤٠هـ) .
١٠- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة , ط٢ (عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٣هـ).
البيهقي , أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت: ٤٥٨هـ) .
١١- السنن الكبرى , تح , محمد عبد القادر عطا , (دار الكتب العلمية- بيروت – ٢٠٠٣م).
البيهقي , محمد بن حسن (ت: ٤٧٠هـ).
١٢- تاريخ بيهقي , نقله إلى العربية يحيى الخشاب وآخرون , (بيروت – ١٩٨٢م).
الترمذي , محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت:٢٧٩هـ).
١٣- سنن الترمذي , تح محمد فؤاد عبد الباقي , ط٢ (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر- ١٩٧٥م).
ابن تغري بردي , جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت:٨٧٤هـ) .
١٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دار الكتب- مصر -بلا.ت).
ابن تيمية , تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله (ت: ٧٢٨هـ) .
١٥- الحسبة في الإسلام , ط١ (دار الكتب العلمية-بيروت-بلا.ت)
الجاجرمي , أبو المعالي المؤيد بن محمد.
١٦- نكت الوزراء , تح , نبيلة عبد المنعم (مطبوع على الآلة الكاتبة – مركزإحياء التراث – بغداد – ١٩٨٤م).
الجاحظ , عمرو بن بحر بن محبوب الليثي(ت: ٢٥٥هـ) .
١٧- البيان والتبيين , (دار ومكتبة الهلال – بيروت -١٤٢٣هـ).
ابن الجوزي , جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:٥٩٧هـ)- ١٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , تح محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا , ط١(دار الكتب العلمية – بيروت-١٩٩٢م)

الحموي , ابو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت:٧٧٠هـ).
١٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير,(المكتبة العلمية – بيروت-بلا.ت)
الحميري , ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت :٩٠٠هـ).
٢٠- الروض المعطار في اخبار الأقطار , تح احسان عباس , ط٢ (مؤسسة ناصر للثقافة – دار السراج -بيروت – ١٩٨٠م).
ابن خلدون , عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد الحضرمي الأشبيلي (ت: ٨٠٨ هـ) .
٢١- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر , تح خليل شحاذة , ط ٢, (دار الفكر بيروت – ١٩٨٨ م).
ابن خلكان , أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت:٦٨١هـ).
٢٢- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , ط١(مطبعة السعادة – مصر –١٩٥٠م).
أبو داود , سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت: ٣٧٥هـ)
٢٣- سنن أبي داود , تح محمد محي الدين عبد الحميد , (المكتبة العصرية – صيدا بيروت -بلا . ت)
ابن دحية الكلبي , أبو الخطاب عمر علي .
٢٤- النبراس في تاريخ بني العباس , صححه وعلق عليه عباس العزاوي , (مطبعة المعارف-بغداد- ١٩٤٦م).
الرازي , زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت: ٦٦٦هـ).
٢٥- مختار الصحاح , تح يوسف الشيخ محمد , ط٥ (الدار النموذجية – بيروت ١٩٩٩م).
الزبيدي , أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني (ت : ١٢٠٥هـ) .
٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس , (دار الهداية- الرياض-بلا.ت).
الزمخشري , أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت : ٥٣٨هـ).
٢٧- الفائق في غريب الحديث والأثر , تح علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم , ط٢ (دار المعرفة – لبنان-بلا.ت).
السيوطي , جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت :٩١١هـ) .
٢٨- تاريخ الخلفاء , تح محمد أحمد عيسى , (دار الغد الجديد القاهرة -٢٠٠٧م).
ابن شاكر الكتبي , ابو عبدالله (ت :٧٦٤هـ) .

٢٩- فوات الوفيات والذيل عليها , تح أحسان عباس , (دار صادر, بيروت - ١٩٧٣م).

الشهرستاني , أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت: ٥٤٨).

٣٠- الملل والنحل , تح أمير علي مهنا وأخرون , ط٣(دار المعرفة - بيروت - ١٩٩٣م) .

شيخ الربوة , شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت :٧٢٧هـ) .

٣١- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ,(مطبعة الاكادمية الامبرطورية- بطرسبرغ- ١٨٦٥م).

الشيخ نظام الدين برهانبوري وآخرون.

٣٢- الفتاوى العالمكيرية (الفتاوى الهندية) , مصر - ١٩١٦م).

ابن صاعد الأندلسي , أبي القاسم صاعد بن أحمد (ت : ٤٦٢هـ) .

٣٣- طبقات الأُمم , تح :الأب لويس شيخو اليسوعي , (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين - بيروت -١٩١٣م).

ابن عبد الحق البغدادي , صفي الدين عبد المؤمن (ت :٧٣٩هـ).

٣٤- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع , ط١ (دار الجيل - بيروت - ١٤١٢هـ).

العتبي , أبو نصر عبد الجبار بن محمد (ت:٤٢٧هـ) .

٣٥- تاريخ اليميني على هامش الفتح الوهبي للشيخ احمد المنيني, (جمعية المعارف القاهرة - ١٢٨٦هـ).

ابن العبري , غريغوريوس بن هارون بن توما الملطي (ت:٦٨٥هـ) .

٣٦- تاريخ مختصر الدول , تح , انطوان الصالحي اليسوعي , ط٣ (دار الشرق - بيروت -١٩٩٢م).

ابن عربشاه ابو محمد أحمد بن محمد (ت : ٨٥٤هـ).

٣٧- عجائب المقدور في أخبار تيمور , (كلكتا - ١٨١٧م).

ابن العماد الحنبلي , عبد الحي بن احمد بن محمد أبو الفلاح (ت : ١٠٨٩هـ) .

٣٨- شذرات الذهب في اخبار من ذهب , تح محمد الارناؤوط , ط١ (دار ابن كثير- دمشق- بيروت- ١٩٨٦).

العيدروس , محي عبد القادر بن شيخ عبد الله (ت : ١٠٣٨هـ).

٣٩- النور السافر عن إخبار القرن العاشر, ط١(دار الكتب العلمية – بيروت- ١٤٠٥هـ).

ابو الفدا عماد الدين اسماعيل نورالدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر ابن شاهنشاه بن ايوب (ت : ٧٣٢هـ) .

٤٠- تقويم البلدان , اعتنى بتصحيحه رينود و البارون ماك كوكن ديسلان , (دار الطباعة السلطانية – باريس-بلا.ت).

ابن الفرات , ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت :٨٠٧هـ).

٤١- تاريخ ابن الفرات , تح د. حسن الشماع , (دار الطباعة الحديثة البصرة – ١٩٧٠م).

فرحون , إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري (ت : ٧٩٩هـ) .

٤٢- ابن تبصرة الحكام في اصول الاقضية ومناهج الاحكام , (مكتبة كليات الازهرية – القاهرة – ١٩٨٦م).

القرطبي , أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري(٦٧١هـ).

٤٣- الجامع لأحكام القرآن , تح هشام سمير البخاري , (دار عالم الكتب – الرياض – ٢٠٠٣م).

القزويني , زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ) .

٤٤- اثار البلاد واخبار العباد , (دار صادر بيروت- ١٩٦٠م)

القلقشندى , أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت:٨٢١هـ) .

٤٥- مآثر الانافة في معالم الخلافة , تح عبد الستار احمد فراج (مطبعة حكومة الكويت- الكويت – ١٩٨٥).

٤٦- صبح الأعشى في صناعة الانشى , تح محمد حسين شمس الدين , (دار الكتب العلمية بيروت -١٩٨٧م).

القنوجي , صديق بن الحسن (ت:١٣٠٧هـ) .

٤٧- أبجد العلوم (الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم) , (وزارة الثقافة إحياء التراث العربي- سوريا – ١٩٨٩م).

الكاساني , ابو بكر مسعود (ت : ٥٨٧هـ) .

٤٨- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع , (دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٦م).

ابن كثير , أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي (ت :٧٧٤هـ) .

٤٩- البداية والنهاية ,تح علي شيري , (دار إحياء التراث العربي -١٩٨٨م) .

أبن ماجة , أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ) .
٥٠- سنن أبن ماجة , تح محمد فؤاد عبد الباقي , (دار إحياء الكتب العربية – مصر- بلا.ت).
الماوردي , أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت:٤٥٠هـ) .
٥١- الأحكام السلطانية , (دار الحديث – القاهرة-بلا.ت).
المسعودي , ابو الحسن علي .
٥٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر, تدقيق اسعد داغر , ط٤ (دار الاندلس – بيروت -١٩٨١).
المقريزي , أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ) .
٥٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار , (دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٨هـ).
ابن منظور, أبو الفضل جمال بن محمد بن كرم بن علي المصري (٧١١هـ).
٥٤- لسان العرب , ط٣ , (دار صادر- بيروت -١٤١٤هـ).
ابن النديم , أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق (ت : ٤٣٨هـ) .
٥٥- الفهرست , تح :إبراهيم رمضان , ط٢(دار المعرفة – بيروت – ١٩٩٧م).
النسوي , محمد بن أحمد (ت:٦٤٧هـ) .
٥٦- سيرة جلال منكبرتي , تح حافظ أحمد حمدي , (دار الفكر العربي مطبعة الاعتماد مصر – ١٩٣٥م).
النويري , أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين (ت :٧٣٣ هـ) .
٥٧- نهاية الأرب في فنون الأدب , (دار الكتب والوثائق القومية , القاهرة – ١٤٢٣هـ).
الهمذاني , رشيد الدين فضل الله (ت:٧١٨هـ) .
٥٨- جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان) ,ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد , (دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت -١٩٨٣م).
ابن الوردي , زين الدين عمر (ت:٧٤٩هـ) .
٥٩- تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) , تح احمد رفعت البدراوي , (دار المعرفة , بيروت – بلا. ت).
ياقوت الحموي , شهاب الدين ابوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت: ٦٢٦هـ).

٦٠- معجم البلدان , (دار صادر – بيروت –١٩٩٥م).

المراجع الحديثة

إدريس , أحمد ،
١- الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين , ط١ (دار العين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – مصر-١٩٩٨).
أرنولد , دافيد ،
٢- الطب الإمبريالي والمجتمعات المحلية , ترجمة : د. مصطفى إبراهيم فهمي , (عالم المعرفة – الكويت – ١٩٩٨م).
أرنولد , سير توماس .و. ،
٣- الدعوة إلى الإسلام , ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون , ط٣ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة – ١٩٧٠م).
الأصيبعي , د.محمد إبراهيم ،
٤- الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية (دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون) , (مطبعة الانتصار لطباعة الاوفست – المغرب-بلا.ت)
الاعظمي ، محمد ضياء الرحمن
٥- فصول عن أديان الهند ،(دار البخاري للنشر والتوزيع المدينة المنورة – ١٩٩٦م)
الالوسي , عادل محي الدين
٦- تاريخ الإسلام في جنوب شرقي آسيا والصين , (مطبعة التعليم العالي – بغداد – ١٩٧٨م)

الآلوسي , همام هاشم
٧- السيخ في الهند صراع الجغرافية والعقيدة , ط١(الدار الدولي للاستثمارات الثقافية – القاهرة –٢٠٠٠م)
بارتولد , فازيلي فلادميروفتش
٨- تاريخ الترك في آسيا الوسطى , ترجمة أحمد السعيد سلمان , (مطبعة الأنجلو المصرية – القاهرة –١٩٥٨م)
الباشا , حسن

٩- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار , (دار الفنية للنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٨٩م) ,

بوزورث , كليفورد.أ

١٠- الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي (دراسة في التاريخ والأنساب) , ترجمة حسين علي اللبودي , ط٢ , (مؤسسة الشراع العربي –الكويت –١٩٩٥م)

تركماني , أسامة أحمد

١٢- جولة سريعة في تاريخ الاتراك والتركمان ما قبل الاسلام وبعده ,(دار الارشاد والنشر – سوريا –٢٠٠٧)

ثابت , نعمان

١٣- الجندية في عهد العباسيين , مراجعة وتقديم اللواء الركن حامد احمد الورد , (مديرية المطابع العسكرية –بغداد –١٩٨٧م)

الجندي , أنور

١٤- الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ,(دار الكتاب – ١٩٨٧)

الجوارنة , د. أحمد محمد

١٥- المعارك الإسلامية في الهند , جامعة اليرموك – الأردن–بلا.ت)

١٦- الهند في ظل السيادة الإسلامية (دراسات تاريخية) , (مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع – الاردن–بلا.ت)

حسن , د.منى سيد علي

١٧- التصوير الإسلامي في الهند (الصور الشخصية في المدرسة المغولية الهندية) , ط١ (دار النشر للجامعات – مصر – ٢٠٠٢م)

١٨- التصوير الإسلامي في الهند (تسليات البلاط وحياة الشعوب في التصوير المغولي الهندي) , ط١(دار النشر للجامعات – مصر – ٢٠٠٣م)

حلمي , مصطفى

١٩- الإسلام والأديان(دراسة مقارنة) , ط١ (دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – الإسكندرية –١٩٩٠م)

حنا , نهى وآخرون

٢٠- موسوعة كنوز المعرفة (الأديان) , ط١(دار نظير عبود للطباعة والنشر – لبنان – ١٩٩٨م) ,

الخالدي , إسماعيل عبد العزيز

٢١- العالم الإسلامي والغزو المغولي , أشراف احمد محمد العسّال وعبد الستار فتح الله سعيد , مطابع دار القبس (الكويت – ١٩٨٤م).

خطاب محمود شيت

٢٢- قادة فتح السند وأفغانستان , ط١ (دار الأندلس الخضراء – جدة – ١٩٩٨م).

٢٣- الهند قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه , ط٤ (دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت –١٩٩٠م).

الخلف , سالم بن عبدالله

٢٤- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس , ط١(البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة –٢٠٠٣م) .

الدرويش , د. عبد الستار مطلك

٢٥- السلطان محمود الغزنوي سيرته ودوره السياسي والعسكري في خراسان وشبه القارة الهندية ٣٦١-٤٢١هـ , (دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع –الأردن – عمان – ٢٠٠٩م).

٢٦- الإمارة الغورية في المشرق (دراسة في أحوالها السياسية والحضارية ٥٤٣ – ٦١٢هـ) , (دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع– عمان – ٢٠١١م).

الدوري , عبد العزيز

٢٧- النظم الإسلامية , (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – ٢٠٠٨م) .

دياكوف , ف و س كوفاليف

٢٨- الحضارات القديمة , ترجمة , نسيم واكيم اليازجي , ط١(منشورات دار علاء الدين – دمشق – ٢٠٠٠م)

ديورانت , ول وايرل

٢٩- قصة حضارة الهند وجيرانها , ترجمة زكي نجيب محمود ,(دار الجيل للنشر والطبع –بيروت–بلا.ت)

الزركلي , خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن الفارسي (١٣٩٦هـ)

٣٠- الأعلام , ط١٥ دار العلم للملايين – ٢٠٠٢م)

زيدان , جرجي

٣١- تاريخ التمدن الإسلامي , (منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت–بلا.ت)

زيعور , د.علي

٣٢- الفلسفات الهندية قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والإصلاحية ,ط١(دار الأندلس–بيروت– ١٩٨٠م).

الساداتي , احمد محمود

٣٣- تاريخ الدول العربية بآسيا وحضارتها , (مكتبة النهضة – القاهرة –١٩٨٧).

٣٤- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم , (دار نهضة الشرق , جامعة القاهرة – ٢٠٠١ م).

الساموك , سعدون محمود

٣٥- موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة , ط١(دار المناهج _عمان – ٢٠٠٢م).

السعيد , أمينة

٣٦- مشاهدات في الهند , (دار المعارف–مصر – ١٩٤٦م).

شويتزر , ألبير

٣٧- فكر الهند (كبار ومفكري الهند ومذاهبهم على مر العصور), ترجمة يوسف شلب الشام , ط١(دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر– دمشق –١٩٩٤م) .

الشيال جمال الدين

٣٨- تاريخ دولة أباطرة المغول الاسلامية في الهند ، (منشأة المعارف الإسكندرية – ١٩٦٨)

طقوش , د. محمد سهيل

٣٩- تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند , (دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت –٢٠٠٧م)

الطريحي , محمد سعيد

٤٠- أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , (دائرة المعارف الهندية – ١٩٨٥م)

٤١- الشيعة في العصر المغولي , (دائرة المعارف الهندية –هولندا – ٢٠٠٦م)

عبد الحليم , د. رجب محمد

٤٢- انتشار الاسلام بين المغول , (دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع - مطبعة الجبلاوي - مصر -١٩٨٦م)

عبد الصمد , محمد كامل

٤٣- عادات وتقاليد لدى شعوب العالم المختلفة , ط١ (مكتبة الدار العربية للكتاب - مصر -١٩٩٦م)

عبد القادر ,علي

٤٤- الفقه الإسلامي القضاء والحسبة , (المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ١٩٨٦م)

عثمان , د.محمد عبد الستار

٤٥- المدينة الإسلامية , (عالم المعرفة - الكويت ١٩٨٨م)

علي , احمد رجب محمد

٤٦- تاريخ وعمارة الدور والقصور والاستراحات والحمامات الأثرية في الهند , (الدار المصرية اللبنانية - القاهرة٢٠٠٦م).

٤٧- قلاع وحصون وأسور وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند , ط١ , (الدار المصرية اللبنانية - القاهرة -٢٠٠٩م)

٤٨- تاريخ وعمارة المساجد الاثرية في الهند الدار المصرية اللبنانية - القاهرة- ١٩٩٧م)

غنيم , د.عادل حسن و د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

٤٩- تاريخ الهند الحديث , ط١ (مكتبة الخانجي-مصر- ١٩٨٠م).

فضل الله , مريم نور الدين

٥٠- المرأة في ظل الإسلام , (دار الزهراء- الرياض-بلا.ت) .

الفقي , عصام الدين عبد الرءوف

٥١- بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري , (عالم الكتب-القاهرة - ١٩٨٠م) .

فوزي , فاروق عمر

٥٠- الجذور التاريخية للوزارة العباسية , بغداد -١٩٨٦م) .

كبير , أ.د.همايون

٥١- التراث الهندي من العصر الآري إلى العصر الحديث , ترجمة البروفيسور ذكر الرحمن , مراجعة عمر الأيوبي , ط١ (هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – أبو ظبي- ٢٠١٠م).

الكتاني , محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد (ت : ١٣٨٢هـ)

٥٢- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية, تح , عبدالله الخالدي , ط٢ (دار الأرقم – بيروت–بلا.ت) .

كحالة , عمر رضا

٥٣- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام , (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر – سوريا–بلا.ت) .

كوكن , محمد يوسف

٥٤- دولة المغول في الهند (١٥٢٥-١٨٥٧) , (دار حافظة للطباعة والنشر- مدارس–١٩٨٧م) .

لابيدس , أبرا .م

٥٥- تاريخ المجتمعات الإسلامية ,ترجمة فاضل جنكر , ط٢ ,(دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان –٢٠١١م)

لوبون , غوستاف

٥٦- حضارات الهند ترجمة عادل زعيتر , (مطبعة دار إحياء الكتب العربية –سوريا- بلا.ت)

مؤنس , د.حسين

٥٧- أطلس تاريخ الإسلام ,ط١ (الزهراء للأعلام العربي – القاهرة- ١٩٨٧م)

متز , آدم

٥٨- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري , ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة , ط٣ (لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة – ١٩٥٧م)

مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى وآخرون)

٥٩- المعجم الوسيط (دار الدعوة – القاهرة–بلا ت)

مجموعة مؤلفين

٦٠- مفاهيم إسلامية , (موقع وزارة الأوقاف المصرية–بلا.ت)

محمود , أحمد عبد المنصور

٦١- بلاد البقرة المقدسة , (دار الكاتب العربي – للطباعة والنشر القاهرة–بلا.ت)

المشهداني , د. ياسر عبد الجواد

٦٢- تاريخ الدول الإسلامية في آسيا ط١ (دار الفكر –الأردن–٢٠١٠م)

٦٣- الهند من خلال رحلة ابن بطوطة (دراسة في الجوانب السياسية والحضارية , ط١ (دار نشر المعرفة – مطبعة المعارف الجديدة – الرباط – ٢٠١١م)

موداك , مانوراما

٦٤- الهند شعبها وأرضها , ترجمة العميد عبد الفتاح إبراهيم , (مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – القاهرة – نيويورك – ١٩٦٤م)

النبراوي , فتحية

٦٥- تاريخ النظم والحضارة الإسلامية , ط٣ (الدار السعودية – جدة – ١٩٨٥م)

الندوي , أبو الحسن علي الحسني ,

٦٦ – أضواء على الحركات والدعوات الدينية الإصلاحية ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند , (المطبعة الندوية مؤسسة الصحافة والنشر – لكنهو – الهند – ١٩٩٥م).

٦٧- ربانية لا رهبانية , ط١ (دار القلم – دمشق , دار الشامية– بيروت – ٢٠٠٠م).

٦٨- رجال الفكر والدعوة في الإسلام (الإمام السرهندي والإمام الدهلوي) ط٤ (دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع سوريا –٢٠٠٩م).

٦٩- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ,(دار الأيمان – القاهرة –١٩٤٥م)

٧٠- المسلمون في الهند , ط١ (دار أبن كثير –دمشق –بيروت– ١٩٩٩م).

الندوي , أبو الحسنات

٧١- مدارس الهند الإسلامية القديمة ,(أكاديمية شلبي أعظم كره الهند ٢٠٠٨م).

الندوي , عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني (ت :١٣٤١هـ)

٧٢- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ(نزهةالخوطر وبهجة المسامع والنواظر) (دار ابن حزم بيروت – ١٩٩٩م).

٧٣- الثقافة الإسلامية في الهند , ط٢ (مطبعة خالد بن الوليد - دمشق - ١٩٨٢م).
٧٤ - الهند في العهد الإسلامي , (دار عرفات – الهند – ٢٠٠١م)
الندوي , د.محمد إسماعيل ,
٧٥ - تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية , ط١(دار الفتح للطباعة والنشر-بيروت-بلا.ت).
٧٦ - الهند القديمة حضارتها وديانتها , (دار الشعب – القاهرة- ١٩٧٠م).

الندوي , السيد سليمان
٧٧ - مقالات سليمان (النقوش على عملات سلاطين الهند) , أكاديمية شبلي أعظم كره – الهند – ٢٠٠٦م)
الندوي , معين الدين
٧٨- معجم الامكنة التي لها ذكر في كتاب نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر, (مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية – حيدرآباد – الدكن – ١٣٥٣هـ).
أبو النصر محمد عبد العظيم
٧٩- تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب , (شركة نوابغ الفكر-القاهرة-بلا.ت).
النمر ، عبد المنعم
٨٠- تاريخ الإسلام في الهند ، (المؤسسة الجامعية -القاهرة -١٩٨١م).
الهاشمي , د.رحيم كاظم محمد
٨١- عواطف محمد العربي شنقارو , الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم , (الدار المصرية اللبنانية -القاهرة – ٢٠٠٢م).
وافي , د. علي عبد الواحد
٨٢- غرائب النظم والتقاليد والعادات , (دار النهضة للطباع والنشر-مصر-بلا.ت).

المصادر الفارسية

آزاد , محمد حسين , دبار أكبري
١- مخطوط محفوظ بقسم المخطوطات , (مكتبة آزاد عليكرة , الهند-بلا.ت).
جغتائي , ذاكر محمد عبد الله

٢- فنون لطيفة بعهد أورنجزيب , ط١ (كتاب خانه نورس-١٩٥٠م).

الجويني , علاء الدين عطا ملك

٣- تاريخ جهانكشاي , تح محمد عبد الوهاب القزويني , (مطبعة يريل (ليدن - ١٩٣٧م).

عبد الرحمن , سيد صباح الدين

٤- هندوستان كي عهد وسطي كا فوجي نظام , (نظم جيش الهند في العهود الوسطى), (دار المصنفين شبلي الأكاديمية -أعظم كره- الهند - ٢٠٠٨م).

ميرخواندا , غياث الدين همام الدين (ت: ٩٤٢هـ)

٥- حبيب السير في أخبار أفراد البشر , از انتشارات : كتابخانة ، خيابان ناصر خسرو ، تهران ، ١٣٣٣هـ).

المصادر الأوردية

بدايوني , ملا عبد القادر ملكشاه (ت:١٠٠٤هـ)

١- منتخب التواريخ , ترجمه للفارسية محمود احمد فاروقي , (سلسلة مطبوعات نمير - الهند -١٩٦٢م).

فرشته , محمد قاسم هندوستان أستر آبادي(ت: ١٠٣١هـ)

٢- تاريخ فرشته , (المطبعة العثمانية - حيدرآباد- الدكن - ١٩٢٦م).

الرسائل و الأطاريح

أمجد , خالدة

١- النثر الفني في شبه القارة الهندية , أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها مقدمة إلى الكلية الشرقية (جامعة البنجاب - لاهور-٢٠٠٦م).

بخش , خادم حسين إلهي

٢- أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية ,أطروحة دكتوراه غير منشورة , (جامعة أم القرى -كلية الشريعة والدراسات بمكة المكرمة - ١٤٠٤-١٤٠٥هـ).

الجبوري , رضوان عطية وردي

٣- الهند في عصر السلطنة الإسلامية (٦٠٢-٨١٥هـ/ ١٢٠٥- ١٤١٣م) , أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي مقدمة الى مجلس(كلية التربية في جامعة الموصل – ٢٠١٢م).

الجنابي , إنعام حميد

٤- النظام الإداري والسياسي والعسكري للمغول (٥٩٩-٦٥٨هـ) , رسالة ماجستير غير منشورة (كلية التربية للبنات – جامعة الانبار -٢٠٠٦م).

حيدر , عبد الرحمن فرطوس

٥- الإيلخان هولاكو ودوره في نشأة وقيام الدولة الإيلخانية , أًطروحة دكتوراه غير منشورة , (كلية الآداب – جامعة بغداد – ٢٠٠٣م).

خليل الرحمن , عبد الوهاب

٦- الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية وأثرها في مقاومة الانحرافات الدينية , (أطروحة دكتوراه غير منشورة في الشريعة الإسلامية مقدمة إلى (جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية – ١٩٨٧م).

سليم , طارق طه حماد

٧- الأمارة الخلجية في الهند (دراسة في أحوالها السياسية والحضارية ٦٨٩-٧٢١هـ/ ١٢٩٠- ١٣٢١م) , اطروحة دكتوراه مقدمة إلى (معهد التاريخ العربي و التراث العلمي للدراسات – بغداد – ٢٠١٢م).

الشاذلي , أحمد عبد القادر

٨- الحياة الثقافية في بلاط السلطان جلال الدين أكبر , (رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الآداب – جامعة القاهرة – ١٩٨٢م).

قمر الزمان , صاحب عالم

٩- الأوضاع السياسية والحضارية لدولة المغول في الهند في عهد السلطان أورنجزيب (١٠٦٩-١١١٨هـ/١٦٥٩-١٧٠٧م) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (جامعة القاهرة- ٢٠١٠م).

الدوريات:

١- آذرشب , محمد علي , مقالة (أكبر والمذاهب) , بلا ص

الإصلاحي , ضياء الدين

٢- الزخرفة وصناعة الأواني الخزفية خلال العهدين القديم والأوسط للهند , مجلة ثقافة الهند , (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – نيودلهي – ١٩٩٣م).

الحامدي , د.خالد

٣- تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند , مجلة ثقافة الهند , (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – نيودلهي –١٩٩٦م).

الحفناوي , د.جلال السعيد

٤- جهود الهنود في الترجمات الأردية للقرآن الكريم , مجلة ثقافة الهند, (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – نيودلهي– ١٩٩٨م).

خان , حبيب الله

٥- الترجمة العربية منها وإليها في الهند قبل الاستقلال , مجلة الثقافة الهندية (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية –نيودلهي – ١٩٩٧م)

خان , يوسف حسين

٦- نظام التعليم في الهند خلال العصور الوسطى , مجلة ثقافة الهند نيودلهي–١٩٦١م).

درويش , د.عبد الستار مطلك

٧- العوامل الذاتية لانتشار الإسلام في الهند , بحث مقدم إلى مجلة الأستاذ ,(كلية التربية – ابن رشد – جامعة بغداد –٢٠٠١ م).

ديساني , د. ضياء الدين

٨- المساجد التاريخية في دلهي , ترجمة منظور احمد واني , مجلة ثقافة الهند(المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – نيودلهي– ٢٠٠٢م) .

الديوبندي , سيد محبوب الرضوي

٩- المدارس في الهند , مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن (دار العلوم ديوبند –٢٠١٢م) .

الديوبندي , المدارس في الهند

١٠- مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن (دار العلوم ديوبند– ٢٠١٢م).

الرحمن , سعيد

١١- الأعياد والمهرجانات الهندوسية في ولاية البنغال الغربية , مجلة ثقافة الهند(المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – نيودلهي , مج ٥٦ , العدد١ , ٢٠٠٥م).

الرضوي , السيد أظهر عباس

١٢- دار الترجمة للإمبراطور أكبر, ترجمة د.منهاج أحمد , مجلة ثقافة الهند (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية –نيودلهي –٢٠٠٤م).

عمر , د.محمد

١٣- المجتمع الهندي –الإسلامي(تبادل ثقافي) , ترجمة : اورنكزيب الاعظمي , مجلة ثقافة الهند , (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية– نيودلهي – ٢٠٠٣م).

مقالة

١٤- ترويج الثقافة والتعليم في العهد المغولي , مجلة ثقافة الهند , مج٦٠ , العدد٣ –٢٠٠٩م)

مقالة

١٥- العمارة الإسلامية أحد المظاهر الحضارة التي ميزت التاريخ الإسلامي , مقالة تصدرها(جريدة البيان – دبي ٢٠١١م).

المشهداني , د.ياسر

١٦- الفيل واستخداماته في الحياة الهندية في العصور الوسطى , بحث منشور في مجلة التربية والعلم الصادرة عن كلية التربية – جامعة الموصل – ٢٠٠٧م).

١٧- النفوذ البرتغالي وأثره على الهند الإسلامية , بحث منشور في (مجلة التربية الإسلامية ,٢٠٠٦م).

مكي , أيه أي

١٨- الحدائق المغولية في الهند , (مجلة الشندغة , مارس– ابريل ٢٠٠٥م).

الندوي , ضياء الحسن

١٩- الآثار التاريخية في الهند , مجلة ثقافة الهند , (المجلس الهندي للعلاقات الثقافية –نيودلهي – ٢٠٠٢م).

المصادر الأجنبية

1. Abid, Massarrat Abid and s-Qalb-i, Cultural heritage of the Mughals , Pakistan study Centre univ-Punjab-2005 ,

2. Abu al Fazl, The Akbar nama , translated by boverdge, vol I Delhi ,1902 ,

3.Du- Jarric, Pierre , Akbar and the Jesuits : An Account of the jesuit Missions to the court of akbar,(Harper Brothers – 1926)

4.Ikram ,S.M , Muslhm Civilization in India , (Columbia University-New York – London -1964) .

5.Jahangir , The Jahangirnama(memoirs of Jahangir, Emperor of india) , (Gallery Smithsonian institution -1999) .

6.Kauasar, Zinat , Muslim Womin Medel India (Janaki Prakashan P atha – New Delhe- 1992) .

7.Lal, Ruby , Domesticity and power in the Eary Mughal world ,(Cambridge University Press-2005) ,

8.Malleson ,Colonel . G. B , c.s.i , Rulers of India AKBAr and the rise of the Mughal Empire ,(Oxford at the Clarendon press : 1896) .

9.Rekha Misra, , Women in Mughal india(1526- 1748) , Munshiram Manoharlal-1967

10.Muhammd Abdul-Ghani , A-History of Persion Languaga Litereture at the Mughal Court , (Allah-Abad-India-1929) ,60

11.Mukherjee, Lla , social status of north Indian women(1526-1701) shive lal ,Agarwala- 1972

12.Nath, R , Fatehpur Sikri and its Monuments ,(Historical Research Documentation Programme -2000) ,

13.Qureshi, Ishtiaq Husain , Akbar(The Architect of the Mughul Empire) (Maaref-1978)

14.Pant ,Chandra , Nur Jahon Her Family, Dandewal Publishing House -1978)
15.Pant, Poonam , Role of Women in Medival India Polities (1236-1627) , (Tarun Parkashan – 2001) ,
16.Parihar, Subhash, Some Aspects of Indo-Islamic Architecture (Abhinav Publications-1999) ,
17.Rezavi, Ali Nadeem , Disease and Medicine in india((Physicians as Professionals in Medival India)) , (Tulika – 2001)
18.Rezavi, Syed Ali Nadaeem Proceeding of Indian History Congress, ((Exploring The Mughal Grdens at Fathpur Sikri)), Aligarh- 1998
19. Rezavi, Nadeem Ali, The Growth of Civilizations in India Iran , ((Iranian Influence on medieval Indian Architecture)), Aligarh Historians Society - 2002)
20.John F, The Mughal Empire (Cumbridge university Press-Richard 1995)
21.Rizvi, Saiyid Athar Abbas ,Fatehpur Sikri ,(Archaeological Survey of India – 1972)
22.Rustam.J, Mehta. ,Masterpieces of Indo-Islamic Architecture ,(Taraporevala-1976)
23.Sarkar ,Jadunath , Mughal Administration, (Patna University service Bihar- 1920)
24.Sarkar, Jadunath , Studies in Mughal India , 2th –Edition (india Educatioal Service – Bihar - 1919)

25.Shujauddin ,Mohammad Shujauddin and Razia,The Life and Times of Noor Jahan , Caravan Book Hose ,1967)
26.Shirazi ,Kami, Fath Nama-I Nur Jahan Begam ,(Rampur Raza Library-2003
27.Smith, Vincent Arthur , Akbar Great Maghul(1542-1605) ,

(Clarendon Press, 433
1919)

28.Srivastava , Political history(1542-1605) , Shiva Lal Agawala – 1962)

مصادر شبكة النت

تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة(كبار مغول الهند)

العمارة العسكرية في الإسلام أسس العمارة الحربية – ٢٠١٠م).

كونا (وكالة الأنباء الكويتية) , الحمّامات في العصر الإسلامي

منتديات ستار تايمز

منتديات شباب اليوم

منتديات شبكة التاريخ العام , الامبراطورية المغولية

منتديات لك (لؤلؤة الهند تاج محل)

ويكيبيديا (الموسوعة الحرة–السلطان جلال الدين أكبر)

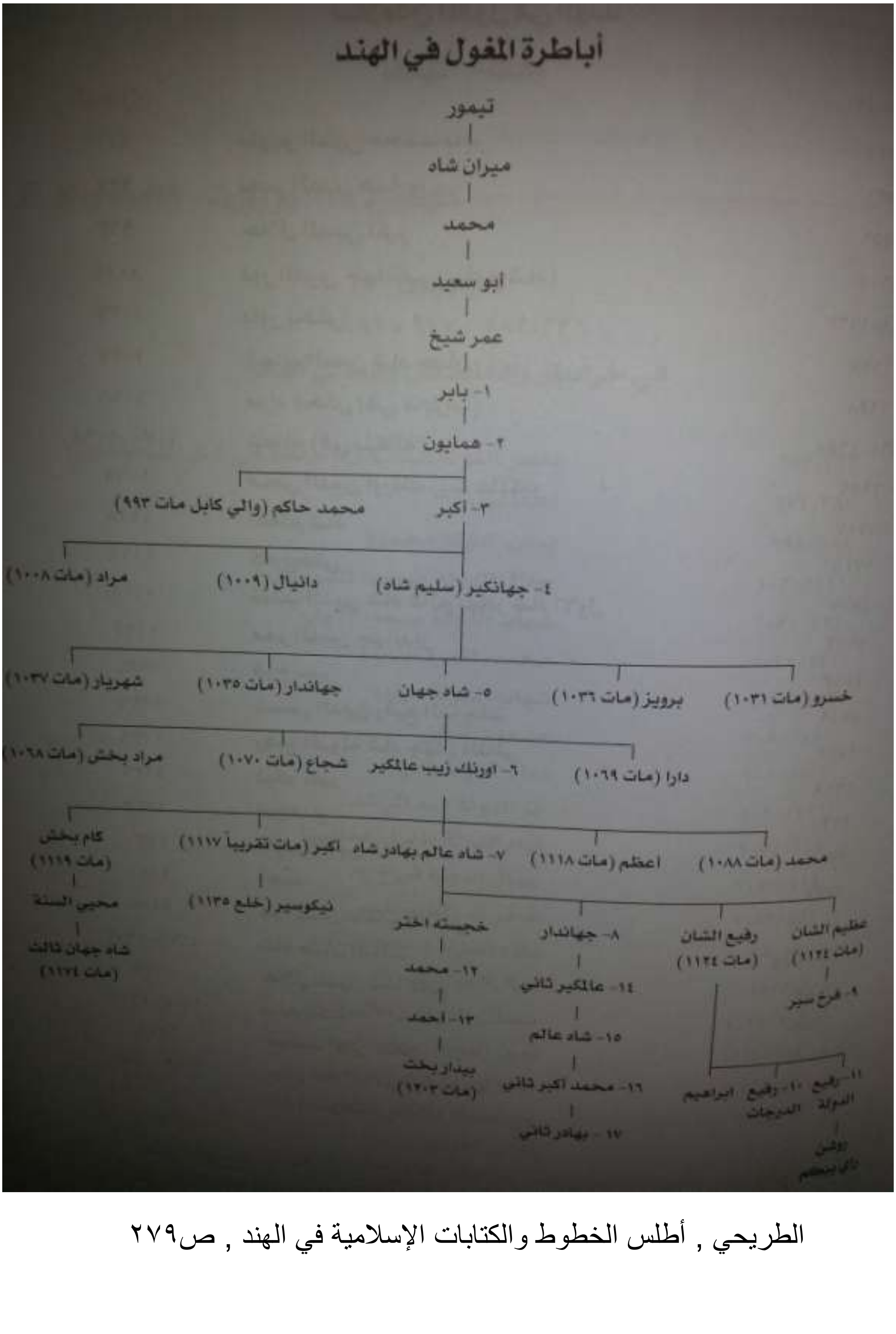
ويكيبيديا (الموسوعة الحرة–السلطان همايون منتديات شباب اليوم)

https://www.google.ae/search?q

http://www.alshindagah.com/shindagah75/ar/editors_message.htm

ملحق رقم١

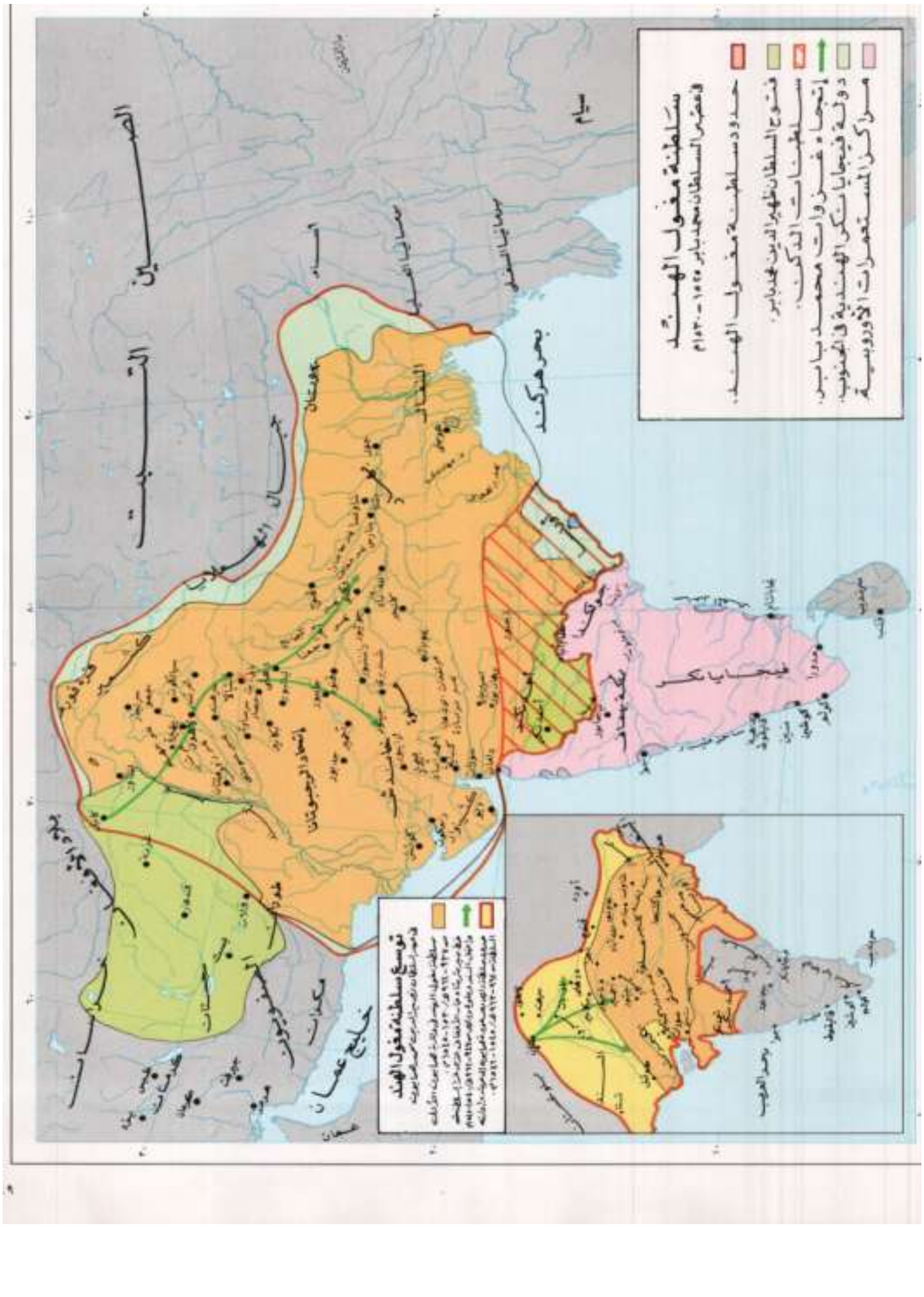
أصول سلاطين المغول في الهند



الطريحي , أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند , ص٢٧٩

ملحق رقم٢

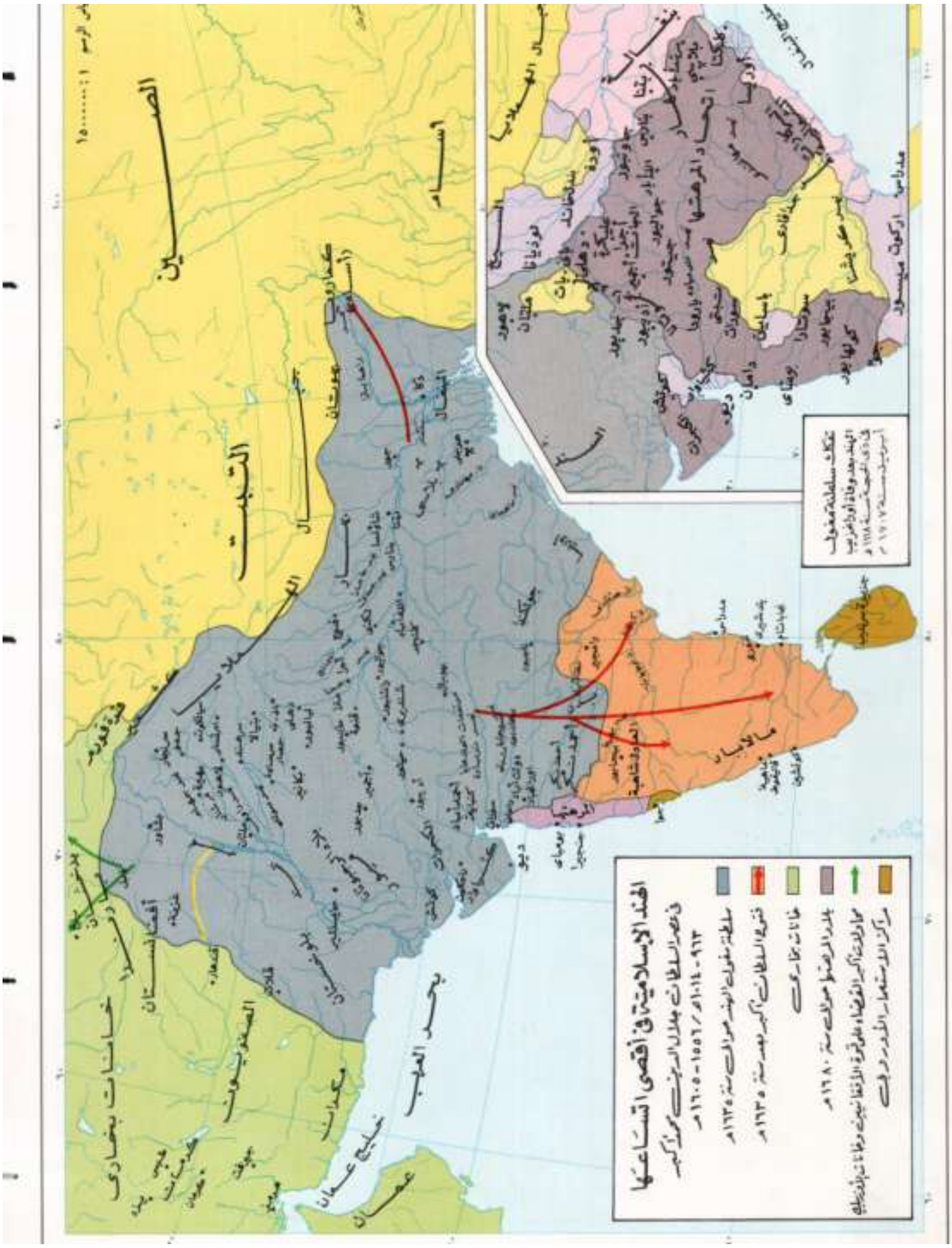
خريطة توضح حدود إمبراطورية المغول في عهد السلطانين بابر وهمايون



مؤنس , أطلس تاريخ الإسلام , ص١٤٩

ملحق رقم٣

خريطة توضح حدود إمبراطورية المغول في عهد السلطان أكبر



مؤنس , أطلس تاريخ الإسلام , ص١٥٠

ملحق رقم ٤

علم المغول



http://ar.wikipedia.org/wiki/

ملحق رقم ٥

عملات فضية في عهد السلطان جلال الدين منقوش عليها الشهادة



http://ar.wikipedia.org/wiki/

ملحق رقم ٦

جدول أهل المناصب ورواتبهم وما يلزم كل واحد منهم

المناصب	الخيل	الركاب	البغال	الأفيال	العربات	رواتبهم الشهرية
ده هزاري(عشرة آلاف)	٦٨٠	١٦٠	١٤٠	٢٠٠	٣٢٠	٦٠٠٠٠
هشت هزاري(ثمانية آلاف)	٥٤٠	١٣٠	٣٤	١٧٠	٢٦٠	٥٠٠٠٠
هفت هزاري(سبعة آلاف)	٤٣٠	١١٠	٢٧	١٣٨	٢٢٠	٤٥٠٠٠
بنج هزاري(خمسة آلاف)	٣٣٧	٨٠	٢٠	١١٠	١٦٠	٣٠٠٠٠
جهار هزاري(أربعة آلاف)	٢٧٠	٦٥	١٧	٨٠	١٣٠	٢٢٠٠٠
سه هزاري(ثلاث آلاف)	٢٠٠	٥٠	١٤	٧٠	١٠٠	١٧٠٠٠
دو هزاري (ألفان)	١٥٠	٣٠	٧	٤٠	٦٠	١٢٠٠٠
هزاري (ألف)	١٠٤	٢١	٤	٣٠	٤٢	٨٢٠٠
نهصدي (تسعمائة)	١٠٠	٢٠	٤	٣٠	٤٠	٧٧٠٠
هشت صدى (ثمانمائة)	٨٢	٢٠	٥	٢٨	٣٤	٥٠٠٠
هفت صدى (سبعمائة)	٥٨	١٧	٣	١٩	٢٧	٤٠٠٠
شش صدى (ستمائة)	٣٨	١٤	٢	١٥	٢١	٣٥٠٠
بانصدى (خمسمائة)	٣٤	١٣	٢	١١	١٥	٢٨٠٠
جهار صدى (أربعمائة)	٢٠	٥	٠	١٠	١٢	٢٠٠٠
سه صدى (ثلاثمائة)	١٥	٤	٠	٧	١١	١٤٥٠
دو صدى (مائتان)	١٣	٣	٠	٥	٧	٩٧٥
يوز باشي (مائة)	١٠	٢	٠	٣	٥	٧٠٠
بنجاهي (خمسون)	٨	١	٠	٢	٢	٢٥٠
بستي (عشرون)	٥	٠	٠	١	٠	١٣٥
ده باشي (عشرة)	٤	٠	٠	٠	٠	١٠٠

الندوي , الهند في العهد الإسلامي , ص٢٩٦

ملحق رقم ٧

صورة السلطان جلال الدين أكبر



الانترنت , ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)

ملحق رقم٨

صور سلاطين المغول(جلال الدين أكبر , جهانجير , شاهجهان)



الانترنت , تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة(كبار مغول الهند)

ملحق رقم ٩

فن التصوير عند المغول(الرسم)



رسم مغولي لمشهد حي من معركة بريشة جوفاردان

رسم مغولي لشاه جيهان على صهوة جواده مع ابنه الأكبر دارا شيكون بريشة جوفاردان

لوحة من بابار - دائما تظهر مشهداً من حياة الأمراء والقادة العسكريين في بلاط مغولي

http://www.alshindagah.com/shindagah75/ar/editors_message.htm

ملحق رقم ١٠

منبر احد المساجد في الهند



الانترنت , منتديات لك (لؤلؤة الهند تاج محل)

ملحق رقم١١

احد منارات المساجد في الهند



الانترنت , منتديات لك (لؤلؤة الهند تاج محل)

ملحق رقم ١٢

مسجد الجامع بناه السلطان شاهجهان



الانترنت , منتديات لك (لؤلؤة الهند تاج محل)

ملحق رقم ١٣

احد ممرات داخل مسجد تاج محل



الانترنت , منتديات لك (لؤلؤة الهند تاج محل)

ملحق رقم ١٤

مسجد تاج محل



الانترنت , منتديات لك (لؤلؤة الهند تاج محل)

ملحق رقم ١٥

ضريح السلطان همايون



الانترنت , ويكيبيديا (الموسوعة الحرة-السلطان همايون)

ملحق رقم ١٦ (ضريح تاج محل من الداخل)

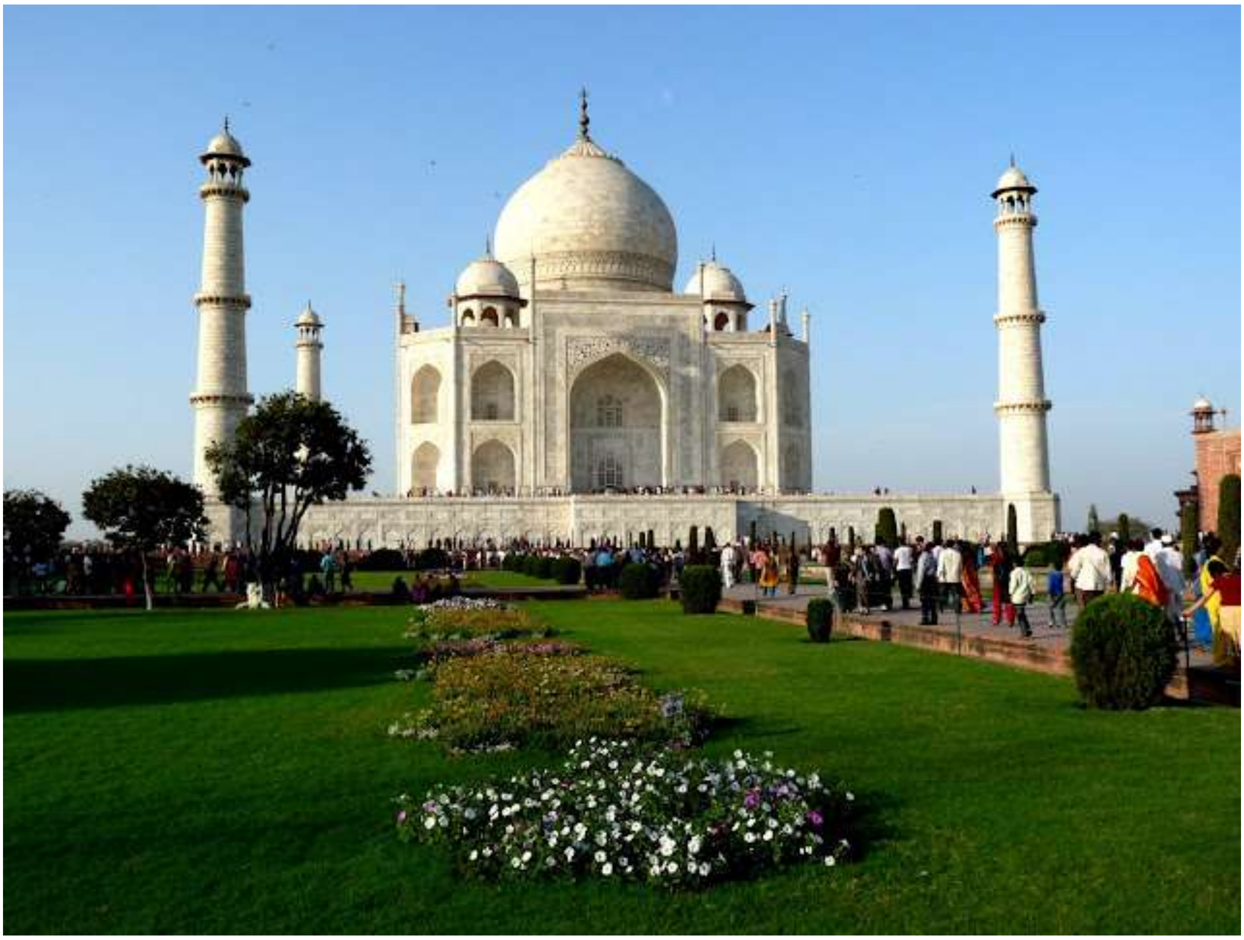




الأنترنت منتديات لك - لؤلؤة الهند تاج محل

ملحق رقم ١٧

تاج محل



الانترنت , منتديات لك (لؤلؤة الهند تاج محل)

ملحق رقم ١٨

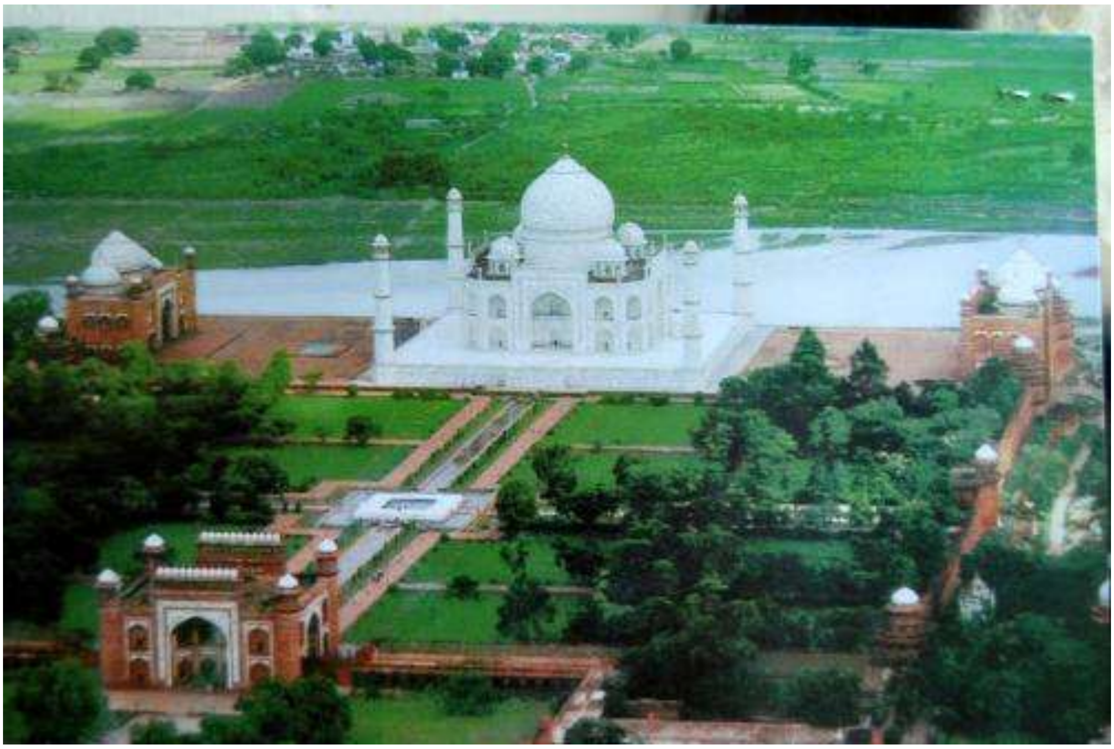
تاج محل



الانترنت , منتديات لك (لؤلؤة الهند تاج محل)

ملحق رقم ١٩

حدائق تاج محل

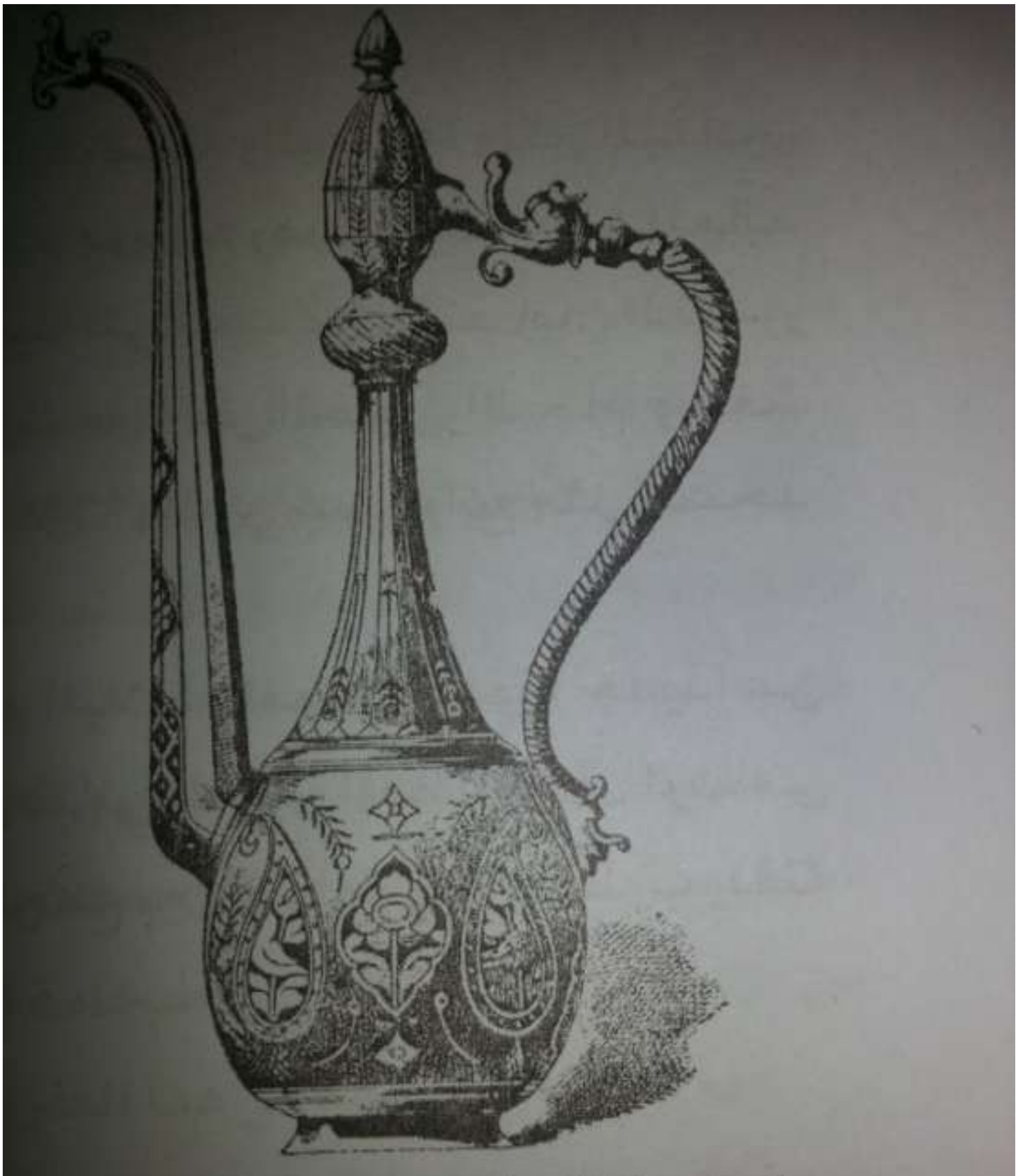




الانترنت , منتديات لك (لؤلؤة الهند تاج محل)

ملحق رقم ٢٠

أبريق مغولي من النحاس



الطريحي , أطلس الخطوط , ص١٥

ملحق رقم ٢١

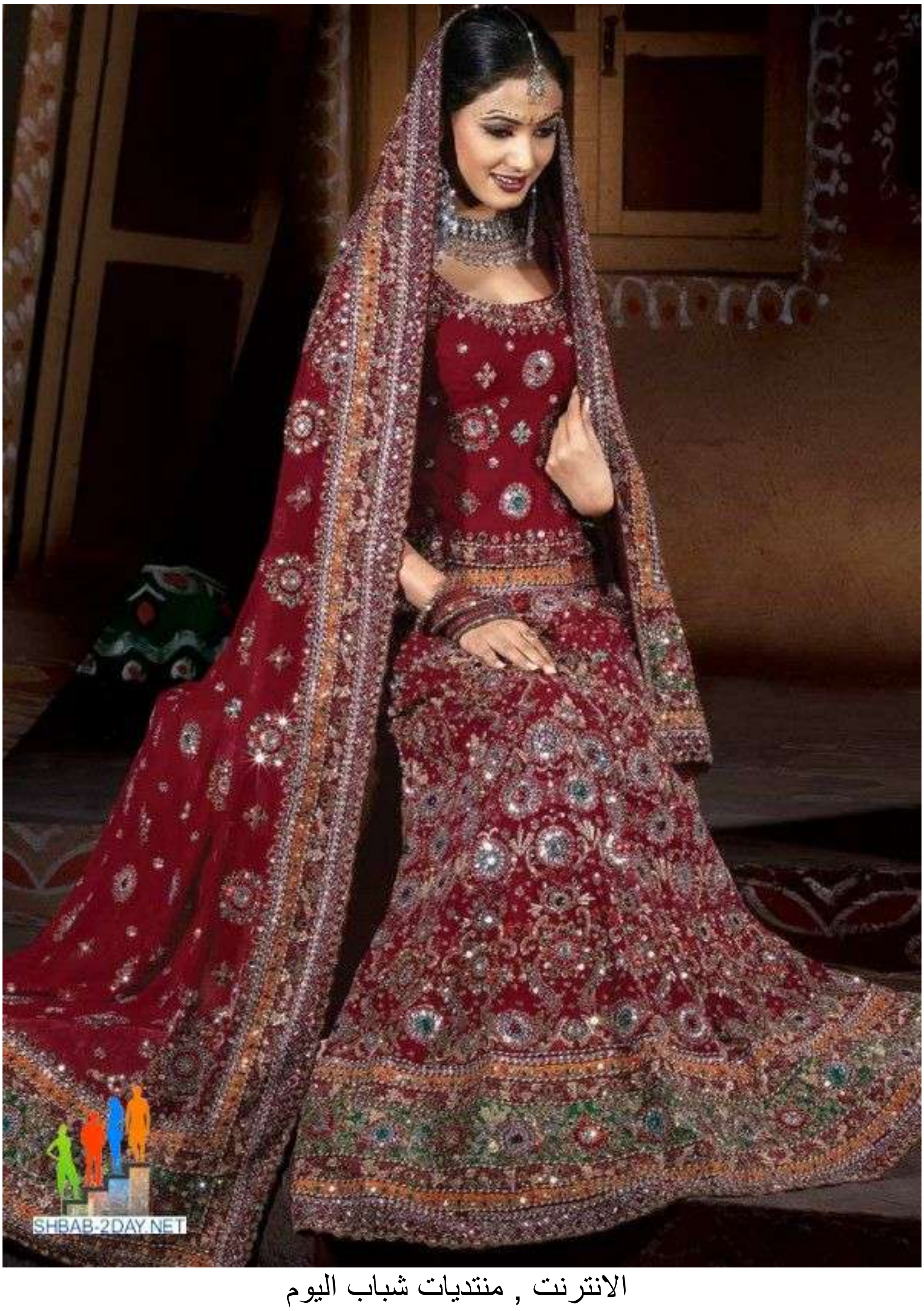
السارى الهندي



https://www.google.ae/search?q , الانترنت

ملحق رقم ٢٢

السارى الهندي



الانترنت , منتديات شباب اليوم

Abstract

Focused Multi Our thesis ((Mughal Empir Islamic India 932-1067 AH / 1525-1656 AD)) of the Covenant burgeoning empire founded by Sultan Zaheer religion Babur then the role of the sultans who came after him where he left them a large footprint in the history of India , whether on the political side or administrative or cultural or social

Necessitated the study split thesis to the front and an introductory chapter , four chapters and a conclusion , search the introductory chapter briefly spread of Islam in India , highlighted the UAE and Petty where I grew up and the latest of which was the era of the Sultanate , while the first chapter has dealt with ((the political aspects of the Mughal Empire)) and had five Detectives , contained its subjects definition Balslatin who ruled during this period , highlighting the most prominent achievements of the political and military , while we dealt with in the second quarter on the ((administrative institutions)) , one of the four sections , including its subjects to managerial positions , and judicial systems , financial , military, and came third quarter to eaten our therein ((cultural life and achievements of civilization)), which is divided into five sections and contained its subjects to take care of the Sultans India for science and scientists , and Azdharaharkh scientific , and months , scientists , writers , and science of mental and transport , and Islamic architecture , Chapter IV has been allocated ((social life and religious)) , which in turn is divided into four sections , and in which we explained the layers of Indian society , and Oshahralotama Indian , in addition to the religious aspect in the Islamic Mughal Empire in India , and Doralamam Aserhende and his anti- religion divineAnd end of the study a set of conclusions summarized the main conclusions of Our thesis

Al-Anbar- University Faculty of Arts

Department of History

Islamic Mughal Empire in India((932- 1067 . H/ 1525- 1656 A.D))

Thesis advanced by

Anaam Hamid Chermut Al-Janabi

To

Board of the Faculty of Arts at the University of Anbar

It is part of the requirements of Neil doctorate degree in Islamic history

Under the supervision of

Prof. Dr

Abd-Al -Sattar Mutlaq Darwish

Anbar University-Faculty of Arts

Prof.Dr

Nouri Abdul Hamid al-Ani

Baghdad University College of Educat-Ibn- Rushd

2014.M *1435.H* .